

مذكرات سائح في الشرق العربي

للداعية الحكيم، المفكر الإسلامي الكبير

العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي

دار ابن كثير

مُذَكَّرَاتُ سَائِحٍ

فِي

الشَّرْقِ العَرَبِيِّ

- الموضوع: ثقافة إسلامية
- العنوان: مذكرات سائح في الشرق العربي
- تأليف: الشيخ أبي الحسن الندوي

الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

ISBN 978-614-415-099-3

ISBN 978-614-415-099-3
9 786144 150993

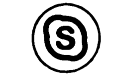
- الطباعة: المطبعة العربية - بيروت
- الورق: أبيض / الطباعة: لون واحد / التجليد: غلاف
- القياس: 17×24 / عدد الصفحات: 376 / الوزن: 580 غ



دمشق - سورية - ص.ب: 311
حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي
تلفاكس: 2225877 11 963+
2228450 11 963+

بيروت - لبنان - ص.ب: 113/6318
برج أبي حيدر - شارع أبو شقرا
تلفاكس: 817857 1 961+
705701 1 961+
جوال: 204459 3 961+

website: www.ibn-katheer.com / e-mail: info@ibn-katheer.com

 /daribnkatheer  @daribnkatheer  daribnkatheer  daribnkatheer

مُذَكَّرَاتُ سَائِحٍ

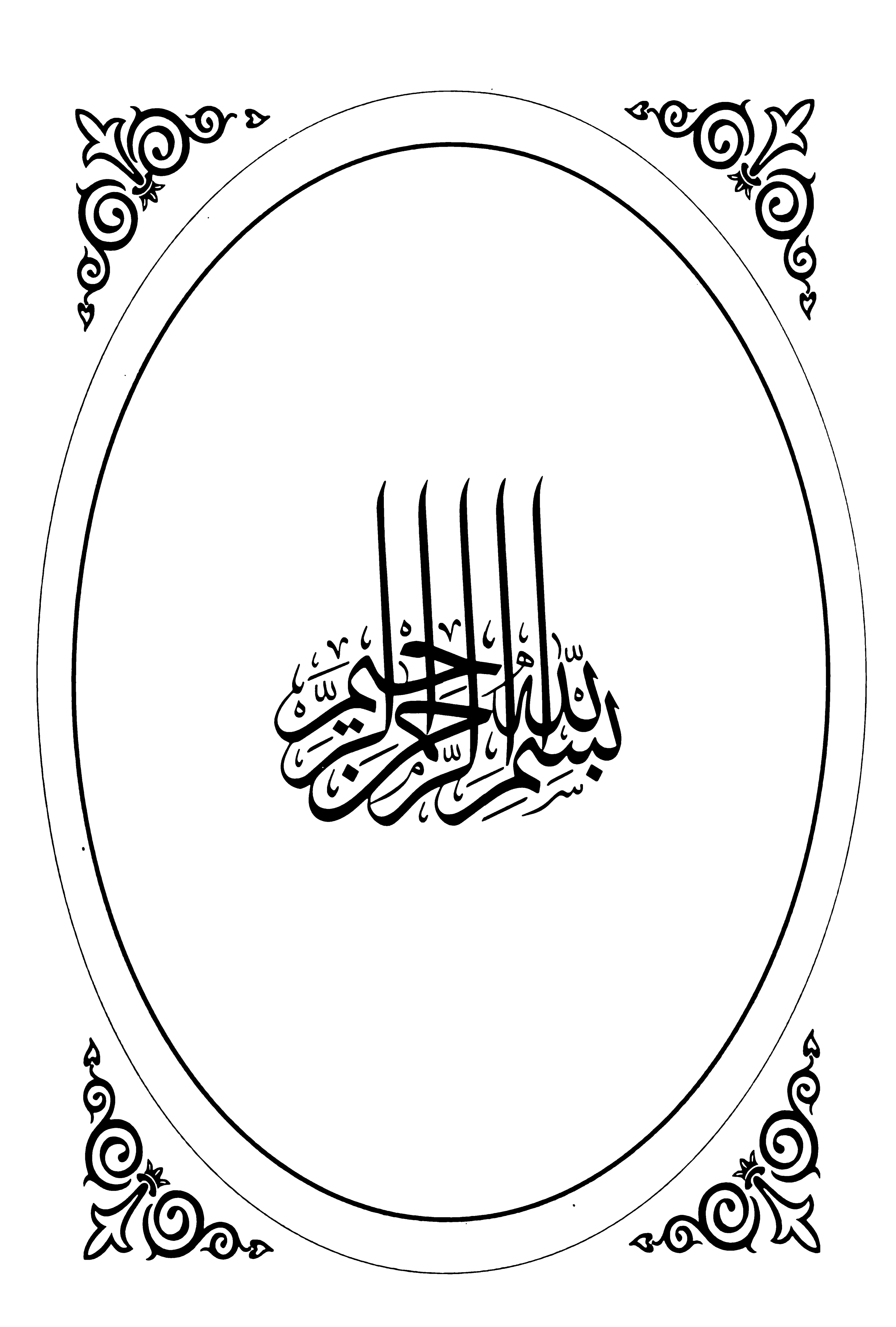
فِي

الشَّرْقِ العَرَبِيِّ

لِلدَّاعِيَةِ الحَكِيمِ، المُفَكِّرِ الإسلَامِيِّ الكَبِيرِ

العلّامة أبي الحسن علي الحسني النّدوي

دار ابن كثير


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمات تعريف بالكتاب وبمؤلفه

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ، فهذا من أهم كتب العلامة الإمام السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ـ رحمه الله ـ الّتي نالت عند القراء قبولًا حسناً وحفاوة بالغة منذ أول يوم صدورها .

خرج العلامة ـ رحمه الله ـ في مطلع ١٩٥١م في رحلة إلى عواصم الشرق العربي ليدرس وضع هذه الأقطار الديني والعلمي والاجتماعي ، ويتعرف برجالاتها وقادة الفكر فيها ، ويتذاكر معهم في الشؤون الدينية والعلمية ، والقضايا الإسلامية ، والمناهج الإصلاحية ، والمشاريع التعليمية ، ويعرفهم ببلاده الهند ، ورجالاتها وعلمائها ، ويُخبرهم بتجارب دعوة الإصلاح وأنشطتها الّتي مرت بها الهند الإسلامية في عهدها الأخير ، ولم يعثر عليها إخواننا العرب إلّا القلائل منهم .

فالتزم العلامة في هذه الرحلة كلها أن يسجِّل كل حديث وكل انطباع في يومه ، وأن يتحرى الدقة في النقل والصحة والصراحة بتسجيل الحديث في لفظ المتحدث ولغته بقدر الإمكان ، فجاءت في هذا الكتاب صورة من الأساليب والآداب المحلية يستفيد منها مؤرخ الأدب فيما بعد ، ويتمثل القارىء لهذا الكتاب شخصية المتحدث وسماته الحقيقية ، ويتمثل البيئة التي سجلت فيها هذه المذكرات ، وما كان يجيش فيها من صراع نفسي واصطراع فكري ، واضطراب اجتماعي وقلق وتذمّر وثورة ، وما كان يتمخَّض عنه هذا المجتمع من حوادث ، فجاءت هذه المذكرات مجموعة صور ناطقة ، يستطيع القارىء أن يعيش بها في هذه الفترة الّتي لا تعود أبداً .

فقد شعرتُ خلال مراجعة هذا الكتاب بحاجة ماسة إلى ذكر تراجم هؤلاء

العلماء والدعاة والمفكرين والأدباء الّذين ذكرهم العلامة المؤلف في هذا الكتاب ، خاصةً تراجم علماء الهند الّتي يصعب على القارئ الاطلاعُ عليها .

فقمتُ بهذا العمل ما وسعني فيه جهدي المتواضع ، أسأل الله أن يتقبل هذا الجهد خالصاً لوجهه ، إنه سميع مجيب ، وهو على كل شيء قدير .

ملامح من حياة العلاّمة الإمام السيّد أبي الحسن الندوي

اسمه ونسبه وأسرته :

• علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الحسني ، ينتهي نسبه إلى عبد الله الأشتر بن محمد ذي النفس الزكية بن عبد الله المحض بن الحسن (المثنى) بن الإمام الحسن السبط الأكبر بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، أول من استوْطَنَ الهند من هذه الأسرة في أوائل القرن السابع الهجري هو الأمير السيّد قطب الدين المدني (٦٧٧هـ) .

• أبوه العلاّمة الطبيب السيّد عبد الحيّ الحسني الذي استحق بجدارة لقب « ابن خلكان الهند » لمؤلفه القيم « نزهة الخواطر » في ثماني مجلدات عن أعلام المسلمين في الهند وعمالقتهم ، طُبِعَ أخيراً باسم « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام »[١] .

• أمّه ـ رحمها الله ـ كانت من السيّدات الفاضلات ، المربيات النادرات ، المؤلّفات المعدودات ، والحافظات للقرآن الكريم ، تقرض الشعر ، وقد نظمت مجموعة من الأبيات في مدح رسول الله ﷺ .

ميلاده ونشأته :

• أبصرَ النورَ في ٦ محرم ١٣٣٣هـ الموافق عام ١٩١٤م بقرية « تكية كلان » الواقعة قرب مديرية رائي بريلي في الولاية الشمالية (أترابرديش) .

• بَدَأَ دراسته الابتدائية من القرآن الكريم في البيت ، ثم دَخَلَ في الكُتّاب

---

(١) صدر أخيراً هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء عن « دار ابن حزم » ببيروت ، عام ١٩٩٩م .

حيث تعلّم مبادىء اللغتين (الأردوية والفارسية) .

• توفي أبوه عام ١٣٤١هـ (١٩٢٣م) وكان عمره يتراوح آنذاك بين التاسعة والعاشرة ، فتولّى تربيته أمّه الفاضلة ، وأخوه الأكبر الدكتور عبد العلي الحسني الذي كان يدرس آنذاك في كلية الطب بعد تخرّجه من دار العلوم ديوبند الإسلامية ودار العلوم ندوة العلماء ، وإليه يرجع الفضل في توجيه وتربية الإمام الندوي .

• بدأ دراسة العربية على الشيخ خليل بن محمّد الأنصاري اليماني في أواخر عام ١٩٢٤م ، وتخرّج عليه مستفيداً في الأدب العربي ، ثمّ توسَّعَ فيه وتخصَّصَ على الأستاذ الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي عند مقدمه إلى ندوة العلماء عام ١٩٣٠م .

• التحق بجامعة لكهنؤ فرع الأدب العربي عام ١٩٢٧م ، ولم يتجاوز عمره آنذاك الأربعة عشر عاماً ، وكان أصغر طلبة الجامعة سناً ، ونالَ منها شهادة فاضل أدب في اللغة العربية وآدابها ، قرأ خلال أيام دراسته في الجامعة كتباً تعتبر في القمَّة في اللغة العربية والأردوية ، ممَّا أعانه على القيام بواجب الدعوة وشرح الفكرة الإسلامية الصحيحة ، وإقناع الطبقة المثقفة بالثقافة العصرية ، وتَعَلَّمَ الإنجليزية مما مكّنته من قراءة الكتب المؤلفة بها في التاريخ والأدب والفكر .

• التحق بدار العلوم ـ ندوة العلماء عام ١٩٢٩م وقرأ الحديث الشريف (صحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود وسنن الترمذي) حرفاً حرفاً مع شيء من تفسير البيضاوي على العلاّمة المحدّث الشيخ حيدر حسن خان الطونكي ، ودرس التفسير لكامل القرآن الكريم على العلاّمة المفسر المشهور أحمد علي اللاّهوري في لاهور عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م ، وحضَرَ دروس العلاّمة المجاهد حسين أحمد المدني في صحيح البخاري وسنن الترمذي خلال إقامته في دار العلوم ديوبند ، واستفاد منه في التفسير وعلوم القرآن أيضاً .

جهوده العلمية ونشاطاته الدعويّة :

• انخرَطَ في سلك التدريس من عام ١٩٣٤م ، وعُيِّنَ أستاذاً في دار العلوم

ندوة العلماء لمادتي التفسير والأدب ، خلال تدريسه في دار العلوم ندوة العلماء استفاد من الصحف والمجلّات العربية الصادرة في البلاد العربية ، ممّا عرَّفه على البلاد العربية وأحوالها ، وعلمائها وأدبائها ومفكريها عن كثب ، واستفاد أيضاً من كتب المعاصرين من الدعاة والمفكرين العرب وفضلاء الغرب والزعماء السياسيين .

• قام برحلة استطلاعية للمراكز الدينية في الهند عام ١٩٣٩م ، تَعَرَّفَ فيها على الشيخ المربِّي العارف بالله عبد القادر الرأي فوري والداعية المصلح الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي(١) ، وكان هذا التعرّف نقطة تحوّل في حياته ، وبَقِيَ على الصلة حتى وافاهما الأجل المحتوم ، وتلَقَّى التربية الروحية من الشيخ عبد القادر الرأي فوري واستفاد من صحبته ومجالسته ، وتَأَسَّى بالشيخ محمّد إلياس الكاندهلوي في القيام بواجب الدّعوة وإصلاح المجتمع ، وقَضَى زمناً طويلاً في رحلات وجولات دعوية متتابعة للتربية والإصلاح والتوجيه الديني في الهند وخارجها .

• أسَّسَ مركزاً للتعليمات الإسلامية لتنظيم حلقات درس القرآن الكريم والسنة النبوية عام ١٩٤٣ ، وأَسَّسَ حركة رسالة الإنسانية بين المسلمين والهندوس عام ١٩٥١م ، والمجمع الإسلامي العلمي بدار العلوم ـ ندوة العلماء في لكهنؤ عام ١٩٥٩م .

• عُيِّنَ أميناً عاماً لدارالعلوم ندوة العلماء عام ١٩٦١م .

• شارك في تأسيس هيئة التعليم الديني للولاية الشمالية (أترابرديش) عام ١٩٦٠م ، وفي تأسيس المجلس الاستشاري الإسلامي لعموم الهند عام ١٩٦٤م ، وفي تأسيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند عام ١٩٧٢ .

---

(١) انظر للاطلاع على حياته وجهوده في الدعوة الإسلامية كتاب العلامة المؤلف ـ رحمه الله ـ الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ودعوته إلى الله ، صدر في سلسلة الأعلام عن دار ابن كثير بدمشق .

أهمّ مؤلفاته :

• نشِرَ له أول مقال بالعربية في مجلّة « المنار » للعلاّمة السيِّد رشيد رضا المصري عام ١٩٣١م حول شخصية الإمام السيّد أحمد بن عرفان الشهيد وكان عمره ـ آنذاك ـ الأربعة عشر عاماً .

• ظهَرَ له أوّل كتاب بالأردوية عام ١٩٣٧م يحمل اسمه « سيرة أحمد شهيد » ونالَ قبولاً عاماً في الأوساط الدينية والعلمية في الهند وباكستان .

• بدأ سلسلة تأليف الكتب المدرسية بالعربية ، وظَهَر أوّل كتاب فيها بعنوان « مختارات من أدب العرب » عام ١٩٤٠م ، و « قصص النبيين » للأطفال و « القراءة الراشدة » عام ١٩٤٤م . وقررت جميع هذه الكتب في مقرّرات جامعات البلدان العربية والهندية .

• ألَّفَ كتابه المشهور « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين »[١] عام ١٩٤٤م .

• دعِيَ أستاذاً زائراً في كلية الشريعة ـ جامعة دمشق عام ١٩٥٦م ، وألقى محاضرات بعنوان « التجديد والمجدّدون في تاريخ الفكر الإسلامي » نُشرت بعد ذلك في شكل كتاب مستقلّ ينضوي تحت أربع مجلدات باسم « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » .

• ألَّفَ كتابه حول القاديانية بعنوان « القادياني والقاديانية » عام ١٩٥٨م ، وكتابه « الصراع بين الفكرة الإسلامية والغربية في الأقطار الإسلامية » عام ١٩٦٥م وكتابه « الأركان الأربعة » عام ١٩٦٧م ، و « السيرة النبوية » عام ١٩٧٦م ، و « العقيدة والعبادة والسلوك » عام ١٩٨٠م و « المرتضى » في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عام ١٩٨٨م .

• شارك في تحرير مجلة « الضياء » العربية الصادرة من دار العلوم ـ ندوة

---

(١) صدرت له طبعة مصححة ومنقحة بمراجعة وتحقيق عن « دار ابن كثير » بدمشق عام ١٩٩٩م .

العلماء عام ١٩٣٢م ومجلّة « الندوة » الأردوية الصادرة منها أيضاً عام ١٩٤٠م ، وأصْدَرَ مجلّة باسم « تعمير حيات » في الأردوية عام ١٩٤٨م ، وكَتَب مقالات في الأدب والدعوة والفكر في أمهات المجلاّت العربية الصادرة من مصر ودمشق كـ : « الرّسالة » للأستاذ أحمد حسن الزيات و « الفتح » للأستاذ محب الدين الخطيب و « حضارة الإسلام » للدكتور مصطفى السباعي .

• أشْرَفَ على إصدار جريدة « نداي ملّت » الأردوية عام ١٩٦٢م ، وكذلك أشرف على مجلّة « البعث الإسلامي » العربية الصادرة منذ عام ١٩٥٥م وجريدة « الرائد » العربية الصادرة منذ عام ١٩٥٩م ومجلة « تعمير حيات » الأردوية الصادرة منذ عام ١٩٦٣م ، وكلها تصدر من دار العلوم ـ ندوة العلماء في لكهنؤ ، (الهند) .

رحلاته :

• سافَرَ إلى الشرق والغرب مرات داعيةً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، عاملاً على إعلاء كلمة الإسلام بالكلمة المسموعة والمقروءة وبالعمل الإيجابيّ البنَّاء في كل مجال ، جوَّاباً للآفاق في سبيل الله ، محاضراً ، ومحدثاً ، ومحاوراً ، واعظاً وهادياً ، ومشاركاً بالرأي والفكر في المجالس العلمية ، والمجامع الجامعية والمؤسسات الإسلامية ، والمؤتمرات والندوات[١] .

تقدير وتكريم :

• انتخبه مجمع اللغة العربية بدمشق والقاهرة والأردن عضواً مراسلاً لما اتصف به من العلم الجمّ ، والبحث الدقيق في ميادين الثقافة العربية والإسلامية ، ولمساعيه المكثفة المشكورة في سبيلها .

---

(١) اقرأ للاطلاع على جميع رحلاته كتاب « رحلات العلامة الإمام السيد أبي الحسن علي الندوي » جمع وتحقيق وتعليق المحقق ، صدر عن دار ابن كثير ، بدمشق عام ٢٠٠٠م .

• اختير عضواً في المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منذ تأسيسها عام ١٩٦٢ .

• اختير عضواً في رابطة الجامعات الإسلامية منذ تأسيسها عام ١٩٧١م .

• اختير لاستلام جائزة الملك فيصل العالمية عام ١٩٨٠م ، لتأليفه القيم « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » .

• منح شهادة الدكتوراه الفخرية في الآداب من جامعة كشمير عام ١٩٨١م .

• اختير رئيساً لمركز أكسفورد للدراسات الإسلامية بلندن عام ١٩٨٣م .

• اختير عضواً في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية وللبحث والتأليف والتحقيق في عمّان (الأردن) .

• اختير رئيساً عاماً لرابطة الأدب الإسلامي العالمية (الرياض) عام ١٩٨٤م .

• أقيمت ندوة أدبية كبيرة حول حياته وجهوده الحثيثة ومساعيه المشكورة ، ومفاخره العظيمة في مجال الدعوة والأدب عام ١٩٩٩م في إستانبول « تركية » .

• اختير لاستلام جائزة الشخصية الإسلامية لعام ١٤١٩هـ لخدماته الجليلة ومآثره العظيمة في مجال الدعوة الإسلامية ، وقدَّمَ إليه الجائزةَ ولي العهد لحكومة الإمارات العربية المتحدة سمو الشيخ محمد بن راشد المكتوم .

رئاسته وعضويته للجامعات والمجامع :

• تولّى العلامةُ الرئاسةَ والعضويةَ لعدة جامعات إسلامية ومجامع عربية ومنظمات دعوية ومراكز دينية في العالم الإسلامي وخارجه ، ومنها على سبيل المثال :

الأمين العام لدار العلوم ـ ندوة العلماء (التي أخذت صفة العالمية منذ ترأس أمانتها، وتفَوَّقَتْ على معظم جامعات العالم التي تَهْتَمّ بشؤون الدراسات الإسلامية والعربية لأنَّها تجمع بين القديم الصالح والجديد النافع) .

رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية (الرياض) .
رئيس المجمع الإسلامي العلمي في لكهنؤ (الهند) .
رئيس مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية (إنجلترا) .
رئيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند .
رئيس هيئة التعليم الديني للولاية الشمالية (أترابرديش) .
عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة .
عضو المجلس التأسيسي الأعلى العالمي للدعوة الإسلامية بالقاهرة .
عضو مجمع اللغة العربية بدمشق .
عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
عضو مجمع اللغة العربية الأردني .
عضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) بالأردن .
عضو رابطة الجامعات الإسلامية بالرباط .
عضو المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
عضو المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد (باكستان) .
عضو المجلس الاستشاري بدار العلوم ديوبند الإسلامية (الهند) .

• وعدا ذلك تولّى العلاَّمة الرئاسةَ والعضويةَ لكثير من الجامعات الإسلامية ، والمراكز الدينية والمنظمات الدعوية ولجان التعليم والتربية في العالم الإسلامي وخارجه[1] .

---

(١) انظر : « أبو الحسن علي الحسني الندوي الإمام المفكر الداعية الأديب » للمحقق ، للاطلاع على سيرة سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، وجهوده الحثيثة في خدمة الدعوة الإسلامية ، ومآثره القيمة في مجال الأدب ، وموقفه من القضايا الإسلامية والعربية ، وتعريف لأهمّ مؤلّفاته ، صدَرَ عن « دار ابن كثير دمشق ـ بيروت عام ١٩٩٩م » .

وفاته :

توفي ـ رحمه الله ـ بمسقط رأسه « تكية كلان » (الهند) في ٢٢ من شهر رمضان المبارك ١٤٢٠هـ الموافق ٣١ من ديسمبر ١٩٩٩م ، وذلك إثر نوبة قلبية مفاجئة ، تغمَّده الله تعالى بواسع رحمته ، وغفر له مغفرة شاملة ، وأكرم نزله في فسيح جناته ، وجعله ممن أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

كتبه

حيدر آباد ٢٠ فبراير ٢٠٠٠م — **المعتز بالله تعالى**

عبد الماجد الغوري

* * *

مقدمة

(بقلم العلّامة المؤلف ـ رحمه الله ـ)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد !.

فإن مكتبة اللغة العربية ـ القديمة والحديثة ـ غنية بكتب الرحلات والأسفار ، وكتب سجلت فيها الخواطر والانطباعات ، وقد امتاز العرب والمسلمون بالشغف بالأسفار البعيدة ، والمغامرات الخطيرة ، ونبغ فيهم الرحالون والمغامرون ، ومن أشهر كتب الرحلات في القديم رحلة ابن جبير الأندلسي (م٦١٤هـ) ورحلة ابن بطوطة المغربي (م٧٧٧هـ) وقد حفظا لنا الشيء الكثير من صور العالم الإسلامي الذي زاراه ، والمجتمع الإسلامي الذي عاصراه ، وشاهداه ، وتصويراً للشخصيات التي تعرفا بها ، وعاشا معها ، وهي صور وملامح تجرد عنها كتب التاريخ الذي يدور غالباً في الشرق حول الملوك والأمراء ، وحول الأحداث السياسية ، والحروب والمنافسات والعزل والنصب ، وكتب التراجم التي تدور حول العلماء والمشائخ ، والمناقب والفضائل .

وندرت الكتب التي سجلت فيها الخواطر ، والآراء والانطباعات ، بالنسبة إلى كتب الرحلات والسير والأخبار ، واقتصر ما وجد منها على تسجيل الهواجس ، وخطرات النفس ، والحديث معها ومحاسبتها ، وتجارب الحياة . ومن أكثرها حيوية ، وأقواها أدباً ، رسالة « المنقذ من الضلال » للغزالي (م ٥٠٥هـ) ، وكتاب « صيد الخاطر » لابن الجوزي (م ٥٩٧هـ) .

ومع الاعتراف بفضل هذه الكتب وفضل مؤلفيها ، لا بد من التسجيل هنا ، أن الحياة التي صوروها ، والبلاد التي رسموها ، والمجتمع الذي سجلوه للأجيال القادمة ، كان كل ذلك بسيطاً محدوداً متكرراً لم يتسع ، ولم يتعقد ، ولم يتنوع ، ولم يتجدد شأن الحياة في هذا العصر ، والمجتمع في

هـذا الـزمـان ، ولـم يعـرف الثـورات الفكـريـة ، والحـركـات السيـاسيـة ، والمؤسسات الكثيرة ، والفلسفات المتناحرة ، والشخصيات المتناقضة . تكاد الحياة تكون في زمانهم صورة واحدة ، ونغمة واحدة ، فكانت مهمتهم سهلة بسيطة ، لا تحتاج إلى الانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر ، ومن جوٍّ إلى جوٍّ آخر إلَّا نادراً .

ثم إن أكثر هذه الكتب إنما كتبت أو أمليت بعد أن مضى على هذه الرحلات والمشاهدات زمن طويل ، وكان ذلك باقتراح أمير أو صديق ، وإذا كانت الذاكرة لم تخن أصحابها في تسجيل الحوادث ، وتحديد الأمكنة ، وتعيين المقادير وإن كان بعض الناقدين قد ساورهم الشك في دقة هذه التفاصيل فمما لا شك فيه أنه لا ثقة بالانطباعات التي هي أشبه بالظلال والأمواج ، فلا تدوم ولا تبقى ، ويستطيع الإنسان أن يستعرض ما شاهده ، ولا يستطيع أن يستعيد ما شعر به وما ترك الحادث فيه من أثر نفسي ، وما هاج من إعجاب أو امتعاض أو لذة أو ألم . ولم تكن « طريقة المذكرات » أو « تسجيل اليوميات » قد حدثت بعد عند الرحالين والمؤلِّفين ، أو حدثت ولكن لم يطَّلع عليها القراء ، ولم تتناولها يد النشر والإذاعة .

وكثرت كتب الرحلات في هذا العصر لنشاط حركة التأليف والنشر ، ولتيسر السفن في هذا الزمان ، وتوفر أسباب الراحة والسرعة ، والوصول إلى أقاصي البلدان ، ودعاية الحكومات وتشجيعها حتى تشكلت وزارة السياحة في كثير من الحكومات ، فكثرت كتب في اللغة العربية في العهد الأخير ، ولكنها على ما تحتوي عليه من فوائد علمية وجغرافية ، ومادة للسمر ، وتزجية الـوقـت ، وتـرويـح النفـس ، وتعـريـف ببعـض جـوانـب الحيـاة والمـدنيـة والاجتماع ، يغلب عليها الجانب الجغرافي وتعتني بالآثار والمشاهد أكثر من أي شيء ، ولا تصور في الغالب إلَّا جانباً من جوانب الحياة ، يتلاءم مع ذوق المؤلف ، أو يتجاوب مع غرض رحلته ، وهدفها ، فإذا كان الرحالة أديباً اقتصر على ذكر الأدباء المشهورين ، وتصوير الحياة الأدبية في هذه البلاد ، ووصف النشاط الأدبي ، وإذا كان رجلاً دينياً أسهب في وصف الحالة الدينية ، وأغرق في التفاؤل أو التشاؤم ، وإذا كان رجل سياسة أو إدارة ، ذكر

مقابلة رجال السلك السياسي ، واسترسل في ذكر وصف الحركات والمذاهب السياسية وهلمّ جرا .

ثم يتجرد أكثر هذه الكتب عن العاطفة والعقيدة ، ومشاعر النفس وأحاسيسها ، ويمثل فيها المؤلفون دور آلة التصوير ، أو أداة التسجيل من غير تعليق على ما يشاهدون ، وصدى في النفس لما يسمعون ، فلا يسمع القارىء من خلال كتاباتهم دقات قلوبهم ، وهمسات ضمائرهم ، ويمكنه أن يضع على غلاف كتاب من هذه الكتب اسم مؤلف أجنبي ، لا يتصل بهذا المجتمع بثقافة أو نسب ، ولا يلتقي معه على عقيدة أو ديانة ، ولا يرتبط بعاطفة أو وجدان ، وذلك إن اعتبره بعض الناس فضيلة وكمالًا ، ففي علماء الأدب من يعتبره نقصاً وعيباً ، فإن الكتابة التي لا يستطيع القارىء أن يحدد زمانها وبيئتها ، ولا يهتدي إلى عقيدة مؤلفها وفكره ، والقيم والمثل التي يحبها ، وينتصر لها ، ولا يشعر فيها بمرارة ألم وحزن ، وحلاوة إعجاب ورضا ، إنها كتابة مصطنعة لا تؤثر في النفس ولا تصلح للبقاء .

خرج مؤلف هذا الكتاب في مفتتح سنة ١٩٥١م ، في رحلة إلى عواصم الشرق العربي ، وليدرس وضع هذه الأقطار الديني والعلمي ، والاجتماعي ، ويتعرف برجالاتها ، وقادة الفكر فيها ويتذاكر معهم في الشؤون الدينية والعلمية ، والقضايا الإسلامية ، والمناهج الإصلاحية ، والمشاريع التعليمية ، ويعرِّفهم ببلاده « شبه القارة الهندية » التي أسدلت عليها حجب كثيفة ، وأثير حولها نقع كثير ، وعاشت في عزلة عن العالم العربي منذ فترة طويلة ، ويخبرهم بتجارب الدعوة والإصلاح التي مرت بها الهند الإسلامية في عهدها الأخير ، وقد كتب لها نجاح كبير ، ويستفيد بما جد في العالم العربي من آراء ونظريات ، ونشأ من حركات ودعوات ، ونبغ من رجال وشخصيات ، وقام من مدارس فكرية ومؤسسات ، وظهر من أساليب ، وثار من مشاكل ، وقد أراد الله أن ينشأ قبل أن يزور هذا البلد نشأة دينية ، علمية أدبية ، مثقفاً ثقافة متنوعة ، تركبت شخصيته بعدة عناصر ، يتذوق الأدب والشعر ، والتاريخ والاجتماع ، والحضارة وفلسفة الحياة ، وقد مارس الحياة العلمية ، وعمل في حقل الإصلاح والدعوة ، وباشر مهنة التعليم ، وعالج الكتابة

والتأليف ، وعرف الأساليب الأدبية ، والمدارس الفكرية ، والاتجاهات المتعارضة في مصر ، والشام ، فزار هذه البلاد على بصيرة وبينة من الأمر ، وبعد أن لم يكن ينقصه إلا اللقاء ، وأراد الله كذلك أن يزور الشرق العربي الإسلامي على أثر ظهور كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » أشهر مؤلفاتِه بالعربية ، فعرفته الأوساط الإسلامية قبل أن يزور هذه البلاد ، فيسّر كل ذلك مهمته من النفوذ في المجتمع الإسلامي العلمي ، فورد كل مشرع ، ونهل من كل مورد ، وزار كل طبقة من الرجال ، وخاض في كل موضوع ، وشارك في كل بحث ، وكان الحديث سجالاً يأخذ ويعطي ، ويقتطف وينشر .

وقد التزم في هذه الرحلات كلها أن يسجّل كل حديث ، وكل انطباع في يومه غالباً ، وفي أقرب وقت إذا فاته التسجيل في اليوم ، وأن يتحرى الدقة في النقل ، والصحة في الرواية ، وتسجيل الحديث في لفظ المتحدث ولغته بقدر الإمكان ، فجاءت في الكتاب صور من الأساليب والآداب المحلية ، يستفيد بها مؤرخ الأدب فيما بعد ، ويتمثل القارىء لهذا الكتاب بعد أن مضى عليه زمن شخصية المتحدث ، وسماته الحقيقية ، ويتمثل البيئة التي دونت فيها هذه المذكرات ، وما كان يجيش فيها من صراع نفسي ، واصطراع فكري ، واضطراب اجتماعي ، وقلق وتذمر ، وثورة ، وما كان يتمخض به هذا المجتمع من حوادث لم تقع ، وشخصيات لم تولد ، ومن تطورات لم تتضح ، فجاءت هذه المذكرات مجموع صور ناطقة يستطيع القارىء أن يعيش بها في هذه الفترة التي لا تعود أبداً .

وكذلك التزم أن يبدي آراءه وملاحظاته ، وانطباعاته على أثر مقابلة ، أو زيارة ، أو حديث أو مشهد ، وما أحدثه من رد فعل ، أو أثر نفسي ، ويسجل كل ذلك في أسلوب صريح مكشوف ، بعيد عن كل غموض وتحفظ ، وعن كل مجاملة وتكلف ، فهو وصف وتصوير من إنسان حي ، يحمل القلب والعاطفة ، والعقيدة ، ويؤمن بمبادىء وقيم ، ومثل ، ويحب هذه البلاد التي يزورها ويرتبط بماضيها ، وحاضرها ، ومستقبلها ، ويعتبر نفسه عضواً من أعضاء هذه البلاد ، يشاركها في آلامها وآمالها ، ويشاطرها في شقائها وسعادتها ، ويرى الدين الإسلامي الذي أكرم الله به هذه البلاد ، واختارها

لتمثيله ونشره في العالم ، المقياس في كل شيء ، فيقيس به الأعمال والأخلاق ، والرجال ، وتلك ميزة لهذا الكتاب ، لا يجد المؤلف حاجة للاعتذار عنها ، ثم يلقي قبل أن يغادر قطراً من الأقطار التي زارها نظرة إجمالية على هذا القطر ويذكر محاسنه وجوانب الضعف فيه ، وما سره في زيارته ، وما أحزنه ، وأثار فيه الاستنكار والإشفاق ، من غير أن يحتفل برضا أصدقائه الذين أحبهم وأحبوه ، وبسخطهم وعدم إعجابهم ، وقديماً قال الشاعر العربي :

وفي العتاب حياة بين أقوام

وقد ظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب باسم « مذكرات سائح في الشرق العربي » عام (١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م) نشرتها جماعة الأزهر للتأليف والترجمة والنشر ، قدم لها صديق المؤلف ، الفاضل ، وعضو الجماعة الكبير الدكتور محمد يوسف موسى ، وطبعتها مكتبة وهبة ، وجاءت طبعة مغلوطة لم يعتنى بتصحيحها وتنقيحها ، وبحسن الطباعة والإخراج ، وقد ظهرت لكل كتاب للمؤلف عدة طبعات إلا هذا الكتاب ، فقد كانت له طبعة واحدة ، فقد حدثت في مصر تطورات سياسية منعت من إعادة طبعه ، ولما علم المؤلف رغبة بعض المكتبات في طبع هذا الكتاب من جديد ، شك بعض الوقت في قيمة هذا الكتاب العلمية ، وخاف أن يكون هذا الكتاب قد فقد الشيء الكثير من الأهمية والغناء والحيوية ، وأن يكون قد مضى زمنه ، فقرأ هذا الكتاب من جديد ، فوجد أن الكتاب وثيقة تاريخية كبيرة ، والوثائق التاريخية لا تفقد قيمتها وأهميتها مهما تقدم زمانها . بل كلما تقدم الزمان ، وبعد هذا العصر الذي دوِّنت فيه هذه المذكرات ازدادت قيمة هذه المعلومات ، والانطباعات التي جاءت في صفحاتها ، فيرى فيها القارىء ملامح وقسمات وجوه ، لا يجدها في كتاب تاريخ ، ويقرأ فيها اعترافات وتصريحات لقادة فكرة ، وزعماء إصلاح ، وأئمة علم ، وأمراء بيان ، قد دوى أسماؤهم في الآفاق ، لا يجدها حتى في مؤلفاتهم ومذكراتهم ، وقد يجد فيها الباحث بعد قرون حلقة مفقودة تكمل بحثه ، وتملأ الفراغ الهائل فيه ، قد يئس منها ، ويستفيد بها المؤرخ ما لا يستفيد بآلاف من الصفحات من كتب التراجم ، وأوراق الجرائد

والمجلات ، والأحاديث والمقابلات التي اعتادت الصحف أن تنشرها ، وبذلك وافق المؤلف على فكرة طبع هذا الكتاب ، ورأى من المصلحة أن يقرأه القراء من جديد ، وينصفوا عن طريقه الكثير من الشخصيات التي أسدل عليها ستار ، وسحب عليها ذيل النسيان ، أو أساءت إليها الأغراض السياسية ، ويضعوا شخصيات أخرى في مكانتها اللائقة ، أعطاها بعض الكتاب والمؤلفين ، والدعايات أكثر من حقها ، وأن يستفيدوا منها ما يوفر عليهم الوقت والقوة ، والمواهب ، فتجارب العاملين ، والنتائج التي توصلوا إليها ثروة إنسانية مشتركة ، تستفيد منها الأجيال بعد الأجيال ، وقد جاء في حديث صحيح : « الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها » .

ولما صحت العزيمة على طبع هذا الكتاب ، وكان الفضل فيه لمؤسسة الرسالة « ببيروت » ، وقد فات المؤلف في هذه الرحلة أن يزور « لبنان » ، وقد كتبت له هذه الزيارة سنة ١٩٥٦م ، فدوّن مذكراتها ، ونشرها في مجلة « البعث الإسلامي » بعنوان : « ثلاثة أيام في لبنان » ، وقد ألحق هذا الفصل القصير بهذا الكتاب إتماماً للرحلة ، وإكمالاً للكتاب .

وأخيراً نسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب ، ويحقق به أهداف الرحلة التي قام بها المؤلف ، وتجشم تسجيل معلوماتها وانطباعاتها في زحمة من الأشغال والمواعيد واللقاءات .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

السبت ١٢ ربيع الثاني ١٣٧٠هـ ـ ٢٠ يناير ١٩٥٠م

وداع الحجاز ـ أهداف الرحلة ورسالتها

توجهت بنا باخرة « أوندا » الإيطالية من جدة إلى السويس مساء السبت بعد غروب الشمس ، ألقيت نظرة الوداع على ميناء جدة وقلت : وداعاً أيتها الجزيرة العربية غير مهجورة ولا مملولة ، فليست هذه الرحلة إلا في سبيلك والاتصال بأسرتك العزيزة المنتشرة على ساحل البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط ، أبلغها تحياتك ، وأرى ما فعلت الأيام بها بعد انفصالها عنك ، وما فعلت برسالتك التي حملتها عنك للعالم ، والأمانة التي تقلدتها ، ثم أعود إليك إن شاء الله أحكي لك قصة هذه الأقطار الإسلامية العربية ، وما شاهدت في هذه البلاد من خير وشر ، وما رأيت لأبنائك من وفاء وجفاء ، بكل أمانة وصراحة ، فالرائد لا يكذب أهله ومن الكذب المهلك والخيانة المردية المجاملة في الأخبار والمبالغة في التفاؤل .

زملائي في الرحلة

يصاحبني في هذه الرحلة الأخوان العزيزان محمد معين الندوي وعبد الرشيد الندوي ، وقد كانا في الحجاز من العام الماضي ينشران الدعوة الدينية ، ويذكران العرب برسالتهم التي اختارهم الله لها ، ويقابلان في الموسم رجال العالم الإسلامي ووفود العالم العربي مقابلة شخصية ، ويحادثانهم في الموضوع ، ويقدمان إلى المثقفين منهم رسائل ومحاضرات في اللغة العربية ، تلفت نظرهم إلى ذلك وتوقظ فيهم الشعور الديني ، وتنتقد الحالة الحاضرة ، ويشاركان زملاؤهما الدعاة الهنديين والباكستانيين في التجول في البادية والقرى ، وإلقاء الدروس الدينية والاتصال بطبقات الشعب

واستنهاض هممهم لخدمة الدين ومعرفته ودراسته ونشر دعوته ، وسيصاحبانني إن شاء الله إلى الهند .

أبرقنا في جدة صباح يوم السبت إلى الشيخ المحترم الحاج جلال حسين عضو مجلس الشيوخ المصري نخبره بتوجهنا إلى مصر بباخرة « أوندا » وقد جاء كتابه قبل مدة يرحب بقدومنا إلى مصر[1] ، وقد أخبر بسفره إلى لندن وأنه سيعود قريباً ، وقال إنه كلف سكرتيره الأستاذ حسني صقر أن يتولى أمر المسكن .

المودعون

ودعنا على الميناء الإخوان الأعزاء السيد عبد الله ، ورضوان ، وطاهر ، وابن أختي العزيز محمد بن رشيد الحسني ، وسيقيمون في الحجاز مدة عامين يشتغلون فيها بالدعوة ، ويتوسعون في دراسة اللغة والأدب ، ويتمرنون على الإنشاء والكلام ، ويتصلون بطلبة الكليات والمدارس ، ولا أزال أذكر المحروس محمد بن رشيد في هذه الرحلة لأنه كان رفيقي في السفر والحضر ومساعداً كبيراً في أشغالي العلمية ، جمعنا الله بالإخوان جميعاً في أشرف البقاع وفي أسعد الأوقات .

الأحد ١٣/ ٤/ ٧٠هـ ـ ٢١/ ١/ ٥٠م

الأذان قد فقد شيئاً كثيراً من السلطان

قضينا ليلة هادئة ونمنا نوماً لا بأس به مع هبوب الرياح الشديدة طول الليل أصبحت نشيطاً مسروراً وأذن أخ مصري لصلاة الصبح ، فكان هو الصوت الوحيد والصوت الحق الذي دوى في هذا السكون المخيم على البحر والباخرة ، هذا هو النداء الذي أيقظ العالم بالأمس ، واضطرب له البر

---

(١) قد كتب إليه صديقه الحاج عبد الجبار الدهلوي يخبر بقصد العلامة الندوي لمصر ويعرفه به ، فكتب إلى سماحة الشيخ الندوي يرحب بقدومه .

والبحر ، ولكنه لم يستطع أن يوقظ جميع المسلمين في الباخرة على قلة عددهم ، إنه مع الأسف قد فقد شيئاً كثيراً من قوته وسلطانه على القلوب ، وأكثر ما أضعف سلطانه الروحي هي المادية الغربية التي تعتقد الفلاح في غير الصلاة وفي غير العبادة والدين ، ولا تصدق بأن الصلاة خير من النوم ، وعلى كل فقد استيقظ من أراد الله به الخير ، وصلينا جماعة وجلست في مكان أتفرج على البحر وهو هادىء ساكن ، والباخرة ليست لها حركة عنيفة تزعج الركاب ، وقد كنت تخوفت جداً بحديث الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار[1] والأستاذ عبد القدوس صاحب « المنهل »[2] ؛ فقد لقيا تعباً عظيماً في سفرهما إلى مصر ، وبقيا عدة أيام لا يأكلان ولا يبرحان مكانهما للدوار ، وقد وقع لي مثل هذا أو أشد في كلتا الرحلتين للحج ، فقد بقيت نحو أسبوع لا أستسيغ طعاماً ولا أشتهي أكلاً ، وأنا أجتزىء ببعض المشروبات أو الحوامض والفواكه ، ولكن الله سبحانه وتعالى قد لطف بنا هذه المرة فلم يقع لنا شيء من هذا إلى الآن ، ونرجو من الله الخير ونسأله السلامة والعافية .

باخرتنا سفينة شحن في الحقيقة كأكثر البواخر التي تسافر بين جدة والسويس ، وأكثر حمولتها على الظهر خشب البناء والنارجيل الذي حملته من

---

(١) كان من كبار الصحفيين والشعراء والمحققين في السعودية ، ولد بمكة المكرمة ، وتخرَّجَ بالمعهد العلمي السعودي ، ثم رحل إلى مصر ليتابع دراسته في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، اشتغل مدة قصيرة في وظائف الدولة ، ثم تفرَّغ للأدب والعلم والبحث ، أنشأ جريدة « عكاظ » ثم أصدر مجلة « دعوة الحق » . نال جائزة الدولة التقديرية ، توفي عام ١٩٩١م . وله مؤلفات قيمة في موضوعات شتى .

(٢) كان من كبار العلماء والأدباء في المملكة السعودية ، ولد بالمدينة المنورة ، التحق بمدرسة العلوم الشرعية ، فحصل على شهادتها ، درَّس الأدب العربي مدةً من الزمن في المدرسة التي تخرّج فيها ، وترأس تحرير جريدة « أم القرى » بمكة المكرمة ، أصدر مجلة « المنهل » عام ١٣٥٥هـ ونقلها من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة فجدَّة ، له أكثر من ثلاثين كتاباً ، من أشهرها إصلاحات في لغة الكتابة والأدب ، « تاريخ مدينة جدة » والتاريخ المفصَّل للكعبة المشرفة قبل الإسلام توفي عام ١٩٨٣م .

كولمبو[١] وجزر الهند[٢] ، وقد حملت من جدة نحو خمسين راكباً أكثرهم مصريون وحجازيون وستة هنود وغيرهم وعدد قليل من السودانيين والتكارنة .

ركاب الباخرة

قابلت شاباً سورياً أبوه تاجر في جدة وقد سافر إلى الهند وهو شاب مثقف مهذب قدمت إليه رسالتي « بين الصورة والحقيقة » و « بين الهداية والجباية »[٣] فقرأهما وأبدى إعجابه وموافقته لما جاء فيهما ، وهو متذمر من طغيان المادة في البلاد العربية والتحلل الخلقي العام الذي أصيبت به هذه الأقطار ، صلينا الصلوات كلها بجماعة ، وأكثر من يحضر الجماعات مصريون وهم أكثر الركاب اهتماماً بالصلوة والمواظبة عليها ، وأكثرهم عَمَلة وصناع كانوا يشتغلون في الحجاز وهم مسافرون إلى وطنهم ، رأينا فيهم خفة روح ودماثة خلق وإكراماً للعلم والدين وتألفاً أكثر من غيرهم .

وجدنا عند العصر تغيراً في الطقس وشعرنا بقربنا منطقة باردة ونظن أننا نواجه البرد غداً .

الإثنين ١٤/ ٤/ ١٣٧٠هـ - ٢٢/ ١/ ٥١م

أصبحنا والحمد على الصحة والنشاط وصلينا بجماعة ، وتمشيت على ظهرت الباخرة كما يتمشى الإنسان على البر لا أشعر باضطراب أو حركة مزعجة ، ثم أفطرنا وشربنا الشاي .

---

(١) عاصمة سري لنكا .
(٢) اسم قديم لإندونيسيا .
(٣) انظر هاتين الرسالتين في ضمن رسائل ومقالات العلامة الندوي في كتاب « مقالات إسلامية في الفكر والدعوة للعلامة الكبير الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي » جمع وإعداد وتحقيق للمحقق ، طبع في دار ابن كثير بدمشق .

الحياة في الباخرة

لاحظت على هذه الباخرة التي جمعت بين أهل بلاد مختلفة ، ورفعت حواجز كثيرة ، حرية زائدة في النساء وقلة احتفال بالتستر والاحتشام والحجاب الشرعي ، فكنت أسمع مناقشتهن وحديثهن في كل موضوع كأنهم في مساكنهن ، وأراهن سافرات في كثير من الأحيان أما الرجال فلم أر فيهم رغبة في التعارف الإسلامي أو شعوراً بالجوار أو أثراً للحياة الاجتماعية ، وكل ذلك يدل على أن الحياة الإسلامية قد تضعضعت في بلادنا الإسلامية ، وحلت محلها حياة لا يهم فيها الإنسان إلا نفسه وعياله وبطنه وراحته ، إننا في بلادنا إذا أردنا أن نعبر عن غاية القرب والمشاركة في الحياة والزمالة قلنا : « نحن ركاب سفينة واحدة » لكننا هنا متباعدون مع غاية القرب ، وكأن كل واحد منا راكب في سفينة خاصة .

ظللنا النهار كله نتفرج على الجبال على بر إفريقية ، وعلى يميننا ـ إذا استقبلنا السويس ـ رأينا سلسلة جبال كذلك . ولعل منها جبل الطور ولكن لم نجد من يخبرنا بالضبط أنه طور سيناء ، ولم يزل المضيق ينحصر والبران يتقاربان حتى كنا نرى الشاطئين عن يمين وشمال ، ومرت بنا بواخر كثيرة كأننا على جادة برية تمر بنا المراكب والسيارات عليها .

التشوق إلى مصر وأسبابه

قضينا الليل ونحن نعرف أننا نصبح في السويس ، وأعترف بأنه كان يخامرني سرور غريب رغم كثرة أسفاري ذكرني بسرور أيام الصبا وأسفاره الأولى ، وما ذاك إلا أن مصر قد حلت في نفسي وعقليتي محل البلاد التي يألفها الإنسان من الصغر ، لكثرة ما سمعت عنها وقرأت عنها ، وعرفت من أخبارها ورجالها ، وقرأت من كتبها وصحفها ومجلاتها ، بل وأنا مدين لمصر في دراستي للغة العربية ، وفيها أدباء تأثر بهم أدبي وأعجبت بأسلوبهم وقلدتهم في الإنشاء زمناً غير قصير ، وبقيت متصلاً بالمكتبة العربية المصرية ونتاجها ، كأي عربي خارج مصر ، أقرأ مجلاتها الشهرية والصحف السيارة

على اختلاف سياستها ونزعاتها ، وأقرأ كل ما تصدره المطبعة العربية في مصر في الدين والأدب والتاريخ والسياسة ، وأعرف أدباءها وكتابها وطبقاتهم ومنازلهم ، كما أعرف أدباء بلادي وكتابها ، إذاً فلا غرابة إذا تطلعت إلى مصر وسررت بقرب زيارتها .

الثلاثاء ٥/ ٤/ ١٣٧٠هـ - ٢٣/ ١/ ١٩٥١م

على ساحل مصر !

وطلع الصباح والسويس معاً ونحن لكل منهما منتظرون ومتشوقون ، ورست السفينة فجاءت من الساحل زوارق بخارية تحمل رجالاً يرتدون الزي المصري الرسمي وعلى رأسهم الطرابيش الحمراء الجميلة التي ألفنا رؤيتها في بلادنا ، وكانت شعاراً للمسلمين المثقفين المدنيين (الأفندية) رمزاً للولاء لتركيا الإسلامية في الهند ، وقد حيانا بعضهم بالتحية الإسلامية ورحب بنا ، فشعرت بالفرق بين بلاد المسلمين وبلاد غير إسلامية ، الفرق الذي لا يشعر به مسلم نشأ في بلاد الإسلام ، وتمت الإجراءات الرسمية فنزلنا مع الحوائج على البر ونحن لا ندري ماذا سنستقبله من تحقيقات وتفتيشات وتسجيلات وتقييدات يفرضها النظام المدني التقليدي على كل أجنبي ، بل وعلى كل وارد وصادر ! وقد تطوع رجل أفندي وقدم إلينا نفسه كمساعد ووكيل ، وقبلنا مساعدته فذهب بنا إلى إدارة ضابط المرور ، وهنا واجهنا أستاذاً يظهر أنه من طبقة الموظفين الكبار وسألني عني فلما أخبرته عن اسمي قال إن جلال (بك) في القاهرة أرسل إلي برقية يكلفني استقبالكم في السويس ومساعدتكم ، وتوسط الأستاذ فتمت الإجراءات بسهولة وسرعة .

وساعدنا الوكيل في نقل الحوائج والاتفاق مع سيارة توصلنا إلى مكتب جلال بك بالقاهرة ، وقدمنا مبلغاً محترماً إلى الوكيل كأتعاب .

من السويس إلى القاهرة

وأخذنا في طريق الصحراء إلى القاهرة فإذا هي قاحلة مجدبة لا نبات فيها

ولا بناء ، وفي الطريق أوقف سيارته وقال هنا نصلي الظهر وأسجل هنا أني رأيت السائق المصري ممتازاً في أخلاقه وعفة لسانه ودينه عن السائقين الهنديين الذين هم مضرب المثل في بذاءة اللسان ، وشذوذ في الأخلاق والمعاكسة ، والذي يهتم فيهم بالصلاة والواجبات الدينية نادر جداً ، أو لا أدري هل الذي رأيت في هذا السائق المصري عام في السُّوَّاق أو كان شاذاً في طبقته . تجيب عن ذلك تجارب كثيرة .

وبعد ساعة مررنا بثكنة الجيش المصري وكانت أول ثكنة رأيتها في بلاد المسلمين ، فشعرت بغبطة وسرور ، وجرى على اللسان بعض كلمات الدعاء ، ودخلنا مصر الجديدة فما شعرنا إلا ونحن في عاصمة من عواصم أوربا الوسطى ، إلا أنه كان يتخللها طراز شرقي مزيج من الشرقية والغربية ، ولم نزل نتوغل في القاهرة ، المدينة التي امتدت على ساحة واسعة حوت أكثر من مليوني نفس حتى وصلنا إلى مكتب جلال بك فاستقبلنا الأستاذ حسني صقر سكرتيره ورحب بنا ، وبعد قليل جاء الشيخ أحمد عثمان وحيَّانا تحية الإخوان ، وجلسنا نتحدث ونتعرف واتصل جلال بك بسكرتيره واعتذر عن القدوم لشغل حصل له ، وأوصاه أن ينزلنا هذه الليلة في فندق سيدنا الحسين ، ولكن مديرها اعتذر عن قبول الأجانب لما يحصل من تشويش في مسألة جوازات السفر والتأشيرات وغيرها ، فخرجنا إلى فندق مصر في العتبة الخضراء ، ووقع لنا هنا ما وقع في الأولى ، وهنا شعرت بما يسمونه « الأجنبية » ، وعزز ذلك عقيدتي أن هذه المدنية لم ترفع الحواجز بل زادها وقوّتها ، وأن الصفر أصبح رغم كثرة المواصلات أصعب وأكثر متاعب ومشاكل مما كان في السابق ، وأصرح بأني شعرت بشيء من الامتعاض من هذه المعاملة القاسية ، وشعرت بشيء من الإهانة ؛ وقلت للشيخ أحمد عثمان لا لزوم أبداً لفندق ، فنحن ننزل في أي محل أو غرفة مهما كانت متواضعة ، ولكن الشيخ أبى وأخذنا إلى فندق البرلمان في العتبة نفسها وقبلنا المدير بعد كلام وإقناع، وجلسنا نتحدث وحضر الأخ علي الشريف وسررت كثيراً بمقابلته بعد ثلاث سنوات ؛ وجلسنا نتذكر تعارفنا في المدينة المنورة واجتماعاتنا التي كنا نشترك فيها ونلقي الخطب وتفرقنا على وعد الاجتماع عند الظهر .

الأربعاء ١٢/ ٤/ ١٣٧٠هـ ـ ٢٣/ ١/ ١٩٥١م

خرجنا بعد الفطور إلى مكتب جلال بك واجتمعنا بسكرتيره وبعد انتظار شرف الشيخ جلال وقابلنا بحفاوة وحرارة وجلسنا نتحدث ؛ وقال لم أزل متتبعاً لأخباركم ، وقد ساءتني معاملة أصحاب الفنادق لكم وأنكرتها .

حفلة في رواق الهنود

وذهبنا إلى الأزهر ولا أعلم إلَّا أن هنا مجلساً لا يضم إلا بضع طلبة من الهند والباكستان فإذا بي في قاعة قد غصت بالطرابيش الحمراء والعمائم البيضاء ، وإذا بي أمام فتية وشباب ينشط الخطيب برؤيتهم للكلام ؛ وعلمت أن معظم الحاضرين هم أعضاء البعثة التركية إلى الأزهر وازددت بذلك سروراً واغتباطاً ، وكان يليهم في العدد والأهمية طلبة سوريون وفلسطينيون ، وتقدم السكرتير وهو شاب سوري اسمه محمد توفيق الكنجي فرحب بي على عادة الحفلات ؛ وقام الشيخ لقمان الندوي والأزهري وهو الآن شيخ رواق الهنود فقدمني إلى الحاضرين وألقيت كلمة مرتجلة فيض الخاطر .

كلمتي في الحفل

وكان خلاصة ما قلت وروح « كلمتي » أن الإسلام رسالة خالدة ليس فيها قديم وجديد ، إنما القديم والجديد في الحضارات والأدب وغيرها ، وكل جماعة تدمج نفسها وشخصيتها في هذه الرسالة وتربط حياتها بها يكتب لها الخلود والبقاء ، وتخرج من سلطان الأزمنة والأمكنة الخاضعة لناموس التغير والانقلاب وتنتصر على القوى المادية وعلى جميع المعارضات والمنافسات ، وكان هذا سر انتصار الصحابة رضي الله عنهم وسر عظمتهم فقد قدروا قواهم ومواهبهم تقديراً صحيحاً ووزنوها وزناً دقيقاً ، فرأوا أنهم لا يستطيعون أن يجاروا الفرس والرومان في مدنيتهم وماديتهم وقوتهم الحربية ، فأدمجوا أنفسهم في هذه الرسالة الخالدة التي جاء بها محمد ﷺ والتي قضى الله بظهورها وانتصارها وذيوعها في العالم ، وأخلصوا لها وربطوا حياتهم ومستقبلهم بها ، بحيث أصبحوا والإسلام شيئاً واحداً ، لا يعيش إلا بهم

ولا يعيشون إلا به ، فلما كان ذلك وامتحن الله قلوبهم للتقوى استحقوا النصر من الله ، وقضى الله بظهورهم وغلبتهم وتمكينهم في الأرض ، وكذلك إذا أخلصتم يا طلبة الأزهر لرسالة الإسلام وأدمجتم أنفسكم فيها ، وربطتم حياتكم ومستقبلكم بالقيام بها والدعوة لها ، وقامت هذه الرسالة بكم وقمتم بها لانتصرتم وخضع لكم الزمان وأطاعكم ، ولما فرغت من كلمتي قام الأستاذ محمد توفيق الكنجي وشكرني ورجاني أن ألقي محاضرات في قاعة جميعة الشبان المسلمين أوجه الخطاب فيها إلى البعوث الإسلامية في الأزهر فقبلت اقتراحه ، وبعد ذلك رغبت إليه أن يعرف الطلبة الحاضرين فعرف بعضهم وسأل الباقين أن يعرفوا أنفسهم ، فتعرفنا بالتركي والسوري والفلسطيني والمصري ، وقلت للطلبة الأتراك إني أريد مقابلتهم والتحدث إليهم بصفة خاصة ويسرني أن أتلقاهم في مقري ، أو يدعوني إلى مجالسهم ومنازلهم ، وانفض المجلس على ذلك .

الخميس ١٧/ ٤/ ١٣٧٠هـ - ٢٥/ ١/ ١٩٥١م

جاء الشيخ عبيد الله والسيد علي أكبر والشيخ أحمد عثمان ، وعلى أثره جاء الأستاذ حسني صقر ليأخذنا إلى المحل الذي اختاره جلال بك لإقامتنا ، فذهبت معهم ورأيت المحل ووافقت عليه ، وتقرر أن ننتقل إليه اليوم أو بكرة .

مقابلة الأستاذ أحمد أمين بك

وفي الطريق اتصلت بالدكتور أحمد أمين بالتلفون ، وقد كنت أخبرته من مكة بقصدي لمصر وسألته متى يمكنني أن أجتمع به وأين أزوره ؟ فقال إنه يكون في الإدارة الثقافية بالجيزة إلى الساعة الثانية عشرة وتوجهنا إليه ولم أكن قد رأيته من قبل ولكن درست كتبه دراسة عميقة وأعجبت بأسلوبه في الكتابة العلمية والبحث والتحليل وبحسن ملاحظته في التاريخ واتزان فكره وذلك ما حملني أن أسأله أن يقدم لكتابي « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ » معتقداً أنه من أحق الكتاب والأدباء في مصر وأولاهم بكتابة هذه المقدمة لهذا

الكتاب ، وأن موضوع الكتاب وفكرته توافق ذوقه وعقيدته فيكتب عن هوى ونشاط وعقيدة وبدافع نفسي ، ولكن لم ترض هذه المقدمة كثيراً من الأصدقاء ، ويعتقدون أنها لم تحسن إلى الكتاب ولم تخدمه ، بل قلّلت من قيمته ، ولكن ليس الذنب على الأستاذ أحمد أمين فإن الكاتب والأديب لا يكون نشيطاً في كل وقت ومتحمساً في كل موضوع ، إنما الذنب على من يؤمل من بعد آمالاً كباراً ، إذاً فلا شكوى ولا عتاب ، وإني لا أزال على رأيي في الأستاذ أحمد أمين رغم هذه المقدمة ، والحاصل أني ذهبت إليه وأنا أفكر أني سأرى وأسمع رجلاً عرفته بمؤلفاته ومقالاته وبحوثه ورأيت صورة فكره وأدبه وشخصيته العلمية ، وسأرى وجهه وأسمع كلامه فهل يطابق هذا ذاك أو يكون غير ذلك ؟ لا أدري ، وطالما كان الخيال أوسع وأجمل من الحقيقة وطالما كان المؤلف والكاتب أروع وأملك للإعجاب في مؤلفاته ومقالاته منه في مجلسه وحديثه ، ولا أستغرب وقوع شيء من هذا فإني رأيت لكل من هذا أمثلة وجربت في كل نوع رجالاً .

وهكذا دخلت من باب الإدارة الثقافية ؛ وسألت عن الأستاذ فأشاروا إلى البستان ، وإذا بشيخ يستقبلني ويرحب بي فارع القد نحيف الجسم ؛ وقد أثر فيه المرض وأنهكته كثرة المطالعة والكتابة وأضعفت بصره ، وخلع أسنانه بإشارة طبيب فأثر ذلك في صوته وأدائه ، وتدل السحنة والهيئة على أن النحافة طارئة أو أثر من آثار الشيخوخة والمرض ، وأن الرجل كان جسيماً وسيماً في شبابه ، ثم جرى ذكر الكتاب فقلت يعتقد بعض الناس أني أرهقتكم بكتابة المقدمة فقال أبداً وقد استفدت من الكتاب واطلعت على بعض المصادر الأجنبية وطالعتها .

بعض آراء الأستاذ الشاذة
في التاريخ الإسلامي والتشريع

ثم بدأ يذكر تأليفه الجديد الذي لم يطبع بعد وهو « الإسلام ماضيه وحاضره » ، قال قد ذكرت في هذا الكتاب نقطاً قد تثقل على كثير من

الناس ، منها أني قلت : إن الإسلام لم ينفذ تماماً إلا في عصر الرسالة ، ومنها أن الستة الذين وكل إليهم عمر اختيار الخليفة اختاروا أخيهم (كذا) وهو عثمان ، وذلك لأنهم أرادوا أن يستريحوا من شدة عمر إلى لين عثمان ، ومنها أن لا بد من فتح باب الاجتهاد فقد جدّ من الأحوال والحوادث والمشاكل ما ألزم الاجتهاد وإبداء الرأي في كثير من المسائل الدينية ، مثلاً أصبحت الحياة مشغولة جداً فينبغي أن نسمح بالجمع بين الصلاتين في الحضر وكذلك يسمح للعَمَلة في المصانع وغيرها أيام الصيف بالإفطار والفدية عن الصوم ، وكذلك قد يقع بسبب بعض الأصول المقررة في الفقه أن الغني تسقط عنه الزكاة والفقير تجب عليه الزكاة ، فيجب أن ينظر في ذلك كذلك نشير على بعض المضحين في الحج أن يتصدقوا بالتمر بدل الأضحية ، لأن لحوم الأضاحي تضيع وتفسد الجو وتسبب الأمراض ، وأبديت عدم ارتياحي لهذا التفكير والآراء التي لا تتفق وأصول الدين ، إلَّا أني لم أر أن أناقشه في أول مقابلة .

الفكر العربي والفكر الأوربي في نظر الدكتور

ثم تكلم في الفكر العربي والفكر الأوربي فقال : إن الفكر العربي يمتاز بالتحليل لذلك ظهر وفاق في القصص ، وتكلم عن الفكر الألماني ومدح عمقه وأنه أقرب إلى التصوف ، وأبدى إعجابه بكتاب « الإسلام على مفترق الطرق »[1] وكان مجلساً علمياً تناول جوانب العلم والدين ، ودعا إلى الغداء

---

(١) للباحث الإسلامي المعروف ، مؤلف الإنجليزية ، الأديب الشهير الأستاذ محمد أسد الّذي كان من كبار المفكرين والدبلوماسيين في عصرنا الحاضر ، ولد بالنمسا ، وعمل بالصحافة مدة طويلة ، فكان مراسلاً مقيماً بالبلاد العربية لعدد من صحف ومجلات بلاده وألمانية ، أعلن إسلامه وتخلَّى عن يهوديته سنة ١٩٢٦م ، وغيَّر اسمه (ليبولدفايس) سافر إلى الهند ، فالتقى محمد إقبال ، فأقنعه بالبقاء معه للمساعدة في إقامة دولة باكستان المنتظرة ، فلما قامت باكستان كدولة إسلامية مستقلة قلِّد عدداً من المناصب ، ومثَّلها بصفة سفير لها في الأمم المتحدة ، وارتبط بصداقة مع عدد من الزعماء والأعلام أمثال الملك عبد العزيز آل سعود وابنه الملك فيصل رحل =

معه فقلت نؤجله إلى يوم آخر وكان قد أحضر خمس نسخ من كتاب « ماذا خسر العالم » وأهداها إليّ فقلت له أنا كنت حريصاً على مطالعة كتابكم « حياتي » ولم أجده في الهند ولا في الحجاز ، فدعا بنسخة من الكتاب وأهداها إلي .

خطبتي في مسجد الجمعية الشرعية

ذهبنا إلى مسجد الجمعية الشرعية وخطب الشيخ أحمد عثمان ، وكانت خطبة لائقة في ساعتها ومحلها ، وصلى بالناس ، وأعلن الحاج علي أن ضيفاً من علماء الهند سيلقي كلمة ، وارتقيت المنبر وقلت ما فتح الله به عليّ ، ذكرت غربة الإسلام في هذا العصر في كل مصر وغربة القائمين على الدين والمتمسكين به وهنأت الجماعة على استقامتها وعدم اندفاعها مع التيار ، وذكرت شبهاً بين المتبعين للسنة في الهند وبين المتبعين لها في مصر ، وقلت ولكن لا بد من الجهاد لتغيير هذا الوضع وتحويل التيار من شر إلى خير ودفع غربة الإسلام في وطنه وأهله وذلك لا يكون إلا بالحركة والتنقل وتحمل المشاق ونشر الدعوة والجهاد في سبيلها . وقلت : إن الإسلام ليس تراثاً يتوارثه ابن عن أب وجيل عن جيل كما يعتقد كثير من الناس ، فاستهانوا بقيمة هذا الدين لأنه انتقل إليهم عفواً من غير تعب ومجاناً من غير ثمن ، فإذا أصيب برزيئة أو هدده الخطر لم يحرك ذلك منهم ساكناً ، بالعكس من الصحابة رضي الله عنهم الذين عبروا إلى الإسلام نهراً من دم وقنطرة من متاعب وصنوف العذاب ، فكان الإسلام أغلى عندهم من نفوسهم ونفائسهم وأهلهم وأموالهم ، ولنرجع إلى تاريخنا وحياتنا الماضية فلننظر هل نجد فيها صفحة مشرقة من جهاد أو حسن بلاء في دين الله ، أو صبر على المكروه أو رباط في سبيل الله ، أو غربة في دين الله فإذا وجدنا فلنحمد الله على ذلك ولنقر بها

= في الآفاق وجاب بلداناً عديدة ، ثم استقرَّ أخيراً بأسبانيا وتوفي بمدينة ميخاس عام ١٩٩٢م ، ومن أشهر كتبه « الإسلام على مفترق الطرق » و « الطريق إلى مكة » و « مبادىء الدولة والحكم في الإسلام » .

عيناً ، أَوْ لَا ، فنتهم نفوسنا ونستقل أعمالنا ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢ ـ ٣] .

ولما فرغت من خطبتي قام فضيلة الشيخ أمين خطاب ابن مؤسس الجماعة والمصلح العظيم الشيخ محمود خطاب وخليفته ورئيس الجماعة الحالي وعلا المنبر وشكر الخطيب الأول ، وخطب خطبة مسهبة استغرقت أكثر من ساعة وتكلم في موضوع الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتناول كثيراً من الأحكام الفقهية ومسألة الصفات وتأويل المتشابهات ، والخطبة تدل على اطلاعه واستحضاره متون الحديث ونفوذه في جماعته ، فإن أكثر الناس صبر لهذه الخطبة على طولها ولم يقم من المجلس إلا أفراد أرهقتهم الحاجة .

مسجد الجمعية

وكان المسجد في غاية البساطة ، ليس فيه شيء من البدعة والزينة ، وكذلك الخطبة والصلاة لم يكن فيها شيء مما يؤاخذ عليه ، إلا أن الخطيب لم يترحم على الخلفاء الراشدين ولم يذكرهم ، ولم نسمع الأذان الأول وكانت الصلاة تمتاز بكمال الطمأنينة وتعديل الأركان خصوصاً في القيام من الركوع ، ولقد سرتني هذه الصلاة السنية ونظام المسجد وهدوء المصلين ، وأتمنى أن أعود إليه ، ولما نزل الشيخ عن المنبر تهافت الناس علينا يصافحون ويسلمون ، ولم أر الناس بعد ميوات[1] في الهند يصافحون بهذه المحبة والإخلاص ويطلبون الدعاء إلَّا في هذا المكان .

كلمة عن الجمعية ومؤسسها

أسس هذه الجمعية الشيخ محمود السبكي ، وقد ولد هذا الإمام سنة

---

(١) منطقة قريبة معروفة تقع قريباً من عاصمة « نيودلهي » من حيث بدأ الشيخ إلياس الكاندهلوي ـ رحمه الله ، مؤسس جماعة الدعوة والتبليغ ـ دعوته إلى الله في أوائل الخمسينيات .

١٢٧٤هـ بسبك البلد بمديرية المنوفية ، ونشأ نشأة أبناء الفلاحين فرعى الغنم لأبيه وحرس حديقته . ولم يتعلم شيئاً واتصل بعد بلوغه بالشيخ أحمد بن محمد جبل السبكي الخلوتي فاشتغل بذكر الله وجدّ في الطاعة وأذن له شيخه أن يرشد المريدين ويعاهد الطالبين ، ثم ألهمه الله أن يتعلم وقذف في قلبه حب العلم والحرص عليه وقد جاوز العقد الثاني من عمره وهو أمي ، لا يعرف الكتابة والقراءة ، فتعلم الخط وقصد الأزهر وتلقى العلم فيه حتى قرّأ الدروس في الأزهر الشريف للطالبين ، كل ذلك في نحو سنة كما حكى هو عن نفسه في كتابه « فتاوى أئمة المسلمين » وكان يتلقى العلم في الأزهر ويرشد أبناء الريف إذا ما رجع إليهم فكان أزهرياً بين أزهريين ، وواعظاً مرشداً بين الريفيين ، وبدأ يطارد أدوات الملاهي والراقصات في الأعراس وينكر منكرات المآتم ، وينحى باللائمة على أرباب الطرق المخرفين في الأزهر والمساجد الأخرى ، وأحرز الشهادة العالمية من الأزهر بتفوق واشتغل بالتدريس ، وأخذ يبين البدع والخرافات الفاشية في القطر المصري في دروسه ويجاهد بقلمه ولسانه ، وفي سنة ١٣٣٠هـ كون جمعية أسماها « الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية » وكان من أعمال الجمعية إرسال الدعاة والوعاظ وإنشاء المساجد على طريقة السنة والمنسوجات الوطنية .

وقد كان لإخلاصه وجهاده أثر ظاهر ملموس في القطر المصري ، يشاهد في صحة الاعتقاد والرجوع إلى التوحيد ، والتطهر من الشرك والبدع ، والمحافظة على آداب الشريعة وشعائرها ، وتعرف هذه الجماعة وأفرادها بلحاهم الشرعية التي كادت تكون نادرة غريبة في مصر ، حتى في جماعة العلماء ورجال الدين وبالعمائم ، وانتقل الشيخ إلى رحمة الله سنة ١٣٥٢هـ ، وخلفه ابنه الشيخ أمين محمود خطاب الذي سبق ذكره .

وإني كلما اتصلت بأعضاء هذه الجمعية تمثل لي علماء (ديوبند)[١]

---

(١) يريد العلامة الندوي « بديوبند » دار العلوم ديوبند الإسلامية ، الّتي تعدُّ اليوم من أكبر الجامعات الإسلامية في جنوب آسيا ، أسسها العالم الجليل المخلص الشيخ محمد قاسم النانوتوي سنة ١٢٩٨هـ ، وكان الاعتماد فيها على الله ثم على تبرعات عامة =

وأتباعهم في الهند فبين الجماعتين شبه عظيم في العقيدة والتمسك بالدين والحرص على اتباع السنة والمحافظة على آدابها وشعائرها وفي علم التوحيد ومسألة الصفات وتأويلها ، ولولا هذه النقطة الأخيرة لاتحد الإخوان الشرعيون مع الإخوان أهل نجد في مسألة الصفات وتأويل المتشابهات .

حياة الجمعيات والدعوات متوقفة على الزيادة في ثروتها والتطبيق بينها وبين روح العصر

ويظهر لي أن هذه الجمعية لا تزال على خير في هذه الديار التي استسلمت للمدنية الغربية ، وسال بها سيل المادية ، وأنها لا تزال محافظة على تراثها الذي ورثته من مؤسسها العظيم ، ولكن هل تحتفظ الجمعية بحياتها ونشاطها في المستقبل وتتمتع بنفوذها الروحي في أعضائها ولسائر هذا العصر ؟ إن ذلك راجع إلى الاجتهاد والتفكير وتجديد الدعوة والرسالة لهذا العصر والجيل الجديد ، وقد رأينا كثيراً من الجمعيات والجماعات يؤسسها رجل مخلص عبقري صاحب تفكير وشخصية قوية ثم يخلفه رجال لا يزيدون في ثروتها ولا يجمعون بين دعوتها وروح العصر ولا يفكرون في زيادة شيء وتغيير أسلوب بأسلوب أقوى أو أنفع فلا تلبث أن تضمحل هذه الجماعة أو المؤسسة بالتدريج أو تبقى جسداً بلا روح أعاذ الله هذه الجمعية من هذا المصير .

وبعد صلاة الجمعة جلسنا مع فضيلة الشيخ رئيس الجمعية وهو منور الشيبة يلوح على محياه آثار العبادة والزهد . أعجبني وقاره مع خفة روحه وكان يدخل على السامعين شيئاً من التنوع ويداعبهم في اللهجة المصرية واللغة الريفية فينشطون .

= المسلمين ، ورزقت من أول يومها رجالاً عاملين مخلصين وأساتذة خاشعين متقين ، فسرت فيها روح التقوى والاحتساب والتواضع والخدمة . ولم يزل نطاق الجامعة يتسع ، وصيتها يذيع ، وشهرة أساتذتها في الصلاح والتقوى والتبحر في علم الحديث والفقه تطير في الخافقين .

انهيار العالم الغربي

كان الإخوان أخبروني بوجود الأستاذ سعيد رمضان[١] في القاهرة وأخبروني بنشاطه في العاصمة والأرياف وتنقلاته واتصالاته بزملائه أعضاء جماعة (الإخوان المسلمين) ، وكنت حريصاً جداً على الاجتماع بالأستاذ وإني لأعد الاجتماع برجال الدعوة والحركة الإسلامية من أكبر حسنات هذه الرحلة وأطيب ثمراتها ولما طالت إقامتي في الحجاز درست أحوال البلاد العربية عن كثب ، وعرفت ما هنالك في العالم العربي من تفسخ في الأخلاق واستبداد في الحكومات وتحزب في السياسة ، وانصراف بالكلية عن الدين ، وعبادة المادة وضياع الشعوب العربية بين حكومات مستبدة ورجال يعبثون بأموال الدولة والأمة عبث الأطفال بالحصى والخزف ، وأحزاب سياسية تتلهى بالشعب وتسخر منه وتضرب بعضه ببعض لمصلحتها وسياستها وبرجال لم تنشرح صدورهم للإسلام ولكن يصرون على أن يحكموا شعباً يؤمن بهذا الدين ، وعرفت أنه لا يغير هذا الوضع ولا ينقذ العالم العربي من الانهيار الذي يتهدده إلا حركة شعبية قوية أساسها الإيمان والتقوى والجهاد لإعلاء كلمة الله ، ومن أهدافها تطهير المجتمع من الأدواء الخلقية والاجتماعية وتطبيق نظام الحياة الإسلامي في الأقطار الإسلامية ورأيت أن الشر قد تفاقم وأن الأمر أعظم من أن يتدارك بجهود فردية ودروس دينية وإلقاء مواعظ وخطب أو نشر

---

(١) هو صديق العلامة الندوي العزيز الدكتور سعيد رمضان المصري ، كان من الأعضاء النشيطين البارزين للإخوان المسلمين ، تخرج من جامعة القاهرة ، وأحرز شهادة في الحقوق ، وضاقت به مصر . فقصد باكستان ، وأقام فيها مدة ، ثم لجأ إلى جنيف ، وأنشأ فيها المركز الإسلامي ، ونال الدكتوراه منـدجامعة بون الألمانية ، وكان من أصحاب فكرة قيام رابطة العالم الإسلامي (بمكة المكرمة) الأولين ، وأعضاء المجلس التأسيسي الموجهين .
أنشأ مجلة « المسلمون » من جنيف ، الّتي لم تكن مجرد مجلّة ، بل كانت مدرسة سيارة في الأقطار الإسلامية التي تتكلم أو تفهم العربية ، كان الدكتور رمضان صهر الإمام حسن البنا ، توفي رحمه الله .

مؤلفات وكتب أو الجمعيات تسير سيراً وئيداً .

السيل لا يمسكه إلَّا سيل مثله

إن السيل لا يمسكه إلَّا سيل مثله ، والتيار لا يدفعه إلَّا تيار أقوى منه ، وقد سمعت ممن اتصلت بهم من أدباء الحجاز ومن قابلتهم من الإخوان في الحج ؛ أن حركة الإخوان تحقق هذه الأمنية فقد أثرت في حياة البلاد تأثيراً قوياً واجتمع عندها من قوة وإيمان وعمل ، وعلم ، وحماسة ، وتنظيم ودعوة ، ما يستطيعون به ـ لو أذن الله بذلك ـ أن يغيروا اتجاه البلاد من اللادينية إلى الدين ، ومن الاستهزاء بالدين إلى التمسك والتفاخر به ، ووقع بعد ذلك من قتل النقراشي باشا واغتيال المرشد العام وحل الجمعية ومطاردة الإخوان واغتيالهم وتعذيبهم ما يعلمه الجميع ، وتلك مأساة البلاد العربية وكارثة العالم الإسلامي ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ويعود الإخوان الآن إلى نشاطهم ويصدرون صحيفتهم .

وقد كنت كتبت من مكة إلى الأستاذ صالح عشماوي[١] أخبره بسفري إلى مصر ورغبتي في الاجتماع به ، ومكثت في مصر عدة أيام لا أعرف أحداً من الإخوان البارزين ولا أحداً يرشدني إلى الأستاذ عشماوي حتى علمت بوجود الأستاذ سعيد رمضان ، فأبديت رغبتي في الاتصال به ، وفي ليلة السبت شرفني بزيارته مع رهط من الإخوان الشبان من طلبة الكليات وتلاقينا كأصدقاء يجتمعون بعد فراق ، وعلمت منه أن صديقنا الأستاذ محمد ناظم الندوي[٢]

---

(١) هو الكاتب الإسلامي القدير ، والصحافي المسلم البارع ، الأستاذ صالح عشماوي ، كان من الرعيل الأول لجماعة الإخوان المسلمين . رافق الشيخ حسن البنا في جهاده وحركته لتأسيس أكبر الحركات الإسلامية التي شهدها التاريخ الإسلامي الحديث . وقد أنشأ مجلة « الدعوة » لسان حال الإخوان المسلمين ، التي كانت سائرةً ومقبولةً عند المسلمين . توفي رحمه الله وأثابه سنة ١٤٠٤هـ .

(٢) هو الأديب العربي البارع والشاعر المفلق الأستاذ محمد ناظم الندوي ، من أصدقاء العلامة الندوي الأعزاء المقربين ، ومن زملائه في الصف بدار العلوم بندوة العلماء . أستاذ الأدب العربي سابقاً بجامعة الملك سعود الإسلامية بالرياض ، ورئيس الجامعة=

كان يذكرني له وقدم إليه بعض رسائلي ، وجلس الأستاذ سعيد بجانبي يتكلم كصديق قديم وأخ حميم ، وأعجبني منه نشاطه وخفة روحه التي كانت تبدو في حركات يده وأسارير وجهه ، وإقباله على الجالسين كلهم بالفكاهة والخطاب ، وأعجبني ذهنه المتوقد وقلبه المتفتح ، وبعد حديث تناول بعض البلاد الإسلامية والشخصيات الإسلامية والصراع بين العاطفة والعقل وطغيان العقل على العاطفة في هذا العصر ؛ إلى غير ذلك مما يتصل بالمسلمين والعالم الإسلامي ، وقام الأستاذ سعيد ، ووعد بأنه سيجمع غداً بيني وبين الأستاذ عشماوي .

السبت ١٩/ ٣/ ١٣٧٠هـ - ٢٧/ ١/ ١٩٥١م

مقابلة الشيخ حامد الفقي

وانتقلنا إلى محلنا الجديد في سوق الصيارفة في شارع الموسكي ، وخرجنا بعد الظهر نقابل الشيخ محمد حامد الفقي في دار جمعية أنصار السنة المحمدية وقابلنا في مكتبه ببشاشة وحفاوة وعتب من تأخير مقابلته فأجبت بما يليق ، قال : وقد كنت أخذت نسخة من كتابكم وطالعتها وكنت أريد أن أكتب عن هذا الكتاب ، ولكني وجدت أنه يحتاج إلى قلم أكبر من قلمي فإني متكلم أكثر وأقدر مني كاتباً ، قلت : العفو يا سيدي كنت مسروراً لو كتبت عن الكتاب ، وأخبرته برغبتي في مقابلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر ، والشيخ أحمد محمد شاكر صاحب المؤلفات الكبيرة ، وفضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ نزيل مصر الآن ، فأبدى الشيخ محمد حامد استعداده لذلك ، وبعد قليل أخذنا معه إلى مطبعة أنصار السنة .

= الإسلامية بهاولبور (باكستان) حالياً .

زيارة فضيلة شيخ الأزهر

وبعد صلاة المغرب خرجنا إلى دار الأستاذ الأكبر ، ولما دخلت في داره لم أشعر إلّا وأني في مقر رئيس وزارة في دولة كبيرة ، ودخل الأستاذ محمد حامد في غرفة الشيخ ، ويظهر أنه كثير التردد إلى منزله قديم التعارف والصداقة معه ، لأنه لم يحتج إلى تعيين وقت للمقابلة والاستئذان ، ووجدنا مع الشيخ جماعة من كبار الأساتذة الأزهريين رجال الوزارة ، منهم الشيخ عبد اللطيف دراز مدير الأزهر . قام الشيخ ورحب بنا ، وقدمني الشيخ محمد حامد إلى فضيلته ، وذكر صلتي بندوة العلماء ومعهدها دار العلوم فقلت : أبلغكم تحيات علماء الهند وهم يحملون أعظم تقدير للأزهر ، فأجاب فضيلته جواباً لائقاً وقدمت إلى الشيخ نسخة من كتابي « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » وجلسنا نتكلم .

الوضع التعليمي الديني في الهند وفضله في تربية العلماء

قلت : إن الوضع التعليمي الديني في الهند يختلف عن الوضع التعليمي في هذه الأقطار التي تتمتع فيها دور التعليم بمساعدة الدولة وحمايتها ، فإن المدارس الدينية عندنا ينفق عليها الشعب المسلم ، ويعلم فيها علماء متطوعون ، ويلتحق بها من يعتقد أنه لا نصيب له في وظائف الحكومة ومناصبها ، فلا يتقدم إليها إلا من يضحي بمستقبله الاقتصادي ، وذلك الذي يثير في علماء الهند الهمة وروح المقاومة والجهاد وروح التطوع والاحتساب .

قال الأستاذ الأكبر : كذلك كان الأزهر في عهده القديم . قلت : وكان ذلك العهد عهد السعادة للأزهر . قلت : ومدرستنا دار العلوم التابعة لندوة العلماء من كبريات المدارس الدينية في الهند ، ومركز ثقافي عظيم للمسلمين ، وهنا تكلم الأستاذ محمد حامد وأثنى على دار العلوم وأعمالها وخدمتها للدين والعلم قال الشيخ : ورئيسها . . وبدا كأنه يتذكر اسماً غاب عن فكره الآن ، فقلت : الأستاذ السيد سليمان الندوي فعرفه ، ولعل الشيخ قابله في مكة العام الماضي . قلت : وعميدها الآن أستاذ قد تخرج من الأزهر

وهو الشيخ عمران الندوي والأزهري[1] .

وسأل الحاضرون عن مسلمي الهند وأحوالهم الدينية وشؤونهم . فقلت : إنهم متمسكون معتزون بدينهم مصممون على الإقامة في الهند ، ومراكز الثقافة والتعليم الكبيرة للمسلمين لا تزال في الهند وذكرتها . وقام الشيخ محمد حامد وودع فضيلته فشيعنا الأستاذ الأكبر إلى الباب وودع الزوار بكل تواضع وإكرام .

الأستاذ الأكبر

يبدو لي أن فضيلة الأستاذ الأكبر على جانب عظيم من الصلاح والتواضع ، وهو رجل وقور يزينه الشيب والعلم ، وتزدان به مشيخة الأزهر ، وسألت الشيخ محمد حامد ونحن عائدون من داره عن علم الشيخ ، فقال لا يدانيه في العلم أحد اليوم في مصر ، وأنا أعرفه منذ كان إماماً للملك فؤاد ، ثم كان نائب المحكمة الشرعية ، ثم كان مفتي الديار المصرية ، ثم أحيل إلى المعاش ثم اختير شيخاً للجامع الأزهر فكان اختياراً موفقاً ، قلت : وما رأيك في إضراب أساتذة الأزهر ؟ قال إن الدافع هو طلب الزيادة في المعاش والحرص على المادة . وسألني أن أكتب لمجلة « الهدي النبوي » مقالاً عما ذكرته في مجلس الشيوخ باختصار وعن الوضع التعليمي وأخلاق العلماء في الهند .

---

(١) هو فضيلة الشيخ محمد عمران خان الندوي ، أحد كبار العلماء والدعاة إلى الله في الهند ، كان زميل العلامة الندوي في الدراسة ، وكان زميله في العمل في دار العلوم ـ ندوة العلماء ـ حيث تولى منصب العمادة لأعوام ، يقول العلامة الندوي فيه : « وقد قام بأداء حق الزمالة بطريق حاز به شرف « اليد العليا خير من اليد السفلى » وقد شاهدت فيه أمثلة عجيبة من الكرم والطموح والوفاء والاستقامة ، إن لم تكن هذه الأمثلة مفقودة فهي نادرة قليلة » . وكان من مآثره الجليلة والتذكارية الحية لشخصيته بناء « جامع تاج المساجد » بمسقط رأسه بهوفال ، الّذي يعقد فيه أكبر اجتماع سنوي في الهند لجماعة التبليغ ، وكان هو الّذي بدأ به . توفي رحمه الله ببهوفال سنة ١٩٨٦م .

في درس الشيخ حامد الفقي

وعلمت في الطريق أن له درساً في الليل بعد العشاء فاستأذنته في الحضور ، وصحبناه إلى دار الجمعية وكان درس الليلة في القرآن في سورة مريم :

﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم : ١٢] .

وكان درساً طيباً في حسن الإلقاء وبلاغة الأمثلة ، وتناول الحياة العامة وانتقاد وضع المسلمين الديني الحاضر واشتغالهم عن اللباب بالقشور ، وعن الحقيقة بالأشكال ، وأصرح بأني لم أكن أعرف للشيخ محمد حامد هذه الخطابة الطيبة والتصرف في الكلام ، والنفوذ في العقول ، ولكن لم يعجبني كلامه في أهل المذاهب ، فقد كان كلاماً لاذعاً وتهكماً ساخراً ، فقد ذكر أنهم عمي وصم وبكم في الدنيا والآخرة إلى غير ذلك ، وهذا كلام لا يليق لمصلح مخلص ، وهو كلام منفر لا يخدم مصلحة من مصالح الدين ، وكذلك أتمنى أن يكون في درسه نصيب للقلب مثل نصيب العقل أو أكثر فذلك الذي يزكي النفوس ويولّد الخشوع والإنابة إلى الله واتهام النفس وهو مما لا بد منه لجماعة تنهض لإصلاح المسلمين وخدمة الدين .

وبعد الدرس أعلن الشيخ من غير أخذ رأيي عن محاضرتي يوم الثلاثاء فوافقت عليه لأني كنت أتحين فرصة للتحدث إلى أعضاء هذه الجمعة وأصدقائها . وبعد الدرس قابلني الأستاذ علي عدلي المرشدي سكرتير فرع نام من فروع الجمعية بحفاوة ومحبة عظيمة ؛ وهو الذي طبع رسالتي (من الجاهلية إلى الإسلام)[١] العام الماضي ونشرها ، وأخبرني أن الرسالة كان لها رواج وذيوع في مصر والسودان وكرر الطلب من السودان فبحث عن نسخها وأرسلها ووعد بأنه سيحضر نسخاً منها يوم الثلاثاء .

---

(١) وهي مستخرجة من « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » للعلامة الندوي .

الأحد ٢٠/ ٤/ ١٣٧٠هـ ـ ٢٨/ ١/ ١٩٥١م .

مع شباب الإخوان

جاءنا في الصباح الأخ يوسف القرضاوي[١] والأخ محمد الدمرداشي[٢] من طلبة الأزهر ومن الإخوان المسلمين يتوقدان حماسة وغيرة وذكاءً ، وهما من الشباب الذين تقر بهم العين ويقوى الأمل في مستقبل الإسلام في هذه البلاد ، وكم في الإخوان من أمثال هؤلاء الشباب ، ولو لم تكن للإخوان حسنة غير بعث الحياة الدينية وإشعال العاطفة الإسلامية في الشباب الإسلامي وتوجيههم إلى الدين لكفاها فخراً وغبطة ، وقد قرأ الإخوان كتاب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟) وقد نال رواجاً في أوساط الإخوان وأقبلوا على قراءته واقتنائه ، وذلك بتوجيه مراقبهم الثقافي الأستاذ عبد العزيز كامل[٣] وإشارته على الإخوان بقراءته ، وقد طلبا مني إلقاء محاضرة في حفلة خاصة بطلبة كلية أصول الدين وقبلت اقتراحهما بكل سرور ، لأنه من مقاصد هذه الرحلة ، وأطلعتهما على حديثي (من العالم إلى جزيرة العرب) و (من

---

(١) وهو يعرف الآن بالدكتور يوسف القرضاوي صاحب التأليف المشهور « فقه الزكاة » أصله من مصر ، تخرج من كلية أصول الدين في الأزهر ، وظهر نبوغه وتجلت قدرته على الخطابة والكتابة وهو شاب ، واتصل بحركة الإخوان فكان موضع الثقة والاحترام في أوساطها ، وكان من دعاتها المرموقين وكتابها المرجوين ، حتى اضطرته أوضاع مصر الأخيرة إلى مغادرتها فلجأ إلى دولة قطر وتولى التدريس في مدارسها حتى وَصَلَ إلى عمادة كلية الشريعة في جامعة قطر . مع اشتغال بالتأليف والدعوة إلى الله ، تعرف عليه العلامة الندوي أثناء هذه الزيارة لمصر وهو طالب شاب في الأزهر ، وتوثقت بينهما الصداقة التي دامت وأثمرت ، وكل ما كان لله يبقى .

(٢) هو زميل وصديق الدكتور القرضاوي ، الّذي كان يتردد إلى العلامة الندوي في هذه الزيارة ، ورافقه في الجولات والزيارات في مصر ، توفي رحمه الله .

(٣) هو الكاتب المفكر الأستاذ عبد العزيز كامل ، كان مشاركاً في حمل المسؤولية الرسمية عن الدعوة الإسلامية في مصر سنين غير قليلة ، عمل بالتدريس في جامعة القاهرة ، ثم تولى وزارة الأوقاف توفي سنة ١٤١١هـ .

الجزيرة العربية إلى العالم)[1] فأخذاهما ليطبعاهما في بعض المطابع التي يتصلان بها . وجاء بعدهما الشاب عبد الله عقيل العقيل[2] ، وهو شاب عراقي مسلم نشيط متشبع بمبادىء الإخوان متحمس لها ، يتعلم في كلية الشريعة ، تذكرت أن الأستاذ مسعود الندوي ذكره : هو وبيته في رحلته « في ديار العرب » جاء ليأخذنا إلى مكتب الأستاذ عشماوي فخرجت معه ؛ وظل طول الطريق يتحدث عن حركة الإخوان ورجالها البارزين ويثني بصفة خاصة على الشيخ محمد الغزالي[3] الواعظ ؛ والأستاذ عبد العزيز كامل ، والأستاذ بهي الخولي[4] ، وقد جاء ببعض مؤلفات الأستاذ الغزالي هدية لي .

وقابلت الأستاذ صالح العشماوي وكلانا مشتاق إلى صاحبه ، وتعانقنا وتعانقت القلوب الخفاقة مع الأجسام ، وكأننا أصدقاء من زمن طويل .

---

(١) انظر هذا الحديث في كتاب « إلى الإسلام من جديد » للعلامة الندوي ، و « محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة للعلامة الكبير الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي » جمع وتحقيق وتعليق للمحقق ، صدر عن دار ابن كثير بدمشق .

(٢) هو فضيلة الأستاذ عبد الله العقيل ، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الأسبق ، ومستشار وزارة الأوقاف الأسبق بالكويت ، كان طالباً بكلية أصول الدين في الأزهر حين زار سماحة الشيخ الندوي مصر .

(٣) هو المفكر الإسلامي العظيم ، الداعية إلى الله الكبير الكاتب الإسلامي المرموق الشيخ محمد الغزالي من أركان حركة التأليف الإسلامية الحديثة ، والدعوة باللسان والقلم إلى فهم الإسلام والعمل به ، تخرج في الأزهر ، وتقلد منصب الوعظ والإرشاد ، وألف ودرس ، وخطب وكتب ، كان أستاذاً زائراً في عدة جامعات إسلامية كبرى من بلاد العرب ، انتقل إلى جوار ربه سنة ١٩٩٥م .

(٤) أحد المربين والموجهين الكبار من جماعة الإخوان المسلمين بمصر ، درس في جامعة القاهرة ، وكان زميلاً للإمام حسن البنا وكان مدة حياته على العهد والوفاء له ، يحبه ويذكر مآثره بلذة وإعجاب ، له كتاب « تذكرة الدعاة » وهو كتاب مفيد مثير ، أحب العلامة الندوي ، وقرأ ما كتبه باهتمام وشغف ، توطدت العلاقات بينه وبين العلامة الندوي منذ هذه الزيارة (لمصر) وظلت إلى وفاته ، كان ـ رحمه الله ـ يعطف كثيراً على العلامة الندوي ، وكان من المعجبين بشخصيته العبقرية ومن المشيدين بمآثره الجليلة في مجال الفكر والدعوة .

مع الأستاذ سعيد رمضان

وخرجنا بعد الظهر إلى منزل الأستاذ سعيد رمضان ، جلسنا قليلاً نتحدث عن شؤون المسلمين في الهند وحركة الدعوة الدينية والجماعة الإسلامية فيها ، ثم تغدينا وصلينا العصر وذهبنا بعد المغرب إلى دار أنصار السنة .

وبعد العشاء خرجنا مع الشيخ محمد حامد الفقي إلى حفلة افتتاح لفرع في الجمعية حي بولاق ، وكانت حفلة مشهودة فيها أنـوار كثيرة مثل حفلات المولد في الهند وغيرها وكانت حفلة زاهية بالطرابيش الزاهية الحمراء ؛ وخطب الأستاذ محمد حامد خطبة طويلة تأثر بها الناس ، ورجعنا بعدها إلى المنزل .

الإثنين ٢١/ ٤/ ١٣٧٠هـ ـ ١٩/ ١/ ١٩٥١م .

كنا قررنا أن نجتمع اليوم بالدكتور أحمد أمين ، ولكن مع الأسف وجدنا الدكتور قد خرج من الإدارة قبل عادته ، وقابلنا الأستاذ رشاد عبد المطلب الذي يشتغل في الإدارة بقسم المخطوطات وهو مطلع فاضل فآنسنا وجلس معنا ، وتكلمنا في الكتب الخطية والآثار العلمية .

مقابلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ

رأينا أن نزور اليوم فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ في منزله بالجيزة ، فذهبنا إليه وقد جاء إلى مصر يتعالج واستأجر بيتاً في الجيزة ، دخلنا بيته فوجدناه لائقاً بالأمراء وكبار الأثرياء وقد نظم تنظيماً عصرياً ، وسلَّمنا على الشيخ وقدمنا إليه كتاب قريبه أخينا في الله الشيخ عمر بن الحسن آل الشيخ ، والشيخ محمد إبراهيم مكفوف البصر ، فدفعه إلى بعض حواشيه ليقرأه عليه وبعد ذلك جلسنا نتكلم ، وسألته عن عبيد الله الدرويش الزاهد المهاجر الهندي الذي يثني عليه أهل نجد كثيراً ويذكرونه بخير ، فذكر عبد الكريم الدرويش وعبد الله الدرويش . وبمناسبة هذين الرجلين جاء ذكر الشيخ المجاهد إسماعيل الشهيد الدهلوي والسيد الإمام

أحمد بن عرفان الشهيد[١] فعرفت أن الشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ محمد حامد لا يعرفان عنهما وعن حركتهما وجهادهما شيئاً، وكان من حسن المصادفة أني كنت اصطحبت كتاب « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » خلاصة نزهة الخواطرِ فقرأت ترجمة الشيخ الإمام إسماعيل الشهيد ، وأبدى الشيخ محمد رغبته في مطالعة هذا الكتاب فتركته عنده ، والشيخ له اطلاع واسع على ما قيل عن جده الكبير ومن طعن فيه ومن دافع عنه وكتب أجداده وعلماء نجد ، وقد ذكر صديقنا الفاضل الأستاذ مسعود الندوي الذي اجتمع به في الرياض وذاكره في بعض ما يتصل بشيخ الإسلام . ورجعنا إلى مقرنا .

الثلاثاء ٢٢/ ٤/ ١٣٧٠هـ ـ ٣٠/ ١/ ١٩٥١م

بقيت اليوم في غرفتي أشعر بشيء من الفتور والبرد ، واشتغلت بتصحيح رسالتي (المد والجزر في تاريخ الإسلام)[٢] التي أقصد طبعها في مصر والزيادة فيها وإعدادها للمطبعة .

في المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين

ذهبنا من إدارة الجمعية إلى مركز جمعية الشبان المسلمين ، ودخلنا قاعة الدكتور عبد الحميد سعيد فتذكرت ذلك الرجل المؤمن الذي كان مركز الشبان في مصر وروح الشبان المسلمين وترحمت عليه ، وليس بناء الجمعية بشُعَبِه ونواحيه إلا أثراً من آثاره الجميلة الخالدة ، وكان في هذه الليلة محاضرة للأستاذ أحمد الشرباصي[٣] أحد علماء الأزهر ورائد الشبان المسلمين ولم يكن حضر بعد .

---

(١) اقرأ للاستزادة من أخبارهما كتاب « إذا هبت ريح الإيمان » للعلامة الندوي ، طبع في دار ابن كثير بدمشق .

(٢) انظر هذه الرسالة ضمن رسائل ومقالات سماحة الشيخ الندوي في كتاب « إلى الإسلام من جديد » .

(٣) هو صديق العلامة الندوي ومساعده في أعماله الكتابية ونشر الكتب في مصر ، عرض في الطبعة الثانية لكتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » صورة وصفية للمؤلف ، وقدم لكتابه « قصص النبيين للأطفال » تخرج في الأزهر ودرس في معهد=

مقابلة اللواء محمد صالح حرب

وذهبنا إلى غرفة سعادة اللواء محمد صالح حرب باشا الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين ، وكان معتكفاً في غرفته في دار الجمعية لمرض ؛ فعدناه وسلمنا عليه ، وقدمنا إليه كتاب الشيخ محمود شويل في التعريف والتوصية ؛ وكان قد سمع بقصدي لمصر ، والرجل مهذب لطيف الحديث دمث الخلق .

زيارة دار الجمعية

ورغب إلينا سعادة الباشا أن نزور شعب الجمعية ونشاهد نشاطها ، فذهبنا مع أحد الموظفين أو الأعضاء ؛ دخلنا في دار الجمعية وجلنا في غرفها وشعبها جولة فرأينا الأعضاء مشتغلين بالألعاب الرياضية والملاكمة والمصارعة ، أعجبنا نشاطهم وحرصهم على الرياضة البدنية وتربية الأجسام وتقويتها ، وسررنا بما رأينا فيهم من صحة وشباب ؛ وتذكرنا بنجاب[1] وشبابها القوي النشيط ؛ ومررنا بمجموع كبير من الصور الفوتوغرافية لبعثات الجمعية وأعضائها في مختلف شؤونهم . وما شعرنا إلا ونحن في جمعية أهلية من الطراز العربي وناد راق من نوادي الرياضة والكشافة ودخلنا مكتبة الجمعية ، فرأينا الصالح والطالح من الأدب والمجلات والروايات وذلك داء عم البلاد والعباد ، وشمل الوهاد والأنجاد .

محاضرتي في دار أنصار السنة

وكانت الليلة محاضرتي في دار جماعة أنصار السنة فبادرت إليها .

تقدم الشيخ محمد حامد الفقي رئيس الجمعية وألقى كلمة ، ثم تكلمت

= القاهرة ، ونال الدكتوراه من الأزهر ، وكان كاتباً مترسلاً ، سريع الكتابة وخطيباً صاحب ارتجال وقدرة ، توفي رحمه الله سنة ١٤٠٠هـ .

(١) ولاية تقع في الهند وباكستان ، اشتهر أهلها بالألعاب الرياضية والقوة والنشاط .

عن مهمة الدعوة إلى الله وجلالها وخطرها وضخامة مسؤوليتها ومؤهلاتها وشروطها وذكرت أن كثيراً من الناس الذين لا يحسنون صناعة أو حرفة يحترفون صناعة الدعوة ، ويظنون أنها أسهل شيء في الحياة ، مع أنها أوسع وأعقد وأجل خطراً من مهمة الدعوات السياسية والاقتصادية والعلمية والفكرية ؛ فقد تكون ثورة وتغيير وضع ونسخ نظام بنظام من غير تعرض للأخلاق والروح الإنسانية ، وقد يكون قادتها ورجالها مع إخلاصهم لدعوتهم وجهادهم في سبيلها رجالاً منحطين في الأخلاق والإنسانية متلوثين بالأشياء الفظيعة ولا يعدون هذا تناقضاً ومنافاة لروح الدعوة ، ولكن الدعوة إلى الله تتناول الأخلاق والروح والفضائل وجميع المؤهلات الدينية والإنسانية ، وتستلزم إيماناً راسخاً ويقيناً صادقاً وتضحية فائقة وإيثاراً نادراً وشجاعة بارزة وعقلاً واعياً وعلماً صحيحاً ولساناً ذاكراً وقلباً منيباً ، وتستلزم العبودية والخشوع والابتهال في الدعاء والاطراح على عتبة الربوبية وأنها ليست مجرد تبليغ ولا تعليم ، بل هي مجموع تبليغ وتعليم وتربية وتزكية ، وخلافة الذي بعثه الله إلى الأمين ﴿ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] ﷺ .

أمثلة من الدعاة إلى الله والمجاهدين في سبيل الله في الهند

ثم ذكرت لهم أمثلة رائعة من الدعاة إلى الله في العصور الإسلامية الأولى وفي القرون الأخيرة ، وحكيت لهم بعض أحاديث الدعاة إلى الله المجاهدين في سبيل الله في الهند كالشيخ يحيى علي ومحمد جعفر(١) وغيرهما الذين كانوا مصداق قوله تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى ﴾ [آل عمران : ١٩٥] وكيف تلقّوا الحكم بالإعدام فرحين مستبشرين ، وكيف كان الواحد منهم ينشد في السجن :

فلست أبالي حين أقتل مسلماً   على أي شق كان في الله مصرعي

---

(١) ليراجع للاطلاع على حياتهما في الجهاد إلى كتاب العلامة الندوي « إذا هبت ريح الإيمان » طبع في دار ابن كثير بدمشق .

وذلــك فــي ذات الإلــه وإن يشــأ   يبــارك علــى أوصــال شلــو ممــزع

وكيف كان مولانا يحيى علي يخاطب زبانية السجن القائمين على رأسه بالبندقية والسلاح : ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٣٩ ـ ٤٠] وكيف كان هؤلاء الكفار يبكون ولا يرضون أن يتحولوا من مكانهم وكيف أبدل الحكم بالإعدام بالنفي المؤبد ، لأن هؤلاء المؤمنين قد اشتد فرحهم للشهادة فأبى الإنجليز سادة البلاد أن يدخلوا عليهم السرور ويحققوا أمنيتهم من الشهادة .

الدعوة المادية
هي المنافسة الوحيدة في هذا العصر للدعوة الإسلامية

ثم ذكرت لهم تفصيل الدعوة في بلادنا ، وصورت لهم اجتماعنا الأسبوعي في مسجد الندوة وخروج الناس من كل طبقة إلى الضواحي والبوادي والمدن وإنفاقهم على أنفسهم ، وتأثير هذه الدعوة العامة الشعبية المتطوعة وثمراتها ، ثم قلت لهم لقد خفتت الدعوات كلها وماتت ووهنت إلا الدعوة المادية فهي أقوى وأنشط ما تكون وهي المنافس الأكبر للدين والمعسكر المعادي للإسلام ، فيجب أن نستجمع قوانا ونأخذ أهبتنا وعدتنا لمحاربتها ونستعد لمناضلتها استعداداً علمياً فكرياً روحياً خلقياً ، ولا يمكننا أن نؤثر التأثير المطلوب ونخرق الحجاب المادي الصفيق الذي حجب القلوب والأبصار إلا بشخصية دينية مؤثرة وقوة روحية مسخّرة .

ورأيت الأثر بادياً في وجوه السامعين ، وأظن أن التأثير إنما كان سببه حكايات المخلصين والمجاهدين والقصص وشكر الشيخ محمد حامد الخطيب ، وعلق على المحاضرة وقال تواضعاً منه : إنه انتفع كثيراً بهذه الكلمة .

الأربعاء ٢٣/ ٤/ ١٣٧٠هـ - ٣١/ ١/ ١٩٥١م .

حديث مع الدكتور أحمد أمين

قابلنا الدكتور أحمد أمين وقدم إلي هدية من الكتب فيها العقد الفريد في ستة أجزاء اشترك أحمد أمين في شرحه وضبطه وتصحيحه ، وطبعته لجنة التأليف والترجمة ، ونسخة من كتابه « حياتي » وقلم حبر تذكار له فشكرته على هذا الجميل وقبلته ممنوناً متشكراً وجلسنا نتحدث ، قلت له أتمنى أن تتوفر حضرتكم الآن على دراسة القرآن وخدمته ، قال لقد شغلني كتاب « الإسلام ماضيه وحاضره » وسوف أنتهي منه ، قلت أرجو من الأستاذ الكبير أن لا يصدر من قلمه ما يتشبث به الشباب المتهور فإن لكتابته وأفكاره وقعاً كبيراً في النفوس ، قال هذه حكاية حال أم مجرد تنبيه ؟ قلت إنما هو رجائي وطلبي ! قال ولا بد من نقد وصراحة ، قلت من غير شك ولكن الناس في هذا العصر يقبلون المساوىء ويتركون المحاسن ، قال هذا صحيح .

ملاحظاتي عن كتابه « زعماء الإصلاح في الحديث »

قلت قد طالعت في الحجاز كتابكم « زعماء الإصلاح في العصر الحديث » وأعجبني هذا الكتاب جداً وأفدت منه خصوصاً ما كتبت عن السيد عبد الرحمن الكواكبي وخير الدين باشا التونسي ومدحت باشا ، واطلعت على ما كتبتم عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب عالماً جليلاً من آل الشيخ فوافق عليه واستحسنه ، قال : الحمد لله . ولكن بعض أهل العلم نفوا ما جاء في هذا الكتاب من سفر الشيخ إلى بغداد ، قلت : نعم وهذا كان رأي الشيخ عمر ، قال : لكني رجعت إلى بعض المصادر الأجنبية فوجدتها توافق على ما ذكرت ، قلت ومن رأيي أن السيد أمير علي[١] ليس حيث وضعتموه من

---

(١) هو السيد أمير علي بن سعادت علي الهندي ، من كبار المناضلين عن الإسلام في العصر الأخير ، درس في كلكته ولندن ، وأحرز شهادة الحقوق ، وتفقه في الشريعة والأدب العربي وبرع في القانون والآداب الإنكليزية ، واحترف المحاماة في كلكته ، ثم عيِّن أستاذاً للشريعة الإسلامية في كلكته ، سافر إلى لندن فعين فيها مستشاراً =

الزعامة والإصلاح وأنه كان من كبار المؤلفين الذين ألفوا كتباً قيمة في الإنجليزية في بيان محاسن الإسلام وأن السيد أحمد خان[1] كذلك ليس في المنزلة العالية من الزعامة الإسلامية والإصلاح ، وأن عقله كان أكبر من علمه ، وقد صدرت منه غلطات أضرت بالمسلمين وكان في الهند من هو أحق بالذكر منه في هذا الكتاب ، قال ومن هم ؟ قلت السيد أحمد الشهيد والشيخ إسماعيل الشهيد ، قال : ومع الأسف لا نعلم عنهم كثيراً ، قلت وقد ذكرتم السيد أحمد الشهيد في كتابكم ولكن اعتمدتم على المصادر الأجنبية وهي لا تخلو من تحريف ومغالطات وتشويه للحقائق ـ قلت وكذلك الدكتور محمد إقبال يستحق أن ينال موضعاً لائقاً في كتابكم ، قال ولكني لم أعثر على المعلومات الكافية عنه ، وإنما نشر صديقنا الدكتور عبد الوهاب عزام نتفاً له ، وقد قابلته في القاهرة وكان له قلب حي ، قلت وقلبه مصدر شعره وفكرته وقد كتبت ترجمة ضافية له وأذعتها على محطة الإذاعة العربية السعودية وأطلعكم عليها .

رأي الدكتور أحمد أمين في الأزهر وجامعة فؤاد

بعد ذلك خرجنا إلى موضوعات أخرى . قال : قد قابلني عالم هولندي وقال : هل لكم أمل في الأزهر ؟ قلت : لا !!

وذلك لأن الأزهر يتزعم الحركة الرجعية ، وحركة الشباب قوية عنيفة (أو

= ملكياً في المجلس المخصوص سنة ١٩٠٩م ، وتصدَّى لردّ التهم عن الإسلام فأصدر باللغة الإنكليزية « حياة النبي وتعاليمه » و « روح الإسلام » و « آداب الإسلام » و « الأحكام الشرعية » وكتباً أخرى ، وكان يكتب بالإنكليزية ككبار كتابها ، ولم يترك أثراً بالعربية ، توفي فجأةً في سوسكس من أعمال إنكلترة سنة ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م) .

(١) أحد كبار المصلحين والفضلاء في الهند ، وُلِدَ في « دهلي » وهو الّذي أسَّس جامعة عليكره الإسلامية الشهيرة ، وله عدة مؤلفات في شتى الموضوعات ، توفي عام ١٨٩٨م ، انظر للاطلاع على ترجمته بكاملها كتاب المحقق « الأعلام بمن في الهند من الأعلام في القرن العشرين » .

كما قال) ، وثانياً لأن السراي تحتضنه ، والسراي تريد أن ينام وينيم ، قال : وهل لكم أمل في الجامعة ؟ قلت : لا ! قال : لماذا ؟ قلت : لأن الجامعة مدنية محضة ليس لها اتجاه ديني .

رأيه في فصل الدين عن الدولة

قلت : هل توافق على رسالة الأستاذ علي عبد الرازق (الإسلام وأصول الحكم) قال : لا ، لأن الأستاذ علي يرى أن الإسلام رسالة روحية فقط ، لا اتصال لها بالسياسة والخكم ، مع أني أرى أن الإسلام يتناول الحياة الاجتماعية ويشرع البيع والإجارة وغير ذلك ، وإنما أراد الأستاذ علي تحرير الفكر الإسلامي في السياسة والاجتماع ، وذلك يحصل بفتح باب الاجتهاد ولا يحتاج إلى فصل الدين عن السياسة .

هل أخفق المسلمون
في الجمع بين المدنية العصرية والروح الدينية

قلت : لقد قلت ببعض المناسبات في الحجاز أن المسلمين أخفقوا في الجمع بين المدنية العصرية والروح الدينية ، فقد كان المدني يطغى على الجانب الديني في غالب الأحيان ، وذلك لضعف الرجال الذين كانوا يمثلون الناحية الدينية .

أسبابه وعلاجه في رأي الدكتور

قال الدكتور : إن هذا الإخفاق له سببان ، أولًا : إن العالم الإسلامي ينقصه علماء عرفوا مقاصد الشريعة الكلية ، ويواجهون المدنية الحديثة بغربلة ما ينفع وما يضر ، ثانياً : ما تفضلت به في كتابك من شعور المسلمين بمركب النقص أمام المدنية الحديثة ، وعلاج ذلك إيجاد الحلقة المفقودة من علماء جمعوا بين علوم الدين وعلوم الدنيا ، ثم حقن نفسية للمسلمين تفهمهم أن ليست المدنية الغربية خيراً محضاً ولا ما هم عليه شر محض ، بل في كلٍّ خير وشر ، وانتقلنا إلى موضوع آخر ، قال الدكتور في أثنائه : إن الحضارة الغربية

تبنى على العلوم أكثر مما تبنى على الآداب وأن الشرق أفرط في الآداب وفرط في العلوم .

ملاحظتي عن كتاب « ضحى الإسلام » ورأيي في المعتزلة

قلت : لي بعض ملاحظات في كتابكم ضحى الإسلام ، منها : أنكم أعطيتم المعتزلة أكثر من حقهم ، ومن رأيي أن المعتزلة كانوا في دور الطفولة العقلية وأن آراءهم لم تنضج بعد ، قال : نعم ولكنهم كانوا أوسع فكراً من المحدثين ، وكان إبقاؤهم خيراً للإسلام ، ولكني أنتقد دخولهم في السياسة . قلت : وعلى أنفسهم جنوا كما تفضلتم في الكتاب ، قال : قد ضاعت كتبهم وقد عثرت على كتاب القاضي عبد الجبار المعتزلي وسأنشره ، وبه نعلم كثيراً من آرائهم الدينية[١] .

زيارة الشيخ أحمد محمد شاكر

خرجنا في العصر نقابل الأستاذ المؤلف المشهور الشيخ أحمد محمد شاكر القاضي الشرعي سابقاً ، فوجدنا داراً أشبه بدار العلماء ، أستغفر الله إن للعلماء في مصر شأناً غير شأن العلماء في الهند ، فقد بارك لهم الله في أموالهم وبسط لهم في الحياة فجددوا عهد القضاة في العصر العباسي ، اجتمعنا في غرفة منورة منظمة تنظيماً عصرياً وتجاذبنا أطراف الحديث منها ما يتناول الأزهر ، ومنها ما يتناول الجمعيات الدينية في مصر . ويظهر أن الشيخ له اطلاع واسع وأكسبته الدراسة والاحتكاك بالعصر مرونة وتوسعاً في الخلافات الكلامية والفقهية ، قدمت إليه المحاضرات والرسائل وذكرت كتاب (ماذا خسر العالم) فقال : بادرت إلى اقتنائه أول ما ظهر إلى السوق ولا يزال أمامي في المكتب ولكني لم أنته منه بعد ، وكلمته في نشر كتاب

---

(١) لا يخفى أن ما نسب إلى الأستاذ أحمد أمين في هذا الحديث ، إنما هو رواية بالمعنى ، لأن العلامة الندوي دوَّن بعد يوم وبالاعتماد على الذاكرة فقط ، ولكن مع ذلك جاء كثير من كلمات الأستاذ في هذا الحديث .

الوالد رحمه الله في تاريخ الهند العلمي[1] ، وأردته على أن يحادث بعض المطابع والمكتبات في نشره ، فاعتذر عن ذلك وقال : إن هؤلاء الناشرين تغلب عليهم النزعة التجارية ، ولا أرجو أنهم ينشرون شيئاً لوجه العلم فليس لي أمل في واحد منهم ولكني سأطالع الكتاب وأتكلم معك ، واستأذنا ، لأننا كنا على ميعاد مع طلبة كلية الشريعة بعد المغرب .

مع شباب الأزهر والجامعة

ذهبنا بعد المغرب إلى شبرا ورأينا مجموعة طيبة من الشبان ولفيفاً من طلبة كلية الشريعة وكلية أصول الدين للأزهر وكلية الهندسة وكلية التجارة لجامعة فؤاد الأول ، قالوا لي تكلم طول الليل فلا نسأم ولا نمل ، وجدتهم متعطشين جداً لسماع ما يلقى عليهم في الدين وفي الحركة الدينية ، وتقدم طالب ذكي من طلبة كلية أصول الدين وهو الأخ يوسف القرضاوي فألقى كلمة طيبة مفعمة بالإخلاص والحماسة ، ورحب بخطيب الليلة وقدمه إلى زملائه ورفاقه .

كلمتي أمام الشباب

وتكلمت بعده ، وقلت إن هذا العالم له طوران طور يتعلق بالخالق تبارك وتعالى لا دخل لنا فيه ، ولسنا مسؤولين عنه في قليل ولا كثير ، وهو طور الخلق والإيجاد ، فقد خلق الله هذا العالم كما يشاء وهو العليم الخبير صنع الله الذي أتقن كل شيء ولسنا مكلفين إلا بالتدبر فيه والاهتداء بالخلق إلى الخالق كما قال : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا ﴾ (الآية) [آل عمران : ١٩١] ولكن إذا كنا لسنا مسؤولين عن وضع هذا الخلق ، لماذا فرق النجوم ونثرها نثراً ، ولماذا تطلع الشمس من مشرقها وتغرب من مغربها ، والجبال لماذا وضعها هنا ولم يضعها هناك ، إلى غير ذلك من تفاصيل هذا الخلق .

---

(١) هو «الثقافة الإسلامية في الهند». وقد طبع مصححاً ومنقحاً في دار ابن كثير. بدمشق.

وطور نكلف به ونسأل عنه ، وهو تنظيم هذه الدار الواسعة التي بناها الله سبحانه وتعالى وشيدها لأجلنا ، تنظيماً ينسجم ويتسق مع غاية الخلق وحكمته ، والكليات التي تسمى الشريعة الإلهية ، فقد كلفنا بهذا التنظيم والترتيب والقيام على شؤون الدار ، وذلك باستخلافه لنا في هذه الأرض : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة : ٣٠] وجاء الأنبياء بعضهم على أثر بعض لينظموا هذه الدار ، ولينظموا الحياة فيها على إرادة الله سبحانه وتعالى ومرضاته ، وكان كل واحد حريصاً على إصلاح هذه الدار ، والمحافظة على نظامها ، حتى إذا حاول بعض المفسدين في الأرض إفساد هذا النظام ، وإحباط جهود المصلحين والعبث بالحياة ، قالوا : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ [الأعراف : ٥٦] وإذا أصرت أمة أو أسرة أو جماعة على هذا الإفساد وإيذاء هذه الدار ، استأصل الله شأفتها ولم يبال ، فكانت هذه الدار التي جعلها قراراً للأولين والآخرين ، وبقاء النظام الذي يسود فيها أهم وأعز عندهم من الأمم والجماعات والملوك ، فقال : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٤٥] . وتقدمت أمم وحضارات فنظمت هذه الدار على فكرتها وعقيدتها وتربيتها وعلمها ، والله سبحانه وتعالى يمنحهم هذه الفرصة والحرية ليبلوهم أيهم أحسن عملاً : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾ [الأنعام : ١٦٥] .

فشل المنظمون الآخرون وانتهى دورهم

ومن هنا كان دور الإغريق والرومان ، ثم المسلمين ثم الأوربيين وكل أبرز أحسن ما عنده ولم يدخر شيئاً ، وهذا دور الحضارة الغربية والفلسفة الأوربية وقد نثرت كنانتها ، وأفرغت جعبتها ، وأبرزت أجمل ما عندها ، ولا تستطيع أن تأتي بأحسن مما جاءت به ، فقد منحت فرصة طويلة وحرية كاملة في إبراز ما عندها وقد فشلت فشلاً تاماً وأفسدت في الأرض ، بل أفسدت الأرض وأفسدت هذه الدار .

لا يصلح هذه الدار ولا يبنيها من جديد
إلَّا اليد التي بنت الحرم ، والأمة التي تحتضن الحرم

وقد ظهر أنه لا يصلح هذه الدار ولا يبنيها من جديد إلَّا اليد التي بنت الحرم والأمة التي تحتضن الحرم ، وتولي وجهها شطره ، وقد أصبح الصراع منحصراً بين الحضارة الغربية وفلسفة حياتها بمعسكريها الديمقراطي والشيوعي وبين الدين الإسلامي والأمة الإسلامية ، وعلى الشبان أن يجاهدوا في هذه السبيل ، فعلى أكتافهم قامت كل حركة ودعوة حقاً ، ويتصور بعض الناس باطلاً الصحابة الذين على عواتقهم قام الإسلام ، ودعوته ، كانوا شيوخاً معتزلين عن الحياة ، وأن الحياة زهدت فيهم فأقبلوا على الإسلام ، لا بل كانوا رجال الحياة ودعائم المجتمع ، لذلك فزعت قريش وحسبت للإسلام كل حساب وقالت لما رأت إقبال العقلاء وخيار الشبيبة إلى الإسلام : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ [ص : ٦] .

أمثلة من الشباب المجاهدين

ثم ذكرت لهم بعض حكايات الشبان الذين ضحوا بحياتهم وإمكانياتهم ومستقبلهم الاقتصادي ونعيمهم وترفهم في سبيل الدعوة إلى الشيوعية ونشر مبادئها ، وكيف كان الواحد منهم وهو ربيب نعمة وسليل شرف يهجر الجامعة والوظيفة ويقوم على قارعة الطريق يبيع المجلات الشيوعية ويصرخ ، ويمر به زملاؤه أو أبناء أسرته ولا يستحي ولا يخجل ، وذكرت لهم ما فعله الشباب اليابانيون في سبيل وطنهم ومبدئهم .

وذكرت لهم أمثلة جميلة للتضحية والبطولة لبعض الشبان الذين صحبوا السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد من الهند إلى أفغانستان إلى حدود الهند الشمالية[1] .

---

(١) اقرأ كتاب العلامة الندوي « إذا هبت ريح الإيمان » للاستزادة من أخبار الإمام أحمد بن عرفان الشهيد .

وحكيت لهم قصة السيد موسى الذي جرح في وقعة مهيار وهو في الثامنة عشرة من عمره ، وقد غطى الدم رأسه وعينيه ووجهه ، وهو يلحس شفتيه ، ويحمد الله سبحانه وتعالى .

وطلب مني أحد الإخوان الحاضرين أن أحكي لهم حكاية مولانا يحيى علي العظيم آبادي ومحمد جعفر التهانيسري فحكيتهما ، قلت : لا بد من الاستعداد والتربية الدينية والخلقية والروحية والعلمية ، فإن الإسلام لا تقوم له قائمة إلا بالجمع بين العاطفة القوية والعقل الصحيح ، وأن النقص في الاستعداد والتربية يظهر في صورة مكبرة في المستقبل ، واستغرق كلامي نحو ساعة ، واستزادوني فزدتهم ، ثم طلبوا مني شرح منهاج الدعوة والحركة في الهند فصورت لهم الدعوة وشرحت تفاصيلها ومناهجها واستأنسوا كثيراً ، وأبدوا إعجابهم وإخلاصهم ، وكان كثير منهم قد قرأ كتاب (ماذا خسر العالم) .

الخميس ٢٤/ ٤/ ١٣٧٠هـ ـ ١/ ٢/ ١٩٥١م .

حديث مع الدكتور أحمد أمين
في موضوع (يوك) والتصوف

كتبت في الصباح مقدمة رسالة (بين العالم وجزيرة العرب) ، ثم توجهنا إلى الجيزة ، ووجدنا الدكتور أحمد أمين بك في انتظارنا ، وسألني الدكتور عن (يوك) فقلت : هو علم ذائع في الهند ، وعندهم تجارب طيبة في الرياضة البدنية ، والمحافظة على الصحة وتقوية الجسم ؛ أما الروحانية فهم يعتمدون في ذلك على تعذيب الجسم وتصفية النفس وقهر الشهوات والخروج من سلطان الطبيعة ، فيحبسون النفس لمدة طويلة إلى غير ذلك ، ولكن أغنانا الله عن هذا ومثله باتباع الشريعة والعمل بالسنة . ولاشك أن تصفية النفس لها آثار وعجائب ، وقد يتغلب الإنسان على الطبيعة ، ولكنها بالصناعة والبهلوانية أشبه منها بالولاية ، ولذلك آثر السادة الصوفية المتبعون للسنة تصفية القلب

على النفس ، وتطرق الكلام إلى التصوف والصوفية ، فعلمت أن الدكتور كانت له مشاركة في هذا العلم ، وقد تلقى دروساً من شيخ نقشبندي كان صيدلياً ، قلت : لا شك أن القوم لهم أذكار قلبية تفيدهم السكينة وقوة القلب .

بين حكيم وعارف !

قال الدكتور : قرأت في بعض الحكايات أن الشيخ الرئيس ابن سينا صادف مرة سلطان سعيد أبا الخير الصوفي المشهور على الباب فأقاما معاً ثلاثة أيام ، فلما افترقا سأل رجل ابن سينا عن أبي الخير فقال : هو يرى ما أعرفه ، وسئل أبو الخير عن ابن سينا فقال : هو يعرف ما أراه ، قلت : إلى هذا المعنى أشار الدكتور محمد إقبال بقوله عن العارف المحقق : إن سر الدين لنا خبر وله نظر ؛ هو داخل البيت ونحن خارجه .

من الكثرة إلى الوحدة

قلت : لا شك أن لباب التفكير والعلم وغايته الانتقال من الكثرة إلى الوحدة ، وهو قوة عظيمة وعلم عظيم إذا فتح على رجل نجا من تشتت الفكر والتجبر في الكون وعبادة المادة والأسباب ، وتوصل من الأسباب إلى المسبب قال : وكنت أقول في مجلس أصدقائي وزملائي أن العقل ليس هو المصدر الوحيد للعلم ، بل القلب كذلك مصدر من مصادر العلم ، ويلح بعض زملائي على أن العقل هو المصدر الوحيد للعلم ، قلت : للشيخ المجدد الشيخ أحمد السرهندي[1] كلام جميل في نقد العقل ، فمذهبه أنه لا يوجد ما يستحق أن يسمى العقل البريء الخالص ، ولا الكشف المعصوم عن الخطأ فكلاهما يتأثر بالخارج والمسلمات عند القوم والعادات والأهواء ، ويمتزج الباطل والحق من حيث لا يشعر الإنسان ، كالمرآة ينعكس عليها أشياء كثيرة .

---

(١) هو الإمام المصلح الكبير الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي (توفي ١٠٣٤هـ) انظر للاطلاع على حياته وآثاره الجزء الرابع من سلسلة العلامة الندوي « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » صدر عن دار ابن كثير بدمشق .

المصدر الصحيح الذي يوثق به هو (الوحي) والعلم الذي جاء عن طريق الأنبياء

والمصدر الصحيح الذي يوثق به هو الوحي والعلم الذي جاء عن طريق الأنبياء عليهم السلام .

ولم نزل نتكلم ونتذاكر ونحن نتمشى في حديقة الحيوانات حتى وصلنا إلى جزيرة الشاي ، ودعا سعادة الدكتور بالغداء وجلسنا على شاطىء البركة تحت شمسية نتفرج على البط السابح والماء الصافي ونتمتع بالمنظر الجميل ونستفيد بحديث الأستاذ الدسم ، قال : لا شك أن الإنسان يستطيع بالتصوف أن يقاوم مغريات المدنية الحاضرة .

معلومات عن السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده

قلت : أظن أن السيد جمال الأفغاني كان عنده شيء من هذا وأنه كان يشتغل بذكر القلب ، قال : وأظن أن الشيخ محمد عبده كان كذلك فكلاهما كانا زاهدين في الدنيا وماتا ولم يخلفا ثروة ، قلت : أو قد قرأت على الشيخ محمد عبده ؟ قال : حضرت له درسين ، وكان الشيخ محمد عبده عنده إيثار وسخاء ينفق ما يأتيه على أصحابه والفقراء ، وكان يسكن في بيت مبني من طوب نيء ، قال : وما تقول في وحدة الوجود ؟ قلت : المسألة عملية أكثر مما هي نظرية قال : وهو كذلك ، قال : قد يحصل للإنسان لحظات طيبة ، ولكنها لا تبقى ولا تدوم ، قلت : لو دامت لانقطع الإنسان عن الحياة ولم يعد يقدر على معالجتها ، قال : قد سمعت الناس تدوم لهم هذه اللحظات ، قلت : قد يكون ذلك إذا حصلت لهم ملكة راسخة .

الفرق بين القضاء والتعليم

وتنوع الحديث قلت : هل كانت لكم رغبة في القضاء ؟ قال : أبداً ، ولذلك اخترت التدريس في آخر يوم من أيام القضاء ، وذلك لأن القضاء تأتي فيه عائلات متخربة ، وفي التدريس تأتي أزهار تريد أن تتفتح .

وقال : كان لي أستاذ يقول إنما عقلك رياضي فكيف تشتغل بالأدب ؟ قلت : نعم ، ولذلك كان أدبكم متركزاً . قال : إنما أحب الترتيب المنطقي في الأدب ولذلك لا أتذوق الشعر لأنه لا يخضع للمنطق .

في قاعة الدكتور عبد الحميد سعيد بجمعية الشبان المسلمين

وفي الليل حضرنا محاضرة للأستاذ سعيد رمضان في قاعة عبد الحميد سعيد في دار جمعية الشبان المسلمين ، وكانت محاضرة حماسية طويلة استغرقت ساعتين وكان الموضوع « الجامعة الإسلامية » ، ومما لاحظته في هذه المحاضرة الطابع الديني للمحاضرة ، وكان أبرز وأجلى من الطابع العلمي ، وبذلك استدللت على أن الحياة في مصر تطورت تطوراً عظيماً ، وأصبحت الكلمة الدينية سائغة مقبولة بعدما كانت ثقيلة ، كذلك إقبال الشباب المتعلم على الدين ، فقد استمعوا إلى الخطبة زمناً طويلاً وكثير منهم واقفون ، وكان يقطع الخطبة هتافات عالية بالتكبير والتحميد وتصفيقات حارة .

الجمعة ٢٥/ ٤/ ١٣٨٠هـ ـ ١/ ٢/ ١٩٥١م .

وصادفنا صديقنا الشيخ أحمد عثمان ، قال : قد نزلت صاعقة في مصر . قلت : وكيف كان ذلك ؟ قال : طالب طلبة الجامعة بإعادة البغاء الرسمي الذي كان ألغي ومنع ، لأنه كثيراً ما تعرض الشباب للفتيات في الشوارع والطرق ولا علاج له إلا السماح بالبغاء ، وقدم إلى « آخر لحظة » ، وكان الصديق متأثراً جداً قد أخذته الحمية الدينية والثورة الإسلامية ، فصار يندد بعلماء الأزهر وقال : ألا يضربون في سبيل الدين والفضيلة كما أضربوا للدرجات والمساواة ؟ ألا يغضبون لله ولرسوله كما غضبوا لأنفسهم قلت : مهلاً يا سيدي الأستاذ فإن هذه المحاربات للإسلام والعبث بالأخلاق والوقاحة والتطرف ستدوم وتستمر وتتجدد ما لم يوجد عند الشعب روح دينية قوية وإباء ثائر من هذه المضحكات المبكيات .

يقظة الوعي الديني ووجود الروح الدينية في الشعب علاج حاسم للوقاحة والتطرف والمحاربات للإسلام

وما لم يستيقظ الوعي الديني في نفوس الجماهير وأفراد الشعب وما لم تصبح الأمة رقيبة للحكومة محاسبة لتصرفاتها وميولها الخلقية فكل علاج تلتجىء إليه هو علاج مؤقت قاصر ، ونحن نسمع تلاوة القرآن من محطة الإذاعة المصرية ونحن في السيارة فقلت : ما أعم القرآن وما أخصه وما أكثر سماعه ، وما أقل الانتفاع به والاهتزاز له ، وقد توجهنا اليوم إلى بلدة أوسيم بالريف .

زيارة الريف المصري

وكانت هذه أول مشاهداتي للريف المصري فما شعرت إلا وأنا في الهند ، وكأن الحياة التي كنا نشاهدها والأرض التي كنا نقطعها ليست لها صلة بالقاهرة ، هذه في غاية المدنية والرفاه والترف والنظام وتلك في نهاية الفقر والبؤس والإهمال .

وجود التفاوت العظيم في درجات المعيشة خطر عظيم

إن وجود هذا التفاوت العظيم في درجات المعيشة والمدنية والثقافة في شعب واحد وفي مسافة قريبة ـ بل تلاحظه في مدينة واحدة بل في حي من أحياء البلد ـ خطر عظيم على الأمة والبلاد ، وهو الذي يمهد الأرض ويفتح الطريق لثورات اقتصادية وموجات شيوعية ، ووصلنا إلى منزل الحاج عطية البهواشي فإذا هو قصر فخم جديد سمعت في القاهرة أنه أنفق عليه خمسة وعشرين ألف جنيه ، وخرجنا إلى المسجد وصلينا الجمعة ، وقد خطب وصلى بالناس صديقنا السيد علي محمود الشريف وأعلن عن خطبتي فقمت وتكلمت بما حضرني وفسرت سورة العصر ولم أنته من خطبتي إلا وانهال الناس عليَّ وتدافعوا ، وكل يريد أن يصافحني حتى خفت أن أسقط من الزحام .

الاحتفاء بالضيف المسلم في الريف

ودعوت الله أن يحقق ظنهم ولا يخزيني في الآخر ، وآمنت بنفوذ الدين وقوة سلطانه على القلوب والأرواح ، فأنا من الهند وهؤلاء من مصر لا تربطني بهم إلَّا رابطة الدين ، ولكنهم كانوا يقابلونني بإخلاص وروح لا يقابل بها غريب في بلاد على هذه الكرة الأرضية ، وماذا إلا بدافع الدين وقوته .

مواد خامة ضائعة

وخرجت متأثراً بما رأيت من احتفاء الناس بأخيهم المسلم وسلامة طبعهم وحسن نياتهم ، فحدثت الجماعة بهذا وقلت : أيها السادة عندكم مواد خامة من أحسن ما توجد في الدنيا ولكنها ضائعة مهملة ، لا تجد من يوجهها توجيهاً صحيحاً ، وينتفع بها ، وأيدني الأستاذ جلال بك وقال : تجولت في بلاد الشرق والغرب وكانت لي جولات في أوربا ، ولكن ما رأيت أحسن وأنظف وأصلح وأقوى روحاً وإيماناً من الشعب الذي يسكن في الأرياف ، ولكنا مصابون بمركب النقص وقد فقدنا الثقة بأنفسنا وأمتنا ، فلا نزال نستهين بقيمتها ونحتقرها ونجل الشعوب الأوربية ، والله ما رأيت عندها من النظافة وسلامة الطباع وقوة الإيمان والمواهب الفطرية ما رأيت عند المسلمين الفقراء والطبقات العامة في أريافنا ، وذكرته بتفصيل ودليل ، ثم تكلمنا في طرق الانتفاع بالشعب والجمهور ، فشرحت لهم طريق الدعوة الدينية في الهند والاتصال بطبقات الشعب وتعاون الطبقة المثقفة والمرفهة في سبيل نشر الدعوة والمبادىء الدينية ؛ في القرى والمدن وتخصيصهم بعض الأيام في الشهر والأسبوع للخروج في الرحلات الدينية ، وعزز الأستاذ جلال بك ما قلت فذكر مشاهداته في الهند والباكستان وما أثمرت هذه الدعوة في البلدين . ووجدت في الحاضرين رغبة في اتباع هذه الخطة في هذه البلاد ؛ ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً .

السبت ٢٦/ ٤/ ١٣٧٠هـ - ٣/ ٢/ ١٩٥١م .

زيارة الجامع الأزهر

رأينا من الجفاء أن لا نزور الأزهر ونحن جيرانه في السكنى ؛ وإن كان هنالك إضراب عن التعليم ، ولكن نتشرف ونقرُّ عيننا بزيارة الجامع الأزهر وما تيسر لنا زيارته من الأروقة والكليات والإدارة ، فذهبنا أولاً إلى الجامع ، ودخلنا في هذا المسجد التاريخي والمعهد العظيم الذي خرّج من الأئمة والمحدثين ، والفقهاء والمؤلفين الصالحين والدعاة إلى الله ، ما لم يخرج معهد آخر وجامعة أخرى في العالم الإسلامي فأنعم وأكرم بهذا المسجد الشريف وهذا المعهد العظيم . دخلنا في المسجد فتجددت لنا ذكرى العلماء السلف المخلصين ، الذين كانوا يجلسون على الحصير وعلى البساط المتواضع ، ويحكمون على الملوك وكانوا مخلصين لدينهم وعلمهم وأمتهم مجاهدين في سبيل الحق ، فما دخلت في المسجد إلا وشممت رائحة العلم ، وهبت علينا نفحة من نفحات الماضي السعيد تحمل معها أريج العلم والإخلاص والخشوع والزهد ، وسنرجع إن شاء الله إذا انتهى الإضراب وشرع في التعليم .

في إدارة الأزهر

خرجنا إلى إدارة الأزهر فإذا بها تشبه إدارة لدولة مستقلة ، فلم نزل ننتقل من غرفة إلى غرفة ، ونتصفح لوحاً بعد لوح ، حتى مررنا بلوح كان مكتوباً عليه « إدارة مجلة الأزهر » .

حديث مع الأستاذ محمد فريد وجدي

وهنا وقفت وتذكرت الأستاذ محمد فريد وجدي[1] الذي عرفته من أيام

---

(١) هو الأستاذ محمد فريد بن مصطفى وجدي ، من الكتاب الفضلاء الباحثين ، صاحب « دائرة المعارف » ، انتقل إلى السويس فأصدر مجلة « الحياة » تولَّى تحرير مجلة « الأزهر » نيفاً وعشرين سنة ، واعتزلها قبل وفاته بنحو عامين مخلداً إلى الراحة ، =

طلبي للعلم ، وقرأت له دائرة المعارف الإسلامية ومقالات كثيرة ، فأرسلت بطاقة زيارة ودعينا على أثرها ، قابلنا الأستاذ محمد فريد وجدي ورحب بنا ، ولما علم أننا من الهند ولنا اطلاع على مؤلفاته ومقالاته هش في وجوهنا وفرح بلقائنا ، وأخبرته أنه كتابه القديم (المرأة المسلمة) الذي ألفه في الرد على كتاب قاسم أمين (المرأة المصرية) قد نقل قديماً إلى الأوردية وقد نقله مولانا أبو الكلام آزاد[1] وزير المعارف في الحكومة الهندية في شبابه ، والترجمة تعد مثلاً جميلاً للترجمة وقطعة أدبية ، قلت : نعرف لكم فضل الجمع بين الثقافة العصرية والثقافة الدينية والدفاع عن الإسلام بسلاح العلم العصري والفلسفة الأوربية ، وقال : هي الطريقة الصحيحة لخدمة الإسلام في هذا العصر وبيان فضله ومحاسنه .

الفرق بين الثقافة الفرنسية والثقافة الإنجليزية

قلت : وثقافتكم إنجليزية أو فرنسية ؟ قال : فرنسية لكني أفضل اللغة الإنجليزية على الفرنسية ، قلت : لعلَّ الإنجليزية أقوى في العلم والفرنسية أقوى في الأدب والمعاني الشعرية قال : هو كذلك ، قلت : والشعب الإنجليزي شعب واقعي وشعب جد وصرامة ، قال : وعند الإنجليز إقبال

= وكان مترفعاً عن غشيان المجالس العامة ، قلما يُرى في حفل أو مجتمع يأنس بزواره في بيته ، وقل أن يزور أحداً أو يجيب دعوة ، توفي بالقاهرة سنة ١٣٧٣هـ .

(١) هو أحمد بن خير الدين ، أبو الكلام آزاد ، أحد كبار أعلام المسلمين وزعمائهم في الهند ، وعظام السياسيين في عصرنا الحاضر ، الهندي الأب ، العربي الأم والثقافة، لعب دوراً هاماً في تحرير الهند من الإنكليز ، أمضى أحد عشر عاماً في السجن ، ولم يصرفه عن هدفه في مقاومة الإنكليز ، بعد استقلال الهند تولى رئاسة البرلمان ، ثم وزارة المعارف في دهلي إلى أن توفي سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٨م) كان ـ رحمه الله ـ مع علمه وإتقانه في العربية يكتب تآليفه ومجلاته ومقالاته بالأردوية . وقد ترجم بعضها إلى العربية ، منها « من دلائل النبوة » ومن أعظم آثاره « ترجمة القرآن وتفسيره » .

انظر للاطلاع على ترجمته بكاملها كتاب المحقق « الإعلام بمن في الهند من الأعلام في القرن العشرين » .

أعظم على الجانب الروحي ودراسة له وسيشرق منهم النور في المستقبل ، قلت : لا مؤاخذة إنهم يعنون بالجانب الروحي كفن وصناعة ، وليسوا مخلصين جادين في دراستهم وفحصهم عن الحق ، وكأن الأستاذ وافق على ذلك .

ثم تحادثنا عن المسلمين في الهند ومستقبلهم قال : أرجو أن يوجد عند الهندوس إقبال على الإسلام في المستقبل ، قلت : أرجو ذلك .

وصادفنا عنده الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ناقل كتاب مفتاح كنوز السنة من أصله الهولندي إلى اللغة العربية ، وسأل عن الأستاذ الكبير السيد سليمان الندوي[(١)] وأثنى عليه خيراً وقال : تلقيت منه رداً لطيفاً على رسالتي وهديتي وشكر وأثنى على جهدي ، وأهديته كتابي ورحب بالكتاب ووعد بالاجتماع بنا يوم الإثنين في نفس الإدارة وإهداء بعض مؤلفاته .

ملاحظتي عن أروقة الأزهر

وصادفنا كذلك الأستاذ علي فكري أمين دار الكتب المصرية سابقاً مؤلف (السمير المهذب) وتعرفنا به ، وبعد الخروج من الإدارة زرنا كلية الشريعة

---

(١) هو الأستاذ العلامة المحقق السيد سليمان الندوي وكان من كبار علماء شبه القارة الهندية في هذا العصر ، تفوَّق في الحديث وتاريخ الإسلام . تخرَّج من دار العلوم ـ ندوة العلماء على جلة أساتذتها منهم علاًّمة الشرق الكبير المحقق البارع شبلي النعماني ، ولي القضاء في بهوفال ، وتولًّى مناصب علمية أخرى ، وأصدر مجلة « المعارف » ، انتقل إلى باكستان بعد استقلال الهند سنة ١٣٧٠هـ ، وتوفي بكراتشي سنة ١٣٧٣هـ .
ومن أبرز أعماله العلمية وأرفعها ذكراً إكماله لكتاب « سيرة النبي ﷺ » الّذي كان بدأ بتأليفه أستاذه العلامة شبلي النعماني ، وهذا الكتاب هو دائرة معارف في السيرة النبوية ، نشرت منه سبعة أجزاء ضخمة ، ومن مؤلفاته المشهورة بالعربية « الرسالة المحمدية » وغيرها عدة كتب بالأردوية . انظر للاطلاع على ترجمته بكاملها كتاب المحقق « الإعلام بمن في الهند من الأعلام في القرن العشرين » .

ومكتبتها بصحبة الأخ محمد الدمرداشي المتعلم في كلية الشريعة ، وزرنا أروقة الأزهر وساءنا عدم النظافة فيها وقلة النظام ، ومن رأيي أن هذه الأروقة تحدث في ساكنيها شعوراً بضعفهم وفقرهم وإجلالاً زائداً لحياة الكليات المدنية والجامعة ونظامها وأبنائها ، وذلك الذي يسمى بمركب النقص ، وليس هنا من روح الاعتزاز بالدين والعلم ما يقاوم هذا الشعور ، فأحسن أن تبني إدارة الأزهر أروقة لا تقل في نظافتها ونظامها عن الكليات العصرية والجامعة المصرية .

وفي العصر ذهبنا مع الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب لزيارة فضيلة الشيخ مصطفى صبري أفندي شيخ الإسلام للدولة العثمانية سابقاً ، ولكن لم نتمكن من زيارته فقد كان مريضاً ، فأرسلنا إليه نسخة من كتاب « ماذا خسر العالم » هدية والرسائل .

زيارة الشيخ محمد الكوثري

ومن هناك توجهنا إلى زميله وصديقه الأستاذ الكبير والمؤلف المشهور الشيخ محمد زاهد الكوثري فقابلنا بحفاوة وتواضع ، وذكَّرنا بتواضعه وانبساطه بعلماء الهند ، جلسنا نتحدث وكان الحديث معظمه يدو حول « سيرة النبي » للشيخ شبلي النعماني(١) والأستاذ السيد سليمان الندوي وترجمتها

(١) هو علامة الشرق ، المؤرخ الشيخ شبلي النعماني ، أحد كبار العلماء والأدباء والشعراء الّذين أنجبتهم الهند في هذا القرن العشرين ، ولد في قرية « بندول » من أعمال « أعظم كره » وتعلم في « رامبور » و « لاهور » و « سها رنفور » وحج فاتصل بكثيرين من رجال العلم ، وانتدبه مؤسس جامعة « عليكره » لتدريس العلوم العربية فيها سنة ١٣٠٠هـ ، فكان عوناً له على النهوض بالجامعة ، وصنف كتباً جليلة بالأردوية ، وبعضها بالعربية ، وشارك في إنشاء دار العلوم التابعة لندوة العلماء في لكهنؤ ، وأنشأ « دار المصنفين » في بلدته « أعظم كره » قبيل وفاته ، فأصدرت مئات من الكتب . توفي رحمه الله سنة ١٣٣٥هـ كان رحمه الله وثيق الصلة بالعالم الإسلامي ونهضاته السياسية والاجتماعية ، ومما كتبه بالعربية : « انتقاد تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان » و « الجزئية » . انظر للاطلاع على ترجمته بكاملها كتاب =

التركية وعن الأستاذ يوسف البنوري[1] والمخطوطات في الهند ، وأهدى إلينا مجموعة صالحة من مؤلفاته ومنشوراته ، ومع الأسف ما بقي لي ذوق ورغبة في المناقشات المذهبية والمباحثات وليس لي اطلاع واسع على ما كتب وقيل عن الأئمة وتهوين شأنهم والمنافحة عنهم ، وإلا كان مجلساً لطيفاً ممتعاً ، واستأذناه وأعجبنا من الأستاذ تواضعه وبساطته وسعة اطلاعه ونشاطه ، واشتغاله بالمطالعة والتأليف في هذه السن العالية والزمن الذي لا يقدر هذه الجهود العلمية .

الأحد ٢٧/ ٤/ ١٣٧٠هـ ـ ٤/ ٢/ ١٩٥١م .

زيارة محكمة الجنايات وشهود قضية الإخوان

جاء الأخ عبد الله عقيل العراقي وذهبنا معه على حسب ما كان تقرر قبل إلى محكمة الجنايات ، وفيها اليوم مرافعة الأستاذ سعيد رمضان عن المتهمين في قضية الإخوان المسلمين ، وقد أحببت أن أشهد قضية في محكمة مصرية ، فإنها ناحية من نواحي الحياة والوضع الإداري في البلاد ، وصلنا إلى المحكمة ففتش الحرس جيوبنا وأذنوا لنا بالدخول ، ورأينا في غرفة المحكمة جماعة كبيرة من الطلبة والشبان والسيدات والمحامين ، وسمعنا من الضباط والحرس من كلمات الترحيب ما لايمكن أن نسمعها في محاكم بلادنا التي لا بد أن يكون جوها رهيباً كالحاً ، بالعكس من ذلك سمعنا بعض الحرس يقولون : « حلت

= المحقق « الإعلام بمن في الهند من الأعلام في القرن العشرين » .

(١) هو العلامة الكبير ، الفقيه ، المحدث ، العالم الموسوعي الشيخ محمد يوسف البنوري ، كان من أكبر تلاميذ العلاّمة أنور شاه الكشميري ، هاجر إلى باكستان بعد انقسام الهند كدولتين (الهند وباكستان) ، فاستقر بكراتشي ، وأسَّس مدرسةً إسلامية ، تُعدُّ اليوم من أكبر مدارس باكستان ، توفي سنة ١٩٧٧م .
له مؤلفات نفيسة في شتى الموضوعات ، ومن أشهرها : « بغية الأريب في مسائل القبلة والمحاريب » و « كتاب الوتر » و « يتيمة البيان في شيء من علوم القرآن » و « معارف السنن » شرح جامع الترمذي .

البركة » ويقولون : هؤلاء ضيوفنا ، ولا شك أن الطبيعة العربية فيها شيء من المرح وخفة الروح لا يفارقها ، ورفعنا أبصارنا فرأينا لوحة على الجدار على رأس من يجلس على المنصة من القضاة والمستشارين فيها قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النساء : ٥٨] . فقلت : ليت كان هذا أساس الحكم وشعار المحاكم ودستورها في الأقطار الإسلامية ، وليت كان هذا نصب عين الحاكمين لا خلف قفاهم كما هو الواقع ، وجاء حضرات المستشارين وهم ثلاثة فجلسوا على المنصة وهم في بذلتهم القضائية ، وجاء المتهمون فدخلوا في قفص الجناة والمتهمين .

مرافعة الأستاذ رمضان وتأثيرها

جلس ممثل النيابة في جانب ، ووقف الأستاذ سعيد رمضان موقف المرافع وأدلى بقضيته في خطابة مؤثرة وشجاعة نادرة ، وذكر قصة استخلاف آدم وخروجه من الجنة والصراع القديم بين الحق والباطل وتعاليم النبوة ونزغات الشياطين ، ثم ذكر الخلافة الإسلامية وشبابها ثم وهنها وشيبها والزحف التتاري والغارة الصليبية ، ثم ذكر الصليبية الأوروبية في القرن التاسع عشر والاحتلال الأوربي ، ثم تدرج إلى ذكر الصليبية اليهودية ونواياها وخطرها على الإسلام ثم نهضة الإخوان المسلمين ورباطهم أمام هذا الخطر الداهم ووقوفهم موقف المجاهدين لا موقف الثائرين المجرمين معززاً ذلك كله بالآيات والأحاديث الكثيرة التي كان يستشهد بها فيتحول الجو القضائي إلى الجو الديني وترق القلوب وتخشع ، وينسى الناس أنهم في محكمة ويتصورون وكأنهم في وعظ ديني أو حفلة سياسية ، وذلك يدل على قوة المحامي وإيمانه ، وتقلب الجو وتأثره بحركة الإخوان ، ولما خاطب المحامي العدل والرحمة في نفوس حضرات المستشارين وأراد أن يحرك الإيمان والشعور الديني فيهم ـ وهم طبعاً مسلمون ـ تأثر الناس وتحركت النفوس حتى إذا وجه خطابه إلى المتهمين وأوصاهم بالاستقامة والصبر وتلا عليهم الآيات والأحاديث في هذا المعنى فاضت العيون وعلا النشيج في بعض الجوانب ، خصوصاً السيدات وخرجنا من المحكمة متأثرين متعجبين مما رأينا وسمعنا .

مع الشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا والد المرشد العام

وكان من لطيف المصادفات أنا ذهبنا بعد زيارة المحكمة إلى الشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا الساعاتي والد فضيلة الأستاذ حسن البنا ، وكنا نعرفه في الهند كمؤلف « الفتح الرباني » وخادم للحديث الشريف ، ثم سمعنا أنه والد الأستاذ البنا ، وإذا كان كثير من الناس اشتهروا بآبائهم فمنهم من اشتهر بابنه ، ووصلنا إليه وطرقنا بابه فخرج الشيخ وقد نالت منه السن والحوادث وأضنته المطالعة والتأليف ، وأخذنا في حجرة مكدسة بالكتب ، ثم اطلعنا على ترتيبه لمسند الإمام الشافعي كترتيبه لمسند الإمام أحمد بن حنبل وخدمته لمسند أبي داود الطيالسي وقد حصلت نسخة مطبوعة في الهند ، وأطلعنا على كلامه في علماء الهند واعترافه بجهودهم وإخلاصهم للعلم وثنائه العاطر عليهم وتفضل فقدم إلينا القهوة العربية وشربناها .

والد المرشد العام يحكي قصة ولده العظيم

قلت لفضيلته : نريد أن نسمع منكم شيئاً عن فقيد الإسلام ولدكم الشيخ حسن البنا رحمة الله عليه ، وكيف كان في صغره وشبابه وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر : ١٤] فقال حباً وكرامة ، ثم أفاض في سيرته وأجال ، قال : لم يولد لي ولد مدة حتى اشتقت إلى الولد فدعوت الله سبحانه وتعالى أن يرزقني ولداً ذكراً صالحاً ورأيت ولداً صغيراً يصلي فأعجبني فقلت : ويصلي كما يصلي هذا ، وأن ينبته الله نباتاً حسناً ، فولد لي ولد ذكر وسميته الحسن لأني لما تزوجت خاطبت والدتي زوجي بقولها : يا أم الحسن ، ولما بلغ الرابعة من عمره أدخلته في كتَّاب ، ولم يزل ينتقل من كتَّاب إلى كتَّاب حتى حفظ القرآن إلَّا ثلاثة أجزاء بقيت له ، وأردت أن أدخله في مدرسة المعلمين الأولية في دمنهور ، وهي لا تقبل إلَّا من حفظ القرآن فدعوته يوماً وكان ولداً باراً طيعاً ، فقلت : يا ولدي قد عزمت على أن أدخلك في مدرسة المعلمين ولكنك لم تكمل حفظ القرآن بعد فماذا ترى ؟ قال : يا أبت افعل ما تريد وأنا طوع أمرك ، فقلت هات اللوح وبدأت أكتب له القرآن

وهو يحفظ حتى حفظ الثلاثة أجزاء في مدة قريبة ودخل المدرسة ، وكان مقبلاً على العبادة وهو لم يبلغ الحلم يصوم ثلاثة أشهر رجب وشعبان ورمضان ، فقلت له : يا ولدي إنك لم تبلغ بعد ولم يفرض الله عليك الصوم ، فلماذا تجهد نفسك ؟ فقال يا أبي إن لي رغبة في الصوم ولا يشق علي فتركته ، وكان يحضر درسي في المسجد وكان نشطاً للعبادة وأقوى عليها من كثير من الكهول والشيوخ ، وكانت له رغبة في بذل النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن غريب ما وقع له أنه كان يتفرج مرة على نهر في المحمودية فرأى سفينة فيها تمثال لامرأة عارية فذهب إلى رئيس الشرطة وقال لا يليق هذا التمثال ويتفرج على النهر كثير من الشبان والفتيات ، فلا بد من كسره وإزالته فضحك الرئيس وأراد أن يتخلص منه فأرسل معه شرطياً وقال له إذا اقتنع صاحبه ورضي بكسره فاكسره وهو يعلم أنه لا يرضى فذهب وأفهم صاحب التمثال وأقنعه بأنه حرام وغير لائق فكسره ، وكان هنا رجل صالح من مشايخ الطرق ومن العلماء المتبعين فأوصيته بمجالسته فكان يجالسه حتى تشبع بحبه وانتفع به ، ولما كان في السنة الأخيرة من المدرسة انتظمت دار العلوم في القاهرة وأدخلت فيها العلوم العصرية مع العلوم العربية التي كانت دار العلوم ممتازة فيها ، فرأيت أن أحوله إليها لمكانتها العلمية وشهرتها وكلمته في ذلك ، فاستقر الرأي على أن يتم هذه السنة في مدرسة دمنهور ويستعد لدار العلوم ، فقال : عليك يا أبي أن تعدني في العلوم النقلية من الحديث والفقه وغيرها ، وعلى أن أستعد بنفسي في العلوم الرياضية ، وهكذا كان ، وسافر إلى القاهرة وفي ليلة الامتحان كان خائفاً جداً من جهة علم الجبر[1] ، فكان يشعر بضعف فيه ويخاف أنه إذا اختبر فيه فإنه يرسب ، وغلبته عينه فرأى شيخاً يقول له : هون عليك يا حسن فإني أخبرك بما ستختبر فيه وأخذه وذهب إلى نهر وعبر به إلى شاطىء آخر ، وعين له صفحة من الكتاب ، وقال عليك بحفظها وفهمها ، قال الشيخ أحمد عبد الرحمن : كان ولدي حسن يحلف بالله أنه لما استيقظ وجد قد حفظ هذا الدرس ، وذهب إلى الاختبار فوجد نفس

---

(١) قد ذكر الإمام البنا عليه رحمة الله في مذكراته أنه كان علم النحو والصرف .

الدرس فنجح بسهولة ولم يزل يطلع الأول ويبرز في كل امتحان حتى حسده وحقد عليه زميل كان من نفس بلدته وهو أكبر منه بعشر سنين ، فجاء بالنفط والسم وأراد أن يلقي النفط في عينه ليعمى والسم في فمه ، ولكن طاشت يده فوقع النفط على جبهته وأخطأ السم موضعه كذلك ، فقام الحسن مذعوراً جريحاً متألماً وتحقق بعد ذلك أنه عمل زميله فلان ووصلت القضية إلى الشرطة ، ولكن شفع للمجرم بعض الشيوخ فعفا عنه حسن ، قال أريد أن أؤخر هذه الحسنة عند الله وأسامح المجرم شكراً لله تعالى على خلاصي من مكيدته .

وبرز حسن في الامتحان ونجح بتفوق وامتياز وعين مدرساً في الإسماعيلية وقام بالدعوة هناك وأسس جمعية الإخوان المسلمين ، وكان يزور المساجد والقهوات فيلقي محاضرات وخطباً دينية ، ويدعو إلى الدين وينكر على المناكير ، ونشطت الدعوة واتسعت دائرتها حتى خصصوا لها داراً واسعة وانتقل من الإسماعيلية إلى مديريات أخرى فكان في الإسكندرية وفي السويس بل وفي كل مكان وموضع داعية نشيطاً يؤسس جمعيات الإخوان وينظم الدعوة ويلقي محاضرات حتى انبثت فروع الجمعية في القطر المصري ، وكان لها من النفوذ والشوكة والتأثير في الحياة والأخلاق ما تعلمونه .

ثم عني ولدي حسن بالصناعات والتنظيم ورأى من احتلال الأجانب الاقتصادي في هذه البلاد وامتصاصهم لدم الشعب واحتكارهم للصناعات والتجارة والمناجم ما دفعه إلى تأسيس مصانع وشركات ، ودرب المهندسين الذين يشتغلون في المناجم ويغنون الشعب عن الأجانب ، حتى أفزع ذلك الجاليات الأجنبية والشركات الأوربية فأصبحت تدبر له المكيدة وتبيت الخطط لإسقاط جمعية الإخوان المسلمين وحلها ، ووقع خلاف بين الجمعية والنقراشي باشا رئيس الوزارة في ذلك الحين وعارضه الإخوان حتى طلب منه الملك أن يقدم استقالته فاستقال ، فكان ذلك من أقوى الأسباب في حقد النقراشي على حسن وجمعيته ، ثم جاءت هذه الوزارة مرة ثانية حين جاءت حرب فلسطين وحلت الجمعية ، ووقع ما وقع من اغتيال النقراشي وشهادة حسن مما تعلمونه ويعلمه الجميع .

قص الشيخ قصة ولده العزيز وفلذة كبده بكل وقار وسكينة ، كأنه يحكي قصة من قصص التاريخ ، وعجبنا لهذه الرجولة والإيمان ، فقد احتسب ولده في سبيل الدعوة والجهاد وتحمل هذه الفاجعة في صبر المؤمن وجلادة المجاهد ، وتذكرت بيتين تمثل بهما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في مثل هذه المناسبة :

فإن تسأليني كيف أنت فإنني صبور على ريب الزمان صليب
يعز علي أن ترى لي كآبة فيشمت عاد أو يساء حبيب

حديث مع علوبة باشا

وفي الساعة الرابعة توجهنا إلى معالي محمد علي علوبة باشا وقد اجتمعت بمعاليه في سنة ١٩٣٣م في لكهنؤ ، وقد جاء في زيارة للهند مع سماحة المفتي أمين الحسيني وزار دار العلوم التابعة لندوة العلماء ، وكنت أتردد عليه في لوكاندة « برلنجتن » وأنا شاب في العشرين سنة من عمري ، زرناه في منزله في مصر الجديدة ، فرأيته أقوى صحة وأكثر نشاطاً مما رأيته قبل ثمانية عشر عاماً فلا أدري هل أنا متوهم أو هو الواقع فقد سمعت أن معاليه قد سافر إلى أمريكا وتعالج هنا ، وخرج يتوسم في كأنه يتذكر شخصاً آخر وذكر زيارته لدار العلوم وسأل عن أحوالها وعن أحوال المسلمين ، ثم بدأ يذكر جهوده ومشاريعه في باكستان وتوجيهاته لحكومته في إيجاد الصلات الثقافية والدينية بين مصر وباكستان ، ومشروع تأسيس المدارس العربية في باكستان على نفقات الحكومة المصرية وفي الهند كذلك .

رأي علوبة باشا في باكستان ومسلمي الهند وأندونيسيا

وقال : إن كان هناك أمل فهو في باكستان ومسلمي الهند وإندونيسيا ، هذه هي الأقطار التي توجد فيها الروح القوية والشعور الديني والأمة العظيمة ، ورأيته قليل الأمل ضعيف الثقة بالأقطار العربية ، لا يعتقد أن هناك جداً وإخلاصاً كثيراً للوحدة والجامعة ، قال والأقطار الشرقية التي ذكرتها مع أهميتها وقوتها وعمرانها الفائق تنظر إلى مصر كزعيمة العالم الإسلامي ، وهذا

وزير معارف باكستان يقول في مصر وهو وزير دولة فيها أربعة أضعاف ما في مصر من المسلمين : إن مصر زعيمتنا في الدين والعلم ، فكنت أرى من مصلحة مصر وسياستها الحكيمة أن ترتبط ثقافياً ودينياً بهذه الأقطار الإسلامية الناهضة وتأخذ مكانتها اللائقة في حلقتها ، وعلى حكومة مصر أن تحقق هذه الأمنية وتوجد هذه الرابطة ، وخرجنا من عنده وصلينا المغرب في « جراش » الأستاذ إسماعيل ، ورجعنا على سيارته إلى العتبة الخضراء .

الإثنين ٢٨/ ٤/ ١٣٧٠هـ ـ ٥/ ٢/ ١٩٥١م .

ذهبنا على الميعاد إلى إدارة الأزهر وقدمنا نسخة من « ماذا خسر العالم » إلى الأستاذ فريد وجدي وطلبنا منه إبداء رأيه في مجلة الأزهر فوعد بذلك ، وقلب صفحات الكتاب وتصفح فهرسه فأبدى إعجابه ، وبعد قليل جاء الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي وأهدى كتابه « تيسير المنفعة بكتابي مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي » نسخة إلى كاتب هذه السطور ونسخة إلى الأستاذ الكبير السيد سليمان الندوي .

مقابلة الشيخ محمد الغزالي

كنت حريصاً على الاجتماع بالشيخ محمد الغزالي وهو من شخصيات الإخوان البارزة ، وأحد كتَّاب النهضة الدينية في مصر ، وقابلت مؤلف « الإسلام والأوضاع الاقتصادية » و « الإسلام والمناهج الاشتراكية » و « الإسلام المفترى عليه » و « من هنا نعلم » . قابلت الرجل الذي يغذي جماعة الإخوان بالغذاء الفكري والروحي الصحيح ، والأدب الإسلامي الدسم ، وسررت لهذه المقابلة لأني رأيت فيه رجلاً صالحاً مثقفاً نشيطاً صاحب قلب حي وعقل نيِّر ووجه يفيض بالبشر ، ورأيت أن كلاًّ منا يعرف صاحبه عن طريق الكتب والرسائل ، ويرى في هذه الكتب صورة أفكاره ومبادئه ، وكان عنده عظة في الأزهر ، وكان الشيوخ ووعاظ الأزهر يذيعون الخطب الدينية بمناسبة مولد سيدنا الحسين فصاحبناه .

الاحتفال بمولد الحسين رضي الله عنه

مصر تحتفل في هذه الأيام بمولد الحسين رضي الله عنه ، فلا ترى في القاهرة إلا الأضواء ، والأزهار ، والحلوى والحفلات ، فهاهنا رجل يقسم الخبز على الفقراء ، والناس من الفقراء وغير الفقراء يتدافعون ويتزاحمون للحصول عليه ، وهنا حفلة مزخرفة ودكاكين زينت وشوارع أنيرت ، وترى في كل ناحية من نواحي القاهرة جموعاً ووفوداً من الأرياف هم « ضيوف سيدنا الحسين » جاؤوا للتَّمتع والتفرُّج على العيد المزعوم للشهيد المظلوم ، ومنهم من جاء لزيارة مدفن رأسه ، ولا يهمهم بل لا يهم كثيراً من أهل العلم في هذا البلد كيف وصل رأس الحسين إلى القاهرة ومتى جاء ومن جاء به وهل لهذه الشائعة أصل تاريخي أو لا ؟ بل يكفيهم مجرد ما ذاع في الناس واشتهر ، يبنون عليه دينهم ، بل يروون في ذلك قصة غريبة ، وهي أن امرأة قتلت ابنها وقطعت رأسه ووضعته مكان رأس الحسين وجاءت برأس الحسين إلى مصر لتشرفها به ، فالمصريون يعرفون لها هذا الفضل ويزورونها كذلك ، وهي مدفونة بقرب من مدفن رأس الحسين .

الثلاثاء ٢٩/ ٤/ ١٣٧٠هـ ـ ٦/ ٢/ ١٩٥١م .

أصبحت اليوم غير نشيط واشتغلت في الليلة بكتابة مقالة « اسمعي يا مصر » وملكت علي فكري فأصابني من الأرق ما قد يصيبني إذا شغل فكري بشيء ، ونمت متأخراً واستيقظت ولم أقض حاجتي من النوم .

صلتي بصحيفة « الفتح » وصاحبها

توجهنا عصراً إلى الأستاذ محب الدين الخطيب صاحب الفتح إلى جزيرة الروضة ، ومعرفتنا بالفتح وصاحبها قديمة مضى عليها نحو عشرين سنة يوم كنا تلاميذ عند الأستاذ الكبير السيد تقي الدين الهلالي المراكشي[1] (الآن

---

(١) هو العلاّمة الدكتور محمد تقي الدين عبد القادر الهلالي الحسيني المغربي ، من كبار علماء العربية في هذا العصر ، وأصحاب التحقيق والإتقان في صحة الكلمات العربية=

الدكتور الهلالي) وكانت الفتح تأتينا في مكتبة الإصلاح بنادي الطلبة وفي بيتنا وكانت صحيفة عزيزة عظيمة عندنا ، وكان يكتبُ فيها يومئذ الأمير شكيب أرسلان والأستاذ الهلالي ، وتشرفت أنا وزميلي الأستاذ مسعود الندوي بالكتابة فيها ، ونشرت لي مقالات في تلك الأيام منها « لسان العصر » نقلت فيها إلى العربية شعر السيد أكبر حسين الإله أبادي شاعر الهند المعروف في نقد الحضارة الغربية في أسلوب أدبي ساخر ، وقد نشرت الفتح هذه المقالة تباعاً في أعدادها ، وكنت قرأت للسيد محب الدين كثيراً ، وقرأت أجزاء الحديقة التي أطلعتني على أمثلة جميلة للأدب العربي الإسلامي المعاصر ، وتعرفت بها بكثير من الأدباء الناهضين وكذلك مجلدات الزهراء .

مع الأستاذ محب الدين الخطيب ورأيه في بعض الأدباء ومشاهير الكتّاب

وصلنا إلى جزيرة الروضة وهي في أقصى البلد واجتمعنا بالأستاذ محب الدين . أذكرني الأستاذ محب الدين بزمن كان الشباب فيه غضاً طرياً وثوب العمر أبيض نقياً : قلت ما بال الفتح ؟ قال أوقفتها من يوم أصبح حامل المصحف في هذا البلد مجرماً يفتش ويعاقب ، يشير إلى مطاردة الإخوان وتفتيشهم ، وجلس يذكر عدم اندماجه في هذا المجتمع وغربته في البلد ،

= وأصالتها وقواعد اللغة العربية ، ومن أقوى الناس إنكاراً على التعبيرات المستحدثة المنقولة من اللغات الأجنبية ، كان يرجع إليه أمير البيان المرحوم الأمير شكيب أرسلان والعلامة السيد رشيد رضا المصري صاحب مجلة « المنار » ويتحاكمان إليه عند الاختلاف في صحة التعبير العربي . (انظر « السيد رشيد رضا » ، أو إخاء أربعين سنة للأمير شكيب أرسلان) . وكان في إحدى قدماته مقيماً في مدينة بنارس (في الهند) فاستدعاه الدكتور عبد العلي الحسني (مدير دار العلوم لندوة العلماء) بعد ما عرف فضله ومكانته في العلوم العربية ، ليكون أستاذاً للأدب العربي في دار العلوم ، فأجابه إلى ذلك ، ومكث في دار العلوم زهاء أربع سنوات (من سنة ١٣٤٩هـ إلى سنة ١٣٥٢هـ) وأفاد ما لا يفيده كثير من المعلمين في مدة أطول من ذلك .

وذكر الشيخ أحمد عثمان رغبتي في الاجتماع ببعض الأدباء ومشاهير الكتاب فانتقدهم من ناحية متانة الخلق وسلامة الدين ، وقال إن أبلغ تعبير عنهم أنهم « ممثلون » ونجاح الممثل وبراعته أن يقوم بحصته التي أسند إليه تمثيلها بأمانة ومهارة ، فإذا أريد منه أو أراد أن يمثِّل الملك مثَّله بكل دقة حتى يخيل إلى الناظر أنه ملك لا شك فيه ، كذلك الأدباء إذا أريد من الواحد منهم أن يؤلف كتاباً في فلسفة القرآن يؤلفه بكل لباقة وبلاغة ، كذلك يؤلف كتاباً في حياة محمد ﷺ ، وبتلك المهارة ونفس الإبداع يؤلف كتاباً في سيرة ملك من ملوك الدنيا يريد أن يرضيه أو ينال منه خيراً ، وكذلك يكتب رواية وكتاباً لا يتفق ومبادىء الإسلام وروح الدين ، وقد أخبرني بعض من أثق به عن حديث دائر بينه وبين أديب كبير يكتب في موضوعات إسلامية ، قال فيه : « لو جاء محمد ﷺ إلى مصر يريد أن يطبق فيها نظام الإسلام كاملاً لكنت أول من يخرج لمحاربته » (كذا) والذي قاله السيد محب الدين هو تصوير صادق مع الأسف ومنطبق على كثير من الأدباء الذين اتخذوا الكتابة في الموضوعات الإسلامية حرفة وصناعة . ليس في مصر بل في كثير من بلاد الإسلام .

أطلعني السيد محب الدين على الملازم المطبوعة لمقالتي « لسان العصر » فسررت لرؤية هذه المقالة القديمة التي كدت أنساها كما يسر إنسان بزيارة صديق قديم كاد يقطع الرجاء منه ، وأخبرني أنه مستعد لنشرها فإن ما بقي للطبع قليل جداً ، قال أحد رفاقنا : هل لكم رغبة في التفرج على مولد سيدنا الحسين ؟ قلت مداعباً : لا بأس إذا كان معنا شيخ متبع للسنة كاره للبدعة مثلكم ! أردت أن آخذ فكرة لهذا العيد الذي تحتفل به مصر هذا الاحتفال العظيم وأدرس الحالة الدينية في هذه البلاد .

زيارة الاحتفال بمولد سيدنا الحسين

خرجت مع الشيخ أحمد عثمان أولًا إلى حفلة عقدتها « لذكرى الإمام

الشهيد أبي عبد الله الحسين » شركتا أتوبيس الشرق والصعيد بقبة الغوري ، وكنا سمعنا أن الشيخ الصاوي[1] شعلان ينشد قصيدة فيها ، دخلنا في الحفلة فوجدنا الحاضرين قليلين والزينة والزخارف كثيرة . تقدم أولًا الشيخ عبد الصمد خليل الوراق وقرأ آيات من القرآن ، والأصوات متزاحمة ، والإذاعات كثيرة ، فهاهنا قارىء يقرأ ، وهنا في خارج الحفلة قارىء يقرأ ويذاع صوته ، فلا يحصل الاستماع فضلاً عن الخشوع ، ثم تقدم الأستاذ الشيخ حسن صفر مفتش الوعاظ في الأزهر ، فخطب في موضوع « فوائد الذكرى » وخرجنا منكسفي البال مشوشي الخاطر من الضجيج والأصوات وغلبة التقاليد والأوضاع على الاعتبار والذكرى ، وأردنا أن نعود إلى ميعاد الشيخ الصاوي شعلان .

وتوجهنا إلى مسجد سيدنا الحسين والطرق كلها مكتظة بالسابلة وزائري المسجد والمتفرجين حتى خفنا على أنفسنا من الزحام ، فأخذ بعضنا بيد بعض ، وعلى مشقة وجهد قربنا إلى المسجد فوجدنا حلقة ذكر قائمة على الشارع هي بفرقة رياضية أشبه منها بجماعة أهل الذكر ، وسمعنا أنهم من المنتسبين إلى بعض الطرق ، قال الشيخ عثمان : سنرجع إليهم ، وتقدمنا إلى « أم الغلام » المحسنة التي جاءت برأس الحسين رضي الله عنه ، كما يعتقد كثير في مصر ، ومررنا في طريقنا إليها بكل نوع من أنواع الملاهي والبهلوانية ، وكل صنف من أصناف الدكاكين والباعة ، والزحام لا حد له ، والأصوات والغلبة لا نهاية لها ، وفيها من يجري في وسط الزحام بنار مشتعلة لا يبالي بالحريق ، ويدخل شبان فيدفع بعضهم بعضاً حتى يكون قطار يشق طريقه في هذا الزحام ، وهنا شممنا رائحة الخمر ورجعنا أدراجنا ، ووصلنا

---

(١) كان من كبار الكتاب والشعراء « في مصر » توفي في ١٢ تشرين الأول عام ١٩٨٢م ، من آثاره « فلسفة إقبال والثقافة الإسلامية في الهند » .

إلى باب المسجد فرأينا حلقة ذكر قائمة ، ورأينا حركات مجهدة وهي في ذلك يذكرون « الله » ويخرجون النفس من أنوفهم بقوة لا يقدر عليها ضعيف ، وينحنون إلى نصف القامة ثم يقفون كبعض الأعمال الجمبازية ، وشيخ الحلقة وهو شاب محلوق اللحية لابس طربوشاً ينشد قصيدة لأحد أصحاب الطرق في الزجل وفيها ما معناه : « لو وضعت سري على الجبال لصارت دكاً ، ولو وضعت سري على البحار لأصبحت قاعاً صفصفاً ، ولو وضعته على ميت لعاش بإذن مولى الموالي » أو ما يقرب من معناه ، وبينا نحن في ذلك وحركة الذكر قائمة على قدم وساق ووطيسه حام ، إذ تواجدت امرأة مسنة فعانقت الرجال وغلبت على أمرها وسمعت واحداً يقول « تحب النبي » وسمعنا أنهم أصحاب الطريقة الثناوية الأحمدية ، ورأينا في ركن من أركان المسجد حلقة ثانية قالوا هذه الطريقة البيومية .

تألمنا من هذه المشاهدة

وخرجنا من هناك نشق طريقنا بكل صعوبة ومشقة بين الزحام ، ومررنا بدكاكين نظم أصحابها وهم في تجارتهم حفلات صغيرة ، وجاؤوا ببعض القراء أو المغنين ، والوعاظ يظهرون فنهم وبراعتهم ويتلون الآيات أو ينشدون الأبيات أو يحكون الحكايات في نغمة موسيقية ونبرات ، والناس يطربون ويستزيدون ويستعيدون ، ورجعنا مجهدين متعبين متألمين من هذا الوضع الذي لا يرضاه الدين ولا يقبله العقل ، ولا توافق عليه المدنية والمروءة ويمجه الذوق ، وتذكرنا قوله تعالى : ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ﴾ [الأنعام : ٧٠] ومما يزيدنا أسفاً وعجباً أن كل ذلك واقع على بضع خطوات من الأزهر .

مع الشيخ محمد الغزالي

غرة جمادى الأولى سنة ١٣٧٠هـ ـ ٢/ ٢/ ١٩٥١م يوم الأربعاء .

وذهبنا إلى الشيخ محمد الغزالي ، قابلنا الأستاذ بحفاوة ومحبة ، وجلسنا نتحدث وكان الحديث متنوعاً شاملاً لموضوعات علمية دينية ، وقد ذكرنا بعض المؤلفين الذين طعنوا في الوضع الإسلامي وثاروا في كتبهم على روح الإسلام ومبادئه وأساسه ، وقد عاشوا في البيئة الدينية وتلقوا التعليم الديني ، قلت : ما هو السبب والداعي لرد الفعل ؟ أذلك يرجع إلى أحوال شخصية وحوادث تتصل بحياة هؤلاء المؤلفين وتجاربهم وعواطفهم كما هو الواقع في مثل هذه الأحوال في كثير من البلاد ؟.

الثورة على الدين مردها في كثير من الأحوال إلى سوء معاملة رجال الدين وضعف أخلاقهم وفساد المجتمع

وافق على ذلك الشيخ الغزالي وقال : أعرف رجلاً من هؤلاء المؤلفين وهو صديقي وزميلي في الأزهر كان من أعضاء جمعية دينية وفرداً في أسرتها ، وكان يعيش عيشة ضنكاً وإخوانه الدينيون يعيشون حياة رغد ورفاهية ، فلم يساعده أحد بمال ولم ير من كبيرهم ولا صغيرهم مواساة وبراً وعطفاً إنسانياً فضلاً عن عطف رفقة وزمالة ، فساء رأيه في المجتمع الديني ورجاله ، واعتقد أنه إذا ساد الإسلام وطبق نظامه كان رئيس هذه الجماعة أو مثله وزير الخارجية أو وزير المالية ففضل أن يكون رجل لا ديني وزير الدولة مكان هذا الشيخ الديني الذي لم ير منه أخلاقاً عالية وإنسانية سامية ! وما قاله الشيخ الغزالي هو منطبق على كثير من الأدباء والأذكياء الذين ولدوا وعاشوا في محيط ديني ثم ثاروا عليه ، فإن الرجل إذا كان قوي الشعور مرهف الحس ثم ابتلي بمثل هذه التجارب القاسية أحدثت فيه رد فعل عنيف وثورة فكرية هائلة ، وهذه قصة ماركس مؤسس الفلسفة الشيوعية وكثير من الثوار .

وتطرق الحديث إلى التعليم الجامعي ورجاله ، وبعض المؤلفين والكتاب

الكبار فقال الشيخ الغزالي مع الأسف إن كثيراً منهم متوفرون على العلم والثقافة وعندهم معلومات واسعة ودراسة كبيرة حتى إن بعضهم ليستحق أن يسمى موسوعة ودائرة معارف وألفوا كتباً في تاريخ الإسلام وحضارته وأدوار حياتها لها قيمة علمية كبيرة ، ولكن أكثرهم لا يعنون بالجانب العملي من الإسلام فلا نرى فيهم اهتماماً كبيراً بأركان الدين وأعماله أو محافظة على الصلاة ، وأخشى أن يذهب مذهب المرجئة ولا يعلق على الأعمال أهمية كبيرة ، وأمثال هؤلاء لا تأمنهم على سياسة التعليم وإدارة المعاهد التي يراد فيها الجمع بين التعليم الديني والمدني وإيجاد رجال يكونون الحلقة المفقودة بين التعليم الديني والتعليم العصري .

التعليم في الأزهر

وانتقد الشيخ الغزالي التعليم في الأزهر وقال إنه يعنى بالتفصيل والنقاش أكثر مما يعنى بمبادىء الإسلام ومقاصده وأسسه وكلياته ، وقال : إن الثقافة الدينية في الأزهر ضعيفة وضيقة ! قلت إذاً فما هي الثقافة التي يمتاز بها رجال الأزهر ؟ قال : علوم اللغة والفلسفة التي دونت وتكونت في العصر العباسي .

الدعوة الدينية الكلية لا بد أن تتحرر من الخلافات المذهبية

اتفقنا على أن الدعوة الدينية التي تهدف إلى الإصلاح الإسلامي لا بد أن تتحرر من الخلافات المذهبية وإثارة المباحث الفقهية ، قال الشيخ الغزالي : ولعلكم لاحظتم أني أمر بمسألة فيها توسع في كتابي على حذر واتفقنا على أن نهضة الأمة لا تكون بالبحث في المسائل الخلافية وقال ما رأيكم لو صنف أحد كتاباً وسماه « إنهاض الأمة بمسألة القراءة خلف الأئمة » واستطرفنا هذا الاسم .

الشيخ الغزالي يرى التوسط في مسألة الحجاب

وكان من رأي الأستاذ الغزالي أنه لا بد من التوسط والاعتدال في مسألة السفور والحجاب فيكون حجاباً شرعياً تتمكن معه السيدات من المساهمة في

النهضة الدينية والخدمة ، وذكر كيف قامت الأخوات المسلمات زمن اعتقال الإخوان المسلمين بمساعدة أسر المعتقلين ، قال وهن وحدهن كن الصلة والحلقة بين المعتقلين وأسرهم ، ولولاهن لوقعت هذه الأسر في متاعب عظيمة ، قال وألزمناهن أن يلبسن اللباس الساتر الذي هو أشبه بلباس الراهبات .

كيف تدوم الحماسة الدينية وعاطفة الكفاح والتضحية

وتكلمنا كذلك في مشكلة كبيرة هي مشكلة الجماعات الإسلامية كلها والعاملين للنهضة الدينية ، وهي أن الحماسة الدينية وعاطفة الكفاح والتضحية لا تدوم بقوة واحدة فيعترضها من المد والجزر والاشتعال والبرودة ، ما يؤثر في مصير الجماعة وحياتها ، فكيف يحافظ على هذه الحماسة والعاطفة والروح حتى لا يلي المد الجزر والاشتعال البرودة ؟ هنالك يوصي بعض أهل التجارب بالذكر وتغذية الجماعة بالغذاء الروحي وما يشمل فيها العاطفة الدينية ويجعلها متقدة ملتهبة لا تنطفىء ، وعلى كل فلا بد للجماعة من العناية بهذه الناحية التي هي مصدر حياة الجماعة ومنبع قوتها ، واستأذناه وودعنا على أن نلتقي في وقت قريب .

زيارة شيخ فلسطين معمر

وبعد صلاة العصر ذهبنا نزور الشيخ عارف بن عبد الرحمن الشريف جد صديقنا السيد ياسين الشريف الفلسطيني ، والشيخ كان عميد الأشراف ومدرس المسجد الأقصى ، وهو كبير السن في الخامسة والتسعين من سنه يسكن كلاجىء في مصر الجديدة مع أولاده وأحفاده ، قابلنا بحفاوة وإكرام ولم يزل يرحب بنا ويردد قوله « وجدنا رائحة الإسلام » وقد أثرت في قلوبنا كلمته التي كان يكررها بعد كل بضع كلمات : المسجد حزين مسكين ، المسجد محزون ، ويمسح الدموع من عينيه وفي الحقيقة إن جرح فلسطين لا يندمل ، ولم يزل يذكر فضائل المسجد الأقصى وحرم سيدنا إبراهيم وما فيهما من بركة وسكينة وأنوار ، حتى اشتقنا إلى زيارتهما والصلاة فيهما ،

وسألناه الدعاء ورجعنا فجاء يودعنا على علو سنه .

مررنا في طريقنا إلى مقرنا بشارع عماد الدين (شارع محمد فريد) وشارع فؤاد فإذا هما في أوج من الزينة والأضواء ودور السينما مزدحمة مكتظة بالزوار المتفرجين ، والناس صفوف على الأبواب ينتظرون دورهم ، وسيول من السيارات تخترق الشارع ذهاباً وإياباً ، وكأننا في مدينة أوربية كبيرة لولا الخط العربي الجميل على ألواح الدكاكين .

حديث مع الدكتور محمد أحمد الغمراوي

الخميس ٢/ ٥/ ١٣٧٠هـ ـ ٨/ ٢/ ١٩٥١م .

ذهبنا الساعة العاشرة نهاراً إلى الدكتور محمد أحمد الغمراوي في العباسية ، وقد عرفته أولاً وأنا طالب بكتابه « النقد التحليلي للأدب الجاهلي » ثم قرأت له مقالات ومقدمات تنبىء عن غيرته الدينية .

سبب انحراف بعض الأدباء عن الدين

وجدنا كما كنا نتوقع ، رجلاً مؤمناً مثقفاً ، سألته عن بعض الأدباء والكتاب الذين انحرفوا عن الدين وصدرت منهم كتب ومقالات تطعن في الإسلام والعقيدة الإسلامية ، قال هم ثمرة التربية السابقة ، قلت وفيهم من تعلم في الأزهر ، قال : نعم ولكني أرى أنه كان متهماً في الأزهر ، وكان عاكفاً على دراسة الأدب والشعر العربي ولم يشتغل بدراسة القرآن والحديث .

الأدب في هذه البلاد متجه اتجاهاً غير ديني

والأديب عندنا متجه اتجاهاً غير ديني من عهد بعيد ، توفر على دراسة فن شعر مثل أبي نواس وأضرابه لا يتوقع منه أن يكون رجلاً دينياً ، ثم التحق بالجامعة وسافر إلى أوروبا ، قلت فكيف تغلب حضرتكم على هذه البيئة القاهرة وأنتم كذلك نتاج ذلك العصر وثمرة تلك التربية التي نتحدث عنها ؟ قال أمري لا يقاس على هؤلاء ، فقد كان بيتي بيت دين وعلم ، وإخوتي كانوا يتعلمون في الأزهر وأنا أتردد معهم إليه ، ورأيت الأزهر ورجاله في عهد

أحسن من هذا العهد وتأثرت بحياة بيتي ، قلت ولعل السبب في ثورتهم وشن الغارة على الدين وأهله انحطاط المسلمين وسوء حالهم وفساد الأوضاع ، فإن الرجل إذا كان مرهف الحس عصبياً فإنه لا يطيق هذه الحالة وينقلب إلى ثائر متهور ، قال ولماذا لم يثوروا ولم يتهوروا في الجانب الآخر ، يعني في الدعوة إلى الدين الصحيح وإصلاح هذه الأوضاع ؟ قلت هذا من التوفيق .

كيف يوجه الأدب إلى الدين ؟

قلت وكيف يوجه الأدب التوجيه الديني ؟ قال الأدب يتجه إلى الدين بوجود حركة دينية ، وحياة إسلامية ، فإن الأدباء والمؤلفين ينتجون ما يروج في السوق وما يقبل عليه الناس ، فإذا كان في الناس إقبال على الدين أنتجوا ما ينال إعجابهم وتقديرهم ، قلت وما تشيرون على الأزهر وترون من صالحه ؟ .

اقتراح على إدارة الأزهر

قال : كنت اقترحت على عهد الشيخ الظواهري(١) تأسيس مدرسة معلمين الأزهر تخرج مدرسين وأساتذة لكل فن يدرسون في الأزهر وبذلك يستغني الأزهر عن استعارة أساتذة تلقوا ثقافة وتربية لا تلائم الأزهر ولا تنسجم معه ، وقد يحدث هؤلاء الأساتذة الذين هم بأنفسهم غير مقتنعين بالدين والحقائق الدينية شكاً وتذبذباً وصراعاً بين العقيدة الإسلامية ، أو حقيقة دينية والعلم العصري فيقولون : هذا هو الذي أثبته العلم والتجربة في هذا العصر ، وما ندري كيف نوفق بينه وبين ما يثبته الدين فيحدث هذا اضطراباً عند الطالب وسوء ظن بالدين ، أما إذا كان الأساتذة متخرجين من هذه المدرسة الأزهرية فإنهم يدرسون العلوم الكونية كتفسير للآيات القرآنية ويستطيعون أن يوفقوا بينها .

---

(١) هو الشيخ محمد الأحمدي بن إبراهيم الظواهري ، أخذ عن الشيخ محمد عبده وآخرين ، عيِّن شيخاً للأزهر سنة ١٩٢٩م ، واستقال سنة ١٩٣٥م ، وفي عهده أصدر الأزهر مجلة « نور الإسلام » ، توفي بالقاهرة سنة ١٣٦٣هـ .

لا ينقص الشرق الإسلامي إلا العلوم الطبيعية

ولكن يبدو لي أن اقتراحي هذا صادف مشاكل إدارية فلم ينفذ ، ولا أزال على رأيي ، قال ولا ينقص الشرق الإسلامي إلا العلوم الطبيعية فنحن نحتاج إليها فنأخذها كعلوم طبيعية اكتشفها الغرب لا كعلوم غريبة ولا نحتاج إلى علوم الغرب الاجتماعية والآداب الغربية ، والعلوم الطبعية ليس عليها طابع غربي .

طريقة تعليم العلوم الطبيعية

أما الآداب فعليها طابع الغرب ، وندرس هذه العلوم الطبيعية كتفسير للآيات القرآنية ونميز في هذه العلوم والنظريات بين ما يثبت منها وبين ما لا يزال في دور التجربة والبحث فنضع كلًّا منهما في مكانه .

التحذير من تقليد مصر

ومما قاله الدكتور الغمراوي أنه كبير الأمل في باكستان والهند وأندونيسيا قلت : وفي الهند وباكستان اليوم نشاط ديني ربما لا يوجد في البلاد العربية ، قال : ولكن ينبغي لهم أن يحتاطوا ولا يقلدوا مصر ، ويحتجوا بها على أن فيها الجامع الأزهر فإنها قد اتجهت هذا الاتجاه رغم الأزهر .

عن الأزهر

وتحدث عن الأزهر ومستقبله وقال توجد الآن معارضة قوية للأزهر ومؤامرة ضده ، وقد كان تقسيم الأزهر إلى كليات وتوزيعه إلى معاهد ومدارس في المديريات بإيعاز الإنجليز ، فإنهم لما رأوا هذا الجمع الحاشد من الطلبة يتعلمون في مكان واحد ويسكنون في بلد واحد ، خافوا سوء العاقبة وحذروا منهم فأشاروا إلى تأسيسي فروع للأزهر في المديريات والمدن المصرية يتعلم فيها طلبة تلك الجهة بدل أن يؤموا القاهرة فيتكلفوا نفقات باهظة ، وكان في ذلك تخفيف على الطلبة وآبائهم ولكن فيه إضعاف لقوة الأزهر .

أهديت إلى الأستاذ الغمراوي نسخة من كتاب « ماذا خسر العالم » واستأذناه .

زيارة القلعة ومسجدها

خرجنا من منزل الدكتور الغمراوي إلى القلعة حيث كان مقر الحكم في عهد محمد علي باشا الكبير ، زرنا المسجد العظيم وأعجبنا بحسن بنائه وزينته واستحكامه ولا شك أن المسجد آية للفن ، ثم ذهبنا إلى (الأوضات) التي كانت سكرتارية للحكومة الخديوية وإدارات الدولة ، وهنا وقفنا في الخارج نتفرج على القاهرة وعلى جوامعها العظيمة ومنائرها الشامخة ، وأهرام الجيزة تلوح لنا من بعيد ، وكان المنظر بديعاً جداً ، فقد كان الزمن شتاء ، والوقت ضحى ، والشمس لطيفة .

في مكتبة القلعة

وهنا زرت مجلدات « الوقائع المصرية »[1] التي كنت أقرأ اسمها في تاريخ الأدب العربي ، وتاريخ مصر السياسي والأدبي ، ورأيت مجلدات « اللواء » التي كان يشرف عليها ويكتب فيها المرحوم مصطفى كامل ، ومجلدات « المؤيد » ودخلنا في مكتبة أحمد زكي باشا المودعة في مكتبة القلعة ، ورأيت بعض آثار هذا الباحث العالم الكبير ، ورأينا تلك المكتبة التي كانت في زمن زينة دار العروبة دار أحمد زكي باشا العامرة .

المتحف الحربي

ثم زرنا المتحف الحربي بفروعه الفرعوني والعربي وما يرجع إلى عهد المماليك ثم العصر العلوي ، ورأينا خرائط مفيدة ومعلومات قيمة ، وكان معنا زكريا كمال ابن الشيخ أحمد عثمان وكان أعرفنا بهذا المتحف لأنه زاره مراراً مع زملائه طلبة الثانوية وأساتذته فكان يشرح أشياء كثيرة وكانت زيارة مفيدة ممتعة .

---

(١) جريدة مصرية أصدرها محمد علي في القاهرة سنة ١٨٢٨م ، صدرت أولًا في قسمين العربية والتركية، ثم ألغيت التركية، أشهر من تولّى تحريرها: الشيخ رفاعة الطهطاوي، والشيخ حسن العطار ، والأستاذ أحمد فارس الشدياق ، والشيخ محمد عبده .

زيارة المساجد والمقابر

صلينا الظهر في مسجد السلطان حسن ، ثم زرنا مسجد الرفاعي وهو مقبرة الملك فؤاد ووالده الخديوي إسماعيل وغيرهما ، ثم زرنا مسجد الإمام الشافعي وقبره ومررنا بمقابر كثيرة وقلنا لو أن كل واحد من العظماء أو العلماء أو الصالحين بنيت له مقبرة لأصبحت مدينة الأموات أكبر من مدينة الأحياء ، ولما وجد الأحياء شبراً لبيوتهم .

موقف الإسلام ورسوله إزاء بناء المقابر ، وحكمته

وقد أحسن الإسلام إذ لم يشجع حركة بناء المقابر وجزى الله رسوله خيراً إذ حذر من ذلك وكرهه أشد الكره وتبرأ من اليهود والنصارى الذين إذا مات فيهم رجل صالح بنوا على قبره مسجداً .

الجمعة ٣/ ٥/ ١٣٧٠هـ ـ ١/ ٢/ ١٩٥١م .

زيارة مدينة الفسطاط وجامع سيدنا عمرو بن العاص

ذهبنا اليوم صباحاً مع بعض الإخوان نزور مدينة الفسطاط ، دخلنا أولًا في جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه وقد وسَّعه السلاطين وزيدت فيه زيادات في عهود مختلفة ، فهو الآن أوسع بكثير من جامع عمرو إلا أنه لا يزال على طرازه الحجازي يذكر بمسجد الخيف في منى ومساجد الحرمين ، وقد شعرنا بلذة روحية في هذا الجامع الذي هو أول مسجد أسس على التقوى وعلى التوحيد وعبادة الله وحده في أرض مصر ، وكان تأسيسه بالأيدي التي بايعت النبي ﷺ وصافحته مراراً لا تعد ولا تحصى .

شعورنا في جامع عمرو

فشعرنا في هذا المسجد بأنس وانجذاب قلب لم نشعر به في أي مسجد من مساجد مصر العظيمة فهو أبسطها على الإطلاق وأبعدها عن الزينة والزخارف .

وما يسمونه « الفن » ولكنه في حالة إهمال مؤسفة ، تحيط به من الخارج مزابل وقاذورات وأكوام من الأتربة والخرائب .

حديث خرافة

سمعت أن الملك فاروق يصلي فيه الجمعة اليتيمة في كل عام ، ولعل المستقبلين يكسونه بفرش تحول بين النظر وبين ما في هذا المسجد من إهمال ، وقد رأينا سارية من سواري المسجد تحيط بها شبكة من حديد وأخبرنا بأن هذه السارية لثقلها أتعبت الحمالين وشقت عليهم فعرفوا من ذلك أنها تأبى الدخول في المسجد وإنها لخبث سريرتها ممتنعة من ذلك ، ولذلك توارث المؤمنون تأديبها بالنعال وإهانتها وعقابها ، وقد حمتها الحكومة بشبكة من حديد تحول بينها وبين نعال المجاهدين المغضبين ، وقد أحسنت إذ منعت هذه الخرافة ، ووجدنا على العكس من ذلك في ناحية أخرى من المسجد الناحية التي اعتادت السيدة نفيسة أن تجلس فيها وتفيد الناس بعلمها ، ورأينا سارية سعيدة كان الناس يلحسونها بألسنتهم حتى حدث فيها قعر بلحسهم . وقد منعت الحكومة ذلك أيضاً بسياج من حديد .

في مصر القديمة

وخرجنا من الجامع نؤم مدينة الفسطاط القديمة التي كانت أول عاصمة إسلامية في مصر ، فإذا بنا نمر في طريقنا بمقابر النصارى وصلبانهم وكنائسهم ، وقد كان الأجمل والأجدر بمركز هذه الآثار الإسلامية الأولى وكرامة التاريخ الإسلامي أن يكون محيط هذه المدينة الإسلامية محيطاً إسلامياً يبعث في النفس الجلال والسكينة ، ودخلنا في حدود مدينة الفسطاط ومشينا في خرائبها وحفائرها طويلاً وأنا أتمثل لمخيلتي مدينة الصحابة وثكنتهم ، وخيام المجاهدين ، وأقول لنفسي : لعل هنا كانت خيمة الزبير بن العوام ، وهنا كانت خيمة عبادة بن الصامت ، ولعل محمد بن مسلمة كان مقيماً هنا ، ولعل هذا بيت الأمير عمرو بن العاص ، وهو بيت لا يرضى عامل أو فقير في القاهرة اليوم أن يسكن فيه ، ولكن صاحبه هو الذي هزم الرومان ، وفتح هذا

الوادي ، ولعل ولده الحبر عبد الله بن عمرو كان يعبد ويحدث في هذا المكان .

الحقائق لا تغلب بالمخيلات

هذا وأنا أحاول أن أركز فكري على هذا العهد السعيد وأنتقل لساعة من هذا الجو إلى ذلك الجو وأنسى أنني في مصر الجديدة ، وفي القرن الرابع عشر ، ولكن الحقائق لا تغلب بالمخيلات ، فلم أنجح في محاولاتي وإذا بي لا أزال في هذا العصر ، ولا أزال أسمع أصواته وأشاهد مناظره ، ووصلنا إلى الآثار التي استخرجت من هذه المدينة المطمورة ، وهنا بقينا قليلاً نتكلم مع رجالها ونفيد منهم معلومات عن هذه المدينة وما خلفها من المدن في العهد الأموي والعباسي ، وبينما نحن في ذلك إذ جاءت سيارة ونزل منها بعض الأساتذة من تركية ومعهم الأستاذ حسن عبد الوهاب مفتش أول الآثار العربية ، وعرفه الأستاذ أحمد عثمان بنا ، فاستقبلنا ورحب بنا وقدم إلينا مساعدته في زيارة الآثار العربية ، فشكرناه على ذلك ووعدناه بالزيارة .

ومن مصر القديمة توجهنا إلى شركس حيث صلينا الجمعة في مسجد الشيخ سلمان ، وبعد الصلاة ألقيت كلمة دينية شرحت فيها طريق الدعوة الدينية في الهند وبعض تجاربها وثمراتها .

يوم السبت ٤/ ٥/ ١٣٧٠هـ - ١٠/ ٢/ ١٩٥١م .

مضى أكثر النهار اليوم في تصحيح ملازم الرسالة « بين العالم وجزيرة العرب » في دار الكتاب العربي ، وملازم « المد والجزر في تاريخ الإسلام » في مطبعة أنصار السنة .

حديث مع الأستاذ محمد علي الطاهر

وبعد المغرب ذهبنا مع السيد ياسين الشريف كما كان تقرر من قبل إلى زيارة الأستاذ السيد محمد علي الطاهر صاحب « الشورى » وقد عرفناه في الهند باتصاله بالأمير شكيب أرسلان ونشره لمؤلفات الأمير ، وقد قرأت له في

الحجاز شيئاً من كتابه الجديد « معتقل هاكستب » . وصلنا إليه فوجدنا عنده القائد عبد الله التل الفلسطيني ، وجلسنا نتحدث عن فلسطين وعن أسباب ضياعها ، والأستاذ محمد علي الطاهر هو الخبير الاختصاصي في مسألة فلسطين ، قال : أريد أن أؤلف كتاباً خاصاً بفلسطين ووصفها وتاريخها ، وما جرى فيها لأني أخاف أن تضيع فلسطين في التاريخ كما ضاعت في الواقع ، ويبحث المؤرخون والمؤلفون بعد هذا العصر فلا يجدون المعلومات الكافية عنها ، فأريد أن يكون هذا الكتاب كوثيقة تاريخية تشتمل على مستندات ومعلومات ، فإن فلسطين لشبيهة كل الشبه بالأندلس ، وقد كادت تضيع في التاريخ لولا أن المقري ألف كتابه العظيم « نفح الطيب » .

كارثة فلسطين وتقصير الدول العربية فيها

ثم بدأ يذكر كارثة فلسطين وتقصير الدول العربية في حقها ، بل جنايتها عليها وكيف كانت تنزع السلاح من أهل فلسطين ، وتجعل الشعب أعزل لا سلاح عنده ولا يستطيع أني دافع عن نفسه وشرفه ، ثم يأتي اليهود فيكون أهل البلد لقمة سائغة لهم ، فلو أن هذه الدول والجامعة تركت أهل فلسطين وشأنهم لدافعوا عن بلادهم مدافعة الأبطال كما ظلوا يدافعون عن أنفسهم هذه المدة الطويلة ، ثم تحدثنا عن انحطاط أخلاق العظماء والزعماء وقلت : إن علماء الرجال كانوا يؤلفون كتباً في الجرح والتعديل ، ولما كان هذا عصر السياسة والزعامة ، وقد طغت السياسة على كل شيء وحلت محل كل علم ، جئتم فألفتم كتاباً في جرح رجال السياسة والزعامة الإسلامية[١] ، وقدمت إليه كتاب « ماذا خسر العالم » وقدم إلي كتاب « ذكرى الأمير شكيب أرسلان » وهو مجموع ما قيل في رثاء الأمير وما ألقي في حفلات التأبين ، وما قال عنه أصدقاؤه وأصحاب الجرائد والمجلات وكتاب « أوراق مجموعة عن فظائع الإنجليز في فلسطين وغدر اليهود وصبر العرب » وكتاب « معتقل هاكستب »

(١) لم يوافق العلامة الندوي الأستاذ محمد علي الطاهر ـ في جميع آرائه وملاحظاته ـ عن الشخصيات المعاصرة ، ففيها شيء كثير من القسوة وشيء من التجني .

وجاء زواره فعرفهم بنا وتعرفنا بهم ، منهم الأستاذ أحمد الشقيري مساعد الأمين العام للجامعة العربية ، والقاضي محمد عبد الله العمري وكيل وزارة الخارجية في اليمن ، وقد اتفقنا مع سعادة الوكيل على زيارته في فندق « قصر الجزيرة » يوم الثلاثاء وزيارة أحمد الشقيري يوم الثلاثاء أو يوم الأربعاء .

مشاهدة مؤسفة في الحمام

الأحد ٥/ ٥/ ١٣٧٠هـ - ١١/ ٢/ ١٩٥١م .

ذهبت اليوم إلى حمام هو على نظام الحمامات التركية ودخلت أستحم ، فرأيت فوجاً من الشبان والأحداث والكهول عراة لا شيء على أجسامهم البتة ، ولا فرق بينهم وبين البهائم مطلقاً ، فدهشت لهذا الوضع الغريب المنافي للشرع والمروءة والإنسانية ، وخرجت من غير استجمام متكدراً كسيفاً .

وقاحة الصحف

طلعت جرائد اليوم تحمل صوراً للملك فاروق بمناسبة عيد ميلاده وصور خطيبته التي تمت خطبتها اليوم ، وهي صور لا تليق بالسيدات المسلمات ، وقد كان من حق سيدة ستصير بعد قليل ملكة مصر أن لا يظهر لها مثل هذه الصور على صحيفة وهي المسرح العام ، ولكن الأذواق والأنظار قد تبدلت وأصبحت الصحف حرة مطلقة تنشر ما تشاء والمنكرون لهذه الأوضاع قليل لا تأثير لهم .

زيارة الأهرام

ذهبنا إلى الأهرام هذه المباني العظيمة التي عدت من عجائب العالم وآيات الفن وآثار التاريخ الخالدة وكم قرأنا عنها وسمعنا عنها ، وصلنا إليها وعيوننا شاخصة نحوها وقلوبنا متطلعة إليها ، فوجدنا بناء عالياً مخروطياً من حجارة صماء تتحير العقول في طريق وصولها إلى هنا من جبل المقطم .

ذكرى السخرة الظالمة

ودرنا حول الهرم الأكبر ، وهو مقبرة الملك خوفو[1] ، ولم يمنعنا ضخامة هذا البناء وروعته وجلالة هذا الأثر التاريخي العظيم من إنكار هذه السخرة الظالمة التي أنتجت هذا الأثر الخالد ، وهل هو إلَّا مدفن ملك ؟ وقد كان يكفيه ذراع في ذراع ، ولكنه لقضاء شهوة الجاه والفخار ، وتخليد الآثار استخدم آلافاً من النفوس وشغلها لمدة طويلة لهذا العبث ، وهنا يذكر الإنسان قوله تعالى ويتمثل صدقه وجلاله : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ [الشعراء : ١٢٨ ـ ١٢٩] وتأسفت على هذا المصرف للقوة والمواهب الإنسانية والأوقات الثمينة التي ليس لها بدل ، ثم ذهبت إلى المعابد التي لا تزال فيها بعض الصور والتماثيل والنقوش والكتابات ، والدليل يشرح لنا ما سمع من علماء الآثار وحفظه من أخبار هذه المعابد ورجالها ، ورأينا « أبا الهول » وبعد ما قضينا ساعات في هذه الجولة التاريخية رجعنا إلى مقرنا .

زيارة أثرية للأزهر وما حوله

الإثنين ٦/ ٥/ ١٣٧٠هـ ـ ١٢/ ٢/ ١٩٥١م .

كان اليوم يوماً مطيراً ولكنه رش خفيف لا يمنع من الخروج والتنقل ، خرجنا قبل الساعة العاشرة وذلك ميعاد الاجتماع بالأستاذ حسن عبد الوهاب مفتش أول الآثار العربية وزيارة الأزهر وما حوله من الآثار العربية .

في مكتبة الأزهر

اجتمعنا على باب الأزهر ومعنا بعض الأصدقاء وزرنا مكتبة الأزهر التي أنشئت في عهد الخديوي عباس حلمي الثاني في المدرسة الأنبغاوية وبقايا المدرسة الطبرسية الملحقتين بالأزهر ، وجمعت فيها الكتب المبعثرة وأهديت

---

(١) فرعون من السلالة ٤ ، بنى هرم الجيزة الأكبر نحو ٢٤٨٠ق.م .

إليها مكتبات أهمها مكتبة المرحوم سليمان باشا أباظة ، وكان الأستاذ حسن عبد الوهاب يلفت نظرنا إلى ما تحتوي عليه مكتبة الأزهر من الكتب القديمة التي يرجع تاريخ كتابتها إلى القرن الرابع والقرن الخامس ، وقد اطلعنا على كتابات قديمة ومخطوطات نادرة ، ومصاحف وربعات ملوكية تتجمل بها كل مكتبة في العالم ، ومن أهم ما اطلعنا عليه كتاب رسوم دار الخلافة لأبي إسحاق الصابي ، نقل من نسخته ، ولعل مكتبة الأزهر هي التي تفردت بهذا الكتاب ، ونشر هذا الكتاب يلقي ضوءاً كبيراً على أحوال الدولة العباسية الاجتماعية والاقتصادية . وكان الأستاذ حسن عبد الوهاب يستلفتنا دائماً في خلال زيارة المكتبة إلى طراز البناء والمحاريب والأروقة ويذكر تاريخها وتاريخ بنائها ، ثم ذهبنا إلى الأزهر ورأينا الأزهر القديم من بناء المعز لدين الله الفاطمي وزيادة الأمير عبد الرحمن كتخدا وزيادات أخرى ، والأستاذ يشرح لنا تاريخ هذا الجامع الكبير وما أدخل عليه وما أضيف إليه في عصور مختلفة ، وهو من أكبر علماء الآثار في هذه البلاد ، فكانت زيارتنا زيارة أثرية ودرساً في التاريخ ، وخرجنا من الأزهر ودخلنا في الأسواق في طريقنا إلى مدرسة المنصور قلاوون ، ومررنا بمدرسة السلطان صالح نجم الدين الأيوبي قاهر الصليبيين في المنصورة التي أنشئت لتدريس المذاهب الأربعة ، ورأينا منارتها الجميلة ، وقد أخبرنا الأستاذ حسن أن دفن السلاطين في المساجد إنما بدأ في آخر الدولة الأيوبية فلم يعرف ذلك في عهد الفاطميين ، ودرج على ذلك السلاطين بعد الدولة الأيوبية .

في مدرسة المنصور قلاوون

ومررنا بسوق خان الخليلي ، حتى دخلنا في مدرسة المنصور قلاوون وهي بناء ضخم أثري جميل اشتهر بين الناس أنه تم في أربعة عشر شهراً ، بل يوجد ذلك منقوشاً على عتب الباب الرئيسي ، ولكن الأستاذ حسن يؤكد أنه لم يتم إلا في سبع سنين وثمانية أشهر ، وحجته في ذلك أن البدء في هذه العمارة كان بالاتفاق في شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٣هـ وتوفي السلطان منصور في ٦ من ذي القعدة سنة ٦٨٩هـ وحمل إلى قلعة الجبل ، واستمر بها إلى آخر يوم

الخميس غرة المحرم سنة ٦٩٠هـ ، وفي يوم ٢ محرم نقلت جثته من القلعة إلى تربته التي أنشأها بالمدرسة المنصورية داخل القاهرة ، فلو كان البناء جاهزاً لبادروا بدفنه فيه ، وهذا البناء مجموع قبة ومدرسة وبيمارستان وهي مجموعة حافلة بمختلف فنون العمارة الدقيقة وأروع أثر من آثار العمارة الإسلامية في القاهرة ، وتقع في شارع المعز لدين الله بين القصرين الفاطميين القديمين .

في بيت السحيمي

ومن مدرسة المنصور قلاوون خرجنا نزور البيت الأثري الذي يمثل نظام منازل الأغنياء والرجال الذين كانوا يجمعون بين الثراء والدين والعلم في العهد التركي ومعاشرة الطبقة الأرستقراطية وهو البيت المشهور بالسحيمي ، وهذه الدار ووضعها أكثر راحة وسهولة من البيوت العصرية .

اشتغلت بعد العصر بتصحيح ملازم « المد والجزر في تاريخ الإسلام » ومكثت في مطبعة أنصار السنة إلى ما بعد المغرب .

الثلاثاء ٧/ ٥/ ١٣٧٠هـ - ١٣/ ٢/ ١٩٥١م .

حديث مع وكيل وزارة الخارجية اليمنية

(ذهبنا اليوم لزيارة سعادة القاضي محمد عبد الله العمري وكيل وزارة الخارجية اليمنية في فندق قصر الجزيرة) دخلنا في غرفته في الدور العالي فوجدنا المقام في فخامته ومظهره وتكاليفه أجدر بممثلي دولة وشعب غني جداً ، ولكن السياسة العصرية تفرض على الحكومات الشرقية أن تظهر بمظهر أوروبي ، رحب بنا سعادة الوكيل في أخلاق العلماء ورجال الدين وجلسنا نتحدث ، وذكرت لسعادته صلات الهند العلمية والثقافية مع اليمن ، وذكرت العلامة السيد مرتضى البلكرامي الهندي[١] صاحب تاج العروس الذي اشتهر

---

(١) هو الشيخ الإمام العالم المحدث مرتضى بن محمد بن قادري بن ضياء الله الحسيني =

لطول إقامته في اليمن بالزبيدي والشيخ حسن بن محسن الأنصاري[١] الذي هو أستاذ أكثر علماء الحديث في هذا القرن ، وذكرت له أن لليمن فضلاً عليَّ كذلك في دراستي وعلمي ، لأني تلميذ الشيخ خليل بن محمد بن حسين اليماني[٢] ، وذكرت له رغبتي في زيارة اليمن لأنه القطر العربي الوحيد الذي

= الواسطي البلكرامي نزيل مصر ودفينها المشهور بالزبيدي ، ولد بمحروسة « بلكرام » سنة ١٠٤٥هـ . واشتغل بالعلم على أساتذة بلدته زماناً ، ثم خرج منها فجاء إلى « سنديلة » و « خير أباد » وقرأ على أساتذتها ، ثم سافر إلى دهلي ، وأخذ عن الشيخ خير الدين بن زاهد السورتي ، وأقام عنده سنة ، ثم سافر إلى الحجاز سنة ١٠٦٤هـ ، وأقام بزبيد (اليمن) وأخذ واستفاد من كبار علمائها ، ثم سافرَ إلى مصر وأقام فيها إلى أن توفي بالقاهرة سنة ١٢٠٥هـ . ومن أشهر مصنفاته « تاج العروس في شرح القاموس » وهو مكتبة لغوية علمية عظيمة في عشرة مجلدات كبيرة ، و « عقود الجواهر المنيفة في أدلة مذاهب أبي حنيفة » و « إتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين » .

(١) هو الشيخ الإمام العلامة المحدث القاضي حسين بن محسن الأنصاري الخزرجي اليماني ، ولد ببلدة « الحديدة » (اليمن) سنة ١٢٤٥هـ . كان من أكبر تلاميذ العلامة صفي الدين أحمد بن القاضي محمد بن علي الشوكاني ولازمه مدة طويلة يستفيد منه ، وقرأ عليه أطرافاً من الأمهات الست . سافر إلى الهند سنة ١٢٧٧هـ وأقام ببلدة « بهوفال » وكان في مدة إقامته قد طار صيته في جميع الأصقاع الهندية ، وأقر له بالتفرد في علم الحديث وأنواعه كل أحد من كبار العلماء وأخذ عنه جماعة من أعيانهم كالأمير السيد صديق حسن خان القنوجي ، والعلامة عبد الحي الحسني ، والشيخ عبد الرحمن المباركفوري ، وخلق كثير من العلماء ، ليس للشيخ اليماني كثرة اشتغال بتأليف ، ولو أراد ذلك لكان له في الحديث ما لا يقدر عليه غيره ، انتقل إلى جوار ربِّه سنة ١٣٢٧هـ .

(٢) هو الشيخ خليل بن محمد بن حسين بن محسن السبعي الأنصاري اليماني ، ولد في الهند ، وأصل أسرته من الحديدة في اليمن ، كان من نوادر المعلمين الذين يطبعون تلاميذهم النجباء بطابعهم ، وينقلون إليهم التذوق بالنثر البليغ والشعر الرقيق واستطعامهما والتلذذ بهما ، كانت له ملكة راسخة في آداب اللغة العربية وعلوم البلاغة ، وكان له منهج مبتكر في تعليم مبادىء العربية وآدابها في الهند ، وكان بيته ـ مدة تدريسه في جامعة لكهنؤ التي كان أستاذاً للعربية فيها ، وأثناء إقامته الطويلة في لكهنؤ ـ مدرسة غير نظامية ، يؤمها طلبة العلم من الأطراف ، تخرَّج منها علماء =

لا يزال على الحضارة القديمة والحياة الأولى ولا يزال على طابعه القديم ، أما الأقطار الأخرى فأصبحت على غرار واحد ولون واحد من الحضارة الأوربية فلا يستفيد الإنسان من زيارتها جديداً ويكفيه في بعض الأحيان أن يزور قطراً من هذه الأقطار ويقيس عليه الباقي ، فرحب بهذه الرغبة .

اليمن على مفترق طرق

ودعانا لزيارة اليمن ، قلت لسعادته : إن الأقطار العربية قد أصبحت لا تملك من أمرها شيئاً ، فهي مندفعة مع التيار الغربي وليس لها الخيار ، أما اليمن فلا يزال على اختياره ولا يزال يملك أمره ، فأرجو أن لا يستعجل ولا يتهور في الاقتطاف من الحضارة الغربية ونظم تعليمها ومناهج حياتها ، ولا يتساقط عليها تساقط الظمآن على الماء أو الفراش على النور ، فيختار منها ما يوافق حياته ودينه وطبعه ورسالته ويدع فضولها وشرورها ، وقد عاش اليمن في العزلة عن العالم وهو يعتقد أنه تخلف عن الركب فأخاف أن يستعجل السير ليلحق بالقافلة فيعثر أو يضل الطريق ، ويقع ما لا يمكن تداركه ولا تقال عثرته .

دعامتا الحياة في البلاد الإسلامية

قلت ودعامة الحياة الصحيحة عندي في البلاد الإسلامية وجود الشعور الديني الصحيح القوي في الشعب ، ولا يكون هذا إلا عن طريق الدعوة العامة والاتصال بالشعب وتربيته الدينية ، وإيجاد الوعي في طبقاته ، والدعامة الثانية منهاج التعليم الصحيح والجمع بين العلم المأخوذ من الوحي والنبوة الذي لا يتطرق إليه الخطأ ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو علم كل عصر وأساس كل حياة ومدنية فاضلة وبين العلوم الطبيعية والمعلومات العصرية والتجارب والاكتشافات التي سبق إليها الغرب وانتصر بها على

= خدموا اللغة العربية والعلوم الدينية ، ومنهم العلامة الندوي الّذي اختصَّ بعطفه وعنايته وحبّه انتقل إلى جوار ربه بكراتشي سنة ١٣٨٦هـ تغمَّده الله برحمته .

الشرق ، وأرجو أن يوفق اليمن للجمع بين هاتين القوتين ، وإذاً نرجو أن يكون له شأن غير شأن الأقطار العربية الأخرى التي أصبحت لا إسلامية ولا أوربية ـ قلت هذا وما معناه باختصار واختلاف يسير ، فوافق عليه سعادة الوكيل وأنصت إلى الحديث وأنست منه ذكاء واطلاعاً وسرعة فهم وثقوب ذهن ، وأهدى إلي كتاباً في الإنجليزية عن اليمن وبعض مناظره ومبانيه وصور الأسرة الملكية . وفي خلال الحديث جاء السيد علي المؤيد ممثل اليمن وجماعة من اليمنيين معه ، وعرف سعادته بعضنا ببعض فقلت « أتاكن أهل اليمن » والوكيل على جناح السفر إلى صنعاء ويعود مع السلامة إن شاء الله في الشهر القادم فعلى الطائر الميمون .

كلمة أمام الطلبة السوريين

جمع السيد ياسين الشريف بعد العشاء نخبة من الطلبة السوريين والفلسطينيين في غرفة في رواق الشوام وحضرنا وما شعرنا إلَّا ونحن في طلبة كلية أو جامعة من الجامعات العصرية الحديثة في الهند ، وألقى الأستاذ محمد الكنجي رئيس طلبة البعوث الإسلامية في الأزهر كلمة ترحيب وتعريف ، وتكلمت في موضوع واجبات طلبة العلوم الدينية ومؤهلاتهم وصفاتهم ولفت أنظار طلبة الأزهر إلى العناية بالناحية الروحية وتغذية القلب وعلو الهمة في الدين والعبادة والمحافظة على الفرائض والواجبات الدينية والاهتمام بالنوافل وقيام الليل فضلاً عن المكتوبات وحضور الجماعة ، وقلت إذا تتبعنا تاريخ الشخصيات والرجال البارزين الذين خدموا هذا الدين أو أحدثوا تجديداً أو انقلاباً في المجتمع الإسلامي رأيناهم دائماً يمتازون ويفوقون العامة في حرارة قلوبهم وقوة عاطفتهم وكثرة العبادات ودوام الذكر ، وإذا لم يكن الإنسان فائض القلب بالإيمان واليقين ملتهب الروح قوي الشخصية الدينية لم يؤثر في غيره ، ولم يحدث في المجتمع حرارة وروحاً وحياة ونشاطاً دينياً ، ولكنا نرى مع الأسف أن المعلومات قد توسعت وتضخمت جداً في هذا العصر حتى لو وزعت على بلد لوسعت أهله وجعلت من كل فرد من أفراده عالماً ولكن القلب قد ضعف جداً ، وقوة الإرادة اضمحلت اضمحلالاً كبيراً ، وهزل الإيمان ،

فنحن الآن نعلم شيئاً كثيراً جداً ، ولكن هذا العلم لا يحملنا على العمل ولا نجد إيماننا مثل إيمان الصحابة ومن بعدهم ولا صلاتنا مثل صلاتهم ، وذلك لأن معلوماتنا قد اتسعت وتضخمت على حساب الإيمان والعمل ، فيجب علينا أن نحاسب أنفسنا ونخلص لها في النصيحة والتربية ونعدها إعداداً كاملاً قبل أن نخوض المعركة الدامية بين مادية هذا العصر وبين الإسلام ، فلا يمكننا أن نثبت في هذه المعركة وأن نبارز هذه المادية القوية الفتانة إلا بروح قوية ودين متين وقلب عامر بالإيمان واستقامة دينية .

وأرجو أن لا تضيع هذه الكلمة ويكون لها بعض الأثر في نفوس السامعين .

الأربعاء ٨/ ٥/ ١٣٧٠هـ ـ ١٤/ ٢/ ١٩٥١م .

في إدارة العالم العربي

ذهبنا اليوم الساعة العاشرة صباحاً إلى إدارة مجلة « العالم العربي » في شارع إبراهيم باشا وسألنا عن الأستاذ أسعد حسني رئيس تحرير المجلة المسؤول وكان في بيته فحضر وتقابلنا، وأخبرته أننا متصلون في الهند بالمجلة.

حديث عن أسباب فشل قضية فلسطين

ثم أبديت له بعض آرائي عن العالم العربي وقضية فلسطين وأسباب فشلها وأن السبب الأكبر في ذلك هو الإفلاس الروحي وفقدان الإيمان وانطفاء الحماسة الدينية في الشعوب والدول التي كانت تقاتل في ميدان فلسطين . وقلت : إن الحضارة الغربية والمادية هي التي جنت على هذه الشعوب وقضت على قوتها الروحية ومعنوياتها ، فقال : ولكننا نرى في الأمم الأوروبية روحاً أقوى من الأمة العربية وبهذه الروح حاربت الحروب ودافعت عن نفسها ، قلت : إن الأمم الغربية استبدلت بالروح الوطنية والشعور السياسي فحل هذا محل الروح وكان قوة كبيرة .

أما الشعوب العربية فلا حافظت على روحها ولا اكتسبت شيئاً يحل محلها

ويسد فراغها ، فلا عندها روح دينية ولا وعي سياسي ، ولذلك هي تواجه الفشل الذريع والهزيمة المنكرة في كل معركة وصراع ، قال ومن رأيي أن سبب فشل الدول العربية هي العقلية العشائرية التي حاربت بها هذه الدول في ميدان فلسطين وقد أبديت هذا الرأي في أحد أعداد المجلة قلت : قد اطلعت على هذه الكلمة وأعجبني هذا التعبير .

الخميس ٩/ ٥/ ١٣٧٠هـ - ١٥/ ٢/ ١٩٥١م .

مع الأستاذ علي الغاياتي

توجهنا إلى ميدان الخديوي إسماعيل لنقابل الأستاذ علي الغاياتي[١] صاحب « منبر الشرق » وكنا مشتركين فيها في الهند ، وكنا نلمح الإيمان من خلال سطور مقالاته ، فوددنا أن نجتمع به فإن الذين يشعرون الشعور الديني وينتصرون للدين الغريب أسرة صغيرة في كل بلد فلا بد أن يتصل بعضها ببعض ، وقابلنا الأستاذ في منزله فرأينا إشراق الإيمان في وجهه وبياض الشيب في شعره ، وعرفته بنفسي وقدمت إليه محاضراتي ونسخة من كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » وظل الشيخ يسألني أسئلة عن الهند وباكستان ومستقبلهما والحياة الدينية واتجاه الحكومة فيهما فأجبته بما أرى وأعلم .

مثل بلاد العرب ومثل الهند وباكستان

وجرى ذكر الشعور الديني في البلدين فقلت : إن في الهند وباكستان عاطفة دينية قوية وإجلالًا للدين وإكباراً أقوى وأعظم مما نراه في البلاد العربية فإن البلاد العربية - لا مؤاخذة - قد أصيبت بما قد يصاب به الشبعان من الانصراف عن الطعام والزهد فيه ومثلها كمثل ولد نشأ في بيت دينٍ وعلم ورأى المصاحف والكتب الدينية حوله فأصبحت لا تثير فيه الاهتمام والأدب

---

(١) صحفيٌّ وشاعر مصريٌّ ، أصدر في جنيف جريدة « منبر الشرق » سنة ١٩٢٢م ، توفي بالقاهرة سنة ١٩٥٦م .

ولا تنال منه ما تستحق من التعظيم والإجلال ، وهكذا أصبحت هذه البلاد العريقة في الإسلام والعروبة تنظر إلى الدين والرسول والقرآن نظراً عادياً لا غرابة فيه ولا جلال ، أما الهند وباكستان فنظرهما إلى الإسلام وإلى الرسول ﷺ كنظر رجل جديد الإسلام فهو متحمس في دينه أكثر من المسلمين القدامى وعنده من الإجلال للدين ما لا يوجد عند العرب أنفسهم ، ثم وصفت له النشاط الديني الحديث والدعوة الدينية للبلدين .

منبر الشرق وصاحبه

وتكلمنا في شأن « منبر الشرق » فقال أسستها في جنيف وأقمت فيها نحو سبع وعشرين سنة ولم أزل والحمد لله محافظاً على ديني لم تؤثر فيّ البيئة والحضارة الغربية مع أن جنيف من أرقى مدن أوروبا مدنية وكذلك ظلت « منبر الشرق » محتفظة بطابعها الديني ومبدئها لذلك لم تنل من الرواج والذيوع ما نالته صحف أحدث منها عمراً ، وكان صديقنا الأمير شكيب أرسلان يقول مداعباً « منبر الشرق فائز الآخرة » قال وأنا من زمان من الذين يؤمنون بالجماعة الإسلامية وكلمت في ذلك جلالة الملك عبد العزيز آل سعود مرة وذكرت له قوة هذه الجامعة ومساواة المسلمين في الدين فقال : « معلوم . بدليل سلمان الفارسي » .

في دار الأرقم

ومن إدارة « منبر الشرق » توجهنا إلى دار الأرقم مركز شباب سيدنا محمد ﷺ وقد أخفقنا مراراً عديدة في مقابلة الأستاذ حسين يوسف ولكن وجدناه هذه المرة ، فقابلنا الشاب المسلم الذي يكتب هذه المقالات الحارة القوية الفائضة بالإيمان الصادق والإنكار الصارخ على الإلحاد والإباحة والمجون ، وجدت شاباً ذكياً نشيطاً قد براه الشعور المتقد والحس المرهف . ذكرت له ما بين صحيفته وبين قرائها في الهند من الاتصال الروحي وما عندهم من الإعجاب الفائق والحب العميق ، وأثنيت على جهاده الموفق ضد الأدب الخليع والصحافة الماجنة والصور العارية .

الحاجة إلى جبهة قوية إزاء الأدب الخليع المكشوف

وقلت له : لا بد من تكوين جبهة قوية ومعسكر ضد هذا الأدب المكشوف وهذه الخلاعة والاستهتار ، وأنه لا يخلو من فائدة فقال قد كان لبعض ما نشرته صحيفة شباب سيدنا محمد ﷺ من الإنكار على الصحف والمجلات الخليعة وتهديدها تأثير ، فقد دعاني الأستاذ فكري أباظة في إدارة المصور مرة واعتذر عن الماضي ، ووعد أنه لا ينشر في المجلة ما ينافي الأخلاق وظل على وعده نحو ثلاث سنين ، ثم عادت المجلة إلى سيرتها الأولى ، فقلت فلا بد من إعادة الإنكار والتهديد فإن هؤلاء ماديون بحيث لا يؤثر فيهم إلا التهديد وخوف الضرر المادي ، قال ولعلكم تستغربون أن الصحيفة الوحيدة التي لم تنشر إعلان الخمر في صفحاتها هي صحيفة المقطم المسيحية ولها أن تفتخر بذلك وإن كانت صديقة للإنجليز ولكنا نعترف لها بهذا الفضل وهي أقل الصحف المصرية خلاعة ونشراً للصور ، قال ومرة استلفت نائب البابا في رومة الأمير محمد علي توفيق إلى هذه الصور المنافية للأخلاق والآداب ، والمثيرة للعواطف فأثارت كلمته اهتمام ولي العهد ورفع تقريراً إلى السراي مع قصاصات من هذه الصحف والمجلات وشاركه في ذلك الأزهر ، وبقينا ننتظر النتيجة ولكن دفنت المسألة في مهدها ونامت الحكاية ولم نسمع شيئاً بعد ذلك .

الجمعة في جامع الأزهر

الجمعة ١٠/ ٥/ ١٣٧٠هـ - ١٦/ ٢/ ١٩٥١م

لم يتفق إلى الآن أن نصلي الجمعة في جامع كبير من جوامع القاهرة ونرى العادات البلدية في صلاة الجمعة فقد أصبح مع الأسف لكل بلد طابع ديني خاص وعادات وشعائر لا توجد في بلد آخر بما دخل في الدين وطرأ عليه مما ليس منه من العادات والأوضاع المحلية ، وآثرنا أن نصلي اليوم في الجامع الأزهر ، وصلنا قبل الصلاة بساعة وجلسنا بعد ركعتين خفيفتين وشرع القارىء في سورة الكهف التي جرت العادة في مصر بقراءتها جهراً . شرع القارىء في

القراءة على المذياع وكلما قرأ آية هتفت الناس بأعلى صوتهم يمدحون حسن صوته ورخامته ويستزيدونه ويستعيدون ما قرأ ، فلا يشعر الإنسان بسبب هذه الجلبة واختلاط الأصوات وارتفاعها إلا أنه في الهراج أو في مجلس « مشاعرة » في الهند يقولون : بالله لا تبخل علينا بما أنعم الله عليك ، ويقولون : يا جدع ! والقارىء يقرأ آية ثم يعيدها على ثلاثة أوجه أو أربعة أو أكثر ويظهر براعته الفنية والناس يطربون لها ويهتفون بها ، ونحن مندهشون بهذا الوضع الغريب لا نستطيع أن ننتقل ولا أن نستلذ بهذه القراءة وننصت لها ، وعجبت كيف أباح رجال الأزهر وعلماؤه هذا التمثيل غير اللائق بجلال القرآن وأدب المسجد في أكبر مسجد ، له مركزه الديني وكل ما يكون فيه يحتج به ويكون كالفتوى في الأرياف والقرى ، ولم تكن الصلاة سارّة في الحقيقة في أعظم مسجد في بلد من أعظم بلاد الإسلام فإنا لله وإنا إليه راجعون .

أملي في حركة الإخوان

أصبحت أعتقد بعد زيارة بعض البلاد العربية والاطّلاع على أحوالها أن حركة الإخوان إذا قويت وانتظمت على خطوط ثابتة هي المنقذ الوحيد بحول الله للعالم العربي من الانحلال والاندفاع القوي إلى الهاوية لذلك أصبحت أعلق عليها أهمية كبيرة وأحمل لها بين جوانحي حباً عميقاً ، والحب يبعث على الإشفاق وذلك يدفع إلى الصراحة فلي آراء وتجارب اكتسبتها من دراسة تاريخ الحركات السياسية في الهند أدلي بها إليكم كأخ مخلص وفرد من أفراد هذه الأسرة الكريمة .

ثلاث نقط هامة

وهي أنه لا بد لدعوة الإخوان وحركة مثل حركتكم من الانتباه لثلاث نقط هامة والعناية بها :

أولاً : إن مرحلة الدعوة وغرس المبادىء والإيمان في قلوب العامة تتقدم على مرحلة السياسة والتشكيلات والحكم والوضع الإداري وبطول هذه

المرحلة وامتدادها ومثابرة رجال الدعوة عليها وجهادهم في سبيلها تنجح المراحل الأخرى وتؤتي الشجرة أكلها ناضجة شهية أما إذا استعجل رجال الدعوة وقطعوا هذه المرحلة بسرعة زائدة أو طفروا طفرة إلى السياسة والحكم من غير دعوة يبثونها في الشعب أو تربية يحكمونها لم تثمر الشجرة أو كانت الثمرات فجة ناقصة ولنا عبرة في تاريخ الدعوة الإسلامية الأولى فقد استغرقت مرحلة الدعوة ثلاث عشرة سنة في مكة وعشر سنين في المدينة ، وكانت مدة الحكم والتشكيل في عهد الرسالة أقصر من مدة الدعوة ولعل الله قد أراد بهذه الدعوة الإخوانية خيراً إذ ردها قسراً إلى مرحلة الدعوة الأولى بينما كادت تتملك زمام الأمر وتعتلي كرسي الحكم لتزداد الدعوة نضجاً وليزداد رجالها تربية وحنكة ومبادئها رسوخاً وقوة ، فهذه فرصة غالية يجب على الإخوان أن ينتهزوها وينتفعوا بها كل الانتفاع ولا يضيعوا دقيقة واحدة في بث الدعوة إلى الله وغرس الإيمان في القلوب وتربية الرجال الدينية والاتصال بطبقات الشعب .

أهمية إنتاج الرجال الذي يديرون دفة الدعوة ويربون الرجال

والنقطة الثانية : هي إنتاج الرجال الذين يقومون بالدعوة ويديرون دفتها ويربون الرجال ويملؤون كل فراغ ، وكل حركة أو دعوة أو مؤسسة مهما كانت قوية أو غنية في الرجال إذا لم تستمر في إنتاج الرجال فإنها معرضة للخطر وإنها لا تلبث أن ينقرض رجالها واحداً إثر آخر وتفلس في يوم من الأيام في الرجال .

تغذية القلب والروح

والنقطة الثالثة هي تغذية القلب والروح بغذاء يحفظ على رجال الدعوة نشاطهم وحماستهم ويعوض ما يصرفونه من قوة فإن الرجال كالمصباح إذا نفذ زيته ينطفىء ، وكم رأينا من حركات سياسية ودعوات دينية تقدم رجالها للسجون وصنوف العذاب ثم لم يلبثوا أن فترت نفوسهم وبردت عواطفهم فتراجعوا إلى الوراء بل وراء الوراء وانحطوا عن مستوى العامة والسوقة ، فإذاً

لا عبرة بالحماسة فقط ولا ثقة بالتضحية فحسب بل الشأن في الاستقامة والدوام ، وليس ذلك إلا بالتربية الروحية وتغذية القلب بالإيمان والذكر وشحن « البطارية » .

قلت والذي علمت من دراسة سيرة فضيلة المرشد رحمه الله وأحواله أنه كان رجلاً موهوباً ذا شخصية عظيمة أعدها الله لتربية الجماعة وقيادة الدعوة ، وكان معنياً بهذه الجوانب كل العناية ولكني أريد أن أسمع تفصيل ذلك من الثقات الذين صحبوه وعاشروه وأعرف فكرتهم .

شخصية المرشد العام ومواهبه العظيمة

هناك انبرى الأستاذ محمد فريد عبد الخالق وألقى الضوء على هذه النواحي وذكر عناية فضيلة الشيخ رحمه الله واهتمامه بالتربية الروحية وإعداد الرجال ونفوذه الشخصي في حياة الإخوان واتصاله الوثيق بهم ، حتى إنه كان يعرف كل أخ باسمه وينصت إلى الواحد منهم ساعة كاملة يحدثه حديثاً شخصياً حتى إذا أسرع دولاب العمل ودارت حوله دوامات عنيفة سياسية وتنظيمية واضطر إلى أن يشتغل بأعمال متنوعة فكان يشرف على الصحيفة اليومية ويبيت بعض الليالي ساهراً ويقابل الوزراء ويشترك في المؤتمرات الصحافية .

اهتمامه بتربية الجماعة

ولكنه كان دائماً يقول : يا ليت أحداً تولى هذه الأعمال وفرغت للإخوان ، وشرح نظام الجماعة في التربية والتنظيم كله بأسلوب جذاب ، وأبدى موافقته لكل ما تقدمت به من كلام ، وشاركه زملاؤه .

مقابلة فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين

ذهبنا إلى دار جميعة الهداية الإسلامية وقد كان الأستاذ طه الساكت مراقبها العام طلب مني الحضور في دار الجمعية الساعة السادسة مساءً ، وقابلنا هنا الشيخ الخضر رئيس الجمعية ومدرس في كلية أصول الدين سابقاً ،

وكنت أعرفه من مقالاته ورسائله العلمية وبحوثه اللغوية من زمان ، وأعرفه كعالم راسخ في العلوم الدينية والأدبية .

معلومات عنه وعن جامع الزيتونة

وسألته عن مدة إقامته في مصر فقال : لي الآن ثلاثون عاماً في مصر وأصلي من الجزائر ومولدي تونس ، وقضيت نحو عشرة أعوام قبل مصر في سورية وغيرها . وقد تخرج في جامع الزيتونة بتونس وأقام في ألمانيا . كذلك سألته عن الأزهر وجامع الزيتونة أيهما أقدم وأيهما أعظم ؟ فقال : الأزهر أقدم وأعظم ويليه في التقدم وكثرة الطلبة جامع الزيتونة ، فإن المتعلمين فيه الآن يبلغون عشرة آلاف مع أن إحصاء تونس لا يزيد على ثلاثة ملايين ونصف مليون ، ثم ذكر رده على القاديانية وسأل أسئلة عنها وعن بعض رجالها وأهدى إلينا كتباً من تأليفه منها : رسائل الإصلاح ، وهي مجموعة مقالاته في الدين والاجتماع والأخلاق في ثلاثة أجزاء و « آداب الحرب في الإسلام » ، و « خواطر الحياة » وهو ديوان شعره و « طائفة القاديانية » وقد تذكرت برؤيته والحديث معه كثيراً من علماء الهند في الهدوء ورسوخ العلم .

يوم الإثنين ١٣/ ٥/ ١٣٧٠هـ ـ ١٩/ ٢/ ١٩٥١م

زيارة دار الآثار العربية

بعد صلاة الظهر ذهبنا إلى دار الآثار العربية حيث وجدنا الأستاذ حسن عبد الوهاب مفتش الآثار العربية الأول في انتظارنا ، وتكرَّم فطاف بنا على الآثار العربية يشرح لنا تاريخها ومن أين استخرجت وأهميتها والنواحي الفنية فيها فجمعنا بين زيارة الآثار وبين دراسة التاريخ المصري العربي « ولا ينبئك مثل خبير » رأينا آثاراً من الأواني والقطع الخشبية والأسلحة وغير ذلك استخرجت من حفائر الفسطاط وظننا أنها من مخلفات فاتحي مصر والصحابة فإذا هي كما ذكر لنا الأستاذ حسن لا تتجاوز العهد الفاطمي ، ورأينا آثاراً جميلة للنجارة المصرية ، والقطع الجميلة من الفسيفساء والرخام المطعم

والملون وأواني الخزف ، والأبواب الخشبية والنحاسية الجميلة وأدوات الزينة والتواليت والمحاريب المتنقلة والنسائج والسجاجيد ، ولاحظنا أن مصر قد تقدمت وفاقت كثيراً في فن النجارة فرأينا أمثلة بديعة جداً من النقش في الخشب وتزيينه . ومن أبدع ما رأينا المشكاوات التي ربما لا يوجد لها نظير في العالم ، ولا شك أن دار الآثار العربية في مصر من أغنى دور الآثار بالطُّرف في العالم .

زيارة الأستاذ أحمد حسن الزيات

ومن دار الآثار العربية قصدنا دار الرسالة حيث اجتمعنا بالأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة وصاحب تاريخ الأدب العربي ، وقد كنت أستاذ تاريخ الآداب العربية في دار العلوم بلكهنؤ لمدة سنوات ، وكان هذا الكتاب مقرراً للسنة السادسة فدرست فيه واشتغلت به زماناً وأعجبت بأسلوب المؤلف الأدبي واقتداره على اللغة العربية فأصبح الكتاب بذلك يجمع بين التاريخ والأدب ولعل الناحية الأدبية تفوق الناحية التاريخية ، وذكرت له هذه الصلة العلمية بيني وبينه ومن الطبيعي أن يسر الإنسان إذا رأى غرسه يثمر وظله الأدبي يمتد حتى يتجاوز إلى البلاد الأخرى . وتحدث معنا الأستاذ في نشاط وانبساط وسألنا عن الوضع التعليمي في بلاد الهند ومدارسها وطلبتها وعن مستقبل اللغة العربية في هذه البلاد ، وكان يتعجب حيناً بعد حين كيف يستطيع هندي درس اللغة العربية في بلاده أن يتكلم بها بطلاقة ، ويبدي إعجابه وسروره ، وقدم إلى كل منا ـ ونحن أربعة ـ نسخة من تاريخ الأدب العربي الطبعة الحادية عشرة وثلاثة أجزاء .

يوم الثلاثاء ١٤/ ٥/ ١٣٧٠هـ ـ ٢٠/ ٢/ ١٩٥١م

في ضيافة الأستاذ محمد فريد عبد الخالق

ذهبت بعد الظهر إلى بيت الأستاذ محمد فريد عبد الخالق مع الأخ يس والشيخ عبيد الله . وجدنا هناك الشيخ محمد الغزالي وعبد الحفيظ الصيفي

والأستاذ الدكتور توفيق الشاوي[1] معلم كلية الحقوق وجلسنا نتحدث، وانتقل الحديث إلى التصوف ونشوئه فقلت: لقد كانت الخلافة الإسلامية تمثل ناحيتين: ناحية الإدارة والسياسة، وناحية الأخلاق والروح، وكانت متكفلة بحفظ هذين الجانبين في حياة المسلمين وازدهارهما، وكانت مسؤولة عنهما في وقت واحد، فلما آلت الخلافة إلى غير الأكفاء وانفصل الدين عن السياسة أصبحت الخلافة أو الإمارة بلفظ أصح - لا تمثل ولا تغني ولا تخلص إلا للناحية الإدارية وأصبحت ناحية الروح والأخلاق ضائعة لا يدعو إليها أحد ولا يعنى بها فرد أو جماعة، وطغت المدنية وما تجلب من ترف وثراء وتحلل، فكاد المسلمون يضيعون في هذا السيل الجارف! فقام رجال وعارضوا هذا التيار ونشروا الدعوة إلى الروح والأخلاق وصاروا يربون أفراداً في أحضانهم وجوههم الهادىء ثم يبعثونهم إلى الخارج ليعارضوا هذا الاندفاع ويدعوا إلى الله، وقد أثرت دعوتهم وجهودهم ولطفت حدة المادية ولولاهم لأصبحت المادية جارفة لا معارض لها ولا مقيد، قال الأستاذ الشاوي: ولكن أساس التصوف غير إسلامي فهو يقوم على نظام الطبقات الذي يلغيه الإسلام ويعارضه، فرجال التصوف طبقة ممتازة ووحدة قائمة بنفسها ثم هم فيما بينهم طبقات متميزة بعضها عن بعض فهذا شيخ وذاك خليفته، وهؤلاء مريدون وهذا مخدوم وأولئك خدام وعبيد، وقد رأيت في بعض الزوايا والحلقات استعباداً وسخرة، ثم رأيت في التصوف فلسفة إغريقية وهندية وهذه ليس لها بالإسلام صلة، قال الشيخ الغزالي وقلت: هذا كله قد طرأ على التصوف في العهد الأخير ولم يكن من هذا شيء أيام الحسن البصري ومن في طبقته، وانتقد الشيخ الغزالي أوضاعاً أخرى حدثت في التصوف وتوارثها المتصوفون كالوراثة وخلافة الأبناء والأحفاد للآباء والأجداد.

---

(١) أحد كبار الكتاب الإسلاميين الموجودين الآن، كان أستاذ القانون الدولي في كلية الحقوق بجامعة القاهرة.

التصوف علاج مؤقت محدود

واتفقنا بعد ذلك على أن التصوف علاج مؤقت ومحدود إذا رجعت الحياة الإسلامية إلى وضعها الصحيح وقامت خلافة إسلامية صحيحة وقامت بوظائفها الإدارية والخليفية والروحية ، فلا حاجة إلى رد فعل ولا إلى إصلاح جزئي ، وفي أثناء البحث جاء الأستاذ البهي الخولي أحد عقول الإخوان المسلمين وقادتهم فاشترك في هذا البحث العلمي .

طلب إليَّ الأستاذ عبد الحفيظ الصيفي أن أقابل اللواء صالح حرب باشا لأنه كلمه في شأن محاضرة ألقيها في جمعية الشبان المسلمين فأحب أن أقابله حتى يحدد الوقت والموضوع ، فذهبنا إليه وجلسنا عنده قليلاً واستطلع رأيي في مصر قلت : لا أزال في دراستها ومشاهدتها وفيها ما يسر وما يحزن ، قال : إن موقعها الجغرافي قد أساء إليها أكثر مما أحسن إليها قلت : مما جنى عليها هذا الأدب التاجر ، قال هو أولى بأن يسمى الأدب الفاجر ، وكان عنده محمود توفيق حفناوي وزير التجارة سابقاً وعضو إدارة التموين العالمي .

الشيخ أحمد الشرباصي ومحاضرته

وقمنا من عند سعادة اللواء وشاركنا في محاضرة الشيخ أحمد الشرباصي وهو عالم شاب ملء العين والسمع ، وكان الموضوع « تحديد النسل في الإسلام » وكانت محاضرة قيمة تجمع بين حسن الإلقاء والخطابة وغزارة المادة . وكلها تمتاز بفصاحة اللغة ونصاعة البيان ، وكان من رأي الشيخ الشرباصي أن الإسلام يسمح بتحديد النسل إذا كان له دواع موجبة ومبررات ؟ وشرحها ، ولكن لا داعي اليوم إلى تحديد النسل في مصر ، إنما نحن في حاجة إلى تحديد نسل الكلاب المدللة التي تركب السيارات وتقيم عليها السيدات المآتم إذا ماتت ، وتقيم لها المقابر كذلك وإن أحوال مصر الاقتصادية والاجتماعية لا تستلزم تحديد النسل .

ورجعنا بعد المحاضرة إلى سعادة صالح حرب فتقرر أن تكون المحاضرة يوم الثلاثاء الساعة السابعة مساء واخترت موضوع « العالم على مفترق الطرق ».

الأربعاء ١٥/ ٥/ ١٣٧٠هـ ـ ٢١/ ٢/ ١٩٥١م .

في دار الكتب المصرية

ذهبنا إلى دار الكتب المصرية التي تعد كبرى المكتبات وأثراها في العالم الإسلامي ولا تفوقها في كثرة النوادر ونفائس الكتب والمؤلفات المخطوطة بقلم مؤلفيها إلا مكتبات الآستانة ، وقد رأينا كتباً كثيرة مكتوبة بخط المؤلفين الكبار كالبيهقي والذهبي وابن حجر وابن الشجري والشعراني ، وأخبرنا أن المكتبة تحتوي على نصف مليون كتاب وخرجنا منها ونحن نعتقد أن هذه الزيارة القصيرة لن تكفي ، وإذا أردنا الإفادة من هذه المكتبة الكبيرة فلا بد لنا أن نتردد إليها مدة طويلة .

اجتماع بالشيخ حسنين محمد مخلوف

صادفنا في دكان أخ من إخوان الجمعية الشرعية فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية سابقاً . قابلنا الشيخ بدماثة خلق وتواضع ودعانا إلى حلوان وعزم علينا أن نزوره ونقضي معه بعض الوقت ، وأهدينا إليه بعض المحاضرات والرسائل .

الخميس ١٦/ ٥/ ١٣٧٠هـ ـ ٢٢/ ٢/ ١٩٥١م

حديث مع الدكتور أحمد أمين

قابلنا الدكتور أحمد أمين وتحدثنا في الأدب والأدباء . سألت عن رأيه في الكتب الأربعة التي عدها ابن خلدون من أصول الأدب : الأمالي لأبي علي القالي، والكامل للمبرد، والبيان والتبيين للجاحظ، وأدب الكاتب لابن قتيبة.

رأيه في أصول الأدب الأربعة

فقال أما أدب الكاتب فكتاب جاف ، وأما الكامل فليس صاحبه موفقاً في الاختيار ولا يحور في ذلك إلى ذوق بل كما قال صاحب العقد الفريد : إنه

يعمد إلى أحط القطع الأدبية مقداراً فيختاره ، وأفضل الأربعة البيان والتبيين . قلت ولكن ينقصه الترتيب فهو مجموعة قطع أدبية مبعثرة ومفككة لا نظام فيها ، وقد كان بعض الأدباء في الهند يقول : إن البيان والتبيين حماسة النثر . قال الدكتور وقد ذكر المرزوقي في شرح الحماسة اسمه البيان والتباين وهو أقرب إلى القياس لأن البيان والتبيين لا فرق بينهما .

الدكتور يفضل أبا حيان على الجاحظ

ثم قال أنا أفضل أبا حيان التوحيدي على الجاحظ ، لأن عصره كان عميقاً قلت : ولكن ميزة الجاحظ كما قلتم في ضحى الإسلام أنه يصور مجتمعه وعصره تصويراً صادقاً . قال وكذلك أبو حيان يمثل مجتمعه وبيئته . ثم جرى ذكر مؤلفاته قال الدكتور ومن مؤلفاته « الحج العقلي » قلت وهذا غريب لأن الحج يمتاز في أركان الإسلام الأربعة بأنه يمثل العاطفة والحب قال : نعم ولم أر هذا الكتاب وأريد أن أقرأه وأعرف فكرته وغايته .

شروح الحماسة

وتكلمنا عن شروح الحماسة ، ففضل الأستاذ شرح المرزوقي على شرح التبريزي ، لأن التبريزي لا يساعد الطالب في فهم الأبيات بل يأتي بنكت وتحقيقات لغوية .

الأدب الأندلسي

وجرى ذكر الأندلسيين فقلت : لاحظت أن الأدب والعلم في الأندلس ليسا في عمق الأدب والعلم في المشرق وأن طابعهما سطحي في المغرب والناحية الأدبية العلمية فوافق الأستاذ على ذلك .

مع الأستاذ سيد قطب

الجمعة ١٧/ ٥/ ١٣٧٠هـ ـ ٢٣/ ٢/ ١٩٥١م .

وركبنا سيارة الحاج حلمي المنياوي وتوجهنا إلى حلوان لزيارة الأستاذ سيد قطب .

نقطة التحول في حياة سيد قطب

قلت له : كنت أعرفكم كأديب كبير من مدرسة الأستاذ العقاد وأقرأ لكم في « الرسالة » بحوثكم العلمية ومقالاتكم في النقد الأدبي ، فكيف كان اتجاهكم إلى إنتاج هذا الأدب الإسلامي القوي ؟ وما هي نقطة التحول في حياتكم الأدبية ؟ قال : لا شك أني تلميذ من تلاميذ الأستاذ العقاد في الأدب والأسلوب الأدبي ، وله علي فضل في العناية بالتفكير أكثر من اللفظ ، وهو الذي صرفني عن تقليد المنفلوطي والرافعي ، ولكن الذي وجهني هذا التوجيه الذي هو أكثر من الأدب والنقد والمعاني الشعرية هو أن نفسي لم تزل متطلعة إلى الروح وما يتصل بها وكنت في صغري مشغوفاً بقراءة أخبار الصالحين وكراماتهم ولم تزل هذه العاطفة تنمو في نفسي مع الأيام ، والأستاذ العقاد رجل فكري محض لا ينظر إلى مسألة ولا يبحث فيها إلا عن طريق الفكر والعقل ، فذهبت أروي نفسي من مناهل أخرى هي أقرب إلى الروح ، ومن ثم عنيت بدراسة أشعار الشرقيين كطاغور وغيره ، وثانياً أني كنت أعتقد أن مثل الأستاذ العقاد في عقله الكبير وشخصيته العظيمة لا يخضع للضرورات والملابسات كالحكومة والسلطة ولكنه سالمها ، ولعل السبب في ذلك أنه تقدمت به السن والإنسان يعجز في شيبه عن تحمل شيء لا يعجز عنه في شبابه ، وقد مرت عليه أعوام تحمل فيها الشدة وضيق ذات اليد فلعل هذا وذاك كان من أسباب مسالمته للسلطة . قلت كان الأستاذ العقاد يخشى عليه أن يجنح إلى الشيوعية كما فعل غيره فكيف جنح إلى المعسكر المعارض لها ؟ قال : هذا يرجع إلى سببين أولهما اعتقاده أن في الشيوعية ضغطاً عقلياً وكبت الأفكار ، وأنها لا تسمح لحرية التأليف وإبداع الرأي وتنكر القيم الروحية ، والثاني سوء تمثيل بعض دعاتها وأنصارها في مصر فذلك الذي حال بينه وبين الشيوعية . قلت : وكيف يهتم بالقيم الروحية وهو كما تفضلت فكري محض ؟ قال هو يعنى بهذه القيم الروحية عن طريق الفكر والعقل أيضاً ولا يبيح لأحد أن يحظرها .

مؤلفات سيد قطب

وتناول الحديث كتبه ومؤلفاته مثل « العدالة الاجتماعية » و « التصوير الفني في القرآن » و « مشاهد القيامة في القرآن » فذكر تاريخ تأليفها والأسباب التي دعت إليه وكيف تدرج في الفكر الإسلامي وارتقت دراسته الإسلامية ، وتغدينا معه وصلينا العصر ورجعنا قبل المغرب إلى القاهرة .

بين الخيال والواقع

ومن الطريف أني كنت قد رسمت في مخيلتي صورة سيد قطب الخيالية شأني مع كثير من المؤلفين الذين أعنى بهم ، ولست أدري هل يفعل هذا غيري أو لا ؟ كنت أتخيله أديباً في العقد الرابع من عمره فارع القامة عريض ما بين المنكبين قوي البنية . فإذا هو إلى القصر أقرب ، يظهر أنه في العقد الثالث تخرج في دار العلوم ولا يظهر بادىء ذي بدء أنه صاحب هذا الأسلوب القوي في الموضوعات الدينية ، وظهر لي في كلامه أنه واضح التفكير نقي الذهن .

السبت ١٨/ ٥/ ١٣٧٠هـ ـ ٢٤/ ٢/ ١٩٥١م .

كتاب « معركة الإسلام والرأسمالية »

اشتغلت إلى الظهر بالكتابة ومطالعة كتاب « معركة الإسلام والرأسمالية » للأستاذ سيد قطب ، وأعجبتني قوة الكاتب وصراحته في هذا الكتاب وإيمانه ومن فتوح الإسلام الجديدة أنه يسخر لرسالته مثل هذا الكاتب الكبير والأديب المثقف .

مع الأستاذ حسين يوسف

واشتغلت بعد الظهر أيضاً بالكتابة والقراءة . وقد وعدنا الأستاذ حسين يوسف والأستاذ عبد الوهاب بالتشريف في العصر ، وقد تأخر قدومهما إلى ما بعد المغرب . وجلسا معنا إلى الساعة التاسعة ليلاً ، وتذاكرنا في موضوع

التحلل الخلقي في مصر ومقاومته ، وحكيا لنا كيف دعا بعض رجال التعليم ووزير المعارف إلى أن يحمل الشبان والفتيات شعلة من كل مديرية وإقليم في مصر ويحضروا إلى القاهرة وماذا كان يجر هذا السفر ليلاً في منتصف الليل من التهتك والفساد ؟ ولكن شباب سيدنا محمد ﷺ احتجوا على هذا العمل ورفعوا الاحتجاجات وبرقيات الإنكار إلى الملك ورئيس الوزراء يومئذ وهو النقراشي ، فأصدر الملك أمره بتأجيل هذا العمل إلى الاستقلال الكلي وكفى الله المؤمنين القتال . وتحدثنا إليهما بما نراه من وجوب التحرز من الوقوع في الشخصيات والبحث في الذاتيات فذكرا عذر الجماعة والصحيفة في ذلك وموجباته ودواعيه وفائدته ، وأدلى كل منا بحجته واتفقنا على أنه لابد من الاحتياط والاقتصار على ما لا بد منه والاعتدال في النقاش والمناظرة العلمية .

الأحد ١٩/ ٥/ ١٣٧٠هـ - ٢٥/ ٣/ ١٩٥١م .

زيارة كلية الآداب

ذهبنا بعد الساعة التاسعة إلى كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول في الجيزة وقابلنا الدكتور أحمد أمين ، وكان عنده درس في الكلية اليوم فلما انتهى منه أخذنا إلى الأستاذ الدكتور زكي محمد حسن عميد الكلية وقدمنا إليه وأبدى له رغبتنا في زيارة الكلية وأقسامها ، فرحب بنا وقدم إلينا نسخاً من الكتاب الفضي لكلية الآداب ، و« دليل الكلية » وأصحبنا الدكتور زكي عميد الكلية الأستاذ زكريا ليدور بنا على الكلية وأقسام الجامعة ، وزرنا معه مكتبة الجامعة ، وطاف بنا مدير المكتبة على مختلف أقسامها ومتاحفها ، ثم زرنا قاعة الجامعة الكبرى وهي من أفخم وأعظم القاعات التي رأيناها إلى هذا الوقت ، وحدثنا الموظفون الذين كانوا معنا أنها في الدرجة الثانية في قاعات جامعات العالم وهي تسع ثلاثة آلاف مقعد ، وأشار الحرس الذين كانوا معنا إلى يمين المنصة وهو مجلس فخم أسدل عليه ستار يفتح ويغلق كهربائياً وقال هذا مجلس (مولانا) يريد الملك فاروقاً ، ودخلنا هذا المجلس فرأينا مثالاً

لقصور الملوك وما تحويه من رياش وزينة وأبهة وصالونات فخمة فرأينا شيئاً قد انقضى دوره في أكثر البلاد والأقطار ، ثم مررنا بمجالس الوزراء وخرجنا من القاعة وألقينا نظرة عامة على مباني الجامعة وأقسامها من كلية الحقوق وكلية التجارة ، وقد لفت نظرنا كثرة الحرس وذلك شيء لم نره في جامعات الهند .

التعليم المختلط في الكليات والجامعات

أما التعليم المختلط فقد أصبح شعار « الجامعات المدنية » ورمز « الثقافة والحرية » بحيث لا يستطيع (المثقفون) أن يسمعوا كلمة نقد في هذا الموضوع أو يروا العدول عنه ، لحوادث كثرت وشاعت لاختلاط الجنسين في أخطر أدوار الحياة وسورة الشباب مع فقدان الوازع الديني والرادع الخلقي ووجود الأدب الذي يثير العواطف الجنسية ويزين لقرائه الاسترسال في الشهوات وإرضاء النزوات ، ويستخف بل يهزأ بالمثل الخلقية والتعاليم الدينية ، فكيف يرجى بعد ذلك بطبيعة الحال أن يتوقف الأمر على الدراسة والمطالعة ولا يتخطاه إلى معرفة ثم محبة ثم وثم ! وأخاف أن تكون هذه المجموعة من ثم آثاماً كثيرة فمن رجا ذلك من المثقفين ـ الذين يدرسون علم النفس ويحكمون على الأشياء بطبائعها ويربطون المسببات بالأسباب ـ كان حاله كما وصف الشاعر :

ألقاه في البحر مكتوفاً وقال له　　إيــاك إيــاك أن تبتـل بـالمـاء

كلمتي في مجلس الإخوان

ذهبنا بعد المغرب إلى منزل الدكتور خليل عشماوي[1] حيث اجتمعنا بمجموعة طيبة من الإخوان المخلصين ، وقابلنا الشيخ محمد الغزالي والشيخ البهي الخولي ، وقد كنت ذهبت لأسمع فإذا بي قد طلب مني أن أتكلم فقلت ما حضرني الساعة. قلت لهم إن هذه المحنة التي ابتليت بها دعوة الإخوان أعتقد

---

(١) كان من أهم أعضاء « الإخوان » النشيطين ، حين زار العلامة الندوي مصر .

أنها منحة لا محنة ، ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

مهمة إعداد النفوس وتجريدها من الشهوات

وإن الله قد أخذ بنواصي العاملين الدعاة فردهم إلى الدعوة والتربية وحاطهم بسياج العقل ، فينبغي لهم أن ينتهزوا هذه الفرصة لغرس الإيمان ومبادىء الدعوة في النفوس أولاً وتدريبها على الأحكام الشرعية ، ويجردوا أنفسهم من الشهوات والمطامع وحب العلو ويخلصوا كل الإخلاص للدعوة ويتجردوا لها بحيث لا يساور نفوسهم حب العلو وأحكام الحكومة العذاب ، قلت لهم إن الله سبحانه وتعالى قد ذم إرادة العلو ووعد المؤمنين بالعلو فقال : ﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [القصص : ٨٣] وقال : ﴿ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٩] فنفهم من مجموع الآيتين أن إرادة العلو مذمومة لا يحبها الله ولكنها منحة وجائزة يجود الله بها على المؤمنين الصادقين والمجاهدين المخلصين ثم لا بد من تنفيذ أوامر الله وأحكام الشرع ، وبمقدار ما يخضع لها وتنقاد وتنشط لها وترتاح يخضع الناس لهذه الحكام ويطيعونها ، وحكيت لهم قصة الرجل الذي جاء راكباً على متن وحش من السباع ففزع الناس واستغربوا فقال لهم لقد خضع لي هذا الوحش لأني خضعت لربي ، قلت : وإن لم تكن هذه القصة حجة من الناحية التاريخية فإن المغزى فيها صحيح .

مسؤولية الأجيال القادمة

وقلت لا بد أن تشعروا بمسؤولية الدعوة وخطرها وجلالة شأنها ، فليس عليكم مسؤولية الجيل الحاضر بل الأجيال القادمة كذلك ، كالبذرة تحمل قوى الشجرة كلها ومباديها فإذا كانت البذور ناقصة جاءت الشجرة ناقصة وعلى بذرة الإيمان والتقوى والعزيمة في القرن الأول نشأت هذه الأمة ، ودرجت عليه أجيالها ، وكل ما نرى في هذه الأمة من إيمان وقوة الدين يرجع في مبدئه إلى الصحابة رضي الله عنهم ويتفرع منه ثم يرجع كل ذلك إلى منبعه وهو إيمان الرسول ﷺ .

كلمة الأستاذ البهي والشيخ الغزالي

وتلاني الأستاذ البهي الخولي وعلَّق على كلمتي وشرحها وزاد فيها معاني وأمثلة وحكايات مؤثرة ووجه الأنظار والهمم إلى العناية بالتربية الروحية وتجريد النفس من الأوضار والأوساخ ، وقال إن كل ما يقع من الرجل من التفريط في جنب الله أو القصور في أداء حق من حقوقه يظهر في معاملة أهله وخدمه والمتصلين به معه ! وذكر أن بعض الصالحين كان يقول إني لأرى التغير في أخلاق خدمي ودوابي وكان بعض أبناء الصالحين يقول إذا صدر منا شيء يغضب أبانا كان أرفق بنا وكان يرفع كفه إلى السماء ويقول يا رب لعلي عصيتك وأغضبتك حتى تنكر لي أبنائي وأغضبوني ، إلى غير ذلك من الأمثلة والأحوال ، وكنت أشعر بنفحة صوفية في كلام الأستاذ البهي ، وذلك لدراسته للتصوف الإسلامي الصحيح وتقديره له ، وأعقبه الشيخ محمد الغزالي فعلق على كلمتي مع تعديل لكلام الأستاذ البهي الذي نزع في عقيدة الشيخ محمد الغزالي إلى النزعة الصوفية فأراد أن يتوسط بين ما يقتضيه هذا العصر من التبسط في المعيشة والتمتع بالمباحات وبين الناحية الخلقية وتربية النفس وتعجب من توارد الخواطر بيني وبينه .

وتعرفنا في هذا المجلس سيد سابق[(١)] وهو رجل صالح فقيه النفس والعلم وقد سماه الشيخ الغزالي بمفقه الجماعة ورأيت الناس يثنون عليه .

الإثنين ٢٠/ ٥/ ١٣٧٠هـ ـ ٢٩/ ٢/ ١٩٥١م .

مع الأستاذ علي الغاياتي

ذهبنا اليوم قبل الظهر إلى الأستاذ علي الغاياتي صاحب « منبر الشرق » فقد حصلت فترة طويلة بعد لقائنا فرحب بنا وأكرم وفادتنا وصادفنا عنده الأستاذ فتحي رضوان من كبار المحامين في مصر ولما اطلع على كتاب « ماذا

---

(١) صاحب الكتاب المشهور في الآفاق « فقه السنة » .

خسر العالم » الذي كان عند الأستاذ علي الغاياتي ـ سألني عن رأيي في تعليم البنات الجامعي ومزاولتهن للحرف والوظائف فقلت : إني لا أنظر إلى هذه المسألة كمسألة مستقلة وأعتقد أنه لا يصح الحكم فيها في مجتمع منحل وبيئة غير إسلامية لا تطبق فيها الأحكام الإسلامية والحدود الشرعية ، أما إذا كان المجتمع إسلامياً والحياة الدينية سائدة والحدود نافذة والضمائر حية والوعي الخلقي موجوداً ، فلا بأس إذاً من التعليم العالي ومعالجة النساء بعض شؤون الحياة بشرط ،أن يتفق ذلك مع طبيعة الجنس اللطيف وضعفه ووظائفه الجنسية .

وارتضى الرأي ، وطلب الأستاذ الغاياتي صورتي فاعتذرت له كما اعتذرت للأستاذ أسعد حسني ، ووعدته بترجمة حياتي على تواضعها وخلوها من جلائل الأعمال والمآثر ، فرضي بذلك وأبدى حرصه على نشرها(١) .

حديث عن الإخوان ومرشدهم العام

ذهبنا بعد المغرب إلى منزل الأستاذ البهي الخولي في القلعة وجلسنا عنده أكثر من ثلاث ساعات تحدث فيها عن الإخوان المسلمين وتنظيمهم ونشاطهم قبل الحل وما أثرت دعوتهم في هذا الشعب الرخو الرقيق وأخلاقه ، وما ظهر من شبانها من قوة وثبات وإيمان وجلادة وصرامة حتى إبراهيم عبد الهادي باشا يقول : لو كان عندي ثمانون شاباً من هؤلاء الشبان الذين تحملوا صنوف العذاب في السجن ثم لم يتزعزعوا ولم يستكينوا لتحديت بهم العالم ، قال الأستاذ البهي : ولولا هذه الدعوة لكانت مصر فريسة هذا التحلل والتفسخ ولانهارت ، ولكن الله تبارك وتعالى تداركها بهذه الدعوة الإسلامية التي أمسكتها ووقفت في طريق اندفاعها ، ثم ذكر التفاف الإخوان حول قائدهم الأستاذ حسن البنا وانبثاث عروق الجماعة في مصر كلها ، واجتماع القلوب على محبته وطاعته حق قالت صحيفه مصرية : لو عطس حسن البنا في القاهرة

---

(١) قد كتبها العلامة الندوي ، وطبع إلى الآن ثلاثة أجزاء منها بعنوان « في مسيرة الحياة » . في دار القلم بدمشق .

لقال الإخوان في أسوان : يرحمك الله ، والأستاذ البهي كان زميلاً للأستاذ البنا ، دخل معه في دار العلوم وظل له زميلاً إلى العهد الأخير وذكر تاريخ تقدمها وتطوراتها إلى أن وصلت إلى ما وصلت إليه ، وذكر أمثلة كثيرة من حكمته وفقهه وإخلاصه وتفانيه في الدعوة ، وقد لاحظنا أن الأستاذ البهي رغم كونه قريباً له يحمل له تقديراً عظيماً وحباً عميقاً ، وهو متأثر بشخصيته القوية ومواهبه الفذة ، ولما عرف أن الأخ الشيخ عبيد الله قد اجتمع بالفقيد مراراً في الحجاز سر كثيراً وردد مراراً ، هل رأيت المرشد يا أخي ؟ هل سمعته يخطب ؟ وهذا يدل على أن الأستاذ رحمه الله قد ملك على أصحابه وزملائه الإعجاب وحل من قلوبهم ونفوسهم محل الزعيم المحبوب والقائد المفدى .

محاضرتي في دار الشبان المسلمين

ذهبنا بعد صلاة المغرب إلى دار الشبان المسلمين والليلة موعد إلقاء المحاضرة وصادفت على الباب الشيخ محمد الغزالي ثم الشيخ أحمد الشرباصي الأستاذ بمعهد القاهرة ورحب بي في حفاوة وحرارة ، وقال : قد شرعت في مطالعة كتابكم « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ » وأبدى إعجابه وتأثره بالكتاب والمحاضرات ، وقدم إلي مجموعة من مؤلفاته ورسائله ، وجلسنا نتحدث وجاء عدد طيب من أساتذة الأزهر وكلية الآداب ، ومن الإخوان المسلمين ورجال الهيئات الإسلامية وحضر فضيلة الشيخ عبد اللطيف دراز[1] مدير معاهد الأزهر والأستاذ عبد المتعال الصعيدي أستاذ اللغة العربية والأستاذ عبد المنعم خلاف صاحب كتاب (اؤمن بالإنسان) وشيوخ وأساتذة آخرون وحان وقت المحاضرة فدخلت مع الشيخ عبد اللطيف دراز والشيخ أحمد الشرباصي .

---

(١) أحد علماء الأزهر ، عرف عنه كفاحه وبطولته في مواجهة الاحتلال الإنكليزي على جميع الجبهات في ساحة الأزهر ، وله باع طويل في السياسة المصرية على مدى نصف قرن ، توفي سنة ١٣٩٧هـ .

كلمة الأستاذ أحمد الشرباصي

وتقدم الشيخ أحمد الشرباصي فألقى كلمة تعريف لمحاضر الليلة ونوه بالهند ومآثرها العلمية وقال : إن فرحتنا بولادة دولة باكستان أنستنا أن في الهند شعباً كبيراً من المسلمين وله مآثر جليلة وآثار علمية كثيرة ولاتزال الهند منفردة ببعض الآثار الإسلامية ومن الكتب القيمة ما لم يطبع إلا في الهند مثل كشاف اصطلاحات الفنون وقد طبع في الهند كتاب الخصائص الكبرى للسيوطي قبل أن يطبع في بلد عربي وأشاد بكتاب ماذا خسر العالم .

محاضرتي العالم على مفترق الطرق

وتقدمت وألقيت كلمتي في موضوع « العالم على مفترق الطرق » التاريخ البشري في امتداده وانعطافه كالنيل

وخلاصتها : أن التاريخ البشري في امتداده وانعطافه يمكن أن يشبه بالنيل يجري طويلاً على خط واحد ثم ينعطف ويتحول ، كذلك التاريخ ينقسم بين قسمين : (١) دور الاستمرار (٢) ودور التحول ، فالاستمرار أن يتجه التاريخ اتجاهاً واحداً ويجري في مجرى واحد وقد يستمر هذا الاتجاه مئات من السنين أو آلاف من السنين ولا تنافيه التغيرات في الحكومة إذا كانت فلسفة الحياة واحدة وأساس الحضارة واحداً ونظرية الحياة واحدة .

من عهد الإغريق إلى عهد البازنطيين

وقد كان ذلك من عهد الإغريق إلى عهد البازنطيين فقد كان الاعتماد في تصميم الحياة على الحواس والقياس والأهواء ، وقد تم إفلاس هذه الحياة وانكشف فشلها في القرن السادس المسيحي وكانت البعثة المحمدية نقطة التحول للعالم ، فاتجه العالم من الاعتماد على الحواس والقياس والأهواء إلى الاعتماد على الوحي السماوي والتشريع الإلهي .

من البعثة المحمدية إلى القيادة الأوربية

واستمر هذا الاتجاه قروناً وبقي هذا النهر البشري يجري في مجرى واحد

إلّا أنه يختلف في الاتساع والضيق والقوة والضعف ، واعترض هذا النهر صخرتان كادتا تحولان اتجاه هذا التيار ، الأولى : الحروب الصليبية في القرن السادس الهجري ولكن العالم الإسلامي تحت قيادة السلطان صلاح الدين الأيوبي استطاع أن يدحر هذه الصخرة ويتغلب على هذا الخطر ، والثانية : غزو التتار وقد تحطم فيه العالم الإسلامي ولكن لم تتحطم فيه قوته المعنوية وروحه ، وقد انتصرت الدعوة الإسلامية على التتار وأسلموا جميعاً ولكن بعد ذلك حدث ما حول هذا الاتجاه تحويلاً كلياً وغير مجرى التاريخ وهو الهجوم الغربي على العالم الإسلامي واستيلائه عليه بفلسفته وحكمته وتجاربه واكتشافاته وبقي العالم العربي يبرز ما عنده ويطبق ما يدين به نحو قرنين ، وهذان القرنان يساويان آلافاً من السنين لأن أوربا وصلت إلى غايتها في مدة أقل من مدة الأمم السابقة لسرعة آلاتها وقوتها وقد نثرت في هذه المدة كنانتها وأفرغت جعبتها .

إفلاس القوات الأوربية

وظهر إفلاسها وفشلها في قيادة الإنسانية وزعامة العالم البشري ، وأن المعسكرين الرأسمالي والشيوعي متحدان في أساس الحياة ونظريتها وفلسفتها وليست قوة الشيوعية إلَّا لمحاربة الرأسمالية وسوء تصرفها ، فإذا انهارت الرأسمالية انهارت الشيوعية ، وبدأت الإنسانية تيأس من الشيوعية ، ولا يبقى إذن إلَّا الدعوة الإسلامية والنظام الإسلامي .

العالم على مفترق الطرق

وقد نضجت أوربا بمعسكريها ؛ كالثمرة الناضجة وحان قطافها والعالم واقف على مفترق الطرق وهذا دور القيادة الإسلامية . فإذا تقدم المسلمون وتسلموا قيادة العالم الحائر فذاك وإلَّا اتجه العالم اتجاهاً آخر ، واستمر هذا الاتجاه قروناً وآلافاً من السنين وبقي الإسلام منعزلاً .

رأيي في المحاضرة

وكان الموضوع علمياً تاريخياً وكان الأولى بي أن أكتب المحاضرة

وأقرأها ، ولكني أردت أن أرتجلها ، وظننت أن هذا ينافي تقاليد المحاضرات في هذه البلاد فإذا هم ينتظرون أني كنت قد كتبتها وأعترف هنا أن الكلمة لم ترضني وشعرت أني لم أستطع أن أعبر عما في ضميري ولم أوف حق هذا الموضوع الجليل ، ولكن رد فعل السامعين كان غير ذلك فقابل المستمعون الكلمة بنشاط ورغبة .

تعليقات الخطباء

وعلق عليها الأستاذ الشرباصي ثم الأستاذ عبد المتعال الصعيدي ثم الشيخ محمد الغزالي ثم الأستاذ عبد المنعم خلاف ، وانفضت الجلسة فأحاط بي الضيوف ورجال الجمعيات يشكرون ويهنئون ويصافحون وأنا أشعر أنهم يهنئون غيري لأني لا أستحق اليوم هذا الإكرام .

الأربعاء ٢٢/ ٥/ ١٣٧٠هـ ـ ٢٨/ ٢/ ١٩٥١م .

حديث مع عبد الكريم الخطابي

في آخر النهار ذهبنا إلى الأمير عبد الكريم الخطابي بطل الريف في حدائق القبة ، وكنت متطلعاً إلى زيارته لأني كنت أقرأ وأسمع أخبار جهاده مع إسبانيا وفرنسا وأنا في الثانية أو الثالثة عشرة من عمري ثم سمعت من صديقي وزميلي في التدريس الأستاذ محمد العربي المراكشي[١] شيئاً كثيراً من أساليبه الحربية وشجاعته وثباته وكتب الأمير شكيب أرسلان مرة إلى صديقي الكريم الأستاذ مسعود الندوي كتاباً خاصاً ينوه فيه ببطولة الأمير وعصاميته ويقول إنه أعظم شخصية الآن في العالم الإسلامي ، كل ذلك جعلني حريصاً على الاجتماع به وسماع أخباره منه من غير واسطة ، وصلنا إلى منزله الذي يحرسه الحرس المصري وأخبر الأمير بقدومنا فدعانا ورحب بنا وعرفناه بأسمائنا ووطنيتنا وجلسنا نتحدث ورأيته مطلعاً على أخبار العالم الإسلامي وملماً بجغرافية الهند

---

(١) هو الأستاذ الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي .

وقد اتصل بكثير من الهنود المسلمين في منفاه رينيون Re. Uniou في بحر الهند وقد مكث فيه عشرين سنة .

معلومات عن جهاده

قلت لسموه على كم مساحة استوليتم في جهادكم فقال مساحة ما استولينا عليه أولًا خمسون في خمسين كيلو ثم اتسعت الرقعة جداً ، قلت وهل أخذتم تطوان قال تهيأنا للهجوم عليها ولكن وقع التسليم قبل ذلك ، قلت وكم جندياً كان يقاتل تحت رايتكم ؟ قال بدأنا الجهاد بأربعة آلاف جندي ثم أصبحوا في الأخير أربعين ألف جندي ، قلت وكم كان جيش الإسبان ؟ قال كان في الأول مئة ألف ثم انتهى في الأخير إلى أربعمئة ألف وكانت الجبهة التي نقاتل فيها نحو ستمئة كيلو فكنا نحتاج إلى الدفاع والهجوم في هذه المساحة الواسعة جداً ولم تكن الفتن الداخلية والحروب الأهلية التي أثارها العدو علينا أقل من الجهاد مع العدو ، وبدأت الحرب سنة ١٩١٠م واستمرت مع الإسبان أربع سنين وتدخلت فرنسا سنة ١٩٢٤م ووقع التسليم ١٩٢٦م لنفاد الذخائر وانقطاع الميرة واشتداد البرد وطول الحصار ، قال وقد غنمنا في بعض المواقف ذخائر حربية كبيرة فقد غنمنا في موقف أربعمئة مدفع ، وكنا قد نفذنا أحكام الشرع والحدود فقطعت اليد في المرة الأولى ثم انقطعت السرقات واستتب الأمن ، وهل كان المجاهدون يهدفون شيئاً آخر غير الجهاد الإسلامي وإعلاء كلمة الله وهل كانوا يعرفون الوطنية والقومية ؟ قال كان الغالب منهم لا يعرف إلا الجهاد الديني ولولا هذا لما نجحنا هذا النجاح ولما كان هذا النفوذ والتأثير في النفوس ، قلت وهل يصح ما سمعنا أن سموكم كان ضابطاً في الجيش الإسباني فحدث ما أثار حميتكم الدينية وغيرتكم العربية فكان نتيجة هذه الأنفة والثورة النفسية هذا الجهاد العظيم ؟ قال لم أكن ضابطاً في جيش إسبانيا ولم يحصل شيء من هذا . وكيف تعلمتم الفنون الحربية واستطعتم تدريب الجيش ومقاومة جيش عصري قوي ؟ قال : أما الفن الحربي فقد تعلمناه بالتجربة والمطالعة فنحن دائماً في جهاد وحرب مع الإسبانيين ، وأما الاستراتيجي فهو موهبة لا كسب ولا دراسة . قلت : وهل هناك أمل في استقلال الريف

والمغرب الأقصى ؟ قال : لا بد من الاستقلال ولكن عقلية فرنسا عقلية ضيقة وعقلية الإنجليز أوسع منها وأكثر مرونة . وطلب مني الأمير أن أكرر الزيارة فيزودني بمعلومات كافية .

وشكرت سموه ورجعنا إلى المدينة وذهبنا إلى مركز جمعيات الشبان المسلمين وكنا على موعد بيننا وبين فضيلة الشيخ أحمد الشرباصي وبقينا أكثر من نصف ساعة ولم نتشرف به .

الخميس ٢٢/ ٥/ ١٣٧٠هـ ـ ١/ ٢/ ١٩٥١م .

ذهبت اليوم إلى مطبعة السنة المحمدية لأرى ورق الغلاف وأتأكد من حسن طباعة « المد والجزر في تاريخ الإسلام » ولما رجعت قبل الظهر بقليل علمت أن الشيخ أحمد الشرباصي كان جاء إلينا واعتذر أنه كان في جمعية الشبان المسلمين ينتظرنا ولم يخبره أحد بقدومنا وكانت معه جماعة من أهل العلم يتكلمون في كتابي ماذا خسر العالم ؟ وينتظرونني ، وتأسفت جداً على عدم الاجتماع به ونحن في مكان واحد ، ووجدت بطاقة زيارة سعادة اللواء محمد صالح حرب كذلك فتأسفت على عدم وجودي في المحل وقد جاء ليشرفنا وهو مريض يصعب عليه الطلوع والنزول وسنتشرف به رداً لزيارته .

محاضرتي في دار الأرقم

كان الليلة موعد إلقاء المحاضرة في دار الأرقم مركز شباب سيدنا محمد ﷺ فذهبنا إليها وصلينا العشاء وقدمني الأستاذ حسين يوسف وافتتحت الكلام وذكرت الأدوار الخمسة التي مرت بالدعوة الإسلامية في الهند .

أدوار الدعوة الإسلامية الخمسة في الهند

الدور الأول : هو دور المجدد الديني الكبير الشيخ أحمد السرهندي (م ١٠٢٤م)[١] فإنه رأى أن الهند التي تحكمها أسرة إسلامية اندفعت اندفاعاً

---

(١) اقرأ كتاب العلامة الندوي حول حياة الشيخ أحمد السرهندي وآثاره ومآثره في خدمة الدعوة الإسلامية بالهند ، طُبع ضمن سلسلة لـ « رجال الفكرة والدعوة في الإسلام »=

قوياً إلى الحضارة الهندوسية بل الوثنية والتحلل من ربقة الإسلام وذلك بميول ملكها الأمي السلطان جلال الدين أكبر الذي نزع إلى تقليد الكفار وإرضائهم ومزج الديانات بعضها ببعض وكان قد ظهر له تجديده واجتهاده فخلط العقائد والطقوس والعبادات وخرج منها بمزيج غريب وطارد الشريعة الإسلامية بكل قوته ، فكادت الهند تصبغ صبغة وثنية بتأثير ملكها الكبير ومن حوله من البلغاء والعلماء ، ورأى الشيخ أحمد أنه لا يستطيع أن يحدث انقلاباً عسكرياً أو يؤسس حكومة إسلامية لأن الحكومة المغولية كانت شابة قوية لم يصبها شيء من الوهن والهرم ، فاختار طريقاً آخر وهو التأثير في بلاط الملك ورجال الحكومة فاتصل بهم اتصالاً روحياً وعلمياً وبقي في سرهند يراسلهم ويملي عليهم آراءه ورغباته حتى خضع له هذا المحيط روحياً وأثرت شخصيته القوية وإخلاصه الباهر وزهده فيما عندهم وتألمه من غربة الإسلام في دياره فاهتزوا لرسائله المؤثرة وانقادوا لإشاراته فتغير اتجاه الدولة وانقلب التيار وكان كل يوم في تاريخ هذه الدولة خيراً للإسلام من اليوم الذي سبق حتى جاء على عرش الدولة التيمورية بتأثير أبناء الشيخ أحمد وأحفاده وتربيتهم ـ الملك الصالح الفقيه العادل السلطان أورنك زيب عالمكير الذي أبطل المكوس الجائرة عن المسلمين ووضع الحرية ونكس شعائر الكفر ورفع منار الإسلام وأمر بتدوين الفتاوي الهندية التي كانت دستوراً للحكومة ، وما ذلك إلا غرس غرسه الشيخ أحمد وأولاده .

والدور الثاني : هو دور حكيم الإسلام الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي (١١٧٦هـ)[1] الذي عني في عصره بنشر العلم الصحيح ومحاربة البدع والخرافات وتمهيد العقول والمجتمع للانقلاب الإسلامي الصالح وعرض نظام الإسلام السياسي والاجتماعي والخلقي في كتبه فكان نتيجة ذلك أن وجدت جماعة تفهم الإسلام فهماً صحيحاً وتلتهب غيرة على الإسلام

= من جزئها الثالث . صدر عن دار ابن كثير بدمشق .

(١) اقرأ كتاب العلامة الندوي حول حياة الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي طبع في ضمن سلسلته لـ « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » عن جزئها الرابع .

واستنكاراً للمجتمع الفاسد وتحاول تطبيق الأحكام الإسلامية على المجتمع والحياة .

والدور الثالث : هو دور تلاميذ الشيخ عبد العزيز الدهلوي بن الشيخ ولي الله وفي مقدمتهم وعلى رأسهم السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد والشيخ المجاهد إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله الدهلوي ، نظموا جماعة كبيرة وأحسنوا تربيتها الدينية والحربية وهاجروا إلى حدود الهند الشمالية ليقدموا منها ـ هازمين سكة (السيخ) الذين احتلوا بنجاب وأذاقوا المسلمين سوء العذاب ـ إلى الهند لإجلاء الإنجليز ، وتأسيس الدولة الإسلامية على منهاج الكتاب والسنة وقد هزموا سكة في معارك كثيرة وأسسوا دولة إسلامية شرعية في الحدود تشتمل على بشاور وما جاورها ونفذوا الحدود الشرعية وطبقوا النظام الإسلامي المالي والإداري تطبيقاً دقيقاً ولكن ثار عليهم الأفغان لمصادمة هذا النظام لمآربهم الشخصية وعقائدهم وعاداتهم الجاهلية فقلبوا هذا النظام ثم اصطدم المجاهدون بجيش سكة في وادي بالاكوت فاستشهد الإمام السيد أحمد وصاحبه الشيخ إسماعيل وكبار أصحابهما عام ١٢٤٦هـ ولجأ الفل إلى الجبال ، ولم يزل هؤلاء وأصحابهم في الهند قائمين على الحق باذلين في ذلك النفس والنفيس . ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

والدور الرابع : دور تلاميذ هذه الجماعة وأصحابها . رأوا أن الإنجليز قد استولوا على الهند ورسخت أقدامهم واستقرت دولتهم وأصابت المسلمين دهشة الفتح وهيبة الاحتلال واستولى على نفوسهم اليأس بفشل الثورة التي قاموا بها سنة ١٨٥٧م فلم يجدوا سبيلاً للاحتفاظ بالحياة الإسلامية وتربية المسلمين التربية الدينية والخلقية وإعادة الثقة إلى قلوبهم بمستقبلهم ومكافحة تيار الغرب المدني والثقافي الذي كاد يجرف بالشعائر الدينية والبقية الباقية من حضارة المسلمين وثقافتهم لم يجدوا سبيلاً لكل هذا إلا إنشاء المدارس الدينية التي تكون معاقل الإسلام وحصون الشريعة والعلوم الدينية فأسسوا مدرسة ديوبند ومظاهر العلوم ودار العلوم التابعة لندوة العلماء .

والدور الخامس : هو دور تلاميذهم وأصحابهم ، وعلى رأسهم الشيخ محمد إلياس بن الشيخ الكاندهلوي (م١٣٦٣هـ)[١] فقد رأى ما أصاب المسلمين من التحلل والإفلاس في الإيمان والروح والشعور الديني في هذه المدة وما أثرت فيهم الحكومة الإنجليزية والحضارة الغربية « التعليم المدني » وغفلة الدعاة والاشتغال بالحياة والانهماك بالمادة وأصبحت المدارس والأوساط الدينية كجزر في بحر محيط وأصبحت تتأثر بمحيطها الثائر على الدين ولا تؤثر لضعفها وعزلتها عن الحياة فرأى أن التعليم وحده لا يكفي والاعتزال والانزواء لا يصح ولا بد من الاتصال بطبقات الشعب ولا بد من التقدم إليها من غير انتظار لأنها لا تشعر بمرضها وفقرها في الدين ويبدأ بغرس الإيمان في القلوب ومبادىء الإسلام ثم الأركان والعلم والذكر مع مراعاة الآداب التي تقوي هذه الدعوة وتحفظها من الفتن ومنها إكرام كل مسلم ومنها عدم الاشتغال بما ليس بسبيل الداعي وترك كل ما لا يعني ودعا إلى هذا النظام بكل قوته ونفوذه ودعا إلى الخروج في سبيلها وبثها في القرى والمدن وبدأت دعوته بمنطقة هي أحط المناطق الهندية خلقاً وأبعدها عن المدن وأكثرها جهالة وضلالة وهي منطقة (ميوات) في جنوب دلهي عاصمة الهند .

دعا الناس فيها إلى الانقطاع عن أشغالهم والخروج من أوطانهم المدة المحدودة قد تكون شهراً وقد تكون أكثر من ذلك وعرف أنهم لا يتعلمون الدين ولا يتغيرون في الأخلاق إلا إذا خرجوا من هذا المحيط الفاسد الذي يعيشون فيه وقد قبل دعوته مئات وألوف في هذه المنطقة وخرجوا لشهور وقطعوا مسافات بعيدة ما بين شرق الهند وغربها وشمالها وجنوبها ركاباً ومشاة

---

(١) هو الداعية المجدد العظيم الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ، كان من أكابر الدعاة الذين عَرَفهم العالم الإسلامي في عصرنا الحاضر ، ولد في « كاندهلة » قرية من قرى « سهارنفور » بالهند ، أتم دراسته في دار العلوم ديوبند الإسلامية وتخرج على كبار أساتذتها ، ثم انتقل إلى دهلي وأسس جماعة الدعوة والتبليغ في الخمسينات ، وقد انتشر دعاتها ورجالها اليوم في العالم ، وهي في نشاط مستمر وغدو ورواح في جميع الأقطار الإسلامية والعربية ، وفي البلاد الأوربية والأمريكية .

وتغيرت أخلاقهم وتحسنت أحوالهم واشتعلت عواطفهم الدينية وانتشرت الدعوة في العهد من غير نفقات باهظة ومساعدات مالية ونظم إدارية بطريقة بسيطة تشبه طريقة الدعوة في صدر الإسلام وتذكر بالدعاة المخلصين والمجاهدين المؤمنين الذين كانوا يحملون ـ في سبيل الدعوة والجهاد ـ متاعهم وزادهم وينفقون على أنفسهم ويتحملون المشقة محتسبين متطوعين .

وبعد ذلك وجهت الجماعة إلى اختيار هذه الطريقة والقيام بتجربتها وأبديت رغبتي في مصاحبتهم إلى بعض المديريات أو مركز من مراكزهم لتجرب هذا النظام فرحب الأستاذ حسين يوسف بهذه الفكرة ووعد أنه سيتفق مع بعض فروعه على هذه الجولة الدينية ويخبرنا بالموعد وخطب بعدي الأستاذ حسين يوسف بهذه الفكرة ووعد أنه سيتفق مع بعض فروعه على هذه الجولة الدينية ويخبرنا بالموعد وخطب بعدي الأستاذ علي عدلي المرشدي رئيس فرع جماعة أنصار السنة المحمدية بالسيدة زينب وعلق على محاضرتي ووجه الأنظار إلى بعض النقط المهمة في خطبتي .

الجمعة ٢٤/ ٥/ ١٣٧٠هـ ـ ٢/ ٣/ ١٩٥١م .

طلعت الصحف اليوم بأخبار مراكش المؤسفة المحزنة لكل مسلم فقد طاردت فرنسا الحزب الوطني المراكشي وطوقت قصر السلطان وسجنت آلافاً من المراكشيين وكانت حوادث مراكش الدامية حديث الناس اليوم .

رحلة إلى بنها

كنا اتفقنا على زيارة بنها[١] والرحلة إليها مع فضيلة الشيخ محمد الغزالي وتوجهنا إلى محطة القاهرة وهذه زيارتي الأولى للمحطة ورحلتي الأولى على القطار في مصر وأعترف بأني كنت أشعر بشيء من الحنين إلى القطار والسفر عليه فقد نشأنا في بلادنا بين صفير القطار وزحام المحطات ولعلي بدأت بالأسفار على القطار وأنا رضيع محمول فلما وصلت المحطة وركبت القطار

---

(١) مدينة في مصر ، تقع على فرع دمياط ، وهي عاصمة محافظة القليوبية .

وشعرت بنشاط ونفحة من نفحات الصبا (بالكسر) .

مشاهدة الريف المصري

وتحرك القطار ونحن نتفرج على أرياف مصر التي سمعنا عنها كثيراً ، ورأيت المصريين يحرثون الأرض وقد اعتدنا في بلادنا أن لا نرى إلّا الفلاحين الوثنيين فالفلاحون المسلمون نادرون في مقاطعتنا ، وفي ساعة واحدة وصلنا إلى بنها .

كلمتي في الجامع

ثم ذهبنا إلى الجامع حيث صلينا الجمعة وخطب الشيخ محمد الغزالي وكان موضوع الخطبة قوة الشخصية التي يجب أن يعتني بها المسلم ويحافظ عليها ، وقد جمعت الخطبة بين التوجيه الديني وعلم النفس ، وبعد صلاة الجمعة أعلن بكلمتي فقمت وقلت :

بين الناحية البشرية العامة والناحية الإيمانية الخاصة

إن المسلمين يجمعون بين ناحيتين الناحية البشرية العامة التي تشاركهم فيها الأمم البشرية كلها وكل إنسان مسلماً كان أو غيره ومن لوازم هذه الناحية ومقتضياتها أن يأكلوا ويشربوا ويتكسبوا ويتجروا ويزرعوا ويتوظفوا إلى غير ذلك من لوازم الحياة الإنسانية والمدنية ، والناحية الأخرى هي الناحية الإيمانية وحملهم لرسالة خاصة وإيمانهم بعقيدة خاصة وتلك ما يمتازون بها عن غيرهم من الأمم وهي من خصائصهم وفيها سر قوتهم وانتصارهم ووقارهم عند الله ولم يبعث الرسل ولم يبعث النبي ﷺ لشرح الناحية الأولى وإبرازها وتبليغها وإنما بعثوا جميعاً لشرح الناحية الثانية ، وإبرازها وتبليغها فليكن اهتمام المسلمين بها أكثر وأظهر .

جناية المسلمين على أنفسهم

وكان من جناية المسلمين على أنفسهم أنهم قطعوا صلتهم عن الناحية

الثانية وبقوا مرتبطين بالأولى يمثلونها ويعتنون بها فسقطوا من أعين الناس وسقطت قيمتهم عند الله ثم ضربت لهم مثلاً بموظفي الحكومة ، قد يكون رجلاً حقيراً يتقاضى راتباً زهيداً ولكنه ينتسب إلى الحكومة ويلبس بذلتها الرسمية ويحمل شعارها ، فإذا أهانه أحد أو ضربه أو اعتدى عليه قامت الحكومة تدافع عنه وعن كرامته وتعد هذا الاعتداء الشخصي اعتداءً على كرامتها ولا يتمتع أكبر الأغنياء وأكبر التجار بهذه الكرامة ولا تغضب به الحكومة إذا أهين أو اعتدي عليه وهكذا كان المسلمون في الزمن الأول يمثلون الحكومة الإلهية وينتسبون إلى دين الله ويعدون من رجاله فإذا أدين مسلم في بقعة من الأرض وإذا تعرض أحد للأمة الإسلامية بإهانة أو اعتداء نزل غضب الله وانتقم منه انتقاماً شديداً وها نحن الآن هدف كل إهانة وعرضة للاعتداء ولحم على وضم ، هذه مراكش الإسلامية تضرب بالقنابل ويهان أهلها المسلمون ويدوس المستعمرون كرامتها ، ثم لا يحرك ذلك ساكناً ولا يثير انتقاماً . ولإصلاح هذا الوضع المخزي يجب أن نرجع إلى الناحية الخاصة بنا المشرقة لنا الحارسة لكرامتنا ، وهي الناحية الإيمانية وناحية الروح والعقيدة والرسالة فنستعيد مجدنا ونسترد قوّتنا وشبابنا .

السبت ٢٥/ ٥/ ١٣٧٠هـ ـ ٣/ ٣/ ١٩٥١م .

حديثي إلى شباب الإخوان الأزهريين

بقيت اليوم في المحل واشتغلت بالكتابة والتحرير ، وجاءنا بعد المغرب الأخ محمد الدمرداشي وأخذنا معه إلى منزله بشبرا حيث كان قد تقرر أن نجتمع بالإخوان ونبيت عندهم هذه الليلة ووصلنا فوجدنا مجموعة طيبة من طلبة الأزهر وأكثرهم طلبة كلية أصول الدين .

الاحتفاظ بالأمانة الدينية

وكان حديثي الليلة عن الأمانة الدينية التي خلفها النبي ﷺ والجيل الأول من المسلمين وما ينتظر من العالم الديني أن يضطلع بها وهي تستلزم الاحتفاظ

بالعقيدة الإسلامية الأولى والشريعة الإسلامية فيحرص على المحافظة على سلامتها وينفي عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ومنها الاحتفاظ بأركان الدين وفرائضه وواجباته فيحافظ عليها روحاً وشكلاً ونظاماً ولا يتهاون بها أبداً وبمقدار محافظته على هذه الأركان وشكلها وروحها يهتم بها العوام فإذا أغفلها أو تساهل العالم فلا أمل فيها للعوام . ثم الاحتفاظ بروح الدين والكيفيات القلبية من إخلاص واعتماد على الله وإنابة إليه وابتهال في الدعاء وتلذذ بالذكر والخشوع في الصلاة وذلك أيضاً جزء مهم من أجزاء هذا الدين وإرث نبوي مما امتاز به الجيل الأول والصحابة رضي الله عنهم ، وكان ذلك سبباً من أسباب انتصارهم على العدو ، فقد سأل هرقل رجلاً كان قد أسر مع المسلمين فقال أخبرني عن هؤلاء القوم ؟ فقال : أخبرك كأنك تنظر إليهم ، هم فرسان بالنهار ورهبان بالليل ، لا يأكلون في ذمتهم إلَّا بثمن ولا يدخلون إلَّا بسلام يقفون على من حاربوا حتى يأتوا عليه فقال : لئن كنت صدقتني ليملكُن موضع قدمي هاتين وقال آخر : أما الليل فرهبان وأما النهار ففرسان لو حدثت جليسك حديثاً ما فهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر ، ومن واجبات العلماء ورجال النهضة الإسلامية أن يحرصوا على اتباع السنة وإحياء السنن الميتة وترويجها وأن يستلهموا السنة وليكن هدف جهادهم وجهدهم وحركتهم ودعوتهم إقامة الفرائض وإقامة الدين وأركانه وقد جعل الله ذلك ميزاناً وآية لإخلاصهم وقبولهم فقال : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج : ٤١] وبتنا الليلة مع الإخوان وفاءً بالوعد السابق ونزولاً عند رغبتهم .

الأحد ٢٩/ ٥/ ١٣٧٠هـ - ٤/ ٣/ ١٩٥١م .

ذهبنا في الساعة التاسعة والنصف إلى مركز جمعيات الشبان المسلمين وقابلنا سعادة اللواء محمد صالح حرب الرئيس العام لجمعية الشباب المسلمين فذكر أن محاضرة (العالم على مفترق الطرق) أحدثت دوياً في الأوساط العلمية وتحدث بها الناس .

حديث للواء محمد صالح حرب

ثم تحدث إلينا بحديث ينبىء عن إيمانه وسلامة فكره وبعد نظره وقوة عاطفته الإسلامية ، وكان ظني به أنه قائد حربي ووجيه من وجهاء مصر ولكني وجدت عنده دراسة طيبة وفهماً لبعض الحقائق التي قد تلتوي على العلماء وخطبه مؤثرة ، واعتذر عن تقصيره وتقصير جمعية الشبان المسلمين في الاتصال بالأقطار الإسلامية والتعرف بها وخدمة قضاياها الإسلامية ، وقال : لقد أصبحت قضية اتحاد وادي النيل الشغل الشاغل لنا وقد شغلنا الإنجليز بها .

أهمية مصر والشرق الأوسط

ثم شرح لنا أهمية مصر والشرق الأوسط السياسية والاستراتيجية وثروتها الزراعية والغذائية وإمكانياتها الصناعية وكثرة الأيدي العاملة وغناها في الحديد لأجل معدنه العظيم الذي اكتشف في أسوان ويعد من أعظم المناجم في العالم وذكر اهتمام الإنجليز بمصر وفصلها عن أسوان قال : وليس السبب في اهتمام الإنجليز بالشرق الأوسط ومصر هو أهمية قنال السويس كما يظن أكثر الناس بل له سببان حقيقيان ، أولهما : رغبة الاتحاديين في جعل الشرق الأوسط قاعدة الهجوم على الجبهة الروسية إن وقعت حرب حتى يتفادوا خسائر الحرب وفظائعها في أوربا ، ثانيهما : لما نفضوا أيديهم من الهند وانتهت إمبراطوريتهم في الشرق أرادوا أن يعوضوا هذه الخسائر بإقامة إمبراطورية في إفريقية ، وكان السودان وما جاوره من البلاد خير قاعدة لهذه الإمبراطورية ؛ لأنه غني جداً في معادنه وثروته الحيوانية والجنود المقاتلة ولا يزال على الفطرة والسذاجة ، فيأمنون على الاستعمار لمدة طويلة وهو مرتع خصب لنشر الحضارة الأوربية والديانة المسيحية وأن مصر إذا اتحدت مع السودان حراب مسددة إلى صدر هذه الإمبراطورية الإفريقية .

أهمية القوة المعنوية

ثم تحدثنا عن القوة المعنوية للمسلمين ، فاستشهد بمحاضرة القائد كاظم

قر جي من كبار قادة الحرب في تركيا الذي سمعها الباشا وهو طالب في مدرسة أركان الحرب في إستانبول قال : لقد كانت تركيا تعاني المشاكل الداخلية والخارجية والتي لا تتحملها ولا تعيش معها أكبر دولة وكان لا يهدأ لها خاطر ، الدول الأوربية كلها حرب عليها ولكن مع ذلك استطاعت أن تقاوم هذه الدول كلها وتحافظ على حياتها وشرفها والفضل في ذلك يرجع إلى الجيش ولم يكن الجيش التركي من أقوى الجيوش وأحسنها تدريباً وتسليحاً وإنما يرجع ذلك إلى القوة المعنوية والروح التي كان الجيش التركي يمتاز بها . قال كاظم قره جي فمن أراد أن يقتل هذه الروح ويقضي على هذه القوة المعنوية فهو عدو تركيا إلى آخر ما قال في هذا المعنى .

أعظم أمراض الشعب في نظر الباشا

قال الباشا ومن أعظم أمراض الشعب المصري ونحن المسلمين الذي قعد بنا عن كل مكرمة وبطولة وعن الدفاع والتقدم هو الترف والبذخ الذي نحن فيه وأرجو أن تختاروه وتكتبوا فيه مقالات .

وقدم إلينا سعادة الباشا كل خدمة ومساعدة تقدر عليها جمعية الشبان المسلمين فسألنا تحديد موعد واسع للحديث في هذا الموضوع فحدد الساعة التاسعة والنصف يوم الأربعاء ووعدنا بأنه سيضع له برنامجاً ونتكلم فيه .

محاضرة في دراسة علم الحديث في الهند

كانت الليلة محاضرة لي في الرابطة الإسلامية موضوعها دراسة علم الحديث في الهند ولم يكن عدد المستمعين كبيراً ولكن كان فيه بعض رجال العلم وعلماء الأزهر مثل الشيخ أحمد الشرباصي والشيخ محمود حسن ربيع والشيخ عبد المنعم النمر والشيخ محمد صبري عابدين المراقب العام للشؤون الدينية بالمجلس الإسلامي الأعلى لفلسطين ومدير مكتب جمعية علماء فلسطين المركزية ، وقدمني الرئيس الأستاذ محمد شاهين حمزة إلى الحاضرين ، وافتتحت الكلام فذكرت أحوال دراسة الحديث وكبار رجاله وأعمالهم وآثارهم الخالدة ، وذكرت أول من جاء بالحديث في هذه البلاد

ونشره ، ونوهت بمساهمة مصر في ذلك وقدوم بعض علمائها المحدثين في القرن العاشر الهجري وذكرت علماء كجرات كالشيخ محمد طاهر الفتني[1] وأشدت بكتابه العظيم مجمع البحار ، وذكرت العلامة الكبير الشيخ عبد الحق البخاري الدهلوي[2] وفضله في نشر علم الحديث في مركز الهند وجهود أبنائه وأحفاده حتى تعديت إلى القرن الثاني عشر فذكرت حامل لواء السنة في بلاد الهند حكيم الإسلام الشيخ ولي الله الدهلوي[3] الذي أقام دولة الحديث مع أبنائه وخلفائهم وتلاميذهم الذين شمروا عن ساق الجد لنشر هذا العلم الشريف تدريساً وتأليفاً ، وذكرت خصائص الشيخ ولي الله في فهم الحديث وشرحه وما تفرد به وما سبق إليه من عرض الفقه على الحديث والتطبيق بينهما وترجيح الحديث الصحيح الثابت على مذهب الإمام والتوسط بين الجامدين

---

(١) هو الشيخ المحدث محمد طاهر الصديقي الفتني الكجراتي ، أحد كبار علماء الهند ومحدثيها ، كان يلقب بملك المحدثين ، نسبته إلى « فتن » (من بلاد كجرات بالهند) ومولده ووفاته فيها ، زار الحرمين والتقى بكثير من العلماء وعاد ، فانقطع للعلم ، ودعا إلى مناوأة البواهير وكانوا قومه ، أنكر عليهم بدعتهم ، فانفردوا به فقتلوه سنة ٩٨٦هـ . له مصنفات قيمة في الحديث وعلومه ، أشهرها : « مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار » قال العلامة عبد الحي الحسني في نزهة الخواطر : جمع فيه المؤلف كل غريب الحديث وما ألف فيه فجاء كالشرح للصحاح الستة ، وهو كتاب متفق على قبوله بين أهل العلم منذ ظهر في الوجود ، وله منة عظيمة بذلك العمل على أهل العلم ، وكذلك كتابه « تذكرة الموضوعات » من الكتب السائرة المتداولة في الموضوع .

(٢) وهو المتضلع من الكمال الصوري والمعنوي ، رزق من الشهرة قسطاً جزيلاً ، وأثبت المؤرخون ذكره إجمالاً وتفصيلاً ، حفظ القرآن الكريم وجلس على مسند الإفادة وهو في عنفوان شبابه ، ورحل إلى الحرمين الشريفين ، وصحب كبار علمائها ، واستفاد منهم ، واكتسب علم الحديث ، وعاد إلى الوطن واستقرَّ به ، ونشر العلوم ، وترجم كتاب « المشكاة » بالفارسية ، وكتب شرحاً على « سفر السعادة » وبلغت تصانيفه مئة مجلد ، كان له اليد الطولى في الفقه الحنفي الّذي عليه نشأ ودرَجَ ، توفي سنة ١٠٥٢هـ .

(٣) إقرأ كتاب العلامة الندوي حول حياة وآثار الشيخ ولي الله الدهلوي طبع في ضمن سلسلته الرائعة لـ « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » في جزئها الرابع .

على الفقه والجاحدين له والفهم الدقيق في بيان أسباب الاختلاف وتعيين الطبقات للمحدثين والفقهاء وبيان أسرار الدين وحكمه وأصول التشريع الإسلامي ، ثم ذكرت مسند الحديث العظيم الذي انتهت إليه رياسة الحديث في الهند وهو الشيخ محمد إسحاق[1] وتلاميذه الكبار كالشيخ عبد الغني المهاجر[2] إلى المدينة المنورة ثم تلاميذه وتلاميذ تلاميذه من الشيخ الجليل مولانا رشيد أحمد الكنكوهي[3] إلى مولانا محمود حسن الديوبندي[4] ومولانا

---

(١) هو الشيخ الإمام المحدث أبو سليمان محمد بن إسحاق الدهلوي من أسرة الشيخ الشاه ولي الله الدهلوي ، ولد في دهلي ، وقرأ على أجداده : الشيخ عبد القادر بن ولي الله الدهلوي ، والشيخ رفيع الدين بن ولي الله الدهلوي ، والشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي ، هاجر سنة ١٢٥٨هـ إلى مكة المكرمة وتوفي فيها سنة ١٢٦٢هـ .

(٢) هو الشيخ الإمام العالم المحدث عبد الغني بن أبي سعيد بن الصفي العمري الدهلوي أحد العلماء الربانيين ، كان من ذرية الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي ، ولد في دهلي ، سمع الحديث عن الشيخ إسحاق بن أفضل الدهلوي سبط الشيخ عبد العزيز الدهلوي ، وقرأ على والده « الموطأ » لمحمد بن الحسن الشيباني ، و « المشكاة » على جده الشيخ مخصوص الله بن رفيع الدين الدهلوي ، وسافر إلى الحرمين الشريفين سنة ١٢٤٩هـ ، فحج وزار ، وأسند الحديث عن الشيخ محمد عابد السندي والشيخ أبي زاهد إسماعيل بن إدريس الرومي ، ثم رجع إلى الهند ، واشتغل بالحديث ، وأخذ عنه خلق كثير من العلماء .

ولما تم تسلط الإنكليز على الهند وتحكموا في أهلها ، توجه نحو الحجاز ، وأقام في المدينة المنورة إلى أن توفي فيها سنة ١٢٩٦هـ .

(٣) هو المحدث البارع العالم الرباني الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ، كان من كبار الصالحين والعلماء الراسخين في الهند ، درس على كبار العلماء والشيوخ في عصره ، كان من أجل تلاميذ الشيخ محمد إسحاق الدهلوي ، قضى حياته كلها في التدريس والإفادة ، أفادَ بعلومه ونَفَع بإفاضاته خلقاً كثيراً لا يُحصى عددهم ، انتشر تلاميذه في جميع أقطار الأرض وأصقاعها من الهند والعرب وغيرها . ومن أشهرهم المحدث الكبير الشيخ خليل أحمد الأنصاري ، والعلامة محمد أنور شاه الكشميري ، والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، توفي رحمه الله سنة ١٣٢٣هـ .

(٤) هو الشيخ العالم الكبير العلامة المحدث محمود حسن الديوبندي ، أعلم العلماء في العلوم النافعة ، وأحسن المتأخرين ملكة في الفقه وأصوله ، وفي الحديث وعلومه ، =

خليل أحمد السهارنفوري[١] إلى تلاميذهما كالشيخ أنور شاه الكشميري[٢] ومولانا شبير أحمد[٣] ومولانا حسين أحمد[٤] ومركزهم مدرسة ديوبند ومولانا محمد زكريا الكاندهلوي[٥]. وذكرت تلاميذ الشيخ إسحاق الآخرين مثل الشيخ وجيه الدين وتلميذه الشيخ أحمد علي محشِّي البخاري وذكرت خدمته للحديث والقارىء عبد الرحمن الباني بتي وعالم علي المرادأبادي وتلميذه السيد حسن شاه الرامبوري ، ثم ذكرت المدرس الكبير الشيخ نذير حسين الدهلوي[٦]

= ولد ونشأ في « بريلي » ودرس على كبار علماء وأساتذه دار العلوم ديوبند الإسلامية . سافر إلى الحجاز فحج وزار ، واستفاد من كبار علمائها ، ثم رجع إلى الهند وشارك في حركة تحرير الهند من الإنكليز ، وعانى فيه من المشاكل والمصائب وألقى عليه القبض أكثر من مرة ، توفي بدهلي سنة ١٣٣٩هـ .

(١) هو المحدث الكبير العلامة الشيخ خليل أحمد السهارنفوري (توفي سنة ١٣٤٦هـ) صاحب « بذل المجهود وشرح سنن أبي داود » ، انظر ترجمة حياته وآثاره في كتاب المحقق « أعلام المحدثين بالهند في القرن الرابع عشر الهجري » صدر عن دار ابن كثير بدمشق عام ٢٠٠٠م .

(٢) انظر ترجمة حياته وآثاره في كتاب المحقق « أعلام المحدثين بالهند في القرن الرابع عشر الهجري » .

(٣) هو المحدث البارع العلامة الشيخ شبير أحمد العثماني ، صاحب « فتح الملهم شرح صحيح مسلم » هاجر إلى باكستان بعد انقسام الهند كدولتين (الهند وباكستان) وأقام في كراتشي وتوفي بها .

(٤) أحد كبار العلماء الراسخين والمحدثين البارعين في الهند ، وقد اشتغل بالتدريس في الحرم النبوي الشريف عدة سنوات ، وتتلمذ عليه عدد وجيه من العلماء ، توفي سنة ١٣٧٧هـ .

(٥) هو العلامة المحدث الكبير الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، توفي (١٤٠٢هـ) صاحب « أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك » انظر ترجمة حياته وآثاره في علوم الحديث في كتاب المحقق « أعلام كبار المحدثين بالهند في القرن الرابع عشر الهجري » .

(٦) هو الإمام العلامة المحدث السيد محمد نذير حسين الدهلوي ، كان من أنبغ تلاميذ الشيخ محمد إسحاق الدهلوي ، وهو أحد من مَلأ فيضه شرقاً وغرباً ، توفي سنة ١٣٢٠هـ .

واتساع حلقته وطول قيامه لخدمة الحديث وتخريج الطلبة ، وذكرت منهم الشيخ شمس الحق الديانوي[١] صاحب « غاية المقصود » والشيخ عبد المنان الضرير الوزير أبادي والحافظ عبد الله الغازي بوري والشيخ عبد الرحمن المباركبوري[٢] ، وذكرت السلسلة اليمنية التي جاء بها الشيخ حسين بن محسن الأنصاري اليماني وذكرت الأمير السيد صديق حسن خان[٣] وخدماته ثم ذكرت مزايا تدريس الحديث في الهند وصفات علماء الحديث والمشتغلين به من التشبع بروح الحديث والاتصاف بالهدي النبوي والعمل بالسنن والحرص على اقتفاء آثار الرسول ﷺ والاجتهاد في اتباع الحديث في العادات والمعاشرة والشعائر وصورت لهم درس الحديث في مدارس الهند الكبيرة .

وكان جل اعتمادي في هذا الحديث في المعلومات التاريخية وطبقات الرجال على كتاب سيدي الوالد عليه رحمة الله و « معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف »[٤] ، ولولا هذا الكتاب القيم الذي يساوي مكتبة واسعة لم أستطع أن ألقي في هذا الموضوع حديثاً دسماً بالمعلومات ، فجزاه الله عنا خيراً ورفع درجاته .

تنويه بخدمة الهند للحديث

وعلق على حديثي فضيلة الشيخ محمد صبري عابدين فنوَّه بخدمة الهند لعلم الحديث وما تفرَّدت به من مطبوعات مثل السنن الكبرى للبيهقي ومسند

---

(١) توفي سنة ١٣٢٩هـ .

(٢) هو صاحب « تحفة الأحوذي » انظر ترجمة حياته وآثاره في كتاب المحقق « أعلام المحدثين بالهند في القرن الرابع عشر الهجري » .

(٣) انظر للاطلاع على حياة الأمير السيد صديق حسن خان القنوجي وآثاره القيمة وخدماته الجليلة في مجال التصنيف والتأليف ، كتاب « الأمير السيد صديق حسن خان حياته وآثاره » للدكتور محمد اجتباء الندوي ، صدر عن دار ابن كثير بدمشق عام ١٩٩٩م .

(٤) طُبع في مجمع اللغة العربية بدمشق بعنوان « الثقافة الإسلامية في الهند » وطبع أخيراً منقحاً ومصححاً في دار ابن كثير بدمشق .

أبي داود الطيالسي وغير ذلك من مطبوعات دائرة المعارف في حيدر أباد ، وألم بغيرة الهنود المسلمين على الإسلام واعتنائهم به ، حتى أقامت منهم جماعة بالحجاز لنشر الدعوة الدينية فيها . وعقبه الأستاذ عبد المنعم النمر فاعترف بهذه الخدمات والعناية بالدين واستشهد ببعض أقوال عظماء باكستان والهند ومواقفهم الجليلة في خدمة الإسلام ، وقام الرئيس فألقى كلمة بليغة في شكر المحاضر .

الإثنين ٢٧/ ٥/ ١٣٧٠هـ - ٥/ ٣/ ١٩٥١م .

في حفلة جمعية الشبان المسلمين

توجهنا إلى جمعية الشبان المسلمين وكان اليوم موعد الاحتفال للاحتجاج ضد الاعتداء الفرنسي على مراكش ، وكانت الهيئات الدينية والجمعيات الإسلامية مدعوة وممثلة في هذه الحفلة . دخلنا أولاً في غرفة الرئيس العام فوجدنا هناك لفيفاً من كبار العلماء ومشاهير الزعماء ورؤساء الجمعيات في القاهرة ، أذكر منهم فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية سابقاً وفضيلة الشيخ عبد اللطيف دراز والأستاذ فتحي رضوان أمين الحزب الوطني والأستاذ أحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكي والأستاذ محمود محمد شاكر وآخرين غيرهم ، وقد كتبت قرارات وأعدت للحفلة العامة ، ولاحظت روح المرح والنشاط في هذه الجلسة الخاصة فناس يترددون وناس يتكلمون كلام الأصدقاء بعضهم لبعض ويتقابلون ، مع أن غاية الحفلة - وهي مشاركة المراكشيين في مصيبتهم والتعبير عن الحزن العميق والغضب ضد الاستعمار الغاشم - تدعو إلى الجد وروح الاكتئاب والألم ، وكان الواحد يستطيع أن يستنتج أنها حفلة سرور وتهاني، وكان اللواء محمد صالح حرب هو أكثر الحاضرين هماً وشغلاً ، وخرجنا إلى الحفلة العامة ويدي في يد فضيلة الشيخ حسنين مخلوف ، وافتتحت الحفلة بآيات أحسن القارىء اختيارها لهذه الحفلة وهي قوله تعالى في سورة الحج : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج : ٣٨ - ٣٩]

الآيات ، فغشيت الحفلة سحابة من الخشوع والوقار ، وتقدم الصاغ محمود لبيب فرجا الحاضرين أن لا يهتفوا بهتاف الإخوان : الله أكبر ولله الحمد لأن الحفلة تمثل الهيئات الإسلامية كلها ليس الإخوان فقط ، ولا نريد أن تعلل فرنسا وتقول إن الحفلة كانت خاصة بالإخوان المسلمين وعلا الهتاف : الله أكبر ولله الحمد ، وساد الهرج والمرج وقام اللواء محمد صالح حرب وخطب خطبة حماسية وهو متوتر الأعصاب متألم الجسم ، وأثنى على الإخوان وعلى احترامهم للنظام ، وقال إني في غير هذه المناسبة أول الهاتفين بهذه الكلمة ، ولكن المصلحة تقتضي أن لا يكون لهذه الحفلة طابع الإخوان ، وتلاه الأستاذ أحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكي فخطب وتلاه الأستاذ سيد قطب فقرأ كلمة بمناسبة هذه الحفلة كانت موجهة إلى عبيد فرنسا ، وكانت كلمة أدبية تهكم فيها بهؤلاء العبيد الذين يسبحون بحمد فرنسا بكرة وأصيلاً ، ويرون فيها القدسية والجلالة ، ويدينون بحبها وولائها ، واقترح بأن تغير الكتب المقررة في الدراسة التي تتكلم عن ثورة فرنسا وتأثيرها في تحرير الفكر والمساواة بكتب تاريخ الاستعمار الفرنسي وفظائعه ، وكانت الكلمة تقاطع بهتافات صارخة وتصفيقات حارة وكان الجمع يهتف بين حين وآخر « تسقط فرنسا العاهرة » ونودي باسم الشيخ محمد الغزالي وجاء على المنصة فارتجت القاعة بهتافات الإخوان وخطب فمنع الإخوان عن هتافهم ، وقال إننا في دار جمعية الشبان المسلمين وقد جاء في الحديث الشريف : لا يؤم الرجل في بيته ولا في سلطانه ، فسكت الإخوان وأعجبتني لباقة الشيخ وفهمه للموقف وإطاعة الإخوان له ، وقام اللواء محمد صالح مراراً وخطب خطبة متحمسة كان لها تأثير كبير وذكر عيوب الشعوب الشرقية والإسلامية ونعى على الترف والبذخ وحياة النعيم والرفاهية التي تمنع هذه الشعوب عن مكابدة المشاق والمغامرة والدفاع عن شرفها وحريتها . وضرب مثلاً بالشعب التركي للروح العسكرية والجلد والشظف ، وتلا الأستاذ محمود محمد شاكر القرارات فلما قرأ كلمة الأمم المتحدة ثار ثائر الناس وأنكروا عليه وقام اللواء محمد صالح حرب وشرح الكلمة وقال إن المقصود منها أن قضية مراكش ليست قضية مراكشية فحسب ، بل هي قضية الدول العربية والشعوب الإسلامية كلها وهدأ الناس ،

ومن المقررات طلب الفتوى من كبار العلماء بتحريم التجنيد في الجيش الفرنسي وجيوش الدول الديمقراطية ، وأبدى الناس سرورهم وارتياحهم لهذا القرار لأنه أشد نكاية في العدو الذي لا يؤمن إلا بالمادة ولا يهتم إلا إذا تعرضت مصلحة من مصالحه السياسية للخطر أو الفشل .

وقد ذكرتنا هذه الحفلة التي هي أول حفلة شعبية شاهدناها في بلد عربي بالحفلات السياسية والإسلامية التي كانت تنعقد أيام اشتداد حركة الخلافة والحركة الوطنية في الهند ، وقد اهتزت مشاعري وتوترت أعصابي لأني مرهف الحس جداً إذا سمعت شيئاً من فظائع الاستعمار الأوربي ، واعتدائه على شعب إسلامي ، هنالك يتجدد حنقي الشديد وتثور ثائرتي ضد الأوربيين وذلك يرجع إلى نشأتي ، فقد نشأت في عهد نشوب الثورة الدينية والوطنية في الهند .

الأربعاء ٢٩/ ٥/ ١٣٧٠هـ ـ ٩/ ٣/ ١٩٥١م .

حديث مع اللواء محمد صالح حرب

ذهبنا اليوم الساعة التاسعة والنصف صباحاً إلى اللواء محمد صالح حرب حسب ما تقرر يوم الأحد وجلسنا معه ساعة نتحدث عن رجال العلم والدين في مصر ، وكان ينتقد العلماء في مصر واشتغالهم بالمادة وعدم تجردهم للعلم وخدمة الدين والغضب لله ولدينه . ذكرت له ما دهى به المسلمون في الهند بعد التقسيم بالانحلال وتسرب اليأس إلى نفوسهم والتزلزل في الدين والأخلاق وقيام رجال الدعوة الدينية وتجردهم للدعوة إلى الدين والحياة الإسلامية الصحيحة ومقاومة هذه الطوارىء وبعثهم في نفوس المسلمين الأمل واتصالهم بطبقات الشعب ، وما كان له من الأثر في أخلاق المسلمين ونفوسهم ، فأعجب بذلك سعادته وتمنى لو كان هذا النشاط في علماء مصر ورجال الأزهر . قلت له إني أود أن تدعو كبار علماء الأزهر ومن بيدهم الحل والعقد ومن تأنسون فيهم التفكير والنشاط فأذكر لهم الأخطار المحدقة بالدين والعلم في هذا العصر ، وأذكر لهم الحل الذي نراه لهذه المشاكل وطريق درء

هذه الأخطار والقيام بنهضة دينية جديدة ، فوافق على هذه الفكرة واستحسنها ، واتصل بفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف فوعده فضيلة الشيخ بالحضور في المساء والاتفاق على هذا الموضوع ، ووعدنا اللواء محمد صالح حرب بحضورنا كذلك وتعارفنا في مجلسه بالدكتور يحيى أحمد الدرديري منشىء مجلة الشبان المسلمين ووكيل الجمعية ، وأهدى إلينا مجموعة من مؤلفاته .

في دار الشبان المسلمين

ووصلنا بعد المغرب إلى دار الجمعية فوجدنا عند اللواء محمد صالح حرب فضيلة الشيخ عبد اللطيف دراز والأستاذ محمود محمد شاكر وآخرين ، وجاء بعد قليل الأستاذ أحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكي وفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف والشيخ أحمد الشرباصي ، واشتغلوا بتأليف اللجان المنفذة للقرارات التي قررتها حفلة أمس ، ثم أقبل إلى اللواء وجلسنا في جانب وأخبرني سعادته بأنه هيأ فهرساً للمدعوين وهم من كبار علماء الأزهر ، وتقررت دعوتهم لتناول الشاي في دار الجمعية تكريماً لي يوم الإثنين القادم فشكرته على ذلك .

مع الأستاذ محمود محمد شاكر

كنت أريد الاجتماع بالأستاذ محمود محمد شاكر لما سمعت من دراسته واشتغاله بالمطالعة وتحقيقه ، وأود أن أزوره وأهدي إليه نسخة من كتاب « ماذا خسر العالم » فقدر الله الاجتماع به على غير ميعاد ، وانبسط وأنس بي ، وذكر أنه قرأ الكتاب وأعجب به وكان إعجابه بالباب الأول « العصر الجاهلي » أكثر ، واقترح أن أفرد لهذا الموضوع كتاباً خاصاً ، ولما علم بقصدنا لتركية دعاني لمقابلة الأستاذ يحيى حقي مستشار السفارة المصرية في تركية الذي هو ضيف عنده .

الشيخ حسنين محمد مخلوف

واجتمعت كذلك بفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف ، وكنا قد اتفقنا على زيارته يوم الجمعة بحلوان وتناول الغداء معه ، ثم حدث في ذلك تغيير لأن يوم الجمعة عندنا مشغول بعدة مواعيد ، فاعتذرت له عن ذلك وأبديت رغبتي في الاجتماع به ، وفي الحقيقة إنه من الرجال الذي أعجبت بهم ورأيت منهم صلاحاً وعلماً ورزانة ومتانة خلق ودماثة .

الجمعة غرة جمادى الثانية سنة ١٣٧٠هـ ـ ٩/ ٣/ ١٩٥١م .

صلينا الجمعة في مسجد المؤيد وهو قريب من محلنا ، وكنا نريد أن نصلي الجمعة في مسجد هادىء يخلو من التشويش ، ولم ننكر من أمر هذا المسجد إلا الجهر والتغني بسورة الكهف ، وهي عادة مطردة وسنة متبوعة في مصر إلا مساجد الإخوان الشرعيين ، وكان المؤذن جالساً على دكة من خشب على بعد من الإمام يرفع صوته بورد بين الخطبتين لم نفهمه .

في جمعية مكارم الأخلاق

توجهنا إلى جمعية مكارم الأخلاق لحضور الحفلة التي عقدها الحاج جلال حسين ودعا إليها بعض أصدقائه ورؤساء الهيئات الإسلامية للاجتماع بنا ولأشرح لهم طريق الدعوة في الهند ، وكان بعد حفلة الشاي محاضرة لي في الجمعية موضوعها « رسالة المسلمين في هذا العصر » .

مع رؤساء الجمعيات الدينية وحضرات العلماء

حضر في هذه الحفلة الأستاذ حسين يوسف رئيس شباب سيدنا محمد ﷺ وزميله الأستاذ عبد الوهاب والأستاذ زكي إبراهيم رئيس جمعية العشيرة المحمدية واللواء محمد صالح حرب الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين وفضيلة الشيخ أحمد الشرباصي والأستاذ الشاعر المرتجل صاوي علي شعلان وفضيلة الشيخ السيد مبشر الطرازي[١] وبعض أعضاء جمعية مكارم الأخلاق ،

---

(١) كان من كبار العلماء في العالم الإسلامي ، وُلدَ في مدينة « طراز » بتركستان الغربية =

بدأ الأستاذ صاوي شعلان يذكر مناقب علماء الهند ومآثرهم العلمية وأبدى إعجابه بالدكتور محمد إقبال والأستاذ الكبير السيد سليمان الندوي وأستاذه الشيخ شبلي النعماني ، وذكر دراسته لآثار هؤلاء العلماء وشغفه بمؤلفاتهم وذكر ما نشر عنهم من مقالات وتراجم ، وافتتح المجلس الشيخ جلال حسين فقدمني إلى الحاضرين ، وأشار إلى الدعوة الدينية ونشاطها في الهند ، وكان يسميها الدعوة الندوية لانتسابها إلينا في مصر وانتسابنا إلى الندوة . وذكر إلمامه بهذه الدعوة واتصاله ببعض رجالها في الهند وباكستان ، ثم قمنا إلى مائدة الشاي والفطور .

بعد ذلك افتتحت الكلام وقلت إن الهند لم تكن وليست في مركز الإرشاد والتوجيه للعالم العربي ، خصوصاً لمصر وهي زاخرة بالعلم والحركات الدينية ولكن امتازت الهند في العهد الأخير بحوادث وظروف أثارت فيها الاهتمام والتفكير في النهضة الدينية فوصلت إلى نتائج كبيرة ، ووفق رجالها إلى طرق ومناهج تستحق الدراسة والعناية في كل بلد إسلامي .

مثل الهند ومثل البلاد العربية

وإنما مثل الهند ومثل البلاد العربية كمثل طفلين ينشأ أحدهما في أحضان أبويه تحت رعايتهما وعطفهما ، ويشبل في نعمة أبيهما وله فرص سانحة في الحياة فلا يضطر إلى التفكير والابتكار وينشأ هادئاً مطمئن البال ، فذلك مثل البلاد التي تتمتع بحكوماتها ، والطفل الثاني ينشأ مهملاً فقيراً ثم يرث من أبيه

= لأسرة عريقة ، درس العلوم الشرعية والأدب العربية في بخارى ، وتولى القضاء الشرعي في بلدته سنة ١٩٢٣ ، ولقب بشيخ الإسلام ، واضطرَّ للاستقالة ثم الهجرة إلى أفغانستان التي أعطته جنسيتها ، وعينه ملك أفغانستان السلطان محمد نادرشاه مديراً عاماً لقسم التأليف والترجمة ومشرفاً على الشؤون الإسلامية بالديوان الملكي ، ثم رحل إلى مصر عام ١٩٥٠م وأقام بها حتى وافاه أجله المحتوم عام ١٩٧٧م ، له أكثر من خمسين كتاباً بالعربية والفارسية والتركية ، ومن أشهرها « الإسلام الدين الفطري الأبدي » و « القرآن والنبوة » و « إلى الجندية أيها العرب » و « المرأة وحقوقها في الإسلام » .

ثروة فيضطر بطبيعة الحال إلى جهاد الفكر والمغامرة إلى أن يشق طريقه بإرادته وقوة ذاته فربما يصل إلى ما لا يصل إليه أولاد الأغنياء وأبناء الأمراء وذلك مثل الهند ، فإن كان في نهضة الهند الدينية وحركاتها الإسلامية شيء يلفت النظر ويستحق الإعجاب والاقتباس فإنه يرجع إلى هذا السبب ثم شرحت الأحوال السياسة التي دفعت الهند إلى التفكير في الدعوة الدينية والتجارب الجديدة .

موافقات ومفارقات

ثم ذكرت نشوء هذه الدعوة الدينية العامة وأسسها ومبادئها وما بينها وبين الدعوات الإصلاحية في العالم الإسلامي والأقطار العربية من موافقات ومفارقات فتركت الموافقات وشرحت المفارقات ، منها ما تمتاز به هذه الدعوة من تقديم غرس الإيمان في قلوب المسلمين والعناية به ، ثم التقدم إلى الشعب من غير انتظار وبث الوحدة فيه على طريقة صدر الإسلام وعلى طريقة الدعاة الأولين ، وكنت في حديثي إذ أذَّن المؤذن ومضيت في حديثي ، واستقر الرأي على أن يكمل هذا الحديث يوم الثلاثاء في جمعية الشبان المسلمين بحضور رؤساء الهيئات الإسلامية ، وقمنا إلى الصلاة وقد حضر المستمعون إلى المحاضرة وبعد صلاة المغرب افتتح الأستاذ أحمد عثمان فنوه بافتتاح عهد جديد للجمعية برئاسة الأستاذ جلال بك حسين وعودتها إلى نشاطها الأول ثم أعقبه الشيخ جلال حسين .

محاضرتي في الجمعية
« رسالة المسلمين في العصر الحاضر »

وبعد ذلك طلب مني أن ألقي محاضرتي وأفتتحها .

وكانت خلاصتها أن الحياة الإنسانية تشتمل على ناحيتين الناحية الطبيعية وهي التي تفرض على كل إنسان أن يأكل ويشرب ويتكسب ويحصل القوت وإذا مرض فيتعالج إلى غير ذلك من طبائع الحياة الإنسانية ، والناحية الثانية هي الناحية الإيمانية وهو تلقي الإنسان الأحكام من خالقه والعمل بها ، فيعرف ماذا يحل أكله وماذا يحرم ومن أين يكسب ، وما هي الطرق المشروعة للكسب

وتحصيل القوت وجمع الأموال ، وما هي الطرق المحظورة وما غاية هذه الحياة وما مصير هذا العالم وماذا يرضي الله وماذا يسخطه ، والأنبياء عليهم السلام لم يبعثوا لبيان الناحية الأولى فهي ناحية فطرية يهتدي إليها الإنسان بسائق فطرته : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ [النحل : ٦٨] الآية ، ولم يبعثوا ليزيدوا في نشاطها ويحثوا على زيادة العناية بها ، فإن العالم لم يزل يعاني طغيان هذه الناحية وثورتها على الناحية الإيمانية . وطالما تضخمت هذه الناحية وكبرت على حساب الناحية الإيمانية وينصفوا لها من الناحية المادية الطاغية ويوجدوا التوازن الصحيح بين الناحيتين ، وإذا أردتم أن تعرفوا رسالة المسلمين فارجعوا إلى العصر الذي بعث فيه النبي ﷺ وتلمسوها . فإذا وجدتم أن الناحية الطبيعية كانت كاملة غنية بل طافحة بالجوانب المادية ولم يكن فيه نقص أو عوز بل كانت قد طغت على الجانب الإيماني في حياة الإنسان وقضت عليه حتى أصبح نسياً منسياً ، وقد جدد النبي ﷺ الجانب الإيماني وأحياه ودعا إليه وعلى أساسه أوجد أمة لا تزال تقوم بالدعوة إليه والمحافظة عليه والاعتناء به ، فاعلموا أنها هي رسالة المسلمين في كل عصر وهي رسالتهم في هذا العصر ، وإلى ذلك أشار النبي ﷺ يوم بدر في دعائه للمسلمين وشفاعته لهم : « اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد » فذكر الغرض الحقيقي الذي بعث له المسلمون والذي يقوم به وحدهم .

اعتراف بفضل علماء الهند

استغرقت هذه المحاضرة أكثر من ساعة ، أخبرني بعض الناس أنها استغرقت ساعتين ، ولم أشعر بالوقت كيف مضى وتلاني الأستاذ صاوي شعلان فعقب على هذه المحاضرة ونوه بالهند وعلمائها وقرظ الدكتور محمد إقبال ومولانا السيد سليمان[١] وذكر أن سيرة النبي أكبر كتاب في السيرة النبوية في مكتبة العالم الإسلامي ، وارتجل أبياتاً كثيرة قالها عفو الساعة وفيض الخاطر ، وتلاه الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصي فألقى كلمة عن حاضر الأمة

---

(١) هو العلامة السيد سليمان الندوي ، قد سبقت ترجمته في صفحة ٦٤ .

الإسلامية في أسلوب أدبي بليغ ، وانتهت الحفلة مع كلمة شكر من صديقنا الشيخ أحمد عثمان .

السبت ٢/ ٩/ ١٣٧٠هـ - ١٠/ ٣/ ١٩٥١م .

مع الأستاذ عبد العزيز كامل

زرنا الأستاذ عبد العزيز كامل في داره ، وتحدثنا طويلاً وتناول الحديث نظام الدعوة والتربية في الهند والحاجة إلى إنتاج كتب دسمة قيمة تشرح الفكرة الإسلامية والحياة الإسلامية ووجود الصلة بين المفكرين الإسلاميين في الهند وباكستان وبينهم في مصر وتبادل الثقافة الإسلامية والمنتجات العلمية بين البلدين وأبدى أسفه على عدم معرفة المصريين لإقبال وآثاره الإسلامية ورسالته في شعره ، وأخبرته باستعدادي لإلقاء بعض المحاضرات عنه وعن شاعريته ورسالته في كلية الآداب أو دار العلوم ، ففضل أن تكون هذه المحاضرة في دار العلوم ، وذكر إعجابه بكتاب ماذا خسر العالم وأنه قرر مطالعته للإخوان في منهاج دراستهم ، وأبدى موافقته على التفصيل الذي جاء في الكتاب لتاريخ الأخلاق الأوربية ونشوئها وتطورها ، وأثر الأخلاق اليونانية والروحية فيها ، وذكر أنه يساعد في فهم القضية الأوربية الحاضرة ، وتشعب الحديث وامتد المجلس ، وقد رأيت في الأستاذ شاباً واسع الثقافة جيد التفكير مؤمن القلب هادئاً وديعاً من خيرة من تعرفت بهم من المثقفين ، ويعد كمراقب ثقافي للإخوان .

وفي السابعة خرجنا مع الأخ ياسين إلى زيارة الدكتور محمد يوسف مرسي أستاذ الفلسفة في كلية أصول الدين بالأزهر في شارع الملك المظفر بالجزيرة والدكتور ممن قرؤوا كتاب ماذا خسر العالم واعتنوا ونوهوا به وكنت أريد أن أفيد من معلوماته وملاحظاته ، فاتفقت معه على هذا الوعد ، وقابلنا الدكتور بحفاوة .

حديث مع الدكتور محمد يوسف مرسي

وذكر أنه قرأ مقالتي « اسمعي يا مصر » وأعجب بها ، وذكر أنه اشترى كتاب ماذا خسر العالم على أثر صدوره في الصباح وأتمه قبل النوم وكتب ذلك على وجه الكتاب[١] ، وتناول الحديث الوضع التعليمي في مصر فقال : إن التعليم في مصر قائم على أساس الثنوية في التعليم وهي التي جرَّت علينا شروراً كثيرة ، قال : وقد كتبت مقالة في الرد على هذا الأساس ونشرت في الأهرام وقوبلت في أوساط الأزهر بالاستنكار والمعارضة ولا أزال على عقيدتي في وحدة التعليم على أساس متين من الثقافة الإسلامية[٢] . ومن رأيي أن الأزهر يجب عليه أن يتطور مع الزمان كما تطورت كمبردج وأكسفورد فقد كانتا مدرستين دينيتين كالأزهر ولا يزال نظام الأروقة في أكسفورد مثل الأزهر .

اقتراحه على الأزهر

وكان يجب أن يحتضن الأزهر التعليم المدني ويكون هو مصدر التعليم في البلاد فلا تنشأ طبقتان متميزتان لا وصل بينهما ، فهنا من يتعلم الدين ولا يحكم ، وهنا من يحكم ولا يعرف الدين ، ثم تكلَّمنا في كون اللغة العربية اللغة الرسمية في باكستان وما في هذا السبيل من مشاكل .

* * *

ظهر لي أن أعد مقالة أقرؤها في حفلة التكريم يوم الإثنين ، وأن يكون موضوعها الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها ، وبذلك أنتفع بهذه الفرصة

---

(١) طلب الدكتور محمد يوسف موسى إلى العلامة الندوي إصدار هذا الكتاب من جماعة الأزهر للتأليف والترجمة والنشر ، فسمح له العلامة ، وكتب الدكتور مقدمة في هذا الكتاب يتجلّى فيها إخلاصه وحبه ، واستجابته للفكرة ، حلَّى بها جِيد الكتاب .

(٢) يقول صاحب الرأي (الدكتور محمد يوسف موسى) أنه صار رأي صفوة المشتغلين بالتعليم ، ورأي المركز العام للإخوان المسلمين أيضاً ، كما كان واضحاً تلك الأيام (عام ١٩٥٣م) .

الغالية وأوجه الرسالة إلى علماء الأزهر والضيوف الذين يلبون هذه الدعوة ، وملكت الفكرة تفكيري فاشتغلت بالكتابة إلى نصف الليل ، ولم أنم إلاَّ وأنا متعب لا أستطيع التحرير .

الأحد ٣/ ٦/ ١٣٧٠هـ ـ ١١/ ٣/ ١٩٥١م .

أسئلة الشيخ أحمد الشرباصي

جاء في الساعة التاسعة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصي وأبدى رغبته في معرفة مراحل تعليمي ونشأتي وحياتي ، قبلت دعوته ، وصار يسأل ويقيد وألقى عليّ كثيراً من الأسئلة ، وعرف عني النقير والقطمير ، وعرف كل دقيق وجليل في حياتي ، حتى تحدثنا عن الألعاب التي لعبتها ، والأطعمة التي أكرهها ، والأيام التي لا أزال أذكرها والأمراض التي أصبت بها ، والشخصيات التي تأثرت بها ، والكتب التي أعجبت بها ، وعن حسنات مصر وسيئاتها ، فقلت له : ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ؟ وأحببت أن أعرف غرضه من الوقوف على هذه المعلومات كلها وسألته عنه قال : ربما أكتب عنكم شيئاً أو ألقي كلمة . . ولم يزل يسرنا بطُرفه ونفثاته اللطيفة وروحه المتفتح حتى قام[١] .

الإثنين ٤/ ٩/ ١٣٧٠هـ ـ ١٢/ ٣/ ١٩٥١م .

حديث مع أحمد لطفي السيد

ذهبنا في الساعة العاشرة لزيارة الأستاذ أحمد لطفي[٢] شيخ هذا الجيل

---

(١) اعتمد فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصي على هذه المعلومات في كتابة مقدمته للطبعة الثانية لـ « ماذا خسر العالم . . . » فصارت تنشر هذه المعلومات في جميع تلك الطبعات التي قد طبعت وتطبع إلى الآن بعنوان « صورة وصفية : أخي أبو الحسن » .

(٢) هو الأستاذ أحمد لطفي بن السيد أبي علي ، ينعت بأستاذ الجيل تخرج بمدرسة =

ورئيس مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، قابلنا معاليه في مكتبه في المجمع فرأيت فيه شخصاً من الرعيل الأول الذي أنتجه التعليم الأوربي في بلادنا الإسلامية يمثل عقليته وثقافته ونظره إلى هذا التعليم العصري ودفاعه عنه خير تمثيل ، فكأنما رأينا فيه رجلاً قد تخرج في مدرسة العلوم بعليكره في عهد مؤسسها السيد أحمد خان[١] .

الأخلاق بين الماضي والحاضر

سألت معاليه : هل أنت مرتاح إلى نتائج التعليم الجامعي من جهة الأخلاق الذي كنت بلا شك من واضعي أساسه في هذا البلد ؟ قال : من غير شك أنا متفائل فإن الأخلاق في تحسن وتقدم بالنسبة إلى الماضي ، وقد كانت الأخلاق الظاهرة والمجاملات أجمل وأحسن في العهد الماضي ، ولكن ذلك تحت الضغط والخوف ، وأنا أعتقد أن الشيء الذي يكون بتأثير الخوف ليست له قيمة كبيرة ، وقد زال الاحتلال الأجنبي بعد ألفي سنة وزيادة[٢] ، وحصلت الحرية فتحسنت الأخلاق ، إلا أن هناك شيئاً من التطرف وسوء استعمال الحرية ، وذلك طبيعي يزول في وقته فمثل الطالب كمثل طائر خرج من القفص ، فلا بد أن يجمع قواه ويطير من هنا إلى هناك ، ولكني أفضل سوء استعمال الحرية على عدم الحرية . والحكم على اختلاف الأخلاق وفشل

= الحقوق في القاهرة سنة ١٨٨٩م ، وعمل في المحاماة . وشارك في تأليف حزب « الأمة » سنة ١٩٠٨م ، فكان أمينه ، وحرر صحيفته « الجريدة » يومية إلى سنة ١٩١٤م ، عيِّن مديراً لدار الكتب المصرية فمديراً لجامعة القاهرة عدة مرات ، ثم وزيراً للمعارف ، فعضواً لمجمع اللغة العربية في القاهرة واستمر فيه إلى أن توفي بالقاهرة سنة ١٩٦٣م .

(١) يريد به العلامة الندوي السر السيد أحمد خان مؤسس جامعة عليكره الإسلامية وقد مرت ترجمته في صفحة ٥٠ .

(٢) هذا يدل على أن الرجل كان يعتبر دور الفتح العربي ، والحكم الإسلامي ، احتلالاً أجنبياً ، كما نطق به بعض قادة مصر في العهد الأخير ، وفيه ما فيه من الغرابة ، والنزعة القومية المتطرفة .

التعليم في التربية وإخراج الجيل الصالح حكم قبل أوانه . وأنا أعتقد أن التربية الأولى يتلقاها الطفل في أحضان أبيه وأمه فإذا كان هذا الجيل الذي هو ابن اليوم الأب المربي في الغد ، فإن الجيل الذي ينشأ في تربيته يكون أحسن من هذا الجيل .

قلت : حقق الله آمالكم وأقر عيونكم بأبنائكم ، ولكني أخشى أن ينتقل الأمر من سيىء إلى أسوأ ، لأن هذا الجيل الذي يتخرج من جامعتنا جيل منحل لا تماسك عنده ولا تربية ، فكيف نرجو أن المستقبل سيكون أحسن من الحاضر ؟ قال معاليه : أنا أعتقد أن العلم إذا انتشر أصلح الأحوال ، وأنا لست سيىء الظن بالفطرة البشرية ، وأعتقد أن الفطرة صالحة بالطبع ، فإذا زال الكبت فإنها ترجع إلى أصلها .

هل الجامعات مقصرة في التربية الخلقية ؟

قلت : وهذه فكرة الإسلام . ولكن الجامعات مقصرة في العناية بالتربية الخلقية . قال معاليه : ولكني لا أعتقد في التلقين ، والمؤثر هو المثل الأعلى والأسوة العملية الحسنة . قلت : لست أعني بتقصير الجامعات التقصير في التلقين والدروس الخلقية فلا اؤمن بتأثيرها ، وأنا مع معاليكم في عدم تأثير التلقين والدروس النظرية ولكن الجامعات مقصرة في اختيار المعلمين وضرب الأمثلة العملية وعرض النماذج الخلقية الجميلة ، وذلك يجعلني أشك في مستقبل هذه الجامعات من ناحية الأخلاق .

قال : إن التعليم الجامعي في مصر وليد نحو ثلاث وثلاثين سنة ، فالحكم عليه بالفشل حكم قبل وقته فلننتظر ولنر .

قلت : إن التعليم المدني والجامعي في الهند أكبر سناً منه في مصر ، ولكنه لا يختلف في ثمراته عن ثمرات التعليم الجامعي في مصر .

النقص في أساس التعليم

وبذلك يخيل إلينا أن النقص في أساس هذا التعليم ، وإذا لم يزل هذا النقص فإن التعليم لا يزال يؤتي هذه الأكل ، والنقص هو اختلال الاتزان بين

المعلومات والأخلاق .

قلت لمعاليه : هل أدركت السيد جمال الدين الأفغاني وقرأت عليه ؟ قال : تتلمذت على السيد في الآستانة مدة شهر ، وكان الدرس عاماً استفدت منه توسيع آفاق الفكر .

في حفلة التكريم

وصلنا إلى دار جمعية الشبان المسلمين الساعة الخامسة إلَّا ربعاً ، وحضر الضيوف ، أذكر منهم سمو الأمير عبد الكريم الخطابي ، وشقيقه الأمير محمد عبد الكريم الخطابي ، والشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية سابقاً وعضو هيئة كبار العلماء ، والشيخ محمد عبد اللطيف دراز مدير المعاهد الدينية بالأزهر وعضو هيئة كبار العلماء ، والشيخ محمد الشربيني رئيس جبهة علماء الأزهر وعضو هيئة كبار العلماء ، والشيخ مبشر الطرازي ، والشيخ الدكتور محمد عبد الله دراز عضو هيئة كبار العلماء ، والشيخ أحمد فهمي أبو سنة أستاذ كلية الشريعة ، والدكتور محمد يوسف موسى أستاذ كلية أصول الدين والأستاذ عبد المنعم النمر أستاذ معهد القاهرة ، والأستاذ أحمد الشرباصي أستاذ معهد القاهرة ، والأستاذ محمد عبد التواب مفتش الوعظ بالأزهر ، والأستاذ عبد القادر مختار ، والأستاذ عبد المنعم خلاف ، والشيخ السعيد الشرباصي ، والشيخ علي الرفاعي مفتش الوعظ بالأزهر فضلاً عن صاحب الدعوة اللواء محمد صالح حرب .

جلسنا حول مائدة الشاي وهي طويلة زاهية بالأزهار وقام الأستاذ محمد صالح حرب فألقى كلمة تكريم لهذا العاجز وحياه عن نفسه وعن الضيوف وقدم اللواء إلى الحاضرين فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصي فقام وشفع كلمته بكلمة وجيزة ذكر فيها أن السيد أبا الحسن قد هيأ حديثاً عن تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها لهذا المجلس .

كلمتي في الحفلة

وقمت فشكرت اللواء محمد صالح حرب على هذا التكريم والضيوف على

التشريف ، وقلت إن وقت الضيوف الكرام وكبار العلماء الذين شرفوا هذا المجلس أعتقد أنه وقت ثمين وأمانة ، فخفت أن يضيع في تكريم رجل مثلي فأعددت لهذا المجلس حديثاً عسى أن يعوض هذه الخسارة ويخفف من ثقلي الذي أشعر به ثم بدأت في المحاضرة وقلت في أولها : « سادتي ! حرصت على أن أقوم بواجب الشكر والاعتراف بالجميل لهذه الحفلة التي يعقدها معالي اللواء محمد صالح حرب تكريماً لشخصي الحقير مؤمناً بأنه تكريم لضيف مسلم ينسب إلى العلم وإلى شعب إسلامي عريق في الدين والعلم ، فليس تكريم فرد بل هو تكريم للعلم ولهذا الشعب الهندي المسلم بأسره الذي أتشرف بالانتساب إليه وأردت أن أحييه وأحيي ضيوفه الكرام الذين يشرفونني بالحضور باسم العلم واسم الشعب المكرم في شخصي رداً للتحية الرقيقة ومكافأة لصنيعه الجميل .

وفكرت طويلاً في الهدية التي أتقدم بها إليكم وماذا يكون حديثي اليوم ؟ فإن حدثتكم أيها السادة عن موضوع ديني علمي عام كنت كناقل التمر إلى هجر أو مهدي العلم إلى الأزهر ، هناك تذكرت أنه مما جرت به العادة قديماً وحديثاً ومما يستطرف أن يحمل المسافر هدية من ظرف بلده أو منتجات وطنه ، وإن كان شيئاً متواضعاً أو عادياً ، لا أن يشتري شيئاً من سوق بلد مهما كلفه من الثمن ويهديه إلى أهله ، ففضلت أن يكون حديثي اليوم عن الدعوة الإسلامية في الهند ، وما مر عليها من أدوار وما تناولها من تجديد وتطور وابتكار » . ثم تحدثت عن الدعوة الإسلامية الأولى التي نشرها في الهند السادة الصوفية والدعاة إلى الله ، ثم ذكرت كيف تغير اتجاه الدولة المغولية من الإسلام إلى الكفر والإلحاد ، وكيف قيض الله لتحويل هذا التيار وتجديد الدين في هذه الديار الإمام الشيخ أحمد السرهندي وكيف جاء بتجديده وتربية أولاده ـ مثل السلطان أورنك زيب على عرش أكبر ، ثم ذكرت دور الشيخ ولي الله الدهلوي وتمهيده العقول والأرض لانقلاب إسلامي صالح على أساس العلم والدين ، ثم جهود السيد أحمد الإمام الشهيد والشيخ إسماعيل الشهيد وجهادهما في تأسيس حكومة شرعية ، وفشل هذه الجهود والتجاء العلماء إلى تأسيس المدارس الدينية ، ثم الأسباب التي دعت إلى تأسيس ندوة العلماء ، وإلى بث

دعوة دينية شعبية تقوم على أساس غرس الإيمان في جماهير المسلمين والتربية الدينية وهي الدعوة التي قام بها الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ، وقد استمع الضيوف إلى هذه المقالة على طولها بنشاط ورغبة واقترحوا نشرها ، وانتهى المجلس[1] .

الثلاثاء ٥/ ٦/ ١٣٧٠هـ - ١٣/ ٣/ ١٩٥١م .

التقصير في نشر آثار إقبال في العالم العربي

جاء الأستاذ الصاوي شعلان وجلس يسمعنا ترجمة شعر محمد إقبال إلى العربية ، وله قدرة على ترجمة الشعر مع أن ذلك أصعب شيء ، وهو حريص جداً على الحصول على ديوان الشاعر الأخير « أرمغان حجاز » ومع كل أسف أن الباكستان لا تزال مقصرة في التعريف بمؤسسها الفكري العظيم ونقل آثاره الفكرية إلى العالم الإسلامي ، ومثل الأستاذ صاوي شعلان يستحق أن تستعين به الحكومة أو المجامع العلمية على الأقل في نشر شعر إقبال في العالم العربي الذي يعرف طاغور[2] أحسن مما يعرف إقبال ، وتلك سبة وعار على الباكستان والهند قبل أن يكون عاراً على العالم العربي .

وبعد انصراف الأستاذ صاوي شعلان جاء الأستاذان الأزهريان الشيخ أحمد الشرباصي والشيخ عبد المنعم النمر وجلسا طويلاً ، وتحدثنا عن الدعوة الدينية والقيام بنشرها في القرى والأرياف وتنظيم الرحلات الدينية إلى الضواحي والمدن .

---

(١) طبعت هذه المحاضرة فيما بعد بعنوان « الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها » في المجمع الإسلامي العلمي بلكهنؤ (الهند) .

(٢) هو الشاعر الهندي المعروف (رابندرنات طاغور ١٨٦١ - ١٩٤١م) كان من أعلام الأدب العالمي ، وامتاز شعره بروح الوطنية ، له « ذكريات » و « قربان الأغاني » و « رسوم وأناشيد » نال جائزة نوبل سنة ١٩١٣م .

كيف يشتغل طلبة المعاهد الدينية ؟

ذكرت لهما أن هذا الطريق الوحيد لصرف طلبة المعاهد الدينية عن الاشتغال بالحركات الطائشة وعن الاستهداف للدعوات الهدامة وبعث الروح الدينية والنشاط العملي فيهم ، فوافقا على ذلك ولكن اعتذرا بالمشاكل التي تعترض هذا النشاط والتنظيم وما أثر حل جماعة الإخوان المسلمين في عقلية الشعب وما أوجده من اليأس والتبرم من الدعوة الدينية والوعظ ، والانصراف عن الدعاة المتطوعين ، ولكن اتفقا على أنه لا بأس بالشروع في هذا العمل في نطاق ضيق محدود ، ووعد الشيخ أحمد الشرباصي بأنه سيكلم في هذا الموضوع الشيخ محمد الغزالي واعظ الأزهر ، لأنه أعرف بالقرى والأرياف وأكثر اتصالًا من زميليه بها .

تنظيم اتصالات علمية بين علماء مصر وعلماء الهند

واقترح الشيخ أحمد الشرباصي تنظيم اتصالات علمية بين علماء مصر وعلماء الهند والباكستان عن طريق التعارف بتبادل الخطابات والرسائل والمؤلفات والنشرات والمجلات والصحف وغير ذلك ، وقد أيده في ذلك الأستاذ عبد المنعم النمر وذكر أنه لم يكن يعرف شيئاً عن الحركة العلمية والدينية في الهند قبل أن يتعرف بي ولم يسمع قط أسماء هؤلاء العلماء الكبار الذين ذكرتهم في محاضرتي عن دراسة علم الحديث ، واقترح فضيلة الشيخ الشرباصي كذلك تنظيم مراسلات بين طلبة الأزهر الشريف وبين طلبة الجامعات الدينية الإسلامية في العالم الإسلامي حتى يتعارف شباب الإسلام ، وحتى يرتبطوا بالعجلة الإسلامية ، بدل تراسلهم مع الطلبة الغربيين أو الطالبات الأجنبيات ، وذكر أن أكثر طلبة الجامعة وطلبة الكليات يتراسلون مع طلبة الجامعات في أوربا ، وغالب الطلبة في مصر في الجامعة أو الكليات لهم أصدقاء ومراسلون في أوربا ، ويحرضهم على ذلك أساتذتهم ، بل وصل الأمر إلى أن المعلمات في مدارس البنات يحرضن المتعلمات في مدارس المسلمات على أن يراسلن المتعلمات في أوربا أو يراسلن المتعلمين في أوربا ، فبعض

المتعلمات هنا لهن أصدقاء في أوربا .

ووافقنا على أن يبدأ الشيخ الشرباصي بكتابه كشف بأسماء الطلاب الأزهريين الراغبين في المراسلة مع عناوينهم ومميزاتهم ، وأقوم أنا بكتابة كشف آخر بأسماء الطلاب المسلمين في الهند والباكستان وذلك للبدء في المراسلة .

وأخذ الأستاذ عبد المنعم النمر أجزاء (أوجز المسالك)[1] ليعرضها على بعض الناشرين لعلهم يستعدون لنشرها .

قرأت مقالة الأستاذ البهي التي نشرت في العدد الأخير للدعوة تحت عنوان « تحت ظلال التوحيد » وهي مقالة جميلة وجدت فيها نفس ابن القيم رحمه الله في شرح الآيات وحقائق القلب ، وما ذاك إلَّا بشغف الأستاذ البهي بكتب الحافظ ابن القيم وتفكيره في القرآن ، وظل الشيخ يفسر لنا بعض الآيات ويشرح لنا معنى الحياة في القرآن في أسلوبه الجميل فكان حديثاً مغذياً للفكر والقلب ، وذهب الإخوان بعد المغرب ليشاركوا في محاضرة الشيخ أحمد الشرباصي عن (عبقرية المكفوفين في التاريخ) بدار الشبان المسلمين ويعتذروا إليه عني لعدم الحضور فقد شعرت بتعب عظيم .

الأربعاء ٦/ ٦/ ١٣٧٠هـ - ١٤/ ٣/ ١٩٥١م .

جاءنا الشيخ عبد المنعم النمر عند الظهر ليرافقنا إلى منزل الشيخ أحمد ماضي أبي العزائم وأهدى إلينا الشيخ أبو العزائم مجموعة من مؤلفات والده ومنظوماته وزرنا قبر والده السيد محمد ماضي أبو العزائم ، ورأينا لوحة على قبره مكتوباً عليها « يا أبا العزائم مدَدَك » فأنكرنا ذلك وقلت للسيد هذا لا يجوز أبداً ولا يتفق وتوحيد الإسلام ولا يوافق ما أمرنا به في سورة الفاتحة من قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وما نقوله مرات في الصلاة ، ولم أر من السيد تلك الخشونة والإنكار الذي تعودناه من مشائخ

---

(١) هو أوجز المسالك شرح موطأ الإمام مالك ، للعلامة المحدث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي .

بريلي وبدايون[1] في مثل هذا الموقف .

حديث مع الأستاذ عبد الوهاب خلاف

ذهبنا بعد العصر إلى الأستاذ عبد الوهاب خلاف أستاذ الشريعة في كلية الحقوق وقابلناه في منزله بشبرا وكان الحديث معه علمياً وتاريخياً ، قال : قد أعجبني كلامكم مع أحمد لطفي السيد باشا ؛ وكنت ألاحظ أن المقياس بينكم وبينه مختلف فمقياس الأخلاق عندكم القرآن فما حسن منها فهو عندكم حسن وهو لا يرى هذا .

من أسباب التحلل الخلقي في مصر

قال : إن أعظم أسباب التحلل الخلقي في هذا البلد هي البعثات التي عادت من فرنسا ، وقد لاحظنا أن الثقافة الإنجليزية تمتاز عن الثقافة الفرنسية بالجد ، قلت له قرأتم على الشيخ محمد عبده ؟ قال : نعم أدركت درسه في الرواق العباسي بالأزهر وهو في تفسير سورة النساء ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾ الآية [النساء : ٢٣] واستمرت دروسه إلى تفسير قوله تعالى : ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ ﴾ الآية [النساء : ١١٤] وهنا مرض مرضه الأخير ، وتوفي رحمه الله .

الأستاذ يصف درس الشيخ محمد عبده

ووصف الأستاذ عبد الوهاب درس الشيخ قال : كان الشيخ بهي الطلعة كث اللحية شجي الصوت لا يمله الطلبة والحاضرون ، وكان يسر السامعين بنكته اللاذعة ونقده ويدفع السآمة عنهم ، وكان لا يعتني كثيراً بالنحو والبلاغة ويعني بموضوع القرآن وهو عنده الهداية ، ودائماً يستشهد بقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ٢] يقول : ولم يذكر الله ثمة أنه أنزل القرآن للبلاغة أو النحو وإنما أنزله للهداية .

---

(١) بلدان يقعان في الولاية الشمالية في الهند ، تزعما حركة التكفير ومحاربة الدعاة إلى التوحيد والدين الخالص .

الأساتذة الذين أعجب بهم الأستاذ خلاف

قلت : ومن أثر فيكم من أساتذة الأزهر ؟ قال هما رجلان غير الشيخ محمد عبده أولهما الشيخ عبد الله دراز وكان يدرس المنطق في المسجد الذي أمام الأزهر وكان عذب الحديث بليغاً ، والثاني الشيخ إبراهيم الجبالي الذي توفي قريباً ، ثم أسست مدرسة القضاء الشرعي فالتحقت بها ، وكان أساتذتها مزيجاً من شيوخ الأزهر والأساتذة المدنيين فكانت ثقافتي مزيجاً ، وكان ذلك خيراً لي .

لماذا لم يعش مذهب الإمام الليث ؟

قلت كان الإمام الليث بن سعد فقيهاً كبيراً ويفضله بعض الناس على الإمام مالك ، فلماذا لم يعش مذهبه ولماذا اندرس ولم يبق له أتباع ؟ قال هنالك سببان لانتشار المذهب وبقائه ، أولاً : أن يدون صاحب المذهب مذهبه ويحرره ، ثانياً : أن تنتحل هذا المذهب دولة وتقوم بنشره وقد اجتمع هذان السببان للمذهب الحنفي ؛ فقد حرره ودوَّنه الإمام محمد بن الحسن الشيباني ، وكان مذهب القاضي أبي يوسف وكان لا يولِّي القضاء إلا من كان حنفياً ، أما مذهب الليث بن سعد فلم يقم به بعده من يحفظه وينشره .

كيف انتشر المذهب الشافعي في مصر ؟

وكان هو المذهب المتبوع السائر في مصر حتى جاء الإمام الشافعي وكان ذا عقلية جبارة وذكاء باهر ونزل ضيفاً عند آل الحكم وتغلب مذهبه على مصر وانتشر ، ولما جاء الفاطميون في مصر وأسسوا الأزهر كمسجد ضرار لأنه هو المسجد الرابع في مصر وكان الإمام الشافعي يدرس في مسجد الفسطاط ، واضطر الفاطميون أن يمالئوا النزعة السائدة فضموا التدريس للفقه الشافعي إلى درسهم في فقه الشيعة الذي كان يقوم به الخليفة الفاطمي بنفسه ، ولما قامت دولة الأيوبيين شجعوا تدريس الفقه الشافعي بالأموال والأوقاف حتى كان هو الغالب .

داء العلماء في كل بلد

ومن بيت الأستاذ عبد الوهاب ذهبنا إلى جمعية الشبان المسلمين ووجدنا هناك مجموعة من كبار العلماء وشيوخ الأزهر وهم يبحثون في تأليف لجنة تضع كتباً في شرح النظام الإسلامي المالي والسياسي والاجتماعي ، فلم تتفق كلمتهم على شيء وشعرت في مباحثاتهم بضعف في التفكير وضعف في الإرادة وذلك داء العلماء في كل بلد ، وقد شعرنا بذلك في علماء بلادنا أيضاً ، وذلك الذي يجعلنا نخاف على مستقبل الدين في بلاد الإسلام ، فأحوال العالم ووجود اضطراب شديد وقلق عند الناس وسرعة الدوامات التي تدور حولنا تطلب عبقرية وقوة إرادة وصراحة ، وذلك لا يوجد في المعسكر الديني وحماة العلم والإسلام ، وتأكدت أن الأمة وخصوصاً المنتسبين إلى الدين والعلم قد فقدوا مقداراً كبيراً من المقدرة الاجتماعية والاستعداد للتعاون العلمي ، وأن الأعمال الجليلة لا يقوم بها ـ والحالة هذه ـ إلا أفراد ممن ملكت الفكرة أو العقيدة عليهم فكرهم ونشاطهم وهم الذين قاموا بواجبهم من غير انتظار لأحد أو تكليف من أحد .

الخميس ٧/ ٦/ ١٣٧٠هـ ـ ١٥/ ٣/ ١٩٥١م .

زيارة حديقة الحيوانات

ذهبنا إلى حديقة الحيوانات وكان الجو جميلاً جداً ، فتنقلنا في حديقة الحيوانات بين عجائب المخلوقات والحيوانات المفترسة والطيور الجميلة ، ومن أعجب ما رأينا سبع البحر والإنس الوحشي ، وكثيراً ما تذكرنا قوله تعالى ونحن نمر بالسباع والوحوش : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ . . . مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء : ٧٠] وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين : ٤] وكان الأستاذ محمد عبد الوهاب البنا قد أخذ معه غداء يكفي لجماعة كبيرة يشتمل على أنواع الأطعمة وصلينا الظهر وتغدينا على العشب نتمتع بجمال الطبيعة ونظافة الهواء ولذة الطعام .

الجمعة ٨/ ٦/ ١٣٧٠هـ - ١٦/ ٣/ ١٩٥١م

خطبتي في قويسنا

سافرنا اليوم مع الشيخ محمد الغزالي إلى قويسنا[1] وصلينا الجمعة وخطبنا الشيخ الغزالي ، وطلب مني إلقاء كلمة وكنت أريد أن أفسر سورة العصر ، فإذا هو يسبقني إلى تفسيرها ، فأخذت آية مما قرأ الشيخ الغزالي في الصلاة وهي قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة : ٢٠٨] وشرحت كيف يكون العبد حرباً لربه ، وحذرتهم من أن يكونوا في حرب مع الله وهي مشاقة أوامر الله والإباء من إجرائها على النفس ، وقلت قد يكون المسلم مصالحاً مع ربه ما دام في المسجد فإذا خرج منه عاد محارباً لله فتكون نسبة محاربته لله مع صلحه معه ، نسبة وقته الذي يقضيه خارج المسجد بوقته القليل الذي يقضيه في المسجد ، فلينظر كل أحد ما نصيب المحاربة في حياته ، فليترك الحرب مع الله وليدخل في السلم ، والمسلمون لا يستحقون النصر ولا يجلبون إلى أنفسهم الرحمة حتى يدخلوا في السلم كافة ، وخطب بعدي الشيخ أحمد سليمان العشماوي خطبة حماسية بليغة ذكر فيها أن محنة الإخوان زادتهم إيماناً وحماسة ونشاطاً وقوة والحركة انتشاراً ورسوخاً ، وسمعت أنه عذب في السجن كثيراً .

السبت ٩/ ٦/ ١٣٧٠هـ - ١٧/ ٣/ ١٩٥١م .

جاء في الصباح الأستاذ صاوي شعلان ، وكلما جاء تجددت ذكرى شاعرنا العظيم محمد إقبال وهبت نفحة من نفحات الهند الإسلامية تلك النفحة التي تحمل معها شذا الإيمان وأريج الحب والحنان ، ومكث الأستاذ ينشدنا قصيدة مولانا الرومي في زيارة رومي لأمير المؤمنين عمر وسؤاله عن هذه المهابة التي ملكت قلبه وسرها ، وقد نظم الأستاذ الصاوي هذه القصيدة بالعربية وأنشدنا

---

(١) مدينة في مصر تقع بمحافظة المَنوفيَّة .

إياها وأبدى رغبته في ترجمة حديثي (من العالم إلى جزيرة العرب ومن الجزيرة إلى العالم)[1] إلى الشعر العربي ، وأهديت إليه نسخاً من « اسمعي يا مصر »[1] وأبدى استعداده لنقلها كذلك إلى النظم العربي .

في منزل الشيخ حسنين محمد مخلوف

توجهنا في الساعة الثانية عشرة إلى حلوان فقد دعانا فضيلة الشيخ الأستاذ الكبير حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية سابقاً وعضو هيئة كبار العلماء لتناول الغذاء في منزله العامر بحلوان ، وتفرجنا في الطريق على القرى والأرياف وكان السفر ممتعاً ، ووصلنا ووجدنا الشيخ في انتظارنا في منزله ، فرحب بنا وفرح لقدومنا .

استأذنا فضيلة الشيخ وقد أهدى إلينا مجموعة من رسائله ومنشوراته ومجموعة من مؤلفات والده العظيم الشيخ محمد حسنين مخلوف مدير المعاهد الدينية بالأزهر وعضو كبار العلماء سابقاً .

تقليد الأجانب جنون ذو فنون

وخرجنا لزيارة حديقة حلوان وقد دهشت برؤية تماثيل بوذا في الحديقة وصف من التماثيل ، وقلت لصديقي الكريم أحمد عثمان أي داع لنصب هذه التماثيل في هذا البلد الإسلامي وقد طهرها الله من هذه الأوثان ؟ أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خيراً اهبطوا مصراً ، فقال متهكماً : هذه حديقة نسقت على طراز الحدائق اليابانية فأراد منشئوها أن تضاهي هذه الحديقة الحدائق اليابانية في كل شيء ، حتى في الأوثان وتكون صورة صادقة لها وقد أنفق أسيادنا المصريون آلافاً من الجنيهات على هذه التماثيل فلا حول ولاقوة إلا بالله . إن تقليد الأجانب في الحقيقة جنون ذو فنون .

---

(١) اقرأ هاتين الرسالتين ضمن الرسائل والأحاديث والخطابات للعلامة الندوي ، الّتي طبعت بعنوان « اسمعيات » للعلامة الإمام السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ـ دار ابن كثير بدمشق عام ٢٠٠٠م .

الإثنين ١١/٦/ ١٣٧٠هـ - ١٩/٣/ ١٩٥١م .

مع سعادة الشيخ محمد صادق المجددي

بعد العصر زارنا الأستاذ عبد الله الكابلي وخرجنا معه لزيارة سعادة الشيخ محمد صادق المجددي سفير أفغانستان واجتمعنا بسعادته في السفارة الأفغانية بالزمالك وجلسنا معه مجلساً طويلاً ، وظل سعادة الشيخ يتكلم معنا في أمور ، وصلينا خلفه المغرب وتعرفنا بنجليه الكريمين وسررنا بهذه الزيارة ، فإن سعادته لا يمثل الحكومة الأفغانية فحسب ، بل يمثل ذلك البيت العظيم الذي له منة على كل مسلم في الهند ؛ وتربطنا به روابط دينية وصلات روحية قديمة ، وكان جدنا الكبير السيد علم الله النقشبندي[1] خليفة السيد آدم البنوري وهو خليفة الإمام الرباني الشيخ أحمد السرهندي صاحب الطريقة المجددية .

الثلاثاء ١٢/٦/ ١٣٧٠هـ - ٢٠/٣/ ١٩٥١م .

مقابلة الأستاذ مصطفى مؤمن

ذهبنا إلى الأستاذ مصطفى مؤمن ، وقد عرفته في دهلي عام ١٩٤٧ وقد جاء يمثل الإخوان المسلمين في المؤتمر الآسيوي الثقافي ؛ واجتمعت به مراراً مع الصديق الجليل الأستاذ محمد عمران خان الندوي الأزهري ، وتعرف بعضنا ببعض ، وكانت لي رغبة في الاجتماع به وسألت عنه فأخبروني أنه

---

(١) هو العارف الكبير والمربي العظيم السيد علم الله بن السيد فضيل الحسني النقشبندي كان عالماً ربانياً ، عارفاً بالعلوم الشرعية والمعارف الإلهية ، زاهداً قنوعاً عفيفاً دينياً ، أسس الأسرة الحسنية ، وأنشأ في أواخر القرن الحادي عشر الهجري مركزاً دينياً تربوياً كبيراً في مدينة « راي بريلي » . كثر الله في ذريته العلماء والمربين الّذين دعوا إلى العقيدة الصحيحة ، والتمسُّك بالسنة الربانية الصافية ، وإعلاء كلمة الله وإدالة الدين والمسلمين من القوات المحاربة للإسلام والشريعة المطهرة ، كان من أشهرهم : الإمام أحمد بن عرفان الشهيد . توفي سنة ١٠٩٦هـ .

اعتزل الإخوان وأنه يحرر في صحيفة « الزمان » وذلك لم يعقني عن زيارته لأني كنت أعرف فيه رجلاً مؤمناً مثقفاً نشيطاً صاحب مواهب ، والحياة الإنسانية ذات عقد وتركيب عجيب ، فلا يستطيع الإنسان بسهولة أن يعرف مشاكل الإنسان وتطورات فكره ، وعلى كل فقد اجتمعت به وحيًّا بعضنا بعضاً وجددنا ذكريات الأيام الماضية وقلت له بصراحة : أنا أقابل سيادتك بصفة الأستاذ مصطفى مؤمن الذي جاءنا في الهند يمثل الإخوان المسلمين لا بصفة محرر صحيفة الزمان و . . . و . . . وكان لا يزال يتذكر إقامته القصيرة في دهلي وحوادث تلك الأيام والمجالس التي اجتمعنا فيها وطلب مني حديثاً ينشره في « الزمان » فوعدته به .

الأربعاء ٣/ ٦/ ١٣٧٠هـ - ٢٠/ ٣/ ١٩٥١م .

في كلية الشريعة

ذهبنا في الساعة التاسعة صباحاً لزيارة كلية الشريعة . ثم دخلنا في درس الأصول ، وكان فضيلة الشيخ عبد الله موسى يدرس كتاب « منهاج الوصول في علم الأصول للأسنوي » وكان يقرر المسألة ويحاضر بها من غير استعانة بالكتاب ، ولا شك أنه كان قوياً بارعاً في محاضرته ، ثم خرجنا من الأزهر بعد ما أخذنا فكرة مجملة عن منهاج التدريس وأسلوبه ، وكانت فكرة لائقة بمقام الأزهر العلمي ولكنها غير لائقة بمقام الأزهر الديني ، فلم نشعر بروح دينية ولا بجو ديني يذكرنا بالسلف ويتفق مع حياة العلماء وسيرتهم ، ولم نشعر إلا ونحن في القسم الشرقي في جامعة مدنية فلا روح الخشوع ولا سكينة العلوم الدينية - القرآن والحديث - ونفحاتها التي يشعر بها الداخل في مدارسنا الدينية الهندية ؛ أما اللحية فكأن سادتنا علماء الأزهر قد أجمعوا على حلقها .

في دار العشيرة المحمدية

وذهبنا إلى دار العشيرة المحمدية وخطب الشيخ زكي إبراهيم ثم الحاج جلال حسين ، ثم ألقيت خطبة استلفتُّ فيها الحاضرين إلى الخروج إلى

الأرياف للدعوة والاتصال بالشعب ، وإلى أن ينظموا رحلات أسبوعية إلى الريف المصري ، ثم تبعني الأستاذ عبد العليم ، وخطب خطبة حماسية اعتاد الناس أن يسمعوها وينصرفوا ولا يخلو الخطباء ولا السامعون من هذه التبعة ، فقد تعودوا أن يلقوا خطباً كانت أقل منها تقيم القيامة في العصور الأولى ، ولا تزال تؤثر تأثيراً كبيراً وتغير الوضع في بعض الأحيان في الأمم الحية ، وقد تعودت الجماهير أن تسمع هذه الخطب وتهضمها وتمضي ، فقلت للأستاذ : لا بد أن نصل إلى نتيجة عملية وإني أرى القلوب متأثرة فلا بد أن يعزموا على شيء فطلب الأستاذ منهم توفير وقت للخروج في يوم الجمعة إلى بعض الأرياف ، فتقرر الخروج في الجمعة التالية إلى بلد العامرة ووعد كثير من الحاضرين بالخروج في هذه الرحلة إن شاء الله .

يوم الخميس ١٤/٦/١٣٧٠هـ ـ ٢٢/٣/١٩٥١م .

جاء الأستاذ البهي الخولي في الساعة العاشرة ومكث ساعة وقرأت له مقالة « الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها » واقترح عليّ ترجمة كتابه : « تذكرة الدعاة » فأبديت رغبتي في ذلك واستعدادي له .

مع طلبة الأزهر

وفي الساعة الرابعة بعد العصر ذهبنا إلى الأخ عبد الخالق وقد سبقنا إليه عدد من طلبة كليات الأزهر ، فألقيت كلمة في موضوع العناية بتغذية الإيمان وتنميته وعدم استعداد الجو المدني لذلك وإعراضنا عن هذه الناحية في التربية ، مع أننا لسنا أقل حاجة لذلك من العامة ، وشرحت لهم بعض طرق هذه التربية ، منها مطالعة كتب السيرة وأخبار الصحابة رضي الله عنهم ، والخروج من هذا الجو المدني الفاسد إلى بعض الضواحي مع الطلبة ، والاشتغال بالدعوة إلى الله . وأخبرتهم بأنا خارجون غداً إلى القناطر الخيرية ، ونرحب بمرافقتهم فوعد كلهم بذلك .

من بيت الأخ عبد الخالق توجهنا إلى دار جمعية الشبان المسلمين لزيارة اللواء محمد صالح حرب ولكن لم نجده ، فجلسنا قليلاً عند الأستاذ

عبد القادر مختار ورجعنا إلى محلنا .

يوم الجمعة ١٥/٦/ ١٣٧٠هـ ـ ٢٣/٤/ ١٩٥١م .

ركبنا سيارة ووصلنا إلى القناطر ، وهنا لحقنا الأستاذ لقمان الهندي شيخ رواق الهنود ، تجولنا في حدائق القناطر ، وتفرجنا على متنزهاتها ، ومشينا بين أشجارها وأزهارها ، ورأينا نظام القناطر ذلك المشروع العظيم والتنظيم الخطير الذي استطاعت به مصر أن تنفع بمياه النيل وتسقي بها مزارعها وبساتينها ، وتنظم الري حسب ضرورتها ، وقد أفاد القائمون على نظام القناطر وإدارتها من ماء النيل ، فسقوا حدائق ذات بهجة ، فأصبحت هذه القطعة كلها حديقة غناء ولم ندخل فيها إلا وذكرنا كشمير وحدائقها مثل « شالامار » و « نسيم باغ » و « نشاط باغ » ولا شك أن بعض الحدائق هنا لا تقل في نضارتها وبهجتها عن حدائق كشمير ، إلَّا أن بعض حدائق كشمير تمتاز بأن لها طبقات ، فهذه الطبقة الأولى من الحديقة وعليها الطبقة الثانية فالثالثة ؛ وكانت هذه الرحلة من غير شك رحلة لطيفة ممتعة يرجع الفضل فيها إلى صديقينا المخلصين الأستاذ البنا والأستاذ المرشدي جزاهما الله على هذه المحبة خير الجزاء .

* * *

وصلت جماعة الطلبة كما تقرر بالأمس ومعهم رهط على أهل قليوب الذين رافقوهم من الطريق ، صلينا الجمعة في المسجد الملاصق بالمحطة ، وكان الخطيب من الجماعة الشرعية ، ألقى كلمة طيبة مفيدة قبل الصلاة في معنى التوحيد ، واجتمعوا بعد الجمعة في هذا المسجد ، وألقيت كلمة قصيرة بعد الصلاة ، وتكلم الأستاذ محمد عبد الوهاب البنا في جماعتنا في موضوع التوحيد ونفي الشرك والاستعانة بغير الله ودعائه والاستعانة به وغير ذلك ، فكان له وقع حسن .

في نكله

وبعد الصلاة توجهنا إلى نكله وقد سبقنا إليها الأخ عبيد الله والأخ محمد

معين ، وتغدينا هناك مع الجماعة ، وهذه القرية يبلغ عدد نفوسها أربعة آلاف أو يزيدون ولأنصار السنة فيها أنصار كثير ، ولها فيها فرع تام وقاعة للمحاضرات ، اجتمعنا فيها مع إخواننا وقد أكرمونا جد الإكرام ، والتفوا حولنا ووجدنا فيهم روحاً طيبة ، وبعد العصر ألقيت كلمة وجيزة ذكرت فيها أن نعمة التوحيد أجل نعمة ينعم بها الله على عبد ، وهي النعمة التي حرم منها رجال لم نكن أشرف ولا أزكى ولا أقرب إلى الأنبياء منهم ، ولكنه فضل الله يؤتيه من يشاء ، فهي نعمة تستحق أكبر شكر ، ومن شكرها القيام بالدعوة إليها ونشرها بين الناس .

السبت ٦/ ٦/ ١٣٧٠هـ - ٢٤/ ٣/ ١٩٥١م .

في مكتب الإرشاد للإخوان

جاء الأستاذ صاوي شعلان وقد ترجم بعض أبيات إقبال التي أمليته إياها قبل اليوم ، وعرضت عليه بعض الأبيات الفارسية من « جاويدنامه » أريد أن أنقلها وأستشهد بها في محاضرتي يوم الأربعاء في دار العلوم فكتبها على ورق بآلة الكتابة ، وكان منظراً غريباً فالأستاذ مكفوف البصر وكان يكتب كالمبصرين والآلة تشتغل ، فما لبثنا أن رأينا نقوشاً ناتئة على القرطاس ما نراها إلا نقطاً بعضها فوق بعض وبعضها جنب بعض لا نفقة لها معنى ، ولكن الأستاذ يقرؤها كما تقرأ صحيفة مكتوبة وأنشدنا الأبيات الفارسية التي أمليناها .

الأحد ١٧/ ٦/ ١٣٧٠هـ - ٢٥/ ٣/ ١٩٥١م .

اشتغلت بإعداد محاضرتي التي سألقيها إن شاء الله في كلية دار العلوم عن شاعر الإسلام محمد إقبال ، والوقت قليل والعمل طويل والكتب التي أستند إليها وآخذ منها لا توجد هنا ، كل ما استطعت أن أحصله ديوان (بانك درا) ومجموع مقالات اسمه « حكمت إقبال » و« شاعر الشرق » باللغة الإنجليزية للأستاذ أنور بيكا فاعتمدت على ذاكرتي واقتصرت على هذه الكتب ، وبدأت أكتب ، وأعانني الله .

مع الشيوخ الشباب

خرجنا بعد الظهر إلى دار العشيرة المحمدية ومن هناك توجهنا إلى منزل الشيخ زكي إبراهيم ، وهو كما وصفه بنفسه برزخ بين مدينة الأحياء ومدينة الأموات ، فهو في آخر القاهرة بعد الأزهر وأول الجبانة بني هو فيها ، ووجدنا هنا جماعة من الضيوف وتلاهم آخرون وأكثرهم أصحاب الفضيلة أو أصحاب المشيخة وقد جمع الأستاذ زكي إبراهيم مجموعة طيبة من مشايخ الطرق ، وإن كانوا شباناً وبعضهم مثقفون الثقافة الأدبية أو الجامعية كالأستاذ التفتازاني شيخ الطريقة التفتازانية ، وهو شاب يجمع بين ثقافة الأزهر وثقافة جامعة فؤاد[١] متخرج من كلية الآداب ، وقد قدم كتاباً للدكتوراه .

وقد تذكرت برؤيتهم مشايخ « بنجاب »[٢] الشبان المثقفين المدنيين الذين يجمعون بين المشيخة التي وصلت إليهم بالوراثة من غير كد أو إعداد لها أو تربية روحية وبين الأفندية وقد يجمعون بين المشيخة والوظيفة الرسمية ، وجلسنا بعد الغداء ، وحضرتني كلمة في مسؤولية أصحاب الطرق في هذا العصر وأن قوتهم التجرد من الشهوات والتغلب على إغراء الماديات والزهد فيما عند الناس من مال وجاه ، فبذلك وحده يستطيعون أن يحاربوا المادية في هذا العصر ويهزموا دعاتها ، ويؤدُّوا رسالتهم الروحية والدينية ، أما بتقليد أهل العصر والاندماج في مجتمعهم والاندفاع وراء التيارات المدنية فلا يستطيعون أن يعملوا شيئاً ، ولابد من حركة ونشاط ودعوة وإلا ضاعوا وابتلعتهم المدنية فيمن ابتلعتهم . . . إلخ .

يوم الثلاثاء ١٩/ ٦/ ١٣٧٠هـ ـ ٢٧/ ٣/ ١٩٥١م .

خرجنا بعد المغرب إلى دار جمعية الشبان المسلمين وصدفنا هناك الأديب الكريم سيد قطب فعاتبنا على عدم الاتصال به بعد المرة الأولى وقال قرأت

---

(١) وهي تسمى اليوم بجامعة القاهرة .

(٢) ولاية تقع في شرق الهند .

« اسمعي يا مصر »[1] وأرجو أن تسمع ، قلت : إذا سمعتم فقد سمعت مصر ، وكان موعد محاضرة الشيخ أحمد الشرباصي عن كتاب التصوير الفني في القرآن لسيد قطب فتناوله بالبحث والتحليل ، وكانت محاضرة فنية دينية علمية .

الأربعاء ١٠/ ٦/ ١٣٧٠هـ ـ ٢٨/ ٣/ ١٩٥١م .

محاضرتي في دار العلوم عن الدكتور محمد إقبال

بعد صلاة العصر توجهنا إلى دار العلوم ووصلنا قبل الخامسة وجلسنا مع الأستاذ محمد مبروك أستاذ التاريخ الإسلامي في الدار نتحدث عن تاريخ دار العلوم ومكانتها في مصر ، وعن دار العلوم وندوة العلماء في لكهنؤ ومركزها في الهند ثم دخلنا في مدرج علي باشا مبارك وهو خاص بالطلبة والمستمعين

---

(١) شعر العلامة الندوي أثناء إقامته في مصر بضرورة أن يخاطب مصر خطاباً يذكرها برسالتها ودورها ومكانتها ، ويشعرها بأنها تستطيع أن تقوم بالدور القيادي والتوجيهي للعالم العربي بل للعالم الإسلامي كله ، فماذا تأخذ من الغرب وتعطيه بعد الفحص والاختبار للعالم العربي ؟ وماذا عليها في مقابل ذلك أن تعطيه للغرب حتى يجد الغرب طريقاً جديداً للحياة ويخرج من المستنقع الّذي لا يزال يتورط فيه ، على مصر أن تقضي في ذلك وتصدر حكماً فاصلاً ، وليس ذلك إلّا لمصر وحدها التي تقع على نقطة الاتصال بين الشرق والغرب حيث تلتقي حضارتان وتجتمعان ، ثم إن مصر في حاجة إلى قناة معنوية فكرية تكون واسطة التبادل الحُر بين الشرق والغرب على قدم المساواة والثقة بالنفس ، فينبغي أن تقدم مصر أنفس أشيائها وأغلاها ـ وهي رسالة الإسلام ـ إلى الغرب ، وتأخذ من الغرب ما تفوَّق فيه وسبق ، وهي التكنولوجيا الحديثة والعلوم والصناعات الجديدة .
فكتب سماحة الشيخ الندوي مقالاً لأجل هذا الغرض ، وأشاد فيه أولاً بدور مصر الديني والعلمي القيادي الرائع ، ومآثرها العظيمة في النشر والتوزيع ، وفتوحه الأدبية والعلمية ، وتاريخ الأزهر الزاهر ، ومآثرها في خدمة العلم والدين . نشر هذا المقال في مجلة « الرسالة » للأستاذ أحمد حسن الزيات ، ثم نشر في صورة رسالة مستقلة ، تلقفها الناس وتلقوها بشوق ورغبة واستحسان .

وقدمني الأستاذ مبروك ، وافتتحت المحاضرة وكانت تقاطع بتصفيقات حادة وهتافات الإخوان ، وكان عنصر الإخوان بارزاً ومتحمساً ، وكان يظهر أن شعر محمد إقبال والتعليق عليه يصادف هوى في قلوبهم ويعبر عن شعورهم ، وقد أرضت المحاضرة وعقبها الأستاذ مبروك بكلمة وتلاه طالب بقصيدة وعقب الأستاذ فريد عبد الخالق بكلمة خطابية متحمسة ، ثم جلسنا بعد الصلاة نتحدث عن إقبال وعن الجيل الجديد والعالم الإسلامي ، وشارك في الحديث الدكتور محمد يوسف موسى أستاذ الفلسفة في كلية أصول الدين ، والأستاذ عبد الحكيم عابدين وكيل الإخوان المسلمين ، والأستاذ عمر الدسوقي أستاذ الأدب في دار العلوم والأستاذ مزيد عبد الخالق وقد كان الأستاذ عمر الدسوقي من كبار المعجبين بالمحاضرة وبشخصية محمد إقبال وقد فطن لروح المحاضرة وعمادها . قال : إن أكبر ما يميز محمد إقبال عن شعراء عصره هو أنه كان صاحب رسالة وقد استخدم شاعريته لرسالته ، ومع الأسف إن شعراءنا في هذا العصر ليسوا بأصحاب رسالة ، ولي كتاب في الشعر العربي الحديث ، والأستاذ من تلاميذ شيخنا الدكتور تقي الدين الهلالي قرأ عليه في بون ويعرف صديقنا الأستاذ مسعود عالم الندوي وكان من كتاب الفتح من سنة ١٩٢٦م .

الخميس ٢١/٦/١٣٧٠هـ - ٢٠/٣/١٩٥١م .

في جبهة علماء الأزهر

كان موعدنا الساعة الخامسة مساء اليوم في جبهة علماء الأزهر للاجتماع بأعضائها ، فذهبنا ، وهناك وجدنا جماعة من كبار علماء الأزهر .

وتقدم فضيلة الشيخ أحمد الشرباصي وحياني بالنيابة عن الجبهة واقترح على الجبهة الاتصال الثقافي بالهند ، ومراسلة طلبة الأزهر وطلبة المدارس الهندية الدينية ، وتنظيم الرحلات الدعوية والنشاط الديني في الأرياف والقرى ، وقمت فرددت على تحيته واستلفتُّ نظر علماء الأزهر إلى نشر الدعوة الدينية خارج الأزهر وتهيئة الشعب لقبول مبادىء الدين وتربيته الدينية . وقلت : يعتقد كثير من الناس أن أصول المدارِس في داخلها ، وأنا

أعتقد أنها في خارج المدارس وهي نفوس الشعب فإذا كانت تستمد غذاءها ورواءها من التربة كانت المدارس مخصبة مخضرة ، وإذا ذويت وماتت وانقطع منها الغذاء والري سرى الذبول في عروق المدرسة وفروعها وأوراقها ولم يمكن إعادة الحياة والخصب إليها عن طرق صناعية ، وإذا كان في الشعب إقبال على الدين واهتمام به وشعور بالحاجة إلى العلم كان الإقبال على المدارس بطبيعة الحال ، وإذا انصرف الشعب عن الدين وزهد فيه تبعه الانصراف عن المدارس والزهد فيها بطريق الأولى ، فالمهم إيجاد الوعي الديني والشعور بالحاجة إلى العلم في العامة ، فإذا وجد هذا فصدقوا أن الشعب لا يصرفه عن المدارس شيء.، وأن المدارس تنال منه كل مساعدة وتشجيع وإقبال وعناية ، وإلا أصبحت جزراً متقطعة ويثور عليها الشعب ويعارضها ، والأمر التالي هو إقبال الأزهر على البعوث الإسلامية والعناية بتربيتها وتزويدها بالثقافة الإسلامية والتربية الخلقية والدينية والسهر على تعليمها وتقويمها الخلقي ، فإن هذه البعوث تقصد مصر لأجل الأزهر من أنحاء بعيدة ومن الأقطار الإسلامية وغير الإسلامية ، وأملها قوي في أنها تنال كل إرشاد وتوجيه من الأزهر الشريف أكبر جامعة دينية في العالم وفي مصر الإسلامية مركز الدين والعلم ثم لا تتحقق آمالها ، وها نحن نرى شباب العالم العربي والعالم الإسلامي يهيم على وجهه ويسرح ويتمشى من غير شغل ولا يوجد موجهاً ولا مربياً ، فهذه مأساة دينية كبيرة ووصمة عار على الأزهر ، ولو أحسن الأزهر وعلماؤه توجيه الشباب وانتهزوا الفرصة لكان هذا حقلاً كبيراً لدعوتهم وعملاً عظيماً .

وقد نالت هذه الكلمة تأييد أعضاء الجبهة وأبدوا موافقتهم ودراستهم لهذه الاقتراحات ، وتقرر عود المجلس إلى النظر في هذه الاقتراحات في جلسته يوم الجمعة .

وللجبهة مواقف محمودة في الذب عن الدين والرد على أعمال الملحدين والسعي في تحفيظ القرآن ، وقد أظهرت نشاطها في ذم كتاب « الفن القصصي في القرآن » واستنكار تبجح الفتيات وتمردهن إلى غير ذلك .

وكان في هذا الاجتماع رئيس الجبهة فضيلة الشيخ محمد الشربيني عضو جماعة كبار العلماء والشيخ إبراهيم النجار المدرس بكلية أصول الدين ، والأستاذ أحمد الشايب أستاذ كلية الآداب في جماعة فؤاد والشيخ محمود خليفة والشيخ أحمد فريد والأساتذة حسن وهدان ، ومحمد العتريس وأبو زيد شلبي والدكتور محمد يوسف موسى والشيخ أحمد أحمد علي صالح بكير والشيخ عبد العظيم بركة .

الجمعة ٢٢/ ٦/ ١٣٧٠هـ - ٣٠/ ٣/ ١٩٥١م .

في العزيزية

سافرنا مع فضيلة الشيخ محمد الغزالي إلى بنها حيث قصدنا دار الحاج عبد الله النبراوي ومن بنها ركبنا قطار العزيزية ووجدنا جماعة كبيرة من الإخوان في انتظارنا وصلى الشيخ محمد الغزالي وخطب كالعادة ، وجلسنا في بيت من بيوت الحاج عبد الله عامر وحضر الغداء ، وقدم إليَّ بعض الحاضرين بعض الأسئلة عن الهند فرددت عليها ، ثم قمنا في المساء إلى المحطة والجمع لا يفارقنا ، فتذكرت أيام حركة الخلافة في الهند ولم يتركونا إلَّا عند تحرك القطار فانصرفوا مودعين ، وقد تركوا في نفوسنا أثراً طيباً وصورة خالدة لحبهم وإخلاصهم .

يوم السبت ٢٣/ ٦/ ١٣٧٠هـ - ٣١/ ٣/ ١٩٥١م .

مع الأستاذ سيد قطب

ذهبنا لزيارة سيد قطب وتحدث عن محاضرة « محمد إقبال شاعر الإسلام »[١] وقال : سررت بهذه المحاضرة كثيراً وقد رأيت بين أفكار محمد

---

(١) انظر هذه المحاضرة ضمن المقالات والمحاضرات في « روائع إقبال » للعلَّامة الندوي .

إقبال وبين وجهة نظري توافقاً غريباً قد تخطى المعاني إلى الكلمات خصوصاً فيما يخص الوجدان والروح ، وإني لشديد الشوق إلى دراسة إقبال ونصوصه وقد أرجأت لذلك تأليفي « لحظات مع الخالدين » وأرجو أن تزودوني بالكتب عن إقبال ودواوين شعره فوعدته بذلك ، ورجاني أن أواصل المحاضرات قبل مغادرتي لمصر .

قلت للأستاذ : أليست عندكم فكرة في زيارة الهند والباكستان ؟ قال بلى وعندي باعثان إلى هذه الزيارة الباعث الديني والباعث الطبعي ، أما الباعث الديني فواضح فإني أريد أن أزور هذه الأمة الإسلامية العظيمة ، وأما الباعث الطبيعي فلأن جدنا السادس كان هندياً وهو الفقير عبيد الله ولا تزال السحنة الهندية موروثة في أسرتنا ، وسررنا بذلك كثيراً وعزَّزنا رغبته في هذه الرحلة وأهدى إليّ الأستاذ نسخاً مما بقي من مؤلفاته « النقد الأدبي » و « كتب وشخصيات » و« طفلِ من القرية » و « أشواك » وأهدى إلى زملائي « العدالة الاجتماعية في الإسلام » و « التصوير الفني في القرآن » و « مشاهد القيامة في القرآن » وقد كان أهدى إليّ هذه الكتب في الزيارة الأولى .

الأحد ٢٤/٦/ ١٣٧٠هـ - ١/ ٤/ ١٩٥١م .

حديث إلى طلبة الأزهر الأتراك

كنا طلبنا من الأخ ضياء الدين علوي التركي وهو شقيق صديقنا علي علوي أفندي المدني أن يعقد اجتماعاً للطلبة الأتراك في الأزهر لنتحدث إليهم ونتعرف بهم ، فعقد اجتماعاً بعد المغرب في لوكاندة بغداد حضرته مجموعة طيبة من الطلبة الأتراك ، وسررنا بالاجتماع بهم والتعرف إليهم ، ونشطت للكلام لأني وجدت الحيوية فيهم والنشاط ، وتمثل لي ماضيهم الإسلامي المجيد وحسنات أسلافهم ، وأعمالهم الإسلامية الخالدة ، ثم إني رأيت هذه الشبيبة لهذه الأمة العظيمة ضائعة مهملة في مصر ، لا تلقى فيها مشجعاً ولا مساعداً علمياً ولا موجهاً دينياً فهم كزرع كريم لا يتعهده أحد بالسقي والحراسة فتعيث فيه الحيوانات .

افتتحت الكلام وذكرت صلة مسلمي الهند الروحية بالأتراك وحبهم فيهم وما تحملوه في سبيلهم من أذى وعذاب في عهد حركة الخلافة . وذكرت آثار أسلافهم وجلائل أعمالهم في تاريخ الإسلام ، وقلت لهم : إن مسؤوليتكم أيها الطلبة عظيمة ضخمة لا أعرف لشباب إسلامي هذه المسؤولية ، وستواجهون إذا رجعتم إلى بلادكم مشاكل معقدة ومسائل خطيرة لا أظن شباباً يواجهها في قطر من الأقطار الإسلامية ، ومهمتكم في مصر كذلك عظيمة ومدة وجودكم فيها ودراستكم للدين فرصة فريدة لا تجدون أحسن منها لإعداد النفوس وتربيتها وفهم الإسلام الصحيح ؛ ولكن ثقوا كذلك بأنه لا يعينكم فيها أحد ، ولا يعينكم إلّا أنفسكم فانصحوا لأنفسكم وكونوا لها أوفياء مخلصين ، واعلموا أن كل ساعة تنفقونها في هذه البلاد محسوبة على أمتكم وبلادكم ، وإنما تنفقونها من رصيد أمتكم فدققوا في إنفاقها وتحرزوا من إتلافها ، واتقوا الله في أمة بعثتكم ووضعت ثقتها فيكم وعقدت بكم الآمال ، ثم ذكرت لهم كيف ينتهزون هذه الفرصة ، وكيف يفيدون من هذا الوقت ، فذكرت لهم توجيهات ونصائح ، منها أن أول مهمتكم أن تفهموا الإسلام فهماً صحيحاً والسبيل إلى ذلك القرآن والسنة والسيرة النبوية ، وذكرت لهم طريق تلاوة القرآن والتدبر فيه فلا يقرؤونه إلا وهم يعتقدون أنه أنزل جديداً وأنه أنزل لهم . قلت : وبذلك تستطيعون أن تستلهموا القرآن وتتذوقوه . ثم الاعتناء بالتربية الروحية والخلقية والمحافظة على الفرائض والتحرز من التحلل . والتجنب عن ضياع الأوقات والاشتغال بما لا يعني ، ثم لا بد لكم من أن تفكروا دائماً كيف تخدمون بلادكم من الناحية الدينية إذا رجعتم إليها وتستعدون لها . ومن وسائل هذا الاستعداد دراسة الدعوة الإسلامية والحركات الدينية في مختلف الأقطار الإسلامية ، والاطلاع على تاريخ المجددين الدينيين ومشاريع التعليم وأساليب الدعوة والتمرن عليها في مدة إقامتكم هنا ، وسوف أشرح إن شاء الله في الاجتماع القابل بعض الحركات الدينية في بعض البلاد الإسلامية ، ثم أشرت عليهم بمطالعة بعض الكتب التي تشرح الفكرة الإسلامية وتبعث الروح الديني وتعد للتفكير الإسلامي السليم ومواجهة المسائل التي حدثت في هذا العصر .

وعلق طالب تركي اسمه علي أرسلان تبدو على وجهه آثار النجابة والذكاء على كلمتي بلغته التركية ، وكنا جميعاً مسرورين بهذا الاجتماع ويا ليته استمر وتعدى إلى جاليات أخرى كالسودانيين والأريتريين والمغاربة والفلسطينيين وغيرهم ، فإني أعتقد أن الدراسة وحدها لا تكفي أبداً حتى تكون معها رسالة وفكرة وغاية وروح وتوجيه فكري ديني ، ولا يمكن ذلك إلا عن طريق هذه الاجتماعات غير الرسمية أو الأشخاص الذين يتطوعون لهذه الخدمة والدعوة ، ولا أظن الأزهر بما هو فيه من مسائل وشواغل يتفرغ لهذا العمل .

الثلاثاء ٢٦/ ٦/ ١٣٧٠هـ ـ ٣/ ٤/ ١٩٥١م .

مقابلة عبد الرحمن عزام باشا

مر بنا الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب في الصباح وأخبرنا بأنه حدد موعداً مع معالي عبد الرحمن عزام باشا للمقابلة اليوم الساعة الثانية عشرة ظهراً ، وهكذا كان ، فتوجهنا إلى الإدارة في دار الجامعة ولم يخبره أحد بوجودي في الإدارة ، وعلى وشك انتهاء الميعاد المحدد أخبره أحد الموظفين فطلبني واعتذر عن عدم علمه بوجودي وقال : إنه على موعد مع معالي صلاح الدين بك وزير الخارجية ، فيريد مني موعداً آخر يتسع للكلام والجلوس فوعدته بذلك ، وأهديت إليه نسخة من كتاب « ماذا خسر العالم » والمؤلفات الصغيرة .

الأربعاء ٢٧/ ٦/ ١٣٧٠هـ ـ ٤/ ٤/ ١٩٥١م

في اجتماع الطلبة الفلسطينيين

كنت قد رجوت الأخ ياسين الشريف أن يعقد اجتماعاً للفلسطينيين خاصة فانتهز فرصة اجتماعهم في الحفلة الأسبوعية لناديهم ، وطلب مني أن أحضره فحضرت هذا الاجتماع وتكلمت غير نشيط للفتور الذي كنت أشعر به ، ومما قلت : إن لنصر الله أسباباً معلومة مذكورة في القرآن ، ومن أهم أسباب هذا

النصر الإيمان والإخلاص في إعلاء كلمة الله: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ [الحج : ٤٠] فلا بد للجهاد والحركة من الإيمان والاحتساب ، ولا يقصد إلَّا رضا الله وامتثال أمره .

انتقادي لزعماء المسلمين

ومع الأسف قد تجرد أكثر زعمائنا وأبطالنا وقادة الحركات السياسية والحزبية من هذا الروح والفكر ، وتشبعوا بالمادية والمصالح الشخصية أو الروح الوطني والقومي ، ودرسوا تاريخ الحركات السياسية والانقلابات في أوربا فحاولوا أن يقلدوها ويعيدوها في الأقطار الإسلامية ، واجتهدوا في تطبيقها في ميدان الجهاد الإسلامي فوكلهم الله إلى نفوسهم وخذلهم ، فلا بد من تجديد الروح الديني واستحضار الثواب والفضائل حتى نستحق من الله النصر والتوفيق .

كيف ننقذ فلسطين ؟

وقلت لهم : كونوا على ثقة بأن الدول والشعوب لا تنصركم ولا تنقذ فلسطين ، إنما تنصرون أنفسكم إذا صدقت نفوسكم وصحت عزائمكم ، وملكت فلسطين عليكم مشاعركم وتفكيركم وشهواتكم ، وإنما مثلكم ومثل الدول والشعوب الأخرى كمثل الكلب والغزال ، قال له الكلب : لماذا لا أدركك وأنا شديد الجري عداء ؟ قال : لأنك تعدو لسيدك وأنا أعدو لنفسي ! فهذه الدول لا تستطيع أن تكون جادة في مسألة فلسطين مثل ما يمكنكم ، فربوا أنفسكم وأحسنوا القيام عليها حتى تنقذوا وطنكم العزيز وتردوه إلى الإسلام والمسلمين .

وعقب فتحي البلعاوي وهو طالب بكلية اللغة العربية على هذه الكلمة وألقى خطبة حماسية بليغة .

الخميس ٢٨/ ٦/ ١٣٧٠هـ ـ ٥/ ٤/ ١٩٥١م

مع الطلبة الأتراك

وصلنا بعد الساعة السابعة إلى لوكاندة بغداد حيث تقرر اجتماع الطلبة

الأتراك ، وانتظرنا قليلاً حتى تكامل الجمع فتكلمت وشرحت لهم طريق الدعوة بعد رجوعهم إلى بلادهم ، ونصحت لهم بالمبادرة إلى الدعوة على إثر وصولهم إلى بلادهم قبل أن تشغلهم تكاليف الحياة أو تبتلعهم دعوة أخرى أو جهود في ميدان آخر ، وأنه لا بد لهم من الجمع بين الاتصال بالشعب والجمهور عن طريق الدعوة والإرشاد .

الجمع بين الاتصال بالجمهور والاتصال بالطبقة المثقفة

ووصفت لهم الدعوة الدينية في الهند وأساليبها والرحلات الأسبوعية والشهرية إلى القرى والمدن ، وفائدة الاتصال بطلبة الكليات والجامعات والطبقة المثقفة عن طريق المقابلات الشخصية والنوادي الأدبية والعلمية وعن طريق النشرات الدينية والمحاضرات التي تبث فيهم روح الدين وتوجه عقولهم توجيهاً دينياً ، وذكرت لهم ما لهذه الطبقة من أهمية ونفوذ ، وما جَرَّ ويجُرُّ على الإسلام والأمة إهمال هذه الشبيبة والإعراض عن توجيهها الديني وتربيتها الإسلامية من بلاء وشقاء وذكرت طرق الاتصال بهم والنفوذ في عقولهم ونفوسهم ، وما يتطلب ذلك من استعداد ومؤهلات ودراسة ومطالعات ، وثقافة ومعلومات ، وعزمت عليهم الجمع بين هاتين الطبقتين وأن لا بد من الاستعداد والجهاد في سبيله حتى تتفادى بلادهم العزيزة ما أصيبت به في الماضي من فصل الدين عن السياسة والعداء بين المتدينين والمتمدنين ، وسحب الدين ورجاله من ميدان الحياة ، واتجاه الدولة الاتجاه اللاديني .

وقيد الأخ ضياء الدين علوي التركي النقط البارزة في الخطبة ووعد بترجمتها إلى اللغة التركية وإلقائها في الاجتماع القابل ، وعلق على هذه المحاضرة الأخ علي أرسلان التركي ، وقابلها جميع الطلبة بسرور عظيم وإخلاص وترحيب كبير .

الجمعة ٢٩/٦/ ١٣٧٠هـ ـ ٦/٤/ ١٩٥١م

جولة في الريف

سافرنا إلى الحامول وقصدنا بلد العامرة نمشي بين الحقول والمزارع

الخضراء والجو لطيف والهواء نقي منعش ، فكانت رحلة ممتعة ، ولم نشعر إلَّا وكأننا في قرية جميلة من قرى الهند ، وقصدنا المسجد وصلى بنا الأستاذ زكي إبراهيم وخطب خطبة الجمعة ، وألقيت بعد الصلاة كلمة ، وقصدنا محطة الحامول يشيعنا جمع كبير من أهل العامرة وشبرا بلوله ، وركبنا القطار إلى مصر ووصلنا بين المغرب والعشاء .

السبت غرة رجب ١٣٧٠هـ ـ ٧/ ٤/ ١٩٥١م .

في اتحاد أندونيسيا

كان الأخ الشيخ عبد الله قد اتفق مع الأستاذ ذو الكفل محمد الأندونيسي على عقد اجتماع لزملائه الأندونيسيين في دار اتحاد أندونيسيا ألقي فيه كلمة خاصة بالأندونيسيين ، وقصدنا دار الاتحاد في ميدان لاظوغلي ، واستقبلنا هناك الأستاذ ذو الكفل وزملاؤه ، وما زلت من مدة طويلة معجباً بنشاط إخواننا الأندونيسيين وذكائهم ، وكان منهم عندنا عدد من الطلبة في دار العلوم في لكهنؤ ، يمتازون بنشاطهم واجتهادهم ورزانتهم ، ولا أزال أذكر الطالب النجيب الأستاذ محمد عدنان الندوي من سماثرا . فكان من خيرة من أفاد من دراسته في مدرستنا وأقام في الهند وقد درس الأردية ودرس شعر إقبال ، وكتب عن الهند وثقافتها الإسلامية .

دور الشباب في توجيه البلاد الإسلامي

جلسنا قليلاً في غرفة من دار الاتحاد وتعرفنا بالإخوان وأكثرهم طلبة الأزهر ، ثم حضرنا في قاعة المحاضرات وقدمني شاب من طلبة كلية الحقوق في جامعة فؤاد وهو أندونيسي مولود في القاهرة ، ولغته عربية فصيحة ، ثم تقدمت وألقيت كلمة تليق بهذا المقام ، وتتفق مع عقيدتي القديمة ودراستي وتجربتي ، فقلت لهم : إن دولة أندونيسيا الوليدة محط أنظار المسلمين الآن ، وهي تشارك دولة باكستان في الأهمية والآمال الإسلامية ، ولو وفقت هاتان الدولتان الجديدتان القويتان ، لمثلتا دوراً عظيماً في التاريخ ، وأدتا

رسالة الإسلام في العصر الحديث ولكن ذلك يتوقف على توجيه المعارف توجيهاً إسلامياً وسبك التعليم في البلدين سبكاً جديداً واقتناع رجال الحكم والتعليم برسالة الإسلام وإيمانهم بها وتشبعهم بروحها واتجاههم بالدولة ووسائلها والشعب وقواه إلى الحياة الإسلامية والحكم الإسلامي ، وهنالك تقع المسؤولية على أكتافكم أيها الشباب الأندونيسيون ، فإن أحسنتم هضم تعاليم الإسلام وأحسنتم تمثيلها في بلادكم ، واتصلتم برجال الحكومة وموجهي البلاد ورجال المعارف والطبقة المثقفة اتصالاً وثيقاً متيناً وأثّرتم في عقولهم تأثيراً حسناً ، وتملّكتم زمام التعليم والثقافة والأدب وكل ما يؤثر في عقول الناشئة ونفوسها في بلادكم فأخضعتموه لرسالة الإسلام وجعلتموه أداة ووسيلة للتوجيه الإسلامي والتربية الصحيحة ، واستطعتم أن تتسربوا في عقلية البلاد وأدبها وصحافتها بذكائكم ومهارتكم ورقة أدبكم وشخصيتكم العلمية فتتجه هذه البلاد العظيمة اتجاهاً إسلامياً وتخدم الإسلام خدمة عظيمة ، أما إذا قصرتم في الاستعداد العلمي والروحي وأداء رسالتكم والاتصال بالشعب ورجال الحكومة والتعليم والنفوذ في عقليتهم وتزعم البلاد التعليمي والأدبي فلا ينفعنا ولا ينفع الإسلام قيام هذه الدولة نفعاً كبيراً ؛ فليس الشأن في وجود دول وقيامها وإنما الشأن في تنظيمها على أساس الدين وحسن تصرفها وحسن تمثيلها للإسلام .

الأحد ١/ ٧/ ١٣٧٠هـ - ٨/ ٤/ ١٩٥١م

رحلة إلى المحلة الكبرى

حضر الأستاذ عبد الرحمن جانو وصاحَبَنَا إلى المحلة الكبرى وكان قد اتصل بصديقه الدكتور سعيد طبيب الأسنان وعضو الجمعية الشرعية العامل ورئيسها في المحلة بالتليفون من طنطا ، وأخبره بقدومنا فاستقبلنا مع أصحابه وصلينا المغرب في مسجد الجمعية ، وذهبنا إلى بيته حيث تناولنا العشاء ، ورجع الأستاذ جانو على أثر ذلك إلى مصر وصلينا العشاء في مسجد الجمعية وصلى الدكتور محمد سعيد رئيس الجمعية في المحلة ومضيفنا ، فكانت أطول

صلاة صليناها في حياتنا ، وخطبت في الناس واقتصرت على بيان الدعوة التي قمنا بها في الهند وما أثمرت من ثمرات ودعوت الحاضرين إلى القيام بهذه الدعوة في المحلة والخروج إلى الأرياف والقرى ، وكان للكلمة ـ والحمد لله وحده ـ أثر حسن ؛ وكأن الإخوان الشرعيين كانوا متعطشين إلى دعوة عملية وتوجيه عملي ، ورحب الدكتور بهذه الدعوة وحدث في هذا الاجتماع ما كدر الصفو قليلاً ، فقد حضره بعض الإخوان المسلمين وتأثروا لبعض الكلمات في أثناء كلامي فهتفوا هتافهم المعروف ، فثار الدكتور محمد سعيد وأخذته حدة .

الإثنين ٣/ ٧/ ١٣٧٠هـ ـ ٩/ ٤/ ١٩٥١م

صلينا صلاة الفجر في مسجد الجمعية وطلب مني الدكتور أن ألقي درساً فامتثلت أمره ، وبعد الدرس صلى الحاضرون ركعتي الإشراق ثم تريضوا في المسجد ، ويظهر أن الدكتور نشيط جداً في عمله ، ولعل فرع المحلة الكبرى بفضل رئيسه النشيط أنشط فروع الجمعية الشرعية في مصر وأنماها ، وذلك يرجع دائماً إلى طبيعة رؤساء الجمعيات وأعضائها العاملين ، فإذا وجدت شخصية مؤثرة عاملة نشيطة في جماعة كانت الجماعة كلها نشيطة وعاملة ، وإذا كانت عكس ذلك كانت النتيجة بالعكس .

وبعد العصر ألقيت درساً في حفلة السيدات ، ومن خصائصي أني لا أحسن الخطبة المنبرية يوم الجمعة والخطبة في اجتماعات النساء ، وكان يتخلل المجلس التشويش وحديث السيدات وبكاء الأطفال وذلك طابع المجالس النسوية الذي لا يخلو منه مجلس من مجالسهن .

وصلينا المغرب في مسجد الجمعية وخطبت خطبة وجيزة ، وكانت عملية أيضاً ومقتصرة على أصول الدعوة وأساليبها وتجارب الهند ، ورجعنا إلى القاهرة .

الثلاثاء ٥/ ٧/ ١٣٧٠هـ ـ ١٠/ ٤/ ١٩٥١م

محاضرة في كلية الآداب

كان اليوم موعد إلقاء محاضرتي في كلية الآداب في جامعة فؤاد الأول ، وكان موعد الحفلة الساعة الثانية عشرة ، ولعل القائمين بأمر الحفلة حددوا هذا الموعد ليشارك الطلبة في هذه الحفلة بعد انتهاء الدروس في الجامعة ، مع أنه وقت السآمة والإعياء من الدروس ويصادف وقت الغداء أيضاً .

دخلنا في مدرج المرحوم مصطفى عبد الرازق وهو قاعة واسعة جداً ، ورأيت عدداً كبيراً من الطلبة والضيوف ، وجلست على منصة المحاضرات مع خطباء اليوم وهم الدكتور عثمان أمين أستاذ كلية الآداب والدكتور محمد محمود الصياد والأستاذ عبد المنعم الكرمي وحضر معالي محمد علي علوبة باشا وسعادة عبد الستار سيت سفير الباكستان في مصر مع آخرين من المستمعين ، وحضر عدد كبير من طالبات الجامعات وجلسن مع الطلبة جنباً لجنب ، وتقدم الدكتور عثمان أمين وألقى كلمته عن الدكتور محمد إقبال وكانت مكتوبة ، وتلاه الدكتور محمد محمود الصياد وقوبلت كلمته التي كان يلقيها شفهياً بالهتافات والاستحسان .

عدم نشاط الطلبة لسماع المحاضرة

وتبعه الأستاذ عبد المنعم الكرمي ، وقد تسربت السآمة ـ التي لا تحتملها الشبيبة اليوم ـ إلى النفوس ، وبدأ الجوع يساورهم ، فأبدوا رغبتهم في اقتضاب هذه الكلمة والانتهاء منها سريعاً ، وكان دوري بعد الأستاذ الكرمي ، وكان موقفي حرجاً جداً ، لقد عيل صبر الطلبة ـ ورصيده دائماً قليل وسريع النفاد عند الشباب المثقف ـ ثم إني غريب لا يعرفونني ، ومظهري لا يلائم ذوقهم ولا يبعث فيهم الإجلال ، وقد قصر من قدمني إلى المستمعين فلم يذكر اسمي كاملاً ، ولم ينسبني إلى بلدي حتى آخذ نصيبي من احترام الضيوف الأجانب والاستماع إليهم ثم كانت الأفلام السينمائية عن الدولة الباكستانية ستعرض بعد محاضرتي فقمت حائلاً بينهم وبين مايشتهون من التمتع برؤية الأفلام ، افتتحت

المحاضرة بعرض حياة الدكتور محمد إقبال فطلب مني الدكتور عثمان أمين أن أطوي هذا الفصل وآخذ في الموضوع فافتتحت المحاضرة وأنا منكسر الخاطر ، فما مضيت قليلاً حتى تلقيت منه إشارة الاقتضاب وكان يطلع الضجر في وجوه الطلبة ويسمع همساتهم ، ومضيت في المحاضرة طمعاً في أن تشغل المستمعين وتثير فيهم الذوق والإعجاب ، فقد كنت واثقاً بما اشتملت عليه المحاضرة من معان سامية ومادة غزيرة ، وقلت مخاطباً للحاضرين : إني ضيفكم وحضرت بدعوتكم ، فأرجو أن تُعيروني دقائق حتى أستطيع أن ألقي هذه المحاضرة ، ولكني وجدت أن هذه الكلمة أيضاً لم تصادف آذاناً صاغية ، وبجانبي المشرف على هذه الحفلة يطالبني بالانتهاء من هذه المهمة التي لا تلقى الترحيب ، ويأتيني آت فيخبرني أن السيد إلطاف حسين محرر جريدة « الدون » الباكستانية وهو عضو الوفد الصحافي سيخطب ، ونفد صبري فجلست وأنا منكسر الخاطر متهدم الأعصاب ثائر الفكر ، فقد منيت من الإعراض والانصراف بما لم أعرفه طول عمري ، وقبل أن تعرض الأفلام خرجت مع جماعتي وتبعني الأستاذ عبد الحكيم عابدين ، وجاء على أثري الشيخ عبد الوهاب بك خلاف ، فاعتذر إلي فهونت الخطب وقلت لا بأس وأظهرت التجلد ، وسمعت بعض الناس يقولون : إن هذه المعاملة القاسية كانت بإيعاز الطلبة المسيحيين ، لأن المحاضرة كانت صريحة جداً في الإشادة بالمسلم ، وقد وردت فيها بعض عبارات شائكة لغير المسلمين مثل قول محمد إقبال : « إنك أيها المسلم حق وحدك ، وكل ما عداك سراب خادع ودرهم زائف » إلى غير ذلك وأظن أن أسباب هذا الحادث كانت طبيعية تافهة ترجع إلى سوء التقدير في تحديد الموعد ، وكون المحاضرة يغلب عليها الطابع العلمي وكل ما يدعو هؤلاء الشبان إلى شيء من إجهاد الفكر بغيض ثقيل ، وعلى كل فقد انتهى هذا الفصل من الرواية وقد تلقيت عنه دروساً نافعة وإن كانت قاسية قليلاً ، أدعو الله أن ينفعني بها .

الأربعاء ٥/ ٧/ ١٣٧٠هـ ـ ١١/ ٤/ ١٩٥١م

دار المنار وصاحبها

كنا اتفقنا مع صديقنا الشيخ أحمد الشرباصي على زيارة دار الهلال اليوم

وتناول الغداء في بيته ، واجتمعنا عند جامع السيدة زينب ، وقصدنا دار الهلال ومررنا في طريقنا بدار المنار فتذكرت صاحبها العظيم ووقفت عندها وقلت للشيخ الشرباصي :

ما في وقوفك ساعة من بلس   تقضي زمام الأربع الأدراس

ودخلنا مكتبة المنار وتجولنا قليلاً في مطبوعاتها .

زيارة دار الهلال ووصفها

ودخلنا دار الهلال ، وهاك وصف هذه الدار وهذه الزيارة الممتعة وهي بقلم صديقنا الفاضل الشيخ أحمد الشرباصي قال : « استقبلنا في دار الهلال الأستاذ خليل جرجس خليل مندوباً من الدار ، ليطوف معنا على أرجائها ورحب بنا كل الترحيب ، وجلسنا قليلاً في البهو الكبير الفسيح في الطابق الأول من دار الهلال الهائلة ، وفي هذا البهو يوجد مكتب الاستعلامات واستراحة للزائرين كما توجد فيه منافذ لأقسام التحرير والاشتراكات وغير ذلك ، وبدأنا بقسم « جمع الحروف » في الدار ، فرأينا هناك طريقتين للجمع ، الأولى : هي طريقة جمع الحروف من الصناديق وتكوين الكلمات ثم السطور منها ، وهي العادة القديمة الشائعة ، والثانية : وهي طريقة صب الحروف بسرعة من الرصاص المذاب بوساطة « ماكينة » ضخمة معقدة الأجزاء ، ويكفي هنا أن يضغط العامل على زر خاص بالحرف فيصب ثم غيره وغيره وهكذا ، والآلة تكوّن من نفسها الكلمات والسطور ، وترتب الحروف تباعاً بنفسها ، والآلة تسمى اصطلاحياً « ماكينة الأنترتيب » ثم انتقلنا إلى قسم « البروفات »، أي تجارب الطباعة التي تؤخذ أولاً للتأكد من صحة المجموع ، وتصحيح الأخطاء التي قد تكون قد وقعت من العامل ، فرأينا أيضاً لهذه التجارب طريقتين ، الطريقة الأولى : تؤخذ بوساطة الورق العادي ثم تراجع وتصحح ، والثانية: تؤخذ بوساطة الورق الحساس جداً اللامع الشفّاف ويسمى «السلوفان» والطريقة الأخيرة نافعة في طريقة الطبع بوساطة الأسطوانة النحاسية التي يطبع عليها ما يكون على ورق « السلوفان » بطرق كيماوية خاصة ، ثم تدار لفات الورق على هذه الأسطوانة ، فيُطبع على الورق ما على الأسطوانة .

ثم انتقلنا إلى قسم التصوير ، فرأينا كيف تؤخذ الصور بالأحجام المختلفة والأوضاع المتعددة ثم ترتب كل صورة في مكانها ، ثم تنقل الصور إلى قسم (الرتوش) وهو قسم الإصلاح والتزيين في الصور ، ومهمته أن يصلح ما قد يكون في الصورة من عيب أو نقص ، وقد يدخل عليها أشياء من التزيين والتحسين ، وقد يلونها بالألوان الطبيعية حتى تخرج الصورة مطابقة للواقع ، ولهم في ذلك وسائل علمية مختلفة من تعدد أصول الصورة وتعدد طبعها وتتابع ألوان الحبر عليها أثناء طبعها وهكذا .

وشاهدنا كذلك الأسطوانات النحاسية ، وقد نقشت عليها السطور والصفحات تهيئة لإدخالها في آلة الطباعة ، وشاهدنا هذه الأسطوانات بعد انتهاء الطبع عليها ، وهي تطهر بمواد كيماوية خاصة ليعاد استعمالها من جديد .

وشاهدنا آلة الطباعة الهائلة المدهشة ، التي تسمى آلة (الروتوغرافور) وهي آلة ضخمة الشكل كبيرة الحجم جداً ، فيها أدوات وأجهزة يمكنها أن تطبع المجلة ذات الصفحات التي تعد بالعشرات وتلونها وتطويها وتخرجها أعداداً كاملة ، وذلك بأن تُركب في أحد طرفيها لفتان من الورق لتخرج هاتان اللفتان من الطرف الآخر مجلة كاملة مطبعة بالألوان بمعدل ثمانية آلاف نسخة في الساعة ، ورأينا كذلك أقسام التجليد والتسليك وقص الزوائد من الأعداد ، وكذلك قسم الإرسال الذي يتولى وضع الأعداد في غلافات المشتركين لترسل إليهم بالبريد .

وعلمنا أثناء زيارتنا أن دار الهلال تخرج مجلات المصور والإثنين والهلال باللغة العربية وكذلك مجلة « إيماج » باللغة الفرنسية ، وتخرج مجلة سينمائية تسمى « الكواكب » كما تخرج روايات الهلال الشهرية » اهـ .

هذا ما كتبه الأستاذ الشرباصي عن هذه الزيارة الممتعة لدار الهلال ، وقد سألت العمال عن عدد نسخ (المصور) المطبوعة كل أسبوع ، فأخبروني أنها تطبع مئة ألف وخمساً وعشرين ألف نسخة ، ولم أزل طول زيارتي لهذه الدار ومشاهدة نشاطها الضخم الهائل ألاحظ وأتأسف على أن هذا الصرح الطباعي

والأدبي الهائل والمؤسسة العظيمة التي كرست هذه الجهور الكبيرة والأموال الطائلة في سبيل الطباعة والنشر لا تحمل رسالة ولا دعوة ، وإنما هي تجارة وارتزاق على حساب أخلاق الشعب وإيمانه ، فتنشر الصور العارية الخليعة والروايات الغرامية المثيرة للعواطف والمقالات التي لا تعود على القراء بفائدة جدية أو تربية خلقية ، ويتدفق سيل هذه المطبوعات من هذه الدار كل أسبوع وكل شهر ، فيكتسح العالم العربي كله ، ويغزو الحجاز ، ويجوس خلال الديار ، ويدخل على ربات الخدور ، ويسمم العقول والنفوس ، ويفسد المراهقين ومن دونهم في السن ، فضلاً عن الشباب .

ساورتني هذه الفكرة طول الزيارة ، ولم أر حيلة إلَّا أن أهدي لأصحاب الدار والأستاذ فكري أباظة (باشا) المشرف على مجلة المصور نسخاً من رسالتي الصغيرة « اسمعي يا مصر » لعلها تنوب عني وتعبر عن شعوري ورجائي .

وبعدما انتهينا من هذه الزيارة صلينا الظهر في مسجد السيدة زينب وقصدنا بيت أخينا الشيخ الشرباصي ، وهنا حضر الدكتور محمد يوسف موسى وتناولنا غداءً أطابه إخلاص صديقنا الشيخ الشرباصي ، وعناية أهل بيته ، وحضور الدكتور محمد يوسف موسى ، ومكثنا هناك بعد الغداء نتحدث في موضوعات دينية وعلمية وقضينا وقتاً من أهنأ الأوقات في مصر .

الخميس ٦/ ٧/ ١٣٧٠هـ ـ ١٢/ ٤/ ١٩٥١م

عرفنا من الشيخ الشرباصي أمس أن فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسنين محمد مخلوف أخبره أنه مريض من أيام ، وهو يعتذر عن عدم زيارتنا والاجتماع بنا هذه المدة ، وتأسفنا بهذا الخبر فإن الشيخ ممن نشعر بانجذاب نفسي إليه ، وعزمنا على عيادته في منزله العامر بحلوان ، وركبنا القطار من محطة باب اللوق ووصلنا في الظهر ودخلنا عنده ، فوجدنا الشيخ الشرباصي قد سبقنا هناك ، جلسنا عند فضيلة الشيخ ساعة ووجدناه يشتكي من عرق النسا ، وكانت النوبة شديدة جداً ، حتى أصبح رهين الفراش ، لا يتحرك

على فراشه إلا بالمساعدة ، ولم يمنعه هذا المرض الشديد من الحديث العلمي والديني والفقهي ، فذكر ما كتبه الحافظ ابن القيم في زاد المعاد عن عرق النسا ، وتكلم في الأدوية التي وصفها النبي ﷺ ومكانتها في التشريع ، وتكلم في موضوع الصبر وحقيقة الموت ، فكان كلامه كلام المؤمنين .

واستأذناه بعد ساعة لنخفف عنه ، وانصرفنا مع الشيخ الشرباصي ، وكانت رحلة ممتعة معه ، تحدثنا فيها عن شيوخ الأزهر السابقين ، وعن أخلاق الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق وحياته وبره ومواساته لطلبة الأزهر ، وعن أنفة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى المراغي وكبر نفسه ونفوذه ـ وافترقنا في محطة السيدة زينب ، فنزل الشيخ الشرباصي هناك ونزلنا عند محطة باب اللوق ، واجتمعنا بالأستاذ وهبة في مكتبته في شارع إبراهيم باشا حيث كتبت عقد اتفاق معه لطبع الرسائل .

حديثي في اجتماع الأريتريين

اجتمع الإخوان الأريتريون المتعلمون في الأزهر في معهد القاهرة على طلبنا واقتراحنا ، وحضرت هذا الاجتماع ، وفرحت بلقائهم ونشطت للكلام معهم ، فإني أرغب أن يأتي دور هؤلاء الذين تخلفوا عن قافلة الحياة وانطووا على أنفسهم ، إذا احتضنوا الرسالة الإسلامية ، واضطلعوا بالدعوة إلى الإسلام وقوي إيمانهم به ، وتكلمت في نفس هذا الموضوع وافتتحته بقوله ﷺ : « إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين » واستشهدت على صدق ذلك بالتاريخ ، وتلقى الإخوان هذه الكلمة باستماع وترحيب وحيونا وأكرمونا .

في اجتماع الأتراك

ومن هناك توجهنا إلى لوكاندة بغداد حيث اجتمعنا بالطلبة الأتراك ، وقرأ الأخ ضياء الدين علوي ترجمة محاضرتاي السابقتين باللغة التركية ، وهو يريد أن يرسلهما إلى بعض صحف تركيا الدينية ، وألقيت كلمة حضرتني كانت خلاصة ما قلته في المرتين السابقتين مذكراً لهما . وعقب على كلمتي الأخ

علي أرسلان واقترحت عليهم الخروج معنا في رحلة صغيرة إلى سنتريس فقبله بعض الطلبة ، رغم قرب الامتحان وصعوبته على الطلبة الأتراك لضعفهم في اللغة العربية ، وكان محمد أمين التركي مسروراً جداً لهذه التوجيهات الدينية والعلمية ، ويقول إنه كان يتلقى هذه التوجيهات في تركية من الأستاذين الفاضلين علي حيدر والأستاذ محمود جودت ، ولكنه لا يجد هذا الغذاء الروحي والتوجيه الفكري في مصر .

في سنتريس

يوم الجمعة ٧/ ٧/ ١٣٧٠هـ ـ ١٣/ ٤/ ١٩٥١م

ركبنا من شبرا سيارة أقلتنا إلى سنتريس ، وهي قرية جميلة ريفية بعد القناطر الخيرية في مديرية المنوفية مركزها أشمون على شاطىء النيل ؛ تسكنها أسرة عربية علوية ، صلينا الجمعة في مسجد أهل السنة ، وخطب الأستاذ محمد ماضي من الإخوان المسلمين ، وخطبت بعد الصلاة خطبة حثثت الناس فيها على تنظيم درس ديني عام كل أسبوع ، وتتبع الحالة الدينية في البلد والاتصال بمن لا يحضر في المسجد أو يرى فيه كسل أو ضعف في أداء الواجبات الدينية وترغيبهم بلطف ورقة في التمسك بالدين ودعوتهم إلى المسجد ، وقد قبله الناس .

في جبهة علماء الأزهر

وأدركنا اجتماع جبهة علماء الأزهر وقد يئسوا من قدومنا ، فتكلمنا معهم في موضوع البعوث الإسلامية ، وأن تتولى الجبهة مساعدتها وتوجيهها الديني والعلمي وتقيم لهم داراً خاصة يجتمعون فيها ، ويشرف عليها ويحضر جلساتهم أستاذ أو أساتذة منتدبون من جهة الجبهة ، وأيد هذا المشروع الدكتور محمد يوسف موسى تأييداً قوياً ، ووضع قراراً في هذا المعنى سوف يعرض في جلسة مقبلة على أعضاء الجبهة .

وحضر هذه الجلسة الأستاذ الكبير أحمد الشايب الأستاذ بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول وعضو جبهة علماء الأزهر ، وحياني ورحب بي ، وذكر أنه

سيهدي إلي نسخاً من مؤلفاته الأدبية والتاريخية ، وسوف تصلني عن طريق الشيخ أحمد الشرباصي لصلته بالأستاذ الشايب .

يوم السبت ٨/ ٧/ ١٣٧٠هـ ـ ١٤/ ٤/ ١٩٥١م

حديث مع الدكتور أحمد أمين عن بعض الشخصيات

ذهبت اليوم مع الأخ محمد معين[(١)] إلى الإدارة الثقافية بالجيزة ، فقد طال العهد بالدكتور أحمد أمين ، قابلناه في مكتبه وجرى ذكر المسلمين ، فقال حضرته : إن المسلمين تنقصهم شخصية قائدة ، قلت : وما رأيكم في الأستاذ حسن البنا ؟ قال : لقد كان ذا شخصية قوية ورجلاً موهوباً ، قال : ومن الغريب أنه كان وهو طالب شاباً حيياً خجولاً ، لم أكن أعرف أنه سيكون خطيباً يوماً من الأيام ، وكان تلميذي في مدرسة القضاء ، فإذا هو يفاجىء البلاد بخطابته وشخصيته ، وكان له بكل مقام مقال ، فإذا كان في العامة ملك عليهم فكرهم ، وإذا كان في المستشارين ألقى خطبة تعجبهم وتؤثر فيهم ، وهكذا ، ولو استمر الإخوان المسلمون في الإصلاح الخلقي والاجتماعي لكان لهم شأن عظيم ، قلت : وما رأيكم في مستقبلهم ؟ قال : والله لو رزقوا شخصية قوية واقتصر نشاطهم على الإصلاح والدعوة الدينية نجحوا ، ولم لم يرزقوا هذه الشخصية وانغمسوا في السياسة لكان لهم شأن آخر قلت : أظن أن سعد باشا زغلول كان ذا شخصية قوية ؟ قال نعم وكان من أولئك الذين يسمعون ولا يقرؤون ، ولكن لم يكن يستطيع أن يثير العاطفة الدينية ، إنما كان رجلاً وطنياً وشعبياً ، قال : ومرة زرته في مكتبه وحدثني وكان حديثاً عادياً ، ولكني امتلأت قوة وحماسة ، حتى كان من تجاوب هذا الروح أني لم أستطع أن أركب الترام أو سيارة وبقيت ماشياً ، وكان السيد جمال الدين الأفغاني مؤثراً ، يشعل القلوب حماسة وحرارة مع أنه كان ألكن .

---

(١) هو فضيلة الأستاذ معين الدين الندوي ، كان نائب الأمين العام لدار العلوم ـ ندوة العلماء لكهنؤ (الهند) توفي ـ رحمه الله ـ عام ١٩٩٩م .

عن تعليم الأطفال

ثم انتقل إلى حديث تعليم الأطفال والتأليف لهم ، فقال : إن بعض المدارس تعلم الأطفال مادة ليسوا في حاجة إليها ولا تليق بسنهم وعقولهم ، مثلاً ولدي الصغير تعلم في مدرسة ، وقد حفظ دعاء صلاة الجنازة مع أنه بعيد عنه ، ثم أثنى على طريقة الإنكليز فيما يضعونه للأطفال فقال : إني أطالع دائرة المعارف للأطفال فأراها موافقة لسنهم وعقليتهم ، والقصص فيها شائقة . وذكرت الأستاذ كامل كيلاني فأخذ عليه أيضاً أنه يأتي في قصصه في بعض الأحيان بعبارات أدبية ، وذكرت له قصص النبيين للأطفال . قال : وكلفتني دار الهلال تأليف كتاب في سيرة هارون الرشيد ، وقد أصبح له دوي عظيم في أوربا وهيام والفضل في هذا يرجع إلى حكايات ألف ليلة وليلة ، فإنها جعلته بطل حكايات كثيرة ، وأنه كان يعس في الليل ، ولعل واضعي هذه القصص رأوا مصير ابن المقفع فوضعوا قصصاً وصوروه في صورة بطل .

رحلة إلى المحلة الكبرى

كان اليوم يوم السفر إلى المحلة الكبرى ، كما كان قد تقرر في الرحلة الأولى وكنا قد طلبنا من الشيخ أحمد الشرباصي أن يرافقنا في هذا السفر ، وكان قد قبل هذا الطلب ، وأدركنا القطار إلى المحلة ، ووصلنا هناك متأخرين ، وكنا ضيفاً طارقاً عند الأخ الدكتور محمد السعيد أحمد ، وفرح بقدومنا وقدوم الشيخ الشرباصي الذي هو معروف بمقالاته ومحاضراته .

يوم الأحد ٩/ ٧/ ١٣٧٠هـ ـ ١٥/ ٤/ ١٩٥١م

في نبروه

صلينا الفجر في مسجد أهل السنة ، وألقيت كلمة بعد الصلاة ، وطلبت من الحاضرين أن يصاحبونا في رحلة دعوة دينية نقوم بها ، ووقع اختيار الإخوان على نبروه ، وكان اختياراً موفقاً ، وفعلاً أحضر الإخوان سيارة كبيرة

ركبها نحو خمسين رجلاً ، واعتذر الشيخ الشرباصي من المرافقة ورجع إلى القاهرة ، وصلنا إلى نبروه فأحاط بنا الإخوان الشرعيون وأهل البلد المخلصون ، وقصدنا المسجد وشرحت للحاضرين غاية هذه الرحلة وأدبها ونظامها : وبعد صلاة الظهر انقسم الناس في جماعات ، وقصدت كل جماعة قرية من القرى المجاورة لأجل الاتصال بالمسلمين هناك ونشر الدعوة فيهم ، ورجعنا قبيل المغرب إلى المسجد ، واجتمع الناس من القرى ومن نبروه وخطبت ، وكان من خطباء الليلة الأستاذ يوسف القرضاوي الذي هو إمام في مسجد في المحلة الكبرى ، وخطب خطبة لا بأس بها ، ولم يكن فيها شيء من التعرض لجماعة ، وخطب بعده الأخ الدكتور وثار ثائره مثل الأول ، وحدثت ضجة وقام الإخوان المسلمون يهتفون ويحتجون ، وختمت الجلسة بكلمة وكفى الله المؤمنين القتال .

الإثنين ١٠/ ٧/ ١٣٧٠هـ - ١٦/ ٤/ ١٩٥١م

ألقيت كلمة في الصباح بعد صلاة الفجر وخطب الأخ عبد الرشيد والأخ محمد معين والشيخ عبيد الله ، ورجعنا إلى المحلة وقضينا النهار هنا ، وخطب الأخ عبيد الله في السيدات وخطبت بعد صلاة العشاء .

الثلاثاء ١١/ ٧/ ١٣٧٠هـ - ١٧/ ٤/ ١٩٥١م .

زيارة شركة مصر للنسيج والغزل

ذهبنا لزيارة شركة مصر للنسيج والغزل ، وهي أكبر شركة مصرية للنسج والغزل ومن كبريات الشركات في العالم ، وهي صرح صناعي هائل جدير بأن تفتخر به مصر وبرهان ناطق باستعداد الشرقيين للمشاريع العمرانية وإدارة المؤسسات الصناعية والتجارية العظيمة ، يرجع الفضل في هذا المشروع الجبار الذي عاد على مصر وأهلها بخير كبير وإنتاج ضخم وتنظيم اقتصادي إلى رجل مصر العظيم الاقتصادي الكبير طلعت حرب باشا رحمه الله ، والشركة مدينة بأسرها تمتد في مساحة واسعة جداً ، وقد رافقنا في هذه الزيارة الأستاذ

طه الذي كان يشرح لنا مختلف أقسام الشركة وأنواع الماكينات وشغلها ، وهي من أحدث طراز ، وكانت مصففة مثل الدبابات والمدافع في ميدان حربي كبير ، وقد مررنا بماكينات الغزل والنسيج والتحويل والتلوين والرسم والتخطيط والتصميم ، ورأينا كيف يمر القطن والخيوط في رحلة طويلة متنوعة شاقة يمر فيها بمرحلة بعد مرحلة ، ومحطة بعد محطة ، إلى أن تصل إلى نهاية المطاف ، وتخرج في شكل ثياب منسوجة ويشتريها الرجل من السوق وهو لا يشعر بطول هذه المسافة التي اجتازها الثوب ، ويلبسها وهو لا يشعر بالمتاعب التي كانت في سبيل هذا الثوب الذي يكسوه ويزينه ، وقد علمنا أن الشركة تنسج كل عام مئة مليون ١٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ذراعاً ، ومررنا بالمسجد الجميل وانتقلنا إلى المطعم العظيم الذي أسسته الشركة للعمال ، وهو يحتوي على ثلاثة آلاف مقعد للطاعمين ، ويكلف كل يوم قرشين للغذاء ، ودخلنا المطبخ ورأينا نظام الطبخ ، ومكان الطبخ والأكل في غاية النظافة والإتقان ، وتراعى فيه أصول الصحة ويكافح المكروب ، ثم ذهبنا إلى قسم الرياضة والألعاب ، وهو قائم على أحدث طراز وأرقاه ، ودار بنا مديره الذي تلقى التربية في أوربا على أقسامه ، وشاهدنا النشاط الرياضي ، وانتقلنا إلى المستشفى ، وهو يضارع أكبر المستشفيات في حسن النظام ، ولكل مرض قسم خاص وجناح في هذا المستشفى ، فأمراض الصدر لها مستشفى خاص ، وأمراض الأذن والفم والأنف وأمراض العين إلخ ، ولكل قسم طريق خاص به ومنظرة خاصة ينتظر فيها المرضى دورهم حتى لا يختلط مريض بمريض آخر ، ولا تتعدى الأمراض ، ويجب على كل عامل أن يذهب مرة كل شهر للكشف الطبي ، وقد رأينا دفتراً خاصاً لكل عامل والإجراءات فيه ، وفي المستشفى ٧٢ فراشاً للمرضى الذين يأخذون العملية الجراحية ، وقد دخلنا في بعض الحجرات وقابلنا المرضى وعدناهم .

ومن هنا انتقلنا على السيارة الخاصة بزيارتنا إلى مدينة العمال العظيمة التي أسستها الشركة التي كلفتها ١,٢٠٠,٠٠٠ جنيه مصري ، والتي تمتد في ٦٧ فدان إنجليزي وفيها مبانٍ تسع ٥٥٠ من المتزوجين الذين يسكنون بأسرهم ، و ١٧٠٠ من العزاب ، وفي هذه المدينة مستشفى ، ومقاصف ،

وحمامات عامة ، ومدرسة للبنين ، ومدرسة للبنات ، ومستشفى ، وملاعب ، وسوق يشتري منها العمال حاجاتهم .

ورجعنا من زيارة الشركة ومدينة العمال وقد أتخمنا بما شاهدنا وسمعنا ورأينا ، والأقسام التي مررنا بها ، ويخامرنا سرور عظيم بأن الشركة يديرها المسلمون وهي وطنية شرقية ، ونرجو أن تكون الحقيقة مطابقة للشهرة ، وسافرنا بقطار الظهر ووصلنا إلى القاهرة قبل العصر والحمد لله على السلامة .

الخميس ١٣/ ٧/ ١٣٧٠هـ - ١٩/ ٤/ ١٩٥١م

حديث مع الدكتور منصور فهمي

حياته الأولى

توجهنا اليوم إلى زيارة الأستاذ الكبير الدكتور منصور فهمي ، وقد وفقنا هذه المرة ، فوجدنا الدكتور موجوداً في انتظارنا ، وجلسنا نتحدث في بهو واسع مزخرف على طراز أرستقراطي وذكر لنا على سؤالي تجاه حياته الأولى فقال إنه كان ثائراً على الدين ، وكان لا يأبى من المصارعة واستعمال القوة كلما اضطر إلى ذلك . سمع مرة أن عالماً سودانياً من علماء الأزهر يكفره ويهدر دمه وكان قوياً فذهب إليه في قهوة وبارزه فارتعب منه وجلس معه وملأ مخه بما أراد أن يملأه به وانصرف ، وكان العلماء يكفرونه ويتجهمون له فكان يزيده ذلك بعداً عن الدين وثورة عليه ، ولا يزال يذكر حكمة الشيخ حسونة شيخ الجامع الأزهر ، فقد قدمه إليه أحد العلماء وذكر للشيخ بعض آرائه المعارضة للدين ولمقام الرسالة على صاحبها الصلاة والسلام فقابله الشيخ بلطف وقال : قد يخطىء الإنسان وتقع له زلة ، ولم يتجهم له ، فأثرت هذه المقابلة الرقيقة في نفسه وهدأت ثائرته .

من أسباب اتجاهه إلى الدين

قلت للدكتور منصور فهمي : وأي شيء أثر في نفسكم حول اتجاهكم إلى الدين ؟ فقال : إنما كان شيئاً طبيعياً وإنما أثر في نفسي فشل الحضارة

الغربية ، وخصوصاً تفكك الأسرة وانحلال رابطتها ، فإن تفكك الأسرة له أثره البعيد في الحياة والحضارة ، قلت : إن فشل الحضارة أول ما يظهر في تفكك الأسر ، قال : نعم .

والمذاهب الهدامة كالوجودية وغيرها التي يحاول الشرق أن يقلد فيها الغرب كلها وليدة الحضارة الغربية المتحرجة عن الأخلاق ، وليست وليدة الحضارة التي خلقت العلوم ونظمت المجتمع ، قال : واندفاع الناس في مصر إلى الحضارة الغربية أقوى منه في الهند ، فقد وجد هناك من ثار على هذه الحضارة وتمرد عليها بخلاف مصر .

قلت للدكتور منصور فهمي : قد قرأت لكم قبل نحو خمس عشرة سنة مقالة بليغة لا تزال معانيها مرتسمة في الذهن ، وكانت في وداع العام الراحل واستقبال العام الجديد ، قال : نعم وقد ذكر هذه المقالة غير واحد وهي في مجموع مقالات نشرت باسم « خطرات نفس » . . ثم قام سعادته وأهدى إلي نسخة منها ، قال إنها من وحي الشباب فلا تبحث فيها عن فكر ولا دين ، ولكن اقرأها على علاتها لأنها تسجيل للخواطر وأحاديث النفس .

مركز الدكتور منصور فهمي الأدبي

ويظهر أن الدكتور منصور فهمي كان له مستقبل أدبي باهر ، وكان له أن يحتل مكانة في طليعة الأدباء البارزين في مصر ، ولكنه لم يشتغل بالكتابة والتأليف كثيراً ، آثر المطالعة والعزلة ومقالاته على قلتها ناصعة البيان مشرقة الديباجة ، يظهر أن صاحبها متأثر بالمنفلوطي في اختيار اللفظ الفصيح والعبارات الرشيقة .

ورجعنا من عنده بعد جلسة طويلة وحديث ضاف مفيد .

الجمعة ١٤/ ٧/ ١٣٧٠هـ ـ ٢٠/ ٤/ ١٩٥١م

صلينا الجمعة في دار الأرقم ، ووصلنا هناك والأستاذ حسين يوسف قائم يخطب في موضوع سيرة سيدنا عمر بن عبد العزيز ، وبعد الصلاة طلب مني إلقاء

كلمة فعلقت على خطبته ، وجلسنا في إدارته قليلاً وتعرفنا بالموجودين هناك .

السبت ١٥/ ٧/ ١٣٧٠هـ - ٢١/ ٤/ ١٩٥١م

في حفلة يوم إقبال

صلينا المغرب في نقابة الصحفيين وحضرنا حفلة يوم إقبال ورأينا فيها الأستاذ عباس محمود العقاد أول مرة ، وسمعنا كلمته في إقبال ، ومحاضرات الأساتذة الآخرين وتأسفنا على أن أحداً منهم لم يدرس إقبال حق الدراسة ولم يعرف رسالته وروحه لأن كتبه ومحاضراته بالإنجليزية لا تؤدي رسالته ولا تعرض فكرته ، إنما هي بحوث في الفلسفة والتصوف وعلم الكلام أو السياسة ، وقد قوي عزمي على نشر المحاضرات التي ألقيتها عنه على قصرها ووجازتها ، وقد كان الأستاذ عباس محمود العقاد وعد بمقابلتي بعد انتهاء الجلسة وتحديد الموعد لمقابلة خاصة في منزله ، ولكني كنت أغالب مرض الحمى الذي قد بدت طلائعه فرأيت من الخير أن أنصرف إلى منزلي قبل أن يغلبني .

الأحد ١٦/٦/ ١٣٧٠هـ - ٢٢/ ٤/ ١٩٥١م

بقيت اليوم متأثراً بالحمى ومتعباً ، ولم يكن ما يستحق التسجيل .

الإثنين ١٧/ ٧/ ١٣٧٠هـ - ٢٣/ ٤/ ١٩٥١م

ذهبنا اليوم إلى جمعية الشبان المسلمين ، وقدمنا كمية من رسائل « اسمعي يا مصر » « من غار حراء » لتوزع على فروع الجمعية ، وزرنا مركز لجنة التأليف والترجمة والنشر .

يوم الخميس ٢٠/ ٧/ ١٣٧٠هـ - ٢٦/ ٤/ ١٩٥١م

في بيت الشيخ صبري عابدين

أصابني من أمس قلص شديد ، وانزعاج بتأثير أدوية الملاريا ، وبقيت

متكدِّراً طول اليوم ، وجاء اليوم ميعاد الغداء عند فضيلة الشيخ صبري عابدين فذهبت مع زملائي إلى مصر الجديدة ، وقابلنا في الطريق الشيخ محمد أبو العيون من علماء الأزهر فرحب بنا ترحيباً حاراً ، وأرشدنا إلى بيت الشيخ صبري ، وهو طول الطريق يشكو من تحلل المصريين الخلقي واستهتارهم ، ويحكي حكاية حفلة المحافظة على القرآن الكريم وكيف كانت البنات سافرات ، وأذن للمغرب على الميكروفون ، وأخر المحتفلون صلاة المغرب رغم الأذان ، حتى ضاق صدر الأستاذ وصلى مع عدد من الحاضرين ، وأخرج على مخبئه رسالة « إسمعي يا مصر » وقال : لا أزال أستصحبها ، وعزم علينا التعريج على بيته في الرجوع وفعلنا ، ورجعنا من بيته شاكرين فضله ، وعرجنا على بيت الشيخ محمود أبي العيون وشربنا عنده الشراب البارد ورجعنا إلى محلنا .

الجمعة ٢١/ ٧/ ١٣٧٠هـ - ٢٧/ ٤/ ١٩٥١م

ظللت النهار منزعجاً مضطرباً قلق الخاطر ، لا أتذكر أني أصبت بمثل هذا القلق من زمان وساورتني هموم وأحزان ، وملكت علي فكري ، وما ذاك إلا بحرارة القلب الزائدة التي كانت نتيجة الأدوية الحارة وعدم تناول الحوامض والفواكه والمشروبات المروحة كما أوصى الطبيب ، وأردت أن أتروح فقصدت بعض الأماكن ، ورجعت إلى غرفتي فوجدت زميلي الشيخ عبيد الله في مثل حالتي أو أشد ، فكلنا « ركَّاب سفينة واحدة » .

يوم الأحد ٢٣/ ٧/ ١٣٧٠هـ - ٢٩/ ٤/ ١٩٥١م

قصدنا الإدارة الثقافية بالجيزة ، وقابلنا الدكتور أحمد أمين وسألته عما تم في شأن طبع كتاب جنة المشرق للسيد الوالد عليه رحمة الله ، فقال : من رأي الأستاذ محمد فريد أبو حديد الذي عهدت اللجنة النظر في هذا الكتاب وإبداء الرأي أن الكتاب قيم ويشتمل على مادة غزيرة ، ولكنه في حاجة إلى الإتمام وزيادة فصول في تاريخ الهند بعد احتلال الإنكليز ، فلو تكفلت بهذه الزيادة فلا مانع من طبع الكتاب ، فأبديت استعدادي لذلك ، وسآخذ الكتاب من

إدارة اللجنة[1] .

طلب مني محفوظ أفندي أن أكتب كلمة وجيزة على كل فصل من كتابي الجديد « إلى الإسلام من جديد » كتقديم لهذا الفصل إلى القراء ؛ ووجدت نفسي عاجزة عن الكتابة في هذه الأيام ، وقد خمدت القريحة فكأنها لا تسيل أبداً ، فرأيت أن أستعين في ذلك بالصديق الكريم الشيخ أحمد الشرباصي الذي لا يحتاج في الكتابة إلى عناء أو إجهاد فكر ، وزرته في بيته وعرضت عليه الأمر فقبل ووعد بذلك من غير امتناع أو اعتذار .

يوم الإثنين ٢٤/ ٧/ ١٣٧٠هـ - ٣٠/ ٤/ ١٩٥١م

عيد شم النسيم في مصر

اليوم يوم شم النسيم ، وهو عيد مصر المعروف ، وهو كعيد « بسنت » أو يوم الربيع عند الهنادك في بلادنا و « النوروز » في إيران ، وهو اليوم الذي يخلع الشعب فيه عذاره ويجن باللهو والمجون ، ورأينا الناس يتوجهون إلى النيل زرافات ووحداناً ، ويقصدون الحدائق العامة رجالاً ونساء ، ويطرح كثير منهم الحشمة في هذا اليوم ويثور على التقاليد والأوضاع ، وكثيراً ما تشم رائحة الخمر .

ذهبت إلى مطبعة الحاج حلمي المنياوي وصححت تجارب كتاب « شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال » . وفاجأنا في محلنا الشيخ أحمد الشرباصي بمقدمات مقالاتي التي طلبتها منه أمس ؛ ولم أكن أنتظر أنه سيتمها في يوم واحد ، فكان السرور عظيماً ، وإذا هذه الخلاصات بليغة مركزة ، فصيحة العبارة ، تتجاوب مع المقالات ومقاصدها ، ولا شك أن الشيخ الشرباصي عجيب في سرعة الخاطر وارتجال الكتابة ورشاقة العبارة .

---

(١) قد طُبع هذا الكتاب بإضافات مفيدة في مجمع اللغة العربية بدمشق .

يوم الجمعة ٢٨/ ٧/ ١٣٧٠هـ ـ ٤/ ٥/ ١٩٥١م

في جامع الظاهر بيبرس الجاشنكير

زارنا فضيلة الشيخ محمد صبري عابدين في محلنا ، وقد تكرم بالزيارة مرتين وخرجنا معه إلى جامع الظاهر بيبرس الجاشنكير ، والشيخ يستعرض التاريخ في الطريق ، ويذكر تاريخ المباني والجوامع التي يمر بها ، ومنها زاوية « السلطان صلاح الدين » التي كان كبار المشايخ والعلماء يتنافسون في تولي الشياخة فيها لعظم الأوقات التي تشتمل عليها هذه الزاوية ، ووصلنا إلى الجامع وصلينا الجمعة فيه ، وهذا هو الجامع الذي كان الإمام السيوطي يتولى الإشراف على أوقافه ، وامتنع مرة عن دفع ريع الأوقاف إلى الرجال الذين لا يشتغلون بالعلم والذكر حسب شروط الواقف ، ويقضون أوقاتهم في البطالة ، فثار عليه أولئك وألقوه في ميضأة في وسط الجامع ولم يخرج إلاّ بمشقة ، واجتمعنا بعد الصلاة بالشيخ تمام النقشبندي ، وهو خليفة الشيخ محمد أمين البغدادي أحد كبار المشايخ النقشبندية في مصر ، والذين يرجع إليهم الفضل في انتشار هذه الطريقة في هذه الديار ، وصادفنا هنالك صديقنا محمد رشاد الذي يتردد كثيراً إلى الشيخ .

يوم السبت ٢٩/ ٧/ ١٣٧٠هـ ـ ٥/ ٥/ ١٩٥١م

ذهبنا بعد الظهر إلى « حلوان » ، وعدنا فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف ، وصادفنا صديقنا الشيخ الشرباصي ، ومن بيت الشيخ توجهنا لزيارة الأستاذ سيد قطب ، فقد طال العهد بزيارته ، كنا قد نسينا عنوانه في البيت فلم نهتد إليه على كثرة السؤال وكثرة الدوران فرجعنا إلى القاهرة .

يوم الأحد ٣٠/ ٧/ ١٣٧٠هـ ـ ٦/ ٥/ ١٩٥١م

ووصلنا إلى الجبهة وقابلنا الدكتور محمد يوسف موسى ، وكانت مقابلته غاية هذه الرحلة الشاقة وثمرتها ، وتحدث عن كتابي الماثل للطبع « إلى

الإسلام من جديد »[1] وقال لعل الوحدة التي تربط هذه المقالات والمحاضرات المكتوبة في ظروف مختلفة ومناسبات مختلفة هي إعادة الثقة إلى نفوس المسلمين بدينهم ورسالتهم ؛ قلت : نعم ، وعجبت من حسن ملاحظة الدكتور وسلامة تفكيره .

يوم الأربعاء ٣/ ٨/ ١٣٧٠هـ - ٩/ ٥/ ١٩٥١م

في ضيافة سماحة المفتي

ذهبنا اليوم إلى سماحة المفتي السيد أمين الحسيني[2] في شارع محمد علي بمصر الجديدة ، وتغدينا مع سماحته مع جماعة من الضيوف الكرام ، وكان الغداء شهياً فاخراً أقرب إلى ذوقنا الهندي ؛ وكان حديث سماحة المفتي عذباً رقيقاً كعادته فكان ذلك يزيد في الأنس واللذة .

يوم الخميس - يوم السبت ٤ و٥ و٦/ ٨/ ١٣٧٠هـ ١٠ و١١ و١٢/ ٥/ ١٩٥١م

لم يكن في هذه الأيام الثلاثة غير الزيارات العادية وبعض المقابلات اليومية ما يستحق أن ينوه به غير زيارة فضيلة الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا

---

(١) طبع هذا الكتاب في دار القلم بدمشق وفي المجمع الإسلامي العلمي بلكهنؤ (الهند) .

(٢) هو سماحة الحاج المفتي محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين الأكبر ، رائد قضية القدس الشريف وأمينها ، من بيت السادة الحسينيين المعروف في فلسطين ، تبنى قضية فلسطين في زمن الانتداب البريطاني وعند نشوء فكرة الوطن اليهودي ودولة إسرائيل في فلسطين ، واحتضنها وجاهد في سبيلها وهاجر وعاش عليها ومات ، وكان لها أميناً وفياً ، شهد من عمل معه وعرفه بعفة يده وبطنه ، وسلامة صدره وصلابة عقيدته وكانت بينه وبين العلاّمة الندوي علاقات ما يكون بين زعيم وقائد كبير السن فطر على التواضع وأخلاق السادة الأشراف ، وبين صغير مقدر لفضله ومكانته في النضال والدفاع عن قضية الإسلام ، انتقل إلى رحمة الله في بيروت في ١٤ من جمادى الآخرة سنة ١٣٩٤هـ .

والد فضيلة الشيخ حسن البنا في منزله ، وقد زارنا يوم السبت الإخوان الأعزاء يوسف القرضاوي ومحمد الدمرداشي وعبد الله آل عقيل وفضيلة الشيخ أحمد الشرباصي والدكتور خليل عشماوي .

يوم الأحد ٧/ ٨/ ١٣٧٠هـ ـ ١٣/ ٥/ ١٩٥١م

حديث مع المفتي

ذهبنا لمقابلة سماحة المفتي السيد أمين الحسيني في مكتبه في شارع رمسيس بمصر الجديدة ، وكانت هذه المقابلة من أمتع المقابلات التي جرت بمصر ، وإن كانت قد جرحت الفؤاد وأثارت الأحزان ، وبعثت الأسى على حالة المسلمين ، تحدَّث معنا سماحة المفتي طويلاً في جلسة خاصة ، وتحدَّث عن تاريخ جهاد فلسطين ومطامع اليهود السافرة حتى طمعهم في احتلال المدينة المنورة وخيبر ومستعمرات اليهود القديمة ، ومطالبتهم بذلك بكل صراحة والتهيؤ والاستعداد له ، ونفاق الإنجليز وكيدهم للمسلمين ، والروح الكامنة في نفوسهم ، بل البادية في أحاديثهم وأعمالهم : ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران : ١١٨] وسذاجة الشعوب الإسلامية وسرعة انخداعها ، وأخطاء الدول العربية وغفلتها عن مصيرها ، والأخطار الصهيونية التي تهد كيانها ، واشتغال ملوك العرب بنفوسهم وترفهم ، وجناية الجماعة العربية على قضية فلسطين بتكفلها بهذه القضية ثم تقاعدها عنها ، وعزل الشعب الفلسطيني المجاهد عن السلاح ، وتسليم المناطق العربية إلى اليهود ، فلا تركت الشعب الفلسطيني الغيور الباسل يواصل جهاده ، ولا أغنت عنهم شيئاً وحلت محلهم ، وذكر اضطهاده وكيف طوقه المستعمرون الإنجليز وجعلوه في شبه جزيرة منعزلة لا يستطيع أن يقوم بدوره في قضية فلسطين حراً مطلقاً ، وكيف كتفوا يديه وكيف حالوا بينه وبين إخوانه الفلسطينيين ، حتى أبوا عليه بطرق غير مباشرة أن يتصل بهم في مصر وفي غزة ، وكيف سافر خلسة مرة إلى غزة فاستعادوه إلى مصر ، وكيف أصبح اللاجئون في غزة فريسة الجوع القاتل والتبشير النصراني والدعايات الشيوعية ،

وكيف رفضوا أن يتصل بهم ويقوم بنشاط دعوة إسلامية ، وكيف يمنعون بريده من أن يصل إليهم بواسطة وكلاء الصهيونية في دوائر البريد ، وكيف نسجوا حوله نسائج من شائعات وأراجيف ليشوهوا سمعته ويسقطوا مكانته ويفقد الفلسطينيون ثقتهم به ، قال : ولكنا مع ذلك مصممون على مواصلة الجهاد مهما كان ولا نيأس من روح الله ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [يوسف : ٨٧] وكان حديث سماحة المفتي مشجياً ، وكان يتجلد ويكف الدموع ، فإنه معروف بعصاميته وجلادته ، وقد لمحت في حديثه إلى أي مدى وصل انحطاط المسلمين وجهلهم بالحقائق ونكرانهم لرجالهم ، وإلى أي حد نجحت سياسة المستعمرين ، وكيف طمست البصائر واشترت الذمم والضمائر وعبثت بالأفكار والعقول ، فالله المستعان ، وقد رجعت من عند سماحة المفتي حزيناً منكسر الخاطر .

وعرفت أنه لم يخطئه حظه ، حظ زعماء المسلمين والمصلحين .

وقد أثنى المفتي على الشهيد حسن البنا رحمه الله ، وأثنى على الإخوان المسلمين المجاهدين في فلسطين ، وأثنى على رجولتهم وقوة إيمانهم وحماستهم ، وقال : كان الواحد منهم قد يقابل عشرات من اليهود .

يوم الإثنين ٨/ ٨/ ١٣٧٠هـ - ١٤/ ٥/ ١٩٥١م .

في حفلة تكريم الوفد السوداني

كنا اتفقنا مع الشيخ الشرباصي على زيارة جمعية الشبان المسلمين ومقابلة رئيسها العام سعادة محمد صالح حرب (باشا) الذي رجع من أسوان بعد مدة طويلة ودخلنا في مكتبه بدار الجمعية ، فوجدنا ضيوفاً محترمين ، منهم سكرتير الملك الذي ينوب عنه في هذه الحفلة ؛ ومعالي محمد علوبة باشا ، وقابلني سعادة محمد صاح حرب (باشا) بحفاوته المعروفة وبشاشته العادية ، وقدمني إلى سكرتير الملك ومعالي علوبة باشا ، وذكر معاليه أنه يعرفني ، وقدمت إليه نسخة من « شاعر الإسلام » التي ظهرت قريباً ، وحضر سماحة المفتي السيد أمين الحسيني وتلقاني بالبشر ، وأشار إلى معالي محمد علوبة

(باشا) وقال : هذا السيد أبو الحسن الذي كان يزورنا في الفندق في لكهنؤ وأخذنا إلى دار العلوم ، فوافق عليه علوبة باشا وقال : أذكر ذلك ، وحضر كذلك سعادة السيد محمد صادق المجددي وزير أفغانستان المفوض في مصر ، وأهديت إليه نسخة من « الدعوة الإسلامية وتطوراتها في الهند » ثم أشار معالي حرب (باشا) فقمنا وقصدنا ميدان الرياضة في دار الجمعية ، وتكامل جميع الضيوف السودانيين ، وتفرجنا على الألعاب الرياضية والجمبازية والمناورات العسكرية ، وكان لها أثر عميق في النفوس وهزت مشاعري ، وأنا دائماً ـ مع ضعفي ونشأتي البعيدة عن الأعمال العسكرية والرياضية ـ أهتز لمشاهدتها ومظاهرها ، وعرفت كيف تؤثر البيئة والجو الحربي في نفوس المقاتلين ، ووثقت أني لو كنت في هذا الجو لم أمتنع من إجابة داعيه الروحي ، ثم دخلنا إلى قاعة كبيرة لتناول العشاء ؛ وكان العشاء فاخراً ملوكياً ، وجلست مع الشيخ الشرباصي ، وشيخ كلية اللغة العربية الأزهرية ، والشيخ عبيد الله إلى ضيوف آخرين ، ثم خرجنا إلى قاعة أخرى ، ورأينا استعداد الموسيقا وتمثيل رواية « بلال » فخرجنا معتذرين .

يوم الخميس ١١/ ٨/ ١٣٧٠هـ ـ ١٧/ ٥/ ١٩٥١م

صحت عزيمتنا على زيارة السودان ، فاستشرنا في ذلك سعادة محمد صالح حرب (باشا) فاستحسنها ، وأثنى على السودان وروحه الدينية وحفاوته برجال الدين ودعاته ، واتصل بالأستاذ محمد حسن مساعد وكيل حكومة السودان بالتلفون ، وطلب منه أن يقدم إلينا كل مساعدة في موضوع السفر إلى السودان ويرشدنا إلى الإجراءات اللازمة بشأن هذا السفر .

وقابلت اليوم الشيخ محمد حامد الفقي ، وقدمت إليه نسخة من « الدعوة الإسلامية وتطوراتها في الهند » فلم ترضه إشادتي بالصوفية ، ونصيبهم في الدعوة الإسلامية في الهند ، وانتقدهم انتقاداً شديداً ، ووصفهم بالوثنية وقال : لأجل أن تطلع على رأيي في الصوفية أقدم إليك رسالة العبودية ، فيها تعليقاتي ورأيي في الصوفية ، وقال : وقد تفردت في رأيي عن الصوفية عن الشيخ ابن تيمية أيضاً فإنه يستثني أمثال الجنيد ، ولكني لا أستثني أحداً ؛

وقال : أنا غير مرتاح إلى كتاباتك وآرائك ، لذلك لم ينشرح صدري ولم أنشط لزيارتك في محلك ، وأنا أشم من كتبك رائحة الاشتراكية ، لأنك دائماً تنكر في كتبك على المادة والمادية وتشيد بالزهد والفقر ، وهذه نزعة اشتراكية ، وأعتقد أن المادة لها أهمية كبيرة ، ولم ينكرها الإسلام ، ولم يدع إلى مكافحتها ومعارضتها ، وأن الأموال لا بأس باقتنائها والتكثر منها ، وأن النعيم لا بأس به ، وأن الدولة الأموية ليست حيث ينتقدها الناس ، وأن المادية لا تهم شيئاً ولا تستحق أن يعتني بها الداعي ويشتغل بإنكارها ونفيها وأن موضوع الدعوة هو تربية الشخصية وإظهارها واستعمال القوى ، وما خلق الله في الكون من خيرات وخزائن الاستعمال الصحيح ، وهذا الذي يدور حوله القرآن ويلهج به ويسمي خلافه الظلم ، أما ما عدا ذلك فمسائل فرعية ، حتى الزنى لم يذمه القرآن إلَّا في مواضع معدودة لأنه متفرع في الحقيقة عن وضع الشهوة في غير موضعها ، فالأصل استعمال هذه القوة ، والمهم أن يربي الإنسان شخصيته وينمي قوته ، ويستقل بتفكيره حتى يعتقد أن الرسول لا يمتاز عنه إلَّا بالوحي .

قلت لفضيلة الشيخ : ليست كتاباتي وانتقاداتي للمادية إلَّا لطغيانها وإسراف الناس فيها وكرد فعل ضد هذه النزعات المادية، وأنا أعتقد أن التوحيد هو الأساس الذي يجب أن تبني وتقوم عليه الدعوة ، وقد أطلعت حضرتك على كلامي في هذا الموضوع في الرسالة « من الجاهلية إلى الإسلام »[1] التي طبعها أحد إخوان جماعة أنصار السنة ، قال الشيخ : وذلك أيضاً غير واضح . وأكدت لفضيلته أني بريء من كل مذهب متطرف ونزعة غير إسلامية ، وقد درست الاشتراكية والشيوعية وفهمتها وأنا أعارضهما وأراهما معارضين للإسلام الصحيح ، قال الشيخ : أنا أعرف أنك رجل طيب ونيتك سليمة ، وقد بقيت متتبعاً لسيرك في مصر وحركاتك فعرفت أنك لا تقصد إلَّا الخير .

---

(١) مستخرج من كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » طبعت هذه الرسالة أولاً من جماعة أنصار السنة المحمدية ، القاهرة ، وأخيراً من المجمع الإسلامي العلمي بكهنؤ (الهند) .

الجمعة ١٢/ ٨/ ١٣٧٠هـ ـ ١٨/ ٥/ ١٩٥١م

زرنا الوكالة السودانية وعرفنا الإجراءات اللازمة والخطوات التي لابد أن نتخذها إذا سافرنا إلى السودان ، ومنها أن تضمن لنا السفارة الهندية وأن نحصل على التصريح بالعودة إلى مصر ، وصلينا الجمعة في مسجد الشامية جنب جبهة علماء الأزهر خلف الشيخ أحمد الشرباصي وسمعنا خطبته البليغة العصرية وكان موضوعها « الإسلام إصلاح لا ثورة » وقد استعرض فيها ما يتغنى به الناس من مبادىء الثورة الفرنسية ، ثم أظهر الفروق الواسعة بينها وبين مبادىء العدالة والحق والمساواة والأخوة في الإسلام ، مفضلاً الإسلام عليها ، وأوضح طريقة الإسلام في الإصلاح .

السبت ١٣/ ٨/ ١٣٧٠هـ ـ ١٩/ ٥/ ١٩٥١م

مقابلة معالي مولانا أبو الكلام أزاد

قضينا النهار في السفارات المختلفة والدوائر المتعددة للحصول على التأشيرات والتصريح بالعودة ، وذهبنا بعد صلاة العشاء مع الأستاذ الفاروقي وأعضاء الجالية الهندية إلى مطار فاروق حيث استقبلنا معالي مولانا أبو الكلام أزاد وزير الهند في طريقه إلى لندن وكان ذلك في نصف الليل ، وكان مولانا أزاد متعباً تبدو عليه آثار الشيخوخة والإعياء ، وجلس معنا على مائدة الشاي يتحدث وأحاط به مراسلو الصحف يوجهون إليه أسئلة في سياسة الهند وأحزابها وغاية سفره ، وهو يجيبهم تارة بالإنجليزية وطوراً بالعربية وهو معروف باللباقة في الحديث والتحفظ فلم ينجح المراسلون في اختلاس الأسرار ، وكان جوابه دائماً وجيزاً مركزاً وكان يستشهد في بعض الأحيان ببعض الآيات القرآنية فكان الصحفيون يعجبون لذلك ، وأدركت أنه بعيد العهد بالحديث بالعربية ومع ذلك استطاع أن يتكلم بلغة القرآن ، وذكاؤه ونبوغه مما لا يكابر فيه معارضوه ، ولما شعرت بأنه لم يعرفني مع أنه نادرة في التذكر أردت أن أتعرف إليه وتقدم الأستاذ أبو النصر فعرفني فأقبل علي بالحديث وذكر والدي رحمه الله وأخي ، وسألني عن سيرة الإمام السيد أحمد

الشهيد التي ألفتها وأدلى ببعض المعلومات في هذا الموضوع تدل على أن السفر الطويل لم يذهله ولم يشغله عن مثل هذه الموضوعات العلمية .

رأي معاليه في الكتب الحديثة

وسأله الأستاذ أبو النصر عن رأيه في الكتب التي ألفت حديثاً في موضوع الاقتصاد الإسلامي والنظريات السياسية فقال آخذ على هذه الكتب أنها تريد أن يساير الإسلام قافلة الأفكار الحديثة والفلسفات الحديثة وتؤوِّل الإسلام على حسبها ، ولا تفهم الإسلام فهماً مجرداً خالصاً من التأثير الخارجي وقال : ومن أعجب هذه الكتب تفسير الجواهري للطنطاوي ولما قرأته ظننت أنه كتاب مدرسي في علوم الطبيعة ، قلت : وكيف يتخلص المؤلف من ظلال الظروف المحيطة به وتأثير العصر والأفكار السائدة وهل ذلك ممكن ؟ قال : نعم إلى حد ما ولكنه صعب ، وكان الحديث علمياً دسماً وذلك عهدي به في مجالسه في الهند ، وأخطروه بقرب ميعاد الطيران فقام نشيطاً وودعنا و « كان معنا فطار عنا » كما قال عبد الحميد الكاتب عن مروان بن محمد .

الإثنين ١٥/ ٨/ ١٣٧٠هـ - ٢١/ ٥/ ١٩٥١م .

تجربة غريبة في وزارة الداخلية

ذهبت إلى إدارة الجوازت في وزارة الداخلية وكان العمل ربما يستغرق أسبوعاً أو أكثر إذا سار الأمر سيره في الإدارات وقطع جميع المراحل الشكلية في طريقه الطبيعي ، ولكن الموظف المختص بذلك ترك شغله وذهب بنفسه إلى مصلحة الأجانب وأكمل الإجراءات ثم عرض المسألة على كل من تتصل به ، وأتم الإجراءات بسرعة ممكنة ولما أردنا أن نقدم إليه بعض الرسائل امتنع وأبى وقال : لقد حلفت أن لا آخذ من أهل الأشغال شيئاً قلنا هذه هدية ليست في مقابلة خدمة ولا مكافأة للصنع ، إنما هي هدية علمية فقال : عندي مكتبة خاصة ولا أستطيع أن أقبل هذه الهدية بحال من الأحوال ، وهذه هي المعاملة الأولى من نوعها جربناها في دوائر الحكومة على اختلاف أنواعها وأسمائها ،

فأعجبنا كذلك هذه النزاهة ولو كانت مصر كلها على هذه الصورة وكانت مع كل واحد لكان لها شأن غير الشأن ولكانت مضرب المثل في حسن الإدارة .

زرنا اليوم العالم الجليل الشيخ محمد زاهد الكوثري وجلسنا معه قليلاً وأهدى إلينا بعض مؤلفاته التي لم يهدها في الزيارة الأولى .

الجمعة ١٩/٨/ ١٣٧٠هـ - ٢٥/ ٥/ ١٩٥١م

زرنا القناطر الخيرية مرة أخرى مع الدكتور غلام مصطفى إيناساً له ، وتغدينا في ضيافة الشيخ لقمان الندوي ، وسافرنا إلى حلوان وحضرنا مناقشة كتابي ماذا خسر العالم ، وقد تقدم هذه المناقشة عرض للكتاب قام به أحد أعضاء الندوة ، وكان أكثر الحاضرين متخرجين من جامعة فؤاد ، وسررت وتشرفت بطبيعة الحال باعتنائهم بهذا الكتاب ، ولما علموا بوجود مؤلف هذا الكتاب وجهوا إليه أكثر الأسئلة واستفسروا عن بعض ما جاء فيه فأجبتهم وتباحثنا عن طريق الدعوة الإسلامية الصحيحة والنهضة الإسلامية الجديدة .

رأي الأستاذ سيد قطب في منهاج الدعوة الإسلامية

وأدلى كل برأيه ، وأبديت رأيي وتحدث الأستاذ سيد قطب في تفصيل ووضوح ، ويتلخص رأيه في أن المرحلة الأولى تربية الإنسان نفسه وإعدادها للدعوة الإسلامية وتحقيق مطالبها ، ثم دعوته لغيره وتربيته له حتى تتكون الجماعة الإسلامية الصحيحة ، ورأيه أن الجماعة لا بد أن تتكون من أفراد صالحين كما كان في العصر الأول وأن يبتدىء من أفراد ، وهؤلاء الأفراد يتكتلون وتقديره أن هذه العملية قد تأخذ خمساً وعشرين سنة وقال إن الناس يستبطئون هذه المدة وأنا أستعجلها ، ثم جرى الكلام عن الفرد الأول الذي يتعهد هذا العمل فأشار إليه بعض الحاضرين وأثنوا عليه وقالوا إن الكتب العظيمة التي ألَّفتها لا تصدر إلَّا عن قلب مؤمن وعقيدة متينة وخلق مستقيم ، هنالك تكلم الأستاذ وشهد على نفسه بكل صراحة وجسارة وقال : أنا لا أعتقد أني أستحق هذا الثناء والأمل ، وليس صدور الكتب دليلاً على أن المؤلف اجتاز المراحل الأولى في التربية الإسلامية وإعداد النفس ، وأنا أعرف معركة

قائمة بين بيئتي وما أنا فيه من راحة ورخاء وفرص ، وبين ما يطلبه الإيمان والجهاد من التضحية والإيثار والزهد والقوة الروحية ، وأعرف أن المرحلة النهائية لا تزال بعيدة وأن الميزان ما ذكره القرآن : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾ [التوبة : ٢٤] الآية . . . فما لم أر هذ المنزل الذي أسكنه والخُصّ ، والوظيفة والعطلة ، وأسباب الغنى والفقر سواء ، فإني لا أزال بعيداً عن حقيقة الإيمان والتربية الإسلامية فلا أريد أن أخدع نفسي ولا غيري ، وقد أعجبتني هذه الصراحة جداً وأصبحت أجل الأستاذ سيد قطب وأحبه أكثر من ذي قبل .

الأستاذ يذكر تطورات حياته

وذكر الأستاذ مراحل حياته وكيف وصل إلى العقيدة الإسلامية أو الإيمان بالإسلام من جديد ، وذكر كيف نشأ على تقاليد الإسلام في الريف وفي بيته ثم انتقل إلى القاهرة فانقطعت كل صلة بينه وبين نشأته الأولى ، وتبخرت ثقافته الدينية الضئيلة وعقيدته الإسلامية ، ومر بمرحلة الارتياب في الحقائق الدينية إلى أقصى حدود ، ثم أقبل على مطالعة القرآن لدواع أدبية ، ثم أثر فيه القرآن وتدرج به إلى الإيمان ، وكيف أثرت فيه كتب السيرة ونصح إخوانه بالاعتناء بدراسة القرآن وكتب السيرة ، وأفدت من هذا الحديث القيم كثيراً ، ثم استأذناه وطلبت منه أن يقدم لكتابي « ماذا خسر العالم » . وقد كانت هذه الفكرة تساورني من زمان إلَّا أنها ملكت علي اليوم فكري[1] .

الخميس ٢١/٨/ ١٣٧٠هـ - ٢٧/ ٥/ ١٩٥١م .

في حفلة عيد الاستقلال في السفارة الأفغانية

جاء الأستاذ فريد عبد الخالق والأستاذ عبد الحفيظ الصيفي وجلسنا قليلاً

---

(١) قدم له الأستاذ قطب مقدمةً رائعةً قيمة ، توجد هذه المقدمة في جميع نسخ هذا الكتاب إلّا في النسخة التي نشرتها لجنة الترجمة والتأليف في القاهرة ، وهي تحتوي على مقدمة الأستاذ أحمد أمين .

وقمنا إلى السفارة الأفغانية لحضور احتفالها السنوي بعيد الاستقلال ، وقد كنت تلقيت دعوة من سعادة السفير إلى الحضور ، ودخلنا السفارة وهناك سلسلة طويلة من المناضد المملوءة بالحلويات والكعك ، وتناولنا الشاي ، وألقى سعادة السفير كلمة بمناسبة عيد الاستقلال تنم عن روحه الدينية وثقافته الإسلامية ، وختمها بهتاف : الله أكبر ولله الحمد .

وكان مما تمتاز به هذه الجلسة خلوها من « السيدات » البتة ، وقد سمعت أن سيدة قصدت الحفلة فمنعها الحارس على الباب .

وبعد صلاة المغرب صادفت الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر وعرفته نفسي فقال : قرأت نصف كتابك (ماذا خسر العالم) وقد أتعبت نفسك في هذا الكتاب ودعا بالخير .

الثلاثاء ٢٣/ ٨/ ١٣٧٠هـ - ٢٩/ ٥/ ١٩٥١م .

حديث مع الأستاذ الأكبر

ذهبنا لزيارة الأستاذ الأكبر ودخلنا مكتبه الخاص بالإدارة فاحتفى بنا وقدمني إلى أستاذ بجنبه وذكر كتابي (ماذا خسر العالم) وقال : لقد قرأته في مرضي وذكر كتاباتي ، وقدم الأستاذ إلي فإذا هو فضيلة الشيخ محمود شلتوت[1] رئيس قسم البحوث الإسلامية ، وقد كنت طلبت مقابلته أول مجيئي إلى مصر ولكنه كان مرهقاً متعباً في تلك الأيام فلم يقدر اللقاء إلَّا في مكتب الشيخ هذا اليوم ولما سمع اسمي عرفني ورحب بي وأبدى سروره بهذه

---

(١) فقيه مفسر مصري ، تخرج بالأزهر سنة ١٩١٨م ، وتنقَّل في التدريس إلى أن نقل للقسم العالي بالقاهرة ، وكان داعية إصلاح نير الفكرة ، يقول بفتح باب الاجتهاد ، وسعى إلى إصلاح الأزهر فعارضه بعض كبار الشيوخ وطرد هو ومناصروه ، عيِّن وكيلاً لكلية الشريعة بالأزهر سنة ١٩٣٥م ، كان من أعضاء مجمع اللغة العربية ، عيِّن شيخاً للأزهر سنة ١٩٥٨م وكان على هذا المنصب إلى أن توفي سنة ١٩٦٣م ، كان رحمه الله خطيباً موهوباً جهير الصوت ، له مؤلفات قيمة .

المصادفة ، وكان قد قرأ رسالتي « الدعوة الإسلامية » وكلمت الأستاذ الأكبر في مسألة البعوث الإسلامية وما تحتاج إليه من توجيه وعناية وتعهد ، وأشرت إلى أهميتها وأنها أعظم ثروة تنفرد بها مصر ويعتز بها الأزهر ، وأنه لو أحسن توجيهها لأمكن إصلاح كبير في الأقطار الإسلامية بواسطتها إلى ما حضرني في ذلك الوقت ، فأصغى الأستاذ الأكبر إلى هذا الحديث وأبدى اهتمامه به ، وذكر أنه لم يغفل المسألة ، وذكر بعض إجراءاته وآرائه في الموضوع وطلب مني أن أكتب مذكرة بشأن البعوث وأبدي فيه آرائي وملاحظاتي وأقدمها إلى فضيلة الشيخ محمود شلتوت فوعدته بذلك وإني سأقدم ذلك بعد غد ، وكلمته كذلك في إرسال بعثة من علماء الأزهر إلى الهند تدرس الحالة الدينية هناك وتتصل بالمسلمين وتطلع على الحركات الإصلاحية والدعوة الإسلامية ، فاقترح عليَّ تقديم هذا الاقتراح أيضاً .

الخميس ٢٥/ ٨/ ١٣٧٠هـ ـ ٣١/ ٥/ ١٩٥١م .

مع الشيخ محمود شلتوت

ذهبنا إلى مكتب فضيلة الشيخ محمود شلتوت وقدمت إليه المذكرة ووقف في أثناء القراءة عند بعض التعبيرات وهو قولي : « وقد ألقت الأقطار الإسلامية أفلاذ أكبادها إلى الأزهر » وقال : قبل أن أنتهي من قراءة هذه المذكرة أريد أن أسمع قصة تعلمكم ومراحل التعليم التي اجتزتموها فحكيت له حكايتي من أول دراستي إلى اشتغالي بالتدريس ثم اعتزالي عن الوظيفة واشتغالي بالدعوة ، وقد وافق على نظام تعليمي فقد كنت أتوفر على دراسة علم واحد بغير أن أجمع بينه وبين علم آخر وقال هذا هو النظام الطبعي المعقول وأستحسن تقديم دراسة الأدب العربي على التفسير والتفسير على الحديث والحديث على الفقه ـ وذكر آراءه في علم التفسير ـ وأقترح تعريب كتابي « محاضرات في القرآن »[1] وأعجبت بتقسيم علم التفسير في دار العلوم بين

---

(١) اقرأ في هذا الموضوع كتب العلاَّمة الندوي كـ « تأملات في القرآن الكريم » صدر من =

تدريس متن القرآن المجرد والمحاضرات في موضوعات القرآن العامة وكتب تفسير للمتقدمين ؛ وبعد ذلك قرأ المذكرة وقدمها لطبعها على الآلة الكاتبة ، وطلب مني مذكرة بشأن البعثة إلى الأزهر وملاحظاتي عما رأيت في أروقة الأزهر وما تحتاج إليه من إصلاح وتنظيم .

الأحد ٢٨/ ٧/ ١٣٧٠هـ ـ ٣/ ٦/ ١٩٥١م .

اقتراح الدكتور محمد يوسف مرسي

ذهبنا إلى مجمع فؤاد الأول حيث وجدنا الدكتور منصور فهمي في انتظارنا وجلسنا قليلاً ثم أصحبنا سعادة الباشا موظفاً في المجمع يشتغل بالترجمة ، وفي الطريق فاجأنا الدكتور محمد يوسف مرسي وهو يسرع خلفنا ليدركنا فسررنا بهذه المفاجأة وقال : كنت في المجمع فسمعت بخروجكم فعدوت خلفكم لألحقكم ، وأبدى إعجابه بكتاب شاعر الإسلام ، وقال : قرأت فيه أفكاراً غريبة جداً ، وواجب عليك أن تؤلف كتاباً مستقلاً عنه وهذا حق عليك ، وعزم علي وألح في ذلك فوعدته به وعزم علينا أن نخبره برجوعنا ونفطر عنده ، وأن أقدم إليه نسخة مصححة لكتاب (ماذا خسر العالم) وأنه استأذن الأستاذ أحمد أمين في نشر الكتاب فأذن له وسيكتب مقدمة عليه[1] .

زيارة دار الآثار المصرية

ودخلنا دار الآثار وصحبنا الأستاذ جمال أفندي وهو حافظ لتاريخ مصر

= دار القلم بدمشق عام ١٩٩٩م ، و « الصراع بين الإيمان والمادية (تأملات في سورة الكهف) » صدر من دار ابن كثير بدمشق عام ١٩٩٩م ، و « النبوة والأنبياء في ضوء القرآن » صدر من دار القلم بدمشق .

(١) نشرت الطبعة الثانية لهذا الكتاب جماعة الأزهر للنشر والتأليف ، وقد قدم لها الدكتور محمد يوسف موسى والأستاذ سيد قطب ، والشيخ أحمد الشرباصي ، وصدرت له بعد ذلك طبعات رسمية وغير رسمية من مختلف مكتبات العالم العربي لا يحصيها العدد . وصدرت أخيراً طبعته المصحَّحة والمنقَّحة من دار ابن كثير بدمشق . . عام ١٩٩٩م ، ومن دار الشامية ببيروت عام ١٩٩٩م .

القديم فصار يلقي درساً في آثار الفراعنة وحضارتهم وعاداتهم عند كل أثر ، ولكن الوقت كان قصيراً فألقينا نظرة عجلى وقضينا العجب مما رأينا .

الأحد ٢٨/ ٩/ ١٣٧٠هـ ـ ٣/ ٦/ ١٩٥١م .

إلى السودان

من القاهرة إلى الشلال

صحت عزيمتنا على السفر إلى السودان ، وكان ذلك خيراً ، وصلنا إلى المحطة قبل صلاة المغرب ، ووجدنا زحاماً من الطلبة السودانيين ، المشيعون أكثر من المسافرين ، وأوصوا بنا إخوانهم خيراً وودعونا إلى بلادهم وداعاً حاراً ، ووجدنا مكاناً طيباً في الدرجة الثانية ، وبعد ساعتين وجدنا المسافرين قد نزلوا فاستطعنا أن نستلقي على مقاعدنا ونتمدد وننام ، ومررنا بأسيوط بلد الإمام السيوطي في نصف الليل ونحن نيام .

الإثنين ٢٩/ ٨/ ١٣٧٠هـ ـ ٤/ ٦/ ١٩٥١م .

في مقر حكومة الفراعنة

صلينا الفجر وجلسنا نتفرج على صعيد مصر مقر حكومة الفراعنة ، ومن غريب المصادفات بل من عجائب القرآن أني كنت أتلو سوراً من القرآن من الجزء الخامس والعشرين وهي مملوءة بالأحاديث عن فرعون ، قد صادف أن القطار وقف بالأقصر وهي عاصمة الفراعنة القديمة وأنا أقرأ : ﴿ وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الزخرف: ٥١] وقرأت وأنا أمر بهذه المنطقة المخصبة الجميلة قوله تعالى : ﴿ كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿٢٦﴾ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴾ [الدخان : ٢٥ ـ ٢٩] ، ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١٤٠] .

ومما استحسنته في هذا القطار وجود الماء المثلج طول السفر في القطار ،

يستطيع المسافرون أن يأخذوه من صنبور قريب منهم ، ووجود مستخدمين يساعدون المسافرين في الركوب وأخذ مقاعدهم وترتيب حوائجهم ، وذلك كله مما يحسن أن تقتبسه مصلحة القطر في بلادنا .

مررنا بعد أن تعالى النهار على الطلبة السودانيين في محلهم وهم يطالعون بعض رسائلي وتحدثت معهم قليلاً وهم طلبة كليات الجامعة يرجعون إلى بلادهم في الإجازة الصيفية .

أرى الوادي ـ وأنا أكتب هذه السطور ـ يتضايق بين سلسلتين من جبال وبينهما يجري النيل ، وقد يتوسع هذا الوادي وقد يقرب النيل وقد يبعد .

مررنا بأسوان وتذكرنا خزان أسوان ، ولكن لم يسمح الوقت بزيارته وانتهى سفر القطار على الشلال .

في الباخرة

ونزلنا منه نستقبل نوعاً آخر وهو السفر بالباخرة ، ولكنها لا تسير في البحر بل تسير في النيل ، إذاً لا خوف من الدوار والغثيان وانتهينا من مراحل الجمرك وعرض الجوازات وأخذنا محلنا في الباخرة ، وكان من لطف الله بنا أنا وجدنا مكانين محجوزين باسم طالبين في الأزهر لم يحضرا وكان بعض الطلبة قد أخبرنا بذلك وقيدنا أسماءهما وبذلك استطعنا أن نسافر في الدرجة الثانية .

الحر شديد ، وغرفتنا في الباخرة مستقبلة الشمس ، وقد احتمت الباخرة لطول وقوفها في الشمس فكأننا في المطبخ ، كان اليوم اليوم التاسع والعشرين من شعبان فكان الهلال مرتقباً إلّا إنه لم يظهر ، جمعنا بعد المغرب ركاب الدرجة الثانية في الصندل الذي نحن فيه ، وأكثرهم طلبة جامعة فؤاد والقليل طلبة الأزهر ، وتحدثت إليهم حديثاً دينياً وتعرف بعضنا ببعض .

يوم الثلاثاء ٣٠/ ٨/ ١٣٧٠هـ ـ ٥/ ٦/ ١٩٥١م

أصبح كثير من الركاب صائمين لأنهم اعتمدوا على التقويم ، ولم نصم

لأنا لم نر الهلال ، فأكملنا شعبان ثلاثين .

رأينا الهلال وقد كان دقيقاً جداً فأهلاً وسهلاً ومرحباً بالشهر المبارك ، اللهم أهلَّه علينا بالأمن والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى .

كان الصندل الذي نحن فيه تقوده باخرة ذات طبقات ومطعم كبير ، ثم قادته باخرة صغيرة لأن النيل كان قليل الماء ، ووصلنا فرس ـ بدل الحلفة ـ في الثانية عشرة من الليل ، وبتنا الليلة في الباخرة ولم ننزل منها .

الأربعاء غرة رمضان ١٣٧٠هـ ـ ٦/ ٦/ ١٩٥١م .

أصبحنا بتوفيق الله صائمين ، تمت مرحلة الجوازات والجمرك وأخذنا محلنا المحجوز في القطار في الدرجة الثانية ؛ وأبرقنا إلى السيد علي ميرغني بقدومنا وسار القطار يقطع الصحراء تسفي في وجوهنا الرياح التي تحمل شيئاً كثيراً من رمال الصحراء ، أفطرنا في غرفة بعض السودانيين الذين دعونا إلى الإفطار بإلحاح ، وتعشينا في عربة الأكل في القطار بعد ما تأكدنا من نظافة الطعام وخلوه من الريبة ، لأن كثيراً من ركاب الدرجة الأولى والثانية إنجليز ونحن نسافر في الحدود الإنجليزية .

الخميس ٢/ ٩/ ١٣٧٠هـ ـ ٧/ ٦/ ١٩٥١م

نزلنا في الخرطوم البحري والساعة الرابعة والنصف في العصر والحر شديد ، واستأجرنا سيارة وتوجهنا إلى مقر السيد علي ميرغني ، وعرفنا أن السيد أخبر بقدومنا وأن الخدم ينتظرون تعليماته بشأننا ، وبعد قليل أشار إلينا بعض رجال السيد أن نركب معه السيارة ونتوجه معه إلى حيث صدر الأمر بنزولنا ، فركبنا ونزلنا عند بيت لأحد تجار الخرطوم البحري اسمه الشيخ الطيب إبراهيم عبد المقصود من خلفاء السيد وأقاربه ، وقال صاحبنا هذا مضيفكم وعنده تعليمات السيد ، وسألناه عن موعد زيارة السيد فقال : ستعرفون . ونزلنا في بيت رحب وعند رجال كرام ، واسترحنا بعد الفطور فقد كنا متعبين ، وعندما أردنا القيام للتراويح إذا بالعشاء يحضر ، ومن عادة بلادنا

أن العشاء يلي الفطور لا يفصل بينهما إلا صلاة المغرب ، فاستغربنا لأنا لم نحسب لهذا العشاء حساباً ، وقد قضينا حاجتنا من الأكل بعد الفطور ، ولكنا نزلنا عند رغبة المضيف وتعشينا .

الجمعة ٣/ ٩/ ١٣٧٠هـ ـ ٨/ ٦/ ١٩٥١م

نمنا بعد صلاة الصبح لنستوفي حظنا من النوم وقمنا بعد ما ضربتنا الشمس وتهيأنا للجمعة ، وصليناها في الخرطوم البحري في جامع السوق ، وطلب مني الإمام إلقاء كلمة فاعتذرت عنها ، وكانت خطبة الخطيب حول الصيام والقيام في رمضان ، صمنا اليوم كله في منزلنا الجديد ونحن نترقب إذن السيد وميعاده للمقابلة وشق علينا الانتظار ، وفي الليل جاء الخبر بأن السيد يقابلنا غداً في الساعة العاشرة فاستبشرنا ونشطنا لهذا الخبر .

السبت ٤/ ٩/ ١٣٧٠هـ ـ ٩/ ٦/ ١٩٥١م

السيد علي الميرغني باشا

قمنا من النوم والشمس في ظهورنا وتهيأنا لزيارة السيد ، وعرفنا أنا سنستقبل رجلاً طالما سمعت عنه .

وهو الرجل الذي يتمتع بنفوذ واسع ، وثقة كبيرة من الشعب السوداني ويحل في قرارة نفوس أتباعه الذين يعدون بألوف وألوف ، وهو الذي استطاع بنفوذه الروحي وشخصيته القوية وعقله الكبير أن يقوم في وجه الإنجليز وأن يحافظ على زعامته الروحية ومكانته السياسية ، وهو زعيم حركة « وحدة وادي النيل » الأكبر في السودان ، وقد كنت سمعت أنه صاحب اطلاع واسع مطلع على الحركات السياسية والدينية شغوف بالمطالعة حريص على المعرفة والدراسة ، وأنه رجل يقظ نشيط ، وأنه نظم آلافاً من السودانيين وشغل الشباب السوداني بنظام يجمع بين الرياضة والذكر والنظافة والنشاط ، وكان له الشغل الشاغل عن الحركات الهدامة والأشغال المفسدة للأخلاق ، ويرجع إليه فضل كبير في تهذيب أخلاق هؤلاء الشباب ، وانتشار الدعوة في السودان ،

سمعت كل ذلك عمن زاروه واجتمعوا به في مصر والسودان ، ولكن الأمر الذي بعث في نفسي الإعجاب بشخصيته والإجلال لها ، هو أنه لم يقع في شرك الأجانب وأنهم لم يستطيعوا أن يشتروه ويشغلوه ، ولم ينخدع بهم على كثرة من انخدع لهم من المشايخ والعلماء والزعماء والعظماء .

مع السيد

تقدمنا لزيارة السيد وجلسنا في قاعة كبيرة فاخرة الرياش فيها كراسٍ جميلة عليها مساند من ريش الطاووس تحت مروحة كهربائية والقاعة تمتاز بالبساطة وحسن الذوق ، وطلع علينا السيد بعد قليل فاستقبلنا شيخاً في السبعين من عمره نحيف الجسم سوداني السحنة ، وتبدو على محياه مخايل الهم والتفكير وآثار الدراسة المضنية والسهر الطويل تشف عيناه عن ذكاء ممتاز ، وتدل ناصيته العريضة على علو الهمة وكبر النفس ، وتلقانا بترحيب وبشاشة ، وجلسنا نتحدث وكان الحديث دائراً حول الهند وتاريخها ودياناتها واضطراباتها الطائفية ونتائجها ومصير المسلمين وشؤونهم الدينية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية ، وعن الجوامع والآثار القديمة وعن المنبوذين والشيوعية وكان يعلق على أجوبتي ويبدي رأيه ، وكان ذلك يدل على اطلاعه الواسع ودراسته المتنوعة ، ويظهر أنه مطلع على النظم السياسية المختلفة، متصل بما يجري في أوربا متتبع للأخبار الجديدة، والأحوال الأخيرة ، فيه الاستطلاع الزائد على معرفة الحديث الأحدث عن كل بلد ، وظهر كذلك أنه رجل متزن الفكر سديد النظر دقيق الملاحظة وقد رأيت فيه شبهاً كثيراً بمولانا أبي الكلام أزاد في اتساع المعلومات والنشاط الفكري .

الأحد ٥/ ٩/ ١٣٧٠هـ ـ ١٠/ ٦/ ١٩٥١م

نفوذ السيد

مما لاحظته في هذه الأيام القليلة في السودان أن القلوب مجتمعة على حب السيد وأنه يتمتع بنفوذ عجيب وثقة غريبة، فكل من سمع أنا مقيمون في ضيافة السيد أبدى ارتياحه إلى ذلك ، ولم أجد إلى الآن من يتكلم في السيد أو يطعن

فيه، وكلهم يثنون على إخلاصه وتجرده من الأغراض وعلو نسبه وسعة اطلاعه.

السخط ضد الإنجليز

لاحظت أن موجة السخط ضد الإنجليز عامة وقوية ، والحديث عن إضراب البوليس حديث النوادي والشغل الشاغل للناس ، قلما يخلو منه المجلس ، وقد أفطرنا على هذا الحديث وتسامرنا به .

الجمعة ٦/ ٩/ ١٣٧٠هـ ـ ١١/ ٦/ ١٩٥١م .

جولة في العواصم

بقيت اليوم كذلك متعطلاً لم أخرج من البيت وقد شق عليَّ البقاء بغير شغل وانتظرنا زيارة السيد .

وبعد صلاة المغرب والإفطار أخذنا الشيخ عبد الرحيم شقيق المضيف على سيارته وطاف بنا في العواصم الثلاث حتى انتهى بنا إلى جامع أم درمان أكبر العواصم الثلاثة والبلد الشعبي ، وهناك زرنا الشيخ عوض عمر إمام الجامع .

الانجذاب إلى مصر

لاحظت أن في الشعب السوداني انجذاباً قوياً نحو مصر وكل ما يتصل بها وتشيعاً واضحاً متحمساً لمصر ، ولم ينجح الإنجليز في صرف الشعب عن هذا الانحياز .

الثلاثاء ٧/ ٩/ ١٣٧٠هـ ـ ١٢/ ٦/ ١٩٥١م

حديث مع الأستاذ إسماعيل الأزهري بك[١]

اتفق مضيفنا وشقيقه الشيخ عبد الرحيم مع الأستاذ إسماعيل بك الأزهري

---

(١) كان مدرساً في أول عهده ، انتخب رئيساً لحزب الاتحاد الوطني السوداني سنة ١٩٥٢م ، وتولى وزارة الداخلية ، فرئاسة الوزارة سنة ١٩٥٤م ، ثم رئاسة جمهورية السودان . توفي بالخرطوم سنة ١٩٦٩م .

رئيس حزب الأشقاء على مقابلتنا في إدارة جريدة الأشقاء قبل الظهر ، فقصدنا الخرطوم العمومي واجتمعنا به في إدارة الأشقاء ، وتحدثنا طويلاً عن إمكانيات الدعوة الإسلامية في قارة إفريقية والرجال القائمين بها .

رأيه في العلماء الرسميين

وانتقد الأستاذ جماعة العلماء الموظفين في الحكومة ، وقال : إنهم تعلموا الدين لمجرد التحاقهم بقسم الشريعة الإسلامية في الكليات ، وليسوا من بيئة دينية ، ولم ينشؤوا في الدين ، ثم تولوا القضاء الشرعي والإفتاء في الحكومة فهم لا ينتسبون إلى الدين ولا يعالجون شؤون الدين إلَّا بحكم وظائفهم وحرفتهم ، بخلاف شيوخ الطريقة الذين ولدوا في بيوتات دينية عريقة في الدين والعلم ، ونشؤوا في بيئة الصلاح والديانة ، فتجدون فيهم الدعاة المخلصين والمرشدين المتجردين . قال : كنا في كلية غردون وكان الطلبة يُقْسَمُون على أقسام الدراسة بطريق المجازفة والتحكم ، لا على اختلاف الأذواق والمناسبات ، فوقع عليّ الاختيار كطالب في قسم الرياضة والعلوم المدنية ، وحشر كثير من زملائي في قسم الشريعة فكان منهم القاضي والمفتي والعالم فليس منهم عرق ديني ، وليس لهم تراث علمي ؛ وذلك هو السبب في أنهم مشغولون بالوظائف غير مهتمين بالدين والشعب .

رأيه في السيد

وأثنى الأستاذ الأزهري على مولانا السيد عليّ الميرغني وعلى إخلاصه وحكمته في الدعوة ونشاطه وقال : هذا رجل موفق لا شك ، وإليه يرجع الفضل الأكبر في حفظ الشباب من مفسدات الأخلاق والاندفاع وراء التيار ، قال : وكان من توفيق الله تعالى أن عني السيد بالحركة والتنظيم ، وهو في سن عالية ، فهذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى يريد خيراً على يديه لهذا الشعب.

الحاجة إلى الدعوة الإسلامية في إفريقية

وتكلمت عن الحاجة إلى حركة قوية للدعوة الإسلامية في المناطق

الإفريقية التي لا تزال على جاهليتها وبداوتها ، وأن هذه الحركة من أعظم القربات إلى الله وأقوى الأسباب لقوة المسلمين والنهضة الصحيحة ونيل الغايات التي يهدف إليها أمثاله ، ورجوته أن يصرف بعض عنايته ونشاطه إلى هذا الجانب ، فاعتذر باشتغاله بحركة وحدة الوادي وأنه لا يعتبر نفسه من رجال الدين وأنهم أولى بذلك منه ، وأقدر عليه ، إلَّا أنه يعتني به ولا يستهين بقيمته وأخبرني بقيام جمعية التبشير الإسلامي لنفس هذا الغرض ؛ وطلب مني مقابلة سكرتيرها الشيخ شوقي الأسد فأبديت استعدادي لذلك ، وأبديت رغبتي في زيارة نادي الخريجين وزيارة النادي السوداني المصري ، فقال : إنه يتوسط في ذلك ويهيِّيء الأسباب ، وخرجنا من عنده متشكرين معجبين بثقافته وفهمه وحسن حديثه .

ومن هنا قصدنا المحكمة الشرعية حيث اجتمعنا بالشيخ حسن المدثر القائم بأعمال قاضي القضاة والشيخ أبي القاسم مفتي الديار السودانية ، وكلمناهما في موضوع الدعوة والتبشير في جنوب السودان والمناطق التي لا تزال على الكفر والجهالة ، وأخبرني قاضي القضاة أن الحكومة الإنجليزية سمحت أخيراً بالتبشير الإسلامي في جوبا وكان ممنوعاً ، فتفاءلنا بهذا وقوينا عزمه على الاعتناء بالدعوة .

الأربعاء ٨/ ٩/ ١٣٧٠هـ - ١٢/ ٦/ ١٩٥١م

مقابلة الشيخ شوقي الأسد

ذهبنا اليوم لزيارة الشيخ شوقي الأسد سكرتير جمعية التبشير الإسلامي وتكلمنا في موضوع الدعوة ، وذكر ما تم في هذا الشأن وأبدى استعداده وعزمه على القيام بهذه المهمة الجليلة ، واسترعيت نظره إلى أهمية وجود الناس المتطوعين والدعاة المخلصين العاملين لوجه الله وأن ذلك أهم وأقوم من الجانب المالي وجمع الإعانات والميزانية الجيدة للجمعية ، واقترحت عليه إرسال بعض العلماء وأعضاء الجمعية إلى الهند ، يدرسون هناك طرق الدعوة وأساليبها ويتصلون بالدعاة المخلصين ، واقترحت عليه زيارة الهند والباكستان

كذلك ، فرحب بهذه الفكرة ووعد بجمع رئيس الجمعية وأعضائها حتى أتحدث إليهم وأعرفهم .

صلينا العشاء والتراويح في جامع الخرطوم البحري وألقيت كلمة وجيزة عن رمضان وأنه كنهر طالوت للمسلمين يبتليهم الله به .

الخميس ٩/ ٩/ ١٣٧٠هـ ـ ١٤/ ٦/ ١٩٥١م

حديث ضاف مع سماحة السيد

جاء رسول السيد يخبر بميعاد الزيارة في الساعة العاشرة والنصف فانتعشت قلوبنا ، وقد عيل صبرنا في انتظار هذه الزيارة وقصدنا داره ، وكان الاجتماع اليوم مما يروي الغليل ويشفي العليل ، فقد استمر المجلس ساعتين ونصف ساعة تناولنا فيه الكلام عن موضوعات كثيرة ، تحدث السيد في موضوع الدعوة في إفريقية وأدلى بمعلوماته القيمة وعن العراقيل التي تنشئها الحكومات المستعمرة في سبيل هذه الدعوة وما يواجه الدعاة من الصعوبات والمشاكل في مهمتهم وذكر الاختلاف بين المناطق المختلفة ، وإحصاء النفوس فيها ونسبة المسلمين ، واختلاف طبائعها وأقاليمها وعاداتها فكان كلام خبير مدقق ، وذكر أنه لم يبتكر هذا النظام للشباب السوداني إلَّا لأجل نشر الدعوة وحفظ الشباب من الجائحات والتيارات المعارضة للدين والأخلاق ، وكان لهذا النظام تأثير كبير ومفعول عظيم في تهذيب الأخلاق وتنظيم الشباب والإقبال على الدين ، وانجذاب كثير من غير المسلمين إلى هذه المنظمات ودخلوهم في الإسلام بفضلها ، وأيده في ذلك الشيخ عمر إسحاق من رجال السيد وزملائه ، وذكروا تجاربهم ومعلوماتهم في هذا الصدد ، وأنه هو الحارس الوحيد في السودان من التحلل الخلقي والفوضى والاستهتار .

وذكرت للسيد نشاط الدعوة الإسلامية الأخير في الهند وسيرة رجاله وجولاتهم في طول البلاد وعرضها ، ونظام الجماعات ورحلاتهم ونظام التعليم والذكر والاجتماعات .

الحركة غريزة في الشباب يجب أن تستثمر وتشغل بالمفيد

فسر بذلك وقال لا شك أن الحركة وحدها هي التي يمكن بها حفظ الشباب وتربيتهم ، فإن الحركة في الشباب غريزة وهي تقهر ولا تقوم ولكنها تشغل وتستثمر بالمفيد الصالح ، وهذه هي الجامعة التي تجمع بين نظامنا في السودان وحركتكم في الهند ، هناك اقترحت على السيد إرسال بعثة سودانية إلى الهند لدراسة الأحوال الدينية والمشاريع الإصلاحية وأساليب الدعوة وبذلك يكتب رجال الدعوة بعض المعلومات الجديدة والتجارب المفيدة وتكون في صالح البلدين والشعبين الشقيقين ، وفي صالح الدعوة الإسلامية بوجه عام ، فأعجب السيد بهذا الاقتراح ورحب به وقال : لا مانع من إرسال هذه البعثة وسوف يكون هذا الاقتراح موضع دراستنا وتفكيرنا ، واقترحت عليه كذلك إرسال وفد سوداني إلى الحجاز في الموسم يتصل بالدعاة الباكستانيين والهنديين ، فرحب بهذا الاقتراح أيضاً .

وطلب من الشيخ عمر إسحاق أن يدعونا إلى حفلة للشباب الميرغني يوم الجمعة حتى أرى نظامها ، وكان في حديث اليوم أيضاً نصيب للحديث عن الهند وشرح نظامها السياسي وما يستقبل المسلمون من صعوبات في سبيل البقاء على ثقافتهم ولغتهم والتعليم الديني ، وما يجر توحيد التعليم ، والتعليم الإجباري ، وتوحيد القضاء عليهم من عقد ومشاكل ، وتكلمنا عن حلولها .

بعض آراء السيد

وتكلم السيد عن مشاكل التعليم المدني العصري في جميع البلاد الإسلامية .

لا يمكن تجريد التعليم عن طبيعته وعلاته

وقال : لا يمكن تجريد التعليم المدني عن طبيعته وعلاته ، فإنه إذا طبق في بلاد فإنه يؤتي أكله كلها من حلو ومر ، وقال : إن تأثير الحضارة الغربية قوي في العالم الإسلامي .

الأقطار الإسلامية على أثر تركية

وأن الأقطار الإسلامية كلها تسير على أثر تركية الكمالية ، إلَّا أنه وجد في تركية مثل أتاتورك الشديد الذي نفذ المدنية الغربية والآراء التي كان يعتقدها بشدة وإجحاف وسرعة ، ولكن الأقطار الأخرى لا تصل إلى ما وصلت إليه تركية في خمسين سنة ، وأبدى رأيه عن ضرورة دراسة اللغات الغربية ، وذكر أنه لا يصح الاستغناء عنها .

تدريس العلوم بالتراجم محاولة فاشلة

وقال : قد حاولت مصر أن تدرس الطب باللغة العربية وتراجم الكتب الغربية ، ولكن ثبت بعد مدة أنه لا تمكن مسايرة تقدم العلم والتجارب في لغة أخرى فتتخلف التراجم وتتقدم العلوم والاكتشافات ، وحركة الترجمة حركة بطيئة قاصرة ، فأقبلوا على تدريس الطب باللغات الأوربية .

وفي هذه الآراء الحصيفة والملاحظات الدقيقة لمحت مرة ثانية سعة اطلاع السيد وألمعيته ، وعرفت كذلك أنه مطلع على الحركة العلمية والأدبية في مصر وغيرها ، ويطالع المجلات على اختلاف مشاربها ومناهجها ويميز بينها .

مصر يغلب عليها الطابع الأدبي

ومن رأيه أن مصر غلب عليها الطابع الأدبي والنزعة الأدبية المجردة ، وأن الحركة العلمية الجديدة ضعيفة بالنسبة إلى الأدبية ، وإقبال الشعب عليها ضعيف فاتر ، لذلك لم تجد مجلة « المقتطف » المجلة العلمية الوحيدة رواجاً كبيراً .

تنزل المجلات المصرية إلى التبذل

واضطرت مجلة « الهلال » أن تتنزل من مستواها العلمي إلىٰ هذا التبذل والإسفاف الذي نزلت إليه ، وهذا مما يؤسف له .

وقد انبسط السيد لهذه المقابلة كثيراً ، وبدا السرور في وجهه وانتهزت

هذه الفرصة فتكلمت بحرية ونشاط وذكرته بكتبي التي بعثتها إليه وطلبت منه أن يعيرها نظرة فوعد بذلك ، ورأيت مجموعة قديمة من الرسائل التي أهداها إليه الأخ الشيخ عبيد الله موجودة ، وقد أعطاها السيد للشيخ عمر إسحاق للمطالعة .

في ضيافة سودانية شعبية

أفطرنا عند الشيخ عوض عمر إمام الجامع ، وكانت دعوة شعبية تمثل السودان تمثيلاً صحيحاً جميلاً ، وكان كل شيء وطنياً وعلى سجيته ، فجلسنا على سفرة ممدودة مزدانة بأنواع الفطور ، تغلبت فيها المشروبات الباردة المروحة ، والمأكولات السودانية .

كلمتي في الضيافة

وتكلمت بعد العشاء ، وذكرت أن السودان وقارة إفريقية تستطيعان أن تمثلا دوراً مهماً في تاريخ العالم وفي تاريخ الإسلام ، إذا عرف إخواننا السودانيون قيمتهم وأحسنوا استعمالها ، ووجهتهم إلى تزعم حركة الدعوة الإسلامية ، وكان أكثر الحاضرين أساتذة المدارس الثانوية والمعاهد .

محاضرتي في دار خريجي الجامعة

ومن هنا توجهنا إلى جامع أم درمان ، حيث صلينا العشاء والتراويح ، ثم توجهنا إلى دار خريجي المعهد حيث كان قد تقرر الاجتماع في هذه الليلة ، وحضر هناك عدد كبير من علماء العاصمة المثلثة وأساتذة المدارس والشبان ، وألقيت محاضرة حول أهمية إفريقية الدينية وقلت : لقد لعبت آسيا دورها في تاريخ العالم ، وتولت قيادة الأمم ، فكان عهد سعادة للعالم ، لأن قيادتها كانت مبنية على تعاليم الأنبياء ومبادىء الدين ، ثم انتقلت القيادة ـ لأسباب قاسرة ليس هذا محل شرحها ـ إلى أوربة المادية المستعمرة ، فشقي العالم وشقيت الإنسانية بهذه القيادة كما يعلم الجميع ، وهذا دور قيادة إفريقية أيها المسلمون الإفريقيون ، فإن الله يمنح كل أمة وكل قطر فرصة القيادة والخدمة

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ﴾ الآية ، ثم ذكرت كيف ينتهز الإفريقيون هذه الفرصة وكيف يستطيعون أن يأخذوا نصيبهم من هذه القيادة ، وكيف يستطيعون أن يوجهوا العالم توجيهاً دينياً ويخدموا الإسلام .

يوم الجمعة ١٠/ ٩/ ١٣٧٠هـ ـ ١٥/ ٦/ ١٩٥١م

في احتفال الشباب الميرغني

بعد صلاة العصر قابلنا الحاج سليمان موسى زعيم العمال ورئيس جمعية الشبان المسلمين في السودان ، وكان معالي محمد صالح حرب (باشا) أعطانا كتاب توصية باسمه وقد تأخرت زيارتنا له ، واستقبلنا استقبالاً كريماً ، ورحب بنا وتأسف على تأخير المعرفة والزيارة ، ودعانا إلى الفطور غداً فقبلنا شاكرين .

حضرنا بعد العشاء احتفال الشباب الميرغني في أم درمان ، وسمعنا أناشيد في المدائح النبوية لبعض مشايخ هذه الطريقة وأجداد السيد ، وأعجبنا نشاط الشباب ونظافة ثيابهم ورشاقة أجسامهم وجمال بذلتهم .

كلمتي في الاحتفال

وطلب مني الشيخ عمر إسحاق إلقاء كلمة تدور حول الشباب الإسلامي ، وتربيته ، وذكرت فيها دار الأرقم وشبابها الذين غيروا مجرى التاريخ ، ونصحتهم باقتفاء سيرتهم والتمسك بالشريعة ، والحرص على اتباع السنة ، وعلمت أن هذه الكلمة وقعت منهم موقعاً حسناً .

نشيد لم يعجبنا

رأينا ونحن خارجون من الدار حلقة قائمة من الشباب يرددون في لحن : (شيئاً لله يا حسن . أنت سلطان الزمن) فأنكرنا هذا النشيد الذي لا أرى له مبرراً ، والذي يعارض التوحيد معارضة صريحة ، وكيف تجوز الاستغاثة بشيخ ميت ، والاعتقاد بأنه سلطان الزمن ، ولست أدري هل يعلمه السيد

فيوافق عليه أو لا يعلمه ، وعلى كل حال فإني أعتقد أن عقيدة التوحيد وإخلاص العبادة لله تعالى يجب أن يكون أول ما يهتم به المصلح ويدعو إليه الداعي والمرشد ، ولا يسعه التغافل عنه في كل حال من الأحوال ، قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٩ ـ ٨٠] .

في ضيافة الحاج سليمان موسى

ذهبنا إلى بيت الحاج سليمان موسى للفطور ، فوجدنا مجموعة طيبة من الضيوف المحترمين ، وأكثرهم أعضاء جمعية الشبان المسلمين ، وكان الفطور فاخراً قد تأنق فيه صاحب الضيافة ، وجمع بين لوني مصر والسودان في الأكل .

وبعد الفطور والصلاة تكلمت بطلب المضيف ، ونوهت بجمعية الشبان المسلمين وشكرته على هذه الضيافة والروح الطيبة .

وداع السيد

ومن هنا خرجنا إلى دار مولانا السيد علي الميرغني باشا ، فقد دعانا للتوديع والحديث الأخير ، ووجدت أن ما ألقيته ليلة السبت في اجتماع الشباب قد بلغ رجال السيد وشكرني عليه ، وأثنى على الكلمة نائب السيد وخليفته ، وكان الشيخ عمر إسحاق حاضراً ، وكان حديث الليلة دائراً حول أحوال الحجاز الدينية ومايبعث المسلمين في العالم على القلق من فشو التحلل ورقة الدين في مركز الإسلام ، والترف الزائد والملاهي ، وغزو الأدب الفاجر والروايات الماجنة لبيوت المسلمين وعقول الشباب واتجاه التعليم وغير ذلك .

الأحد ١٢/ ٩/ ١٣٧٠هـ - ١٧/ ٦/ ١٩٥١م .

السودان طبيعياً وجغرافياً وسياسياً ودينياً

قبل أن نغادر السودان يحسن بنا أن نلقي نظرة عابرة على السودان وجغرافيتها فإنها من حقوق البلاد التي يزورها الإنسان ويقيم بها مدة من الزمان .

تبلغ مساحة السودان مليونين و٦٢٧ ألف كلم ، ويبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب ١٢٠٠ كلم من وادي حلفا شمالاً إلى « جوبا » جنوباً ، وأقصى عرض من الشرق إلى الغرب ١٥٠٠ كلم ، بين البحر الأحمر وحدود مديرية (دارفور) و (إفريقية) الاستوائية غرباً ، فهو أكبر أقطار إفريقية من حيث المساحة ويبلغ عدد سكانه حسب إحصاء ١٩٤٧ مقدار سبعة ملايين نسمة .

ينقسم السودان من الناحية الطبيعية إلى المناطق الثلاث التالية :

١ - **المنبطقة الصحراوية** : وتمتد بين دائرة عرض ٥١٧ وبين الحدود المصرية وهي منطقة جافة ذات مناخ صحراوي . وتدعى هذه الصحراء باسم صحراء النوبة .

٢ - **المنطقة السهبة** : وتمتد خمس درجات عرضية بين دائرتي عرض ٥١٢ و٥١٧ شمال خط الاستواء ، وهي العصب الحساس في السودان من الناحية الزراعية بعد قيام مشروع الجزيرة لإنتاج القطن ، والجزيرة منطقة واقعة في هذا الإقليم بين النيل الأزرق والنيل الأبيض ، وسكان هذا الإقليم خليط من عرب وسودانيين ، وهم أنشط أهل السودان .

٣ - **المنطقة الاستوائية** : وتمتد من دائرة عرض ٥١٢ إلى أقصى الجنوب وتهطل الأمطار أكثر أيام السنة وتزداد صيفاً ، وهي منطقة غنية جداً بمواردها الطبيعية ، وأكثر السكان سودانيون ، وفيهم زنوج وثنيون .

أكثر سكان السودان من العرب ومن السودانيين ، وقد اختلطوا كثيراً وخاصة في المناطق الشمالية ، ودان كثير منهم بالإسلام ، وقد رحل العرب إلى السودان قبل الفتح الإسلامي عن طريق باب المندب ، وامتزجوا

بالسودانيين امتزاجاً قوياً وصاهروهم ، ولا تزال فيه قبائل من أصل عربي احتفظت بكثير من عادات العرب وأخلاقهم ولهجاتهم ، ويشعر الزائر بالطابع العربي والطبيعة العربية في اختلاطه بهذه القبائل .

نظام الحكم : يخضع السودان رسمياً ـ وبالأصح اسمياً ـ لحكم ثنائي ، مصري إنجليزي وهو الحكم الإنجليزي البحت ، وأخذت مصر بعد الحرب العالمية الثانية تطالب بجلاء الجيوش الإنجليزية عن وادي النيل فخلقت بريطانيا لها مشكلة السودان ، وقامت حركة قوية في مصر والسودان تعتبر أنها جزء من مصر كما هو الواقع طبيعياً ـ وعاكستها بريطانيا وأخيراً ألغت حكومة مصر معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتي السودان وأعلنت اتحاد وادي النيل ونادت بملك مصر ملكاً للوادي .

مديريات السودان : وفي السودان خمس عشرة مديرية أهمها مديريات (دارفور) ، (الجزيرة) ، (كسلا) ، (الخرطوم) ، (كردفان) ، (المديرية الشمالية) ، (خط الاستواء) ، (أعالي النيل) .

المدن الهامة : الخرطوم (٥٠ ألف نسمة) وتقع على لسان يشبه خرطوم الفيل عند ملتقى النيل الأزرق بالنيل الأبيض ، وهي عاصمة السودان وأكبر مدينة وأعظمها تجارة وكانت قديماً « أم درمان » الواقعة مقابلها على الضفة اليسرى للنيل الأبيض هي العاصمة ولا تزال مدينة شعبية كبرى يزيد عدد سكانها على مئة ألف نسمة .

والخرطوم مدينة حديثة فيها شوارع منظمة ، وفيها مدرسة كتشنر الطبية ، وكلية (غوردون) التي افتتحت سنة ١٩٠٢م وبدأت بتعليم ابتدائي وثانوي ، وفي سنة ١٩٤٠م أصبح فيها تعليم جامعي .

عطبرة : أهم مركز للسكك الحديدية في السودان ، وتشتهر بنشاطها التجاري والإداري وتقع على النهاية الغربية لخطوط السودان الحديدية .

ومن المدن الهامة : (بور سودان) و (سواكن) و (بربر) و (شندي) وغيرهما .

الحياة الاقتصادية : اعتماد السودان على الزراعة قبل كل شيء ثم على

الرعي وجمع الصمغ العربي وأهم زراعتها الحالية القطن ، شجر الصمغ العربي ، الذرة ، غذاء السودان الرئيسي ، وغلات أخرى .

الصناعة والتجارة : ليس في السودان صناعة راقية ، أما التجارة فقد تقدمت بفضل زراعة القطن الذي تحتكره بريطانيا تقريباً بنفسها[1] .

الحالة الخلقية : كان السودانيون على فطرتهم وسذاجتهم حتى ابتلوا بالاستعمار الإنجليزي الذي رافقه ـ بطبيعة الحال ـ الأدواء الخلقية التي تحملها الحضارة الغربية والدول المستعمرة معها ففشا فيهم شرب الخمر وتقليد الإنجليز في كثير من عاداتهم وأزيائهم ، ونشأ عنصر مزيج مضطرب بين الطبيعة الشرقية والعادات الغربية كما نشأ في الهند في فجر الحكم الإنجليزي فيها وفي مصر وغيرها ، وهو عنصر غريب لا تنتفع الأمة والبلاد به ، وأكثر ما ترى هذه الطبقة في العواصم الثلاث والمدن الكبيرة .

الحالة الدينية : كان السودانيون معروفين بالتصلب في الدين والمحافظة وقوة العاطفة الدينية بعيدين عن التحلل والإلحاد وخلع ربقة الدين حتى دهاهم الاستعمار فظهر فيهم الاضطراب في الدين وأثر فيهم التعليم العصري كما أثر في غيرهم إلَّا أنهم بحكم طبيعتهم وطبيعة إقليمهم وتغلغل الدعوة الإسلامية فيهم لا يزال التدين غالباً فيهم ، إلّا أن هذا التدين يغلبه التقديس الزائد لرجال الطرق والمشايخ والخضوع لهم والمبالغة في تعظيمهم وإجلالهم حتى يتخطى ذلك الحدود التي رسمها الشرع ويبلغ حد العبادة والشرك ، وأقوى الطرق تأثيراً في السودانيين وأعظمها انتشاراً في السودان الطريقة الختمية الميرغنية التي يرأسها الآن السيد علي الميرغني فترى صور السيد معلقة في كثير من المساجد فضلاً عن البيوت وكثير من الجوامع في السودان والحبشة ! لا يخطب فيها إلَّا من ينتمي إلى الطريقة الختمية ويكون من أتباع السيد .

---

(١) المعلومات الجغرافية والأرقام منتقاة من كتاب « جغرافية البلاد العربية » لمؤلفيها الأساتذة بسام كرد علي ، شاكر مصطفى ، أنور الرفاعي .

وداع السودان

توجهنا إلى المحطة وعرفنا أن الحاج سليمان موسى قد سبقنا إلى المحطة وحجز لنا مكانين في القطار كما وعد ، مع أن الوقت كان ضيقاً وكان الحجز في هذا الوقت الضيق يكاد يكون مستحيلاً .

وودعنا إخواننا الذين كنا في ضيافتهم وهم متأثرون بفراقنا ونحن كذلك فسبحان الله ما أقوى الرابطة الإسلامية وما أعمقها .

الإثنين ١٣/ ٩/ ١٣٧٠هـ ـ ١٧/ ٦/ ١٩٥١م .

ركبنا في فرس الباخرة في الظهر وتوجهت الباخرة وبعد بضع ساعات غرز الصندل الذي كنا فيه في الرمل لقلة ماء النيل وحاول ربان الباخرة والملاحون كثيراً في إخراجها وفشلوا ، وبتنا الليلة ونحن واقفون في النيل وتعطلنا ليلة كاملة ونحن في غاية السآمة والضجر ، ولكن لا حيلة لنا ولا مفر .

الثلاثاء ١٤/ ٩/ ١٣٧٠هـ ـ ١٨/ ٦/ ١٩٥١م

جاءت باخرة الإسعاف فأخرجت صندلنا من هذا الموقف ووصلت به إلى الباخرة الكبيرة التي ستقودها إلى الشلال وتسلمتها هذه الباخرة وواصلنا سفرنا على بركة الله .

وبعد الظهر غرزت الباخرة بتوابعها في مخاض آخر من النيل فكان أدهى من الأول وأمر ، وبقينا بقية اليوم والليل في موقفنا وقد بلغت النفوس غايتها من العناء والسآمة وأفرغ الملاحون والقائمون على السفينة جهودهم في إخراج الباخرة من هذه الورطة فلم ينجحوا وكلّت أيديهم ففوضنا أمرنا إلى الله وارتقبنا الصباح .

فرق بين المسلمين وغيرهم

وهنا لاحظنا فرقاً بين المسلمين وغيرهم وكان أكثر الركاب من الإنجليز وغير المسلمين فلم نر منهم رجوعاً إلى الله أو التجاء إلى الدعاء وهم في لهو

ولعب وذهاب وإياب وأكل وشرب وقصف وغناء . أما المسلمون فرأينا منهم من ينيب إلى الله ويلتجيء إليه في كشف هذه الغمة ورأينا كما لاحظنا من قبل أن الديانات الأخرى قد أفلست في الروح وقد انقطعت صلة رجالها أو ضعفت جداً بالله تبارك وتعالى والالتجاء إليه .

الأربعاء ١٥/ ٩/ ١٣٧٠هـ ـ ٢٠/٦/ ١٩٥١م .

بقينا إلى بعد الظهر في ورطتنا هذه وقد عيل صبرنا وضاق صدرنا والناس في هرج ومرج إذ جاءت سفينة الإسعاف وأخرجت بعد محاولات عدة باخرتنا وتوابعها فاستقبله الخواجات بتصفيق حاد وكان بعض الركاب المسلمين قد نذروا لله بركعتين يصلونهما إذا خرجوا من هذه المشكلة فأوفوا نذورهم وصلوا لله شكراً وكان ذلك في الساعة الثالثة نهاراً ، فالحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات واستمرت الباخرة في السير بسرعة زائدة ويقولون : إنها ستصل ببركة الله تعالى صباحاً .

الخميس ١٦/ ٩/ ١٣٧٠هـ ـ ٢١/ ٦/ ١٩٥١م

من الشلال إلى القاهرة

وصلت الباخرة إلى الشلال ضحى وفرح الناس بالشلال كفرحهم بطلائع البلد وسوابق القرية وركبنا القطار مسرورين وقضينا الليلة في القطار في الظلام مع أنا في الدرجة الثانية وشكونا إلى رجال القطار فلم يسعفنا أحد ، ولم يكن القطار في الانتظام ووجود أسباب الراحة مثل توفر المياه والنور مثل القطار الذي من القاهرة وتعشينا في عربة الأكل .

الجمعة ١٧/ ٩/ ١٣٧٠هـ ـ ٢٢/ ٦/ ١٩٥١م .

في مصر مرة ثانية

السرور بالرجوع إلى مصر

استقبلنا القاهرة بقلوب متطلعة وعيون شاخصة وكأننا نستقبل وطننا

الحبيب ، وما ذاك إلَّا لوجود أصدقائنا هناك وإقامتنا فيها وانتهاء مرحلة من مراحل السفر ولعلها أصعبها .

توجهنا من المحطة إلى الأزهر حيث نزلنا في رواق الأفغان في محل صديقنا الشيخ عبد الله الكابلي ، وعلمنا أن الأخوين العزيزين محمد معين وعبد الرشيد قد سافرا إلى الحجاز قبل أيام .

شعور غريب

وتجدد الحنين وشعرت بشيء من الوحدة في البلد الذي قضيت فيه شهوراً ، أتمثل بقول الشاعر :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا   أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وأسرح طرفي في الأزهر وهو مزدحم بالمصلين فلا أرى أحداً أعرفه ويعرفني إلَّا أني قابلت الأخ محمد أمين التركي واحتفى بي كثيراً وفرح جداً .

ومن الأزهر قصدنا بيت الأخ أحمد عبد النبي لأقابله والشيخ رياض الدين الفاروقي وصادفناهما في السكة الجديدة وذهبنا معهما إلى بيت الحاج أحمد عبد النبي وجلسنا ساعة ودعانا الأخ أحمد عبد النبي إلى الفطور اليوم ، فوعدناه بذلك ؛ ومن هنا ذهبنا إلى رواق الشوام لنقابل الأخ يس الشريف فوجدناه مسافراً إلى قريته وجلسنا قليلاً مع الإخوان السوريين ورجعنا إلى محلنا واسترحنا قليلاً ثم ذهبنا إلى العتبة حيث قابلنا الحاج إسحاق الدهلوي في لوكاندة البرلمان وعلمنا أن الحاج إسماعيل الدهلوي قد سافر إلى مكة ، ثم رجعنا إلى الحاج أحمد عبد النبي وأفطرنا عنده بفطور هندي وعشاء هندي ، وتوجهنا إلى بيت صديقنا الشيخ أحمد الشرباصي بالحلمية الجديدة بعطفة السادات ونحن نخشى أن لا نجده ولكنا وجدناه وجلسنا عنده قليلاً وخرجنا معه .

المركز العام للشبان المسلمين

خرجنا معه إلى المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين وإذا بنا أمام حفلة

كبيرة لذكرى وقعة بدر الكبرى وقابلنا هنا اللواء محمد صالح حرب باشا وسماحة المفتي أمين الحسيني والشيخ محمد صبري عابدين والشيخ السيد مبشر الطرازي وعجبوا من بقائنا في مصر وأخبرناهم برجوعنا من السودان، فهنؤونا على سلامة الوصول، ورجعنا من الجمعية من غير أن نحضر التمثيل.

يوم السبت ١٨/ ٩/ ١٣٧٠هـ - ٢٣/ ٦/ ١٩٥١م.

ذهبنا إلى مكتب الحاج جلال حسين وأخذنا الرسائل التي تجمعت في مدة غيابنا، وأنا في غاية الشوق إلى هذا البريد فأخبار الأهل والأصدقاء في الهند منقطعة عني منذ أيام طويلة وفيها رسالة السيدة الوالدة متعنا الله بطول حياتها ورسالة الأهل والأخوات ورسالة أخي الأكبر الدكتور عبد العلي، وكنت نذرت إذا وجدت رسائل تبشر بصحتهم وتحمل ما يسر أن أصلي لله أربع ركعات فأوفيت نذري والحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات.

ذهبنا إلى مكتب الأجانب حيث سجلنا دخولنا في القاهرة، ثم ذهبنا إلى مفوضية (سورية) وطلبنا مد الأجل في التأشير ورجعنا إلى محلنا واسترحنا.

في إدارة الأزهر

ثم زرنا إدارة الأزهر حيث قابلنا الشيخ الشرباصي والدكتور محمد يوسف موسى واعتذرنا له من عدم التمكن من قبول دعوته، وقدمنا إليه النسخة المصححة من كتاب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» ثم دخلنا إلى مكتب فضيلة الشيخ محمود شلتوت وقابلناه وذكرناه بالمذكرات التي قدمناها إليه.

طلبة البعوث الإسلامية على الفطور

وذهبنا إلى رواق الهنود إجابة لدعوة صديقنا الجليل الشيخ لقمان الندوي إلى الفطور، ورأينا جمعاً حاشداً من طلبة البعوث الإسلامية مجتمعين للفطور وعلمنا أنهم يفطرون كل يوم في هذا المكان ضيوفاً لوزارة الشؤون الاجتماعية، وكان منظراً جميلاً يدل على المساواة والجامعة الإسلامية، فكان

الطلبة من مختلف البقاع ومختلف الأجناس والألوان والطبقات جالسين جنباً لجنب ، ولكن لاحظنا أن الجو لا يشعر بالخشوع والسكينة ، وأن الحاضرين لا يشعرون بجلال الصوم وحرمة رمضان وقرب الفطور فيشغلون بذكر الله ، أو يجلسون بوقار وسكينة ، بل بالعكس من ذلك كان المكان صاخباً وكنا نسمع جلبته وضجته ، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على ضعف الروح الدينية والشريعة الإسلامية في نفوس طلبة الدين .

يوم الأحد ١٩/ ٩/ ١٣٧٠هـ ـ ٢٤/ ٦/ ١٩٥١م

توجهنا إلى مكتب شركة مصر للطيران في ميدان إبراهيم باشا وحجزنا مكانين في الطائرة التي تقوم لدمشق صباح الإثنين .

مع الإخوان

جاء الأخ ياسين الشريف وذهبنا معه إلى بيت الأخ عبد الله العقيل حيث أفطرنا وتعشينا مع جماعة من شباب الإخوان ، وتوجهنا إلى المركز العام في شارع صبري ، وصلينا التراويح خلف الشيخ سيد سابق وألقيت كلمة بطلب الشيخ سيد سابق والإخوان وقابلت الأستاذ عبد العزيز كامل وقد طال العهد به وعظم الشوق إليه فجلسنا نتحدث ساعة ، وقابلنا الأستاذ صالح العشماوي وشقيقه الدكتور خليل عشماوي ، وأعطانا الأخ عبد النافع السباعي رسائل توصية وتعارف إلى إخوانه بدمشق .

مع الأسف لم أستطع أن أقابل بقية الإخوان لأن أكثرهم مسافرون في المدن بمناسبة الاحتفالات بدر الكبرى وغزوة الخندق ، فالأستاذ عبد الحكيم عابدين مسافر ، والأستاذ سعيد رمضان مسافر ، والأستاذ الغزالي مسافر قبل رمضان إلى غزة ، ولعل الأستاذ فريد عبد الخالق مسافر أيضاً .

يؤسفني أننا نسافر إلى دمشق بالطائرة كما تقرر فستفوتنا زيارة الإسكندرية وكنا قررنا من قبل السفر بالباخرة إلى بيروت عن طريق الإسكندرية . ولكنا آثرنا السفر بالطائرة بعد ذلك حرصاً على الراحة في رمضان وتوفير الوقت ، وزيارة الإسكندرية مهمة من وجوه مختلفة ، وكان أحد الإخوان الكبار قد

دعانا إلى الإسكندرية ولكن تأخر السفر حتى فات وقته ، فعسى أن تكتب لنا زيارة العاصمة الثانية لمصر في رحلة أخرى .

توديع لمصر

وها نحن أولاً نودع مصر العزيزة بعد ما أقمنا فيها نصف عام تقريباً وطاب لنا المقام فيها فعز علينا الفراق ، لقد نزلنا في مصر ونحن لا نقدر من الإقامة فيها إلَّا شهراً أو شهرين فإذا بنا نفسح الأجل ونتساهل في السفر ونتعلل بعسى ولعل حتى أربت الإقامة على خمسة أشهر ، ولو قيل لنا عند قصدنا لمصر أنكم ستقيمون فيها نحو ست أشهر لضاقت صدورنا وأنكرنا ذلك أشد الإنكار ، فقد كانت أمامنا رحلة طويلة في الشرق الأوسط وما كان نصيب مصر في أيامنا ـ لو دققنا في الحساب ـ إلَّا بضعة أسابيع ولكنَّا غلبنا على أمرنا فأرخينا لمصر العنان وتساهلنا لها في الزمان ، وكذلك الحبيب يأخذ أكثر من النصيب ، وما كل شيء في الدنيا خاضع لقوانين رياضية ، وخير أن لا يكون ذلك ! فلو تحكمت الرياضيات في الحياة لضاقت بأهلها ولضاقوا بها ذرعاً . وأصبحت الحياة حركة ميكانيكية لا قلب لها ، ولا جدة فيها ولا طرافة ، ولا متعة فيه ولا سلوى ، ولكن كثيراً ما يثور القلب على العقل والعاطفة والهوى على القوانين الوضعية والنظم الرتيبة فتعيدان إلى الدنيا الحياة والنشاط .

إن مصر ـ على ما فيها من جمال الطبيعة وضخامة المدنية ـ لم تكن لتحولنا عن نظامنا المرسوم لهذه الرحلة ، ولم تكن لتستهوي قلوبنا لتأخذ منا أكثر من حقها فقد نشأنا في بلاد عرفت من فجر التاريخ بالطبيعة الفاتنة ، والمناظر الساحرة والخصب الزائد والمدنية الراقية ، ولكن الذي راودنا عن نظامنا المرسوم فلم نستعصم هو وجود إخوان مخلصين التقت قلوبهم بقلوبنا وأرواحهم بأرواحنا ، فكأنما كانت من اللقاء والاجتماع على ميعاد ، وهو وجود أحبة كرام غمرونا بلطفهم وأنسهم حتى أنسونا متاعب السفر ووحشة الغربة ، بل الشعور بالغربة ، هو وجود قلوب متفتحة كالأزهار دافقة كالعيون ، مشتعلة بالإيمان كالجمرات أحبتنا وأحببناها ، هو وجود فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدى ، ولكنهم خرجوا من الكهف وتحدوا الشر ونازلوا

الباطل وصارعوا قواه ، هو وجود حركة دينية ثابتة ونشاط علمي قوي ، وإنتاج سريع ضخم يجعل من مصر مركز العالم العربي ، ومدرسة الشرق الأوسط بلا نزاع ، ويكتب لها الإمامة والزعامة والتوجيه العقلي والعلمي ، وإن وجود هذا وذاك هو الذي فرض علينا طول الإقامة في ربوع مصر وحسن لنا التخلي عما رسمنا لأنفسنا والزيادة لمصر في قسطها من رحلتنا .

وكم من سائل بعد الرحلة من مصر : ماذا أعجبك في مصر ؟ وماذا لم يعجبك ؟

إن السؤال عسير وإنه لسؤال محرج ولكنه سؤال مهم وسؤال مفيد ، فلابد من مواجهة هذه المشكلة ولابد من الإجابة عن السؤال .

أما الذي أعجبني في مصر فحيويتها ونشاطها وعظم إنتاجها العلمي والأدبي وسرعته ، وعنايتها باللغة العربية وتبنيها لها وغيرتها عليها وجهادها في سبيلها ، والنظرة الواسعة إلى القضايا العربية والإسلامية ، والعطف عليها ووجود اليقظة والوعي بالنسبة إلى الأقطار العربية الأخرى .

وأعجبني من أخلاق أهلها سلامة صدورهم ورحابتها ، وحسن الوفادة للضيف المسلم وتكريمه وتشجيعه والاعتراف بما عنده وقوة العاطفة والإيمان ، وخفة الروح وقلة العبوس وسرعة الائتناس والصداقة والشغف بالعلم والجد فيه ، والإقبال على المطالعة واقتناء الكتب .

أما الذي لم يعجبني في مصر ، وبالصراحة الذي أنكرته وأنتقده ـ ومعذرتي إلى قلبي الذي أحب مصر وأهلها ـ فهو الميل الفاشي في الشعب إلى التسلية والمتعة الرخيصة ، ووجود طبقة كبيرة العدد واسعة النفوذ تتجر بالأدب الفاجر وتعيش على أثمان الأعراض والأخلاق وتتمتع في مصر الإسلامية بالحرية والاحترام .

ولم يعجبني في مصر وجود الأحزاب السياسية الكثيرة من غير فارق كبير بينها في العقيدة والمبدأ واحتدام الخلاف بينها واستغلالها للشعب السليم استغلال الأدوات أو الجمادات .

ولم يعجبني كذلك كثرة الجمعيات والهيئات وكثير منها ليس لها رسالة

خاصة ولا دعوة ممتازة ، وأنكرت منها ومن رجالها المناقشات الشخصية والخلافات الجزئية ، وتحرش بعضها ببعض وتخطي الحدود الخلقية والدينية لذلك .

أنكرت في مصر وجود طبقة مثقفة تملك زمام البلاد ، وزمام التعليم والصحافة والأدب قد تعفن ضميرها وتعفنت عقليتها فهي لا تهضم الإسلام ولا تصدق أن له مستقبلاً ، ولا تخلص للإسلام والمسلمين وهي الطبقة التي عرفناها في الهند والباكستان وفي تركية وإيران وسورية والعراق وهي ثمرة التربية السابقة ونتاج التعليم الذي أحسن المستعمرون الغربيون وضعه ودققوا في تجريده من الروح الإسلامية والتربية الدينية وهي طبقة متشابهة في العقيدة والعقلية لأن المرضعة واحدة .

أنكرت في مصر التفاوت الفاحش بين الطبقات في الثراء ومستوى المعيشة ووسائل الحياة ، إنه لا مانع من التفاوت ولكن وجود عدد ضخم من الفقراء الذين لا يجدون قوت يومهم وكسوة جسمهم ووجود أغنياء يتخمون بفضول أموالهم ومطاعمهم وملابسهم في مجتمع واحد وفي صعيد واحد ثم لا يرحم هؤلاء أولئك ولا يرثون لما هم فيه من فقر مدقع وجوع قاتل ولا ينفقون في سبيلهم العفو ، تفاوت لا يقره دين ولا يقبله عقل ولا عدل ، ووضع شاذ غير قابل للبقاء والاستمرار .

إن كل ذلك أو بعضه ، لاشك أنه من رواسب العصور المنحطة الأولى وعهد الاستعمار الأوروبي ، وإن الحركات الدينية والإصلاحية الصحيحة ووجود اليقظة الإسلامية خليق بمعالجة نواحي الضعف والعلل الاجتماعية ، وإن مصر لاشك تجيش بثورات دينية إصلاحية وتتمخض بعهد جديد للإسلام والعرب .

أما بعد فسلام على مصر وأهلها ، وتحية من زائر لقي في هذا البلد الإسلامي كل ما يتوقعه مسلم من عطف وكرم وحسن وفادة .

سورية

الإثنين ٢٠/٩/ ١٣٧٠هـ ـ ٢٥/٦/ ١٩٥١م .

من قارَّة إلى قارَّة

توجهنا بعد صلاة الصبح إلى مكتب شركة مصر للطيران بميدان إبراهيم باشا ومعنا السيد ياسين الشريف ، وتمت الإجراءات العادية ، وجاء الأخ عبد الله العقيل ، والأخ محمد الدمرداشي ، وأحمد العسال ، للتوديع ، وقد أكبرت همتهم وإخلاصهم ، فإن الوقت وقت النوم ، وتوجهت بنا الطائرة إلى دمشق في الساعة السابعة صباحاً ، وفي ساعتين انتقلنا على متن الريح من قارَّة إفريقية إلى قارَّة آسيا ودخلنا في حدود سورية ، وبعد ربع ساعة كنا في مطار المِزة بدمشق وهكذا انتهت هذه الرحلة الطويلة من غير أن نشعر بطول أو تعب ، فسبحان الله الذي علم الإنسان ما لم يعلم .

في دمشق

كنت سألت الأخ عبد النافع عن فنادق نظيفة متوسطة فأشار علينا بالنزول في فندق قصر الأندلس بالمرجة ، وكان اختياراً موفقاً . بقينا ننتظر سيارة الشركة التي تقلنا إلى مكتب الشركة في البلد إلى أكثر من ساعة وتأخرت السيارة حتى كانت المدة التي قضيناها في الانتقال من دمشق إلى دمشق أقل قليلاً من المدة التي قضيناها في الانتقال من إفريقية إلى آسيا ، وعلى كل فقد وصلنا إلى فندق قصر الأندلس وأخذنا غرفة واسترحنا قليلاً وصلينا الظهر .

الطقس جميل في دمشق وهو يشبه الفصل المعتدل في بلادنا إذ لا نشعر بالحر ولا بوهج الشمس ، والمدينة ظريفة هادئة تشعر بهدوء كبير وراحة بالنسبة إلى القاهرة الصاخبة الزاخرة .

في جامع الشيخ محيي الدين

أردنا أن نقابل صديقنا الجليل مولانا الشيخ أحمد كفتارو[1] في أول فرصة فسألنا رجال الفندق عن حي الأكراد فقالوا : تركبون ترام الشيخ محيي الدين وتزورون الشيخ وتسألون عن صاحبكم ، ولم يخطر ببالنا إلَّا أن الشيخ محيي الدين من مشاهير هذا البلد ، وبعد قليل انتقل ذهننا فجأة إلى الشيخ محيي الدين بن عربي الشيخ الأكبر ، وتذكرت أنه مدفون في دمشق وعجبت لشرود ذهني ، ونزلنا في الحي المنسوب إليه وقصدنا مسجده فإذا هو مسجد جميل عامر بالمصلين ، ورأينا الناس في انتظار الصلاة مشتغلين بالذكر والتلاوة وذلك قبل أذان العصر فشعرت بامتياز سورية في المحافظة على الدين وبقايا الحياة الدينية في هذا البلد ، ورأيت هذا المسجد مثل المساجد الأخرى التي بنيت على القبور ودفن فيها رجال من الصالحين فرأيت لوحة على الجدار فيها « يا شيخ محيي الدين » وهي معارضة صريحة لقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ١٨] .

وزرنا بعد صلاة العصر الشيخ محيي الدين فرأينا هذا البيت مكتوباً على الجدار :

أفلت شموس الأولين وشمسنا　　　أبداً على أفق العلا لا تغرب

وكان ذلك مثار العجب والاستنكار أيضاً .

في الجامع الأموي

طرقنا باب الشيخ أحمد كفتارو وسألنا عنه ، فقيل : هو في الجامع الأموي وله درس هناك ، وفرحت بهذه المصادفة فقد أراد الله أن لا نتأخر عن

---

(١) هو الداعية إلى الله الكبير سماحة الشيخ أحمد كفتارو ، المفتي العام للجمهورية العربية السورية ، ورئيس مجلس الإفتاء الأعلى ومجمع أبي النور الإسلامي بدمشق ، نذر نفسه وحياته من أجل إعلاء كلمة الله ، جاب أرجاء العالم ، شرقه وغربه ، داعياً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، تعرف عليه العلاَّمة الندوي أول مرَّة في مكة المكرمة إبان الحج ، وتوطدت بينهما الثقة والصداقة خلال هذه الزيارة لدمشق .

زيارة هذا الأثر الإسلامي العظيم الذي ما زلنا نقرأ عنه من أول عهدنا بالتاريخ الإسلامي ، وتوجهنا إلى السوق الحميدي ومشينا في أسواق مسقوفة حتى وصلنا إلى هذا الجامع العظيم ، وابتدرت أبصارنا إلى هذا البناء الشامخ ودخلنا من بابه الكبير ومررنا بصحنه الواسع حتى دخلنا في داخل المسجد ، وهنا رأينا حشداً كبيراً من المسلمين ما بين مصل وذاكر ، ومسبِّح ودارس ، ومتحدث ، وتمثلت لنا الحياة الأولى في العواصم الإسلامية الكبرى .

في درس الشيخ أحمد كفتارو

ومشينا إلى حلقة كبيرة جداً تضم مئات من الناس والمكبرة تذيع صوت الشيخ أحمد كفتارو ، وجلسنا نستمع وحانت من الشيخ التفاتة فرآني على بعد وعرفني فدعاني وأدناني إليه ، وعجبت من سرعة خاطره لأننا لم نتقابل بعد الحج وما عنده علم بتوجهي إلى دمشق ، واستمر الدرس نحو ساعتين وكان درساً في سورة البروج ، إلَّا أنه كان درساً دينياً عاماً يتناول الحياة كلها ، وأعجبني من الشيخ تطبيق الآيات على الحياة والتعرض للواقع والحاضر من غير اقتصار على المعاني العلمية والكليات ، وتنزله إلى مستوى الثقافة العامة والتحدث في لغتهم المحلية الدارجة وانتقد لا دينية المعارف في البلاد ونشوء الشباب على الجهل التام بالدين والغفلة عنه ، وتعرض لنكبة فلسطين وخوف المسلمين ـ إذا استمروا في سكوتهم وجبنهم ـ من أن يستولي اليهود ـ لا سمح الله على سورية ودمشق ويعتلي حبر من أحبارهم هذا المنبر العظيم ، وسرني أن نسبة الشباب وأبناء المدارس كانت طيبة في حلقة الدرس ، وبعد الدرس تصافحنا وتقابلنا وقال : قد طالت إقامتكم في القاهرة فقلت : وهل كان عندكم خبر بوجودنا في مصر ؟ قال نعم ، ومشى الشيخ ونحن معه عن سماطين من المسلمين والمصافحين والمودعين فكان منظراً يذكّر بما كان للعلماء من إجلال واحتفاء في الزمن السابق ، وتوجهنا إلى بيت الشيخ في حي الأكراد وأفطرنا وتعشينا وجلسنا نتحدث .

يوم الثلاثاء ٢١/ ٩/ ١٣٧٠هـ - ٢٦/ ٦/ ١٩٥١م

الشيخ محمد بهجة البيطار

سمعت اسم الشيخ محمد بهجة البيطار[١] الدمشقي من أستاذنا الشيخ تقي الدين الهلالي المراكشي[٢] ، وكان يظهر اسمه بين حين وآخر في المجلات العلمية والدينية وكنت أعرفه كعالم ضليع سلفي ، ثم سمعت أن تحرير المنار بعد وفاة صاحبها العلامة السيد رشيد رضا أسند إلى الشيخ بهجة البيطار وأنه سيقوم بتكميل تفسير المنار فكان الأستاذ من الشخصيات المعروفة والقريبة إلينا ، وكنا متتبعين للمنار وأصحاب مدرسته والمجمع العلمي وأعضائه ، لذلك سررت عندما كتب الوجيه الفاضل الشيخ محمد نصيف كتاب تعارف وتوصية إلى صديقه الشيخ بهجة وأردت اليوم - وهو يومنا الثاني في دمشق - أن أنتهز أول فرصة لمقابلة الشيخ بهجة ولكن لم نجده .

---

(١) هو العلامة الكبير الشيخ محمد بهجة البيطار الدمشقي الميداني ، كان مفسراً محدثاً ، إماماً في اللغة والنحو ، مؤرخاً أديباً ، تولّى مادة التفسير في جامعة دمشق مدة طويلة ، وأسهم في أعمال مجمع اللغة العربية التحقيقية بدمشق الّذي كان من أبرز أعضائه ، منها تحقيقه لـ « الموفي في النحو الكوفي » . تعرف عليه العلاّمة الندوي في هذه الزيارة لدمشق ، وتوثق بينهما ما يتوثق بين مؤلف شاب ومحقق محنك ، من صداقة وتقدير ، كما يظهر من تلك الرسائل التي وجّهها إليه (انظر رسائله الموجَّهة إلى العلاَّمة الندوي في « رسائل الأعلام » طبع في دار الصحوة القاهرة) . توفي رحمه الله بدمشق سنة ١٣٩٦هـ .

(٢) كان من كبار علماء العربية في هذا العصر ، وأصحاب التحقيق والإتقان في صحة الكلمات العربية وأصالتها وقواعد اللغة العربية ، ومن أقوى الناس إنكاراً على التعبيرات المستحدثة المنقولة من اللغات الأجنبية ، يكفي لإبراز مكانته في علوم اللغة العربية أنه كان الحكم الفصل بين العلامة رشيد رضا المصري صاحب مجلة « المنار » الغراء ، وصاحب البيان الأمير شكيب أرسلان إذا حدث خلاف بينهما في قضية من قضايا اللغة العربية وتعبيراتها .
درّس في ندوة العلماء أربع سنوات ، وتخرج عليه كبار العلماء في الدين واللغة . منهم العلاّمة الندوي .

زيارة الشيخ أبي الخير الميداني[1]

وقصدنا دار مولانا الشيخ أبي الخير الميداني رئيس رابطة العلماء ومعنا رسالة توصية وتعارف من سماحة المفتي الحاج أمين الحسيني ، ودخلنا داره وهي على الطراز التركي القديم وعلمنا أن الشيخ يصلي بالحريم وجاء الشيخ وهو رجل وقور منور الشيبة عليه سيما الصالحين ، وقدمنا إليه كتاب السيد أمين فرحب به وأثنى عليه خيراً وقرَّظ استقامته وإخلاصه .

في مركز الإخوان المسلمين

وزرنا مركز الإخوان المسلمين في سنجقدار ، ومعنا كتاب تعارف من سماحة المفتي أيضاً إلى الدكتور مصطفى السباعي[2] المراقب العام للإخوان المسلمين وأنا حريص على زيارته .

في جامع الدقاق

ذهبنا إلى جامع الدقاق لمقابلة الشيخ بهجة البيطار وحضور درسه وفجئنا بأن الشيخ لم يرجع بعد ، فحضرنا في درس تلميذه الشيخ عبد الرحمن الطيبي وكان موضوع الدرس الحض على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهنا

---

(١) كان واحداً من علماء الإسلام الأعلام ، كان مثالياً ، بعلمه ، وورعه ، وتسامحه ، وتقواه ، كان يتهافت الناس على دروسه التي يقدمها ، كان بحراً واسعاً في علمه واطلاعه ، وكان إلى جانب تضلعه من علوم الفقه والدين ، واللغة والنحو ، والبلاغة ، يتقن عدة لغات ، كان له أسلوب فريد في تعليم الطلاب وإفادتهم ، تخرج عليه نخبة من العلماء ، توفي رحمه الله بدمشق سنة ١٣٨٠هـ .

(٢) هو العالم المجاهد ، الخطيب الكاتب ، الزعيم القائد ، الدكتور مصطفى السباعي صاحب الكتاب المشهور « السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي » كان أستاذ الحقوق في جامعة دمشق ، وإليه يرجع الفضل في قيام كلية الشريعة في الجامعة ، كان من قادة حركة الإخوان ومرشدها العالم في سورية ، وكان من خطباء الشرق العربي المعدودين ، كان من أعزّ أصدقاء العلاّمة الندوي ، انتقل إلى رحمة الله سنة ١٣٨٤هـ .

قابلنا فضيلة الشيخ زين العابدين التونسي[1] وهو شقيق العالم الكبير الشيخ محمد الخضر حسين رئيس جمعية الهداية الإسلامية وعضو هيئة كبار العلماء في مصر .

في البرلمان السوري

وفي المساء صادفنا في الطريق الأخ توفيق الكنجي مع بعض أصدقائه ، وأخبرنا أنه حصل لنا تذكرتين لحضور جلسة البرلمان فرحبنا بذلك ، لأننا لم نحضر جلسة لبرلمان عربي إلى الآن ، ولم نسمع المناقشات الدستورية في اللغة العربية ، وكنت أريد أن أعرف مدى صلاحية اللغة العربية للبحوث الدستورية ونجاح أبنائها فيها ، وإن كنت اؤمن بسعة اللغة العربية ومرونتها وقابليتها لكل جديد ولكني كنت أحب أن أختبره فأراه عملياً .

حفلة دوحة الآداب

فاتني أن أذكر أني وردت دمشق والطبقات الدينية يشغلها حادث خاص والحديث عنه حديث المجالس ، وذلك أن مدرسة دوحة الآداب عقدت حفلة في قصر آل العظم وحضرته الطبقة الأرستقراطية في البلد ورجال الجيش وظهرت فيها البنات سافرات وجرى فيها الرقص وكانت حفلة داعرة متحللة ، ولكن سورية لطابعها الديني ومحافظتها لم تستطع أن تحتمل هذه الحفلة الماجنة ، فأنكرها أهل الغيرة الإسلامية والشعور الديني ، وحدث أن الأستاذ علي الطنطاوي ـ وهو قاض ـ كان يخطب في جامع الجامعة السورية ، وكانت

---

(١) عالم لغوي ولد بتونس لأسرة تعنى بالعلم ، وكان والده شيخ الطريقة الخلوتية ، أخذ عن علماء أجلاء بمسجد الزيتونة ، منهم أخوه محمد الخضر حسين (شيخ الأزهر فيما بعد) ، هاجر مع أسرته فراراً من حكم الإعدام الّذي أصدرته فرنسا على أخيه المذكور ، فنزل بدمشق ، واستقر في حيِّ الميدان ، حصل على شهادة مدرسة الآداب العليا من جامعة دمشق ، وبقي في التدريس حتى أحيل على التقاعد ، شارك بتأسيس « جمعية الدفاع عن إفريقية العربية » وكان عضواً بمجلس إدارتها ، وله كتب قيمة في اللغة والقرآن ، توفي بدمشق سنة ١٣٩٧هـ .

الإذاعة السورية تذيع حديثه ، فتناول هذا الموضوع وانتقد الحكومة واستمرت الإذاعة في نقل هذا الحديث ، واشتغلت أمواج الأثير تحمله إلى أنحاء الدنيا وهي لا تبالي ، فغاظ ذلك رجال الحكومة وحاسبوا الخطيب محاسبة شديدة وأحالوه إلى المحكمة وعزلوا مراقبة الإذاعة ، ومن هذا أصبح الحادث حديث البلد ، وتناولت الصحافة الدمشقية الشيخ علي الطنطاوي بالتجريح والتهكم والتنكيت ، وقام رجال الدين والعلماء ورؤساء الجمعيات الدينية بالدفاع عن الشيخ الطنطاوي وأبدوا موافقتهم وتأييدهم للشيخ ، وقد قدم أحد النواب سؤالًا بشأن هذه القصة ، فاليوم موعد البحث فيه والناس يتوقعون أن يحتدم النقاش ويحمى الوطيس ، وكانت الجمعيات الدينية خصوصاً الإخوان المسلمين يريدون أن يبدو استنكار الشعب لهذه المظاهر وموافقته للشيخ الطنطاوي ، فحاول رجالها أن يحضر هذه الجلسة أكبر عدد من العلماء ورجال الدين حتى يعرف النواب ـ ودائماً يدهم على نبض الشعب لا يريدون أن يخسروا تأييده وصداقته ـ أن الرأي العام لا يزال يهتم بالجانب الخلقي ، فحضر في الجلسة الشيخ محمد بهجة البيطار وبعض العلماء وتبادلنا التحية على بعد .

وابتدأت الجلسة في دار جميلة بنيت على الطراز الشرقي وتبوأ الدكتور معروف الدواليبي[1] مكان الرئاسة وأخذ المجلس في البحث إلى أن جاء دور المسألة التي أشرت إليها فارتفعت الأعناق وتفتحت الآذان .

كلمة الأستاذ محمد المبارك

وتقدم الأستاذ محمد المبارك[2] نائب دمشق ، وهو من أعضاء الجمعية

---

(١) أحد كبار أعلام سورية ، ومن أصدقاء العلاَّمة الندوي المقرَّبين ، اضطرَّ ـ مع عدد من زملائه وأصدقائه ـ إلى مغادرة سورية ، وهو عند كتابة هذه السطور في الرياض (السعودية) أطال الله بقاءه ونفع به .

(٢) كان من صفوة المفكرين الإسلاميين الغيارى على الإسلام ، ومن الأدباء الراسخين في فقه اللغة العربية وآدابها ، درس الحقوق في جامعة دمشق وسافر إلى باريس وأتقن اللغة الفرنسية ، ودرس الأدب والاجتماع ، ودرس في جامعة دمشق في كلية =

الاشتراكية الإسلامية التي يرأسها الدكتور مصطفى السباعي ، فتلا كلمة قيمة قوية مدعمة بالبراهين ، كتبت في أسلوب علمي أدبي في اللغة البرلمانية في أهمية الأخلاق في حياة الشعوب ، وتمسك المجتمع العربي القديم والجاهلية العربية بالمبادىء الخلقية ، وحاجة المسلمين وخصوصاً الشعوب العربية وهي أمام الخطر الصهيوني وفي ساحة القتال إلى التمسك بالأخلاق والتماسك والتربية المتينة ، ومقاومة كل ما يضعف فيها روح الرجولة والكرامة والفتوة ، وقد قوبلت هذه الكلمة باستحسان وإعجاب كبير ، خصوصاً ممن كانوا في صف الزائرين والمستمعين ، وألقى الشيخ السباعي كلمة وجيزة لائقة بالظروف المحيطة بالقضية ، ولم يقع ما كان ينتظر من الرد على هذه الكلمة والدفاع عن الحكومة ، ويقال إن المعارضين رأوا رجال الدين والعلماء في صف المستمعين وعرفوا استياء الشعب من هذه المظاهر ، ومشاركته للشيخ الطنطاوي وأنصاره ، فتراجع هؤلاء وفضلوا السكوت ، وأبدى رئيس المجلس لباقته البرلمانية ، فأهدأ الثائرة ، ونصح الحكومة بالرفق والحكمة ونصح المجلس بالانتظار وتأجيل البحث ، وهكذا برد الجو الذي كان قد تكهرب بالسخط .

جدارة اللغة العربية للمناقشات البرلمانية ومقدرة النواب

ولاحظت أن مناقشة النواب وكلماتهم لا تقل في قوتها وتركيزها وفصاحة لغتها عن مناقشات أي برلمان يبحث أعضاؤه في اللغة الإنجليزية ، فقد شهدت بعض جلسات مجلس التشريع في بلادنا ، فرأيت أن اللغة العربية قد أثبتت جدارتها ، وأن النواب العرب قد أثبتوا كفاءتهم ومقدرتهم البرلمانية ،

= الآداب ، ثم أصبح عميداً لكلية الشريعة فيها ، ومارس السياسية وخاض معركة الانتخابات ، وعيِّن وزيراً للأشغال والمواصلات والزراعة ، وألجأته أحداث سورية الأخيرة إلى مغادرة الوطن واللجوء إلى السعودية حيث تعين أستاذاً في جامعة الملك عبد العزيز ، له كتب قيمة ، منها « الفكر الإسلامي الحديث » و « نظام الإسلام » و « المجتمع الإسلامي المعاصر » وكان صديقاً حميماً للعلاَّمة الندوي ، توفي بالمدينة المنورة سنة ١٤٠٢هـ . رحمه الله تعالى وأثابه .

وأعجبت بكلمة الرئيس وأجوبة رئيس الوزراء خالد العظم فكانت مركزة ، هادئة ، لبقة وأظن أن لغة النواب السوريين أقرب إلى الفصحى والبعد عن اللهجات المحلية من النواب المصريين ، مع أني لم أحضر جلسة للبرلمان المصري .

مقابلة علماء دمشق

وخرجنا وصادفنا في الطريق الشيخ بهجة البيطار ، ومعه الشيخ محمد أحمد دهمان(١) رئيس الدراسات الإسلامية وهو من كبار علماء دمشق ، والطبيب محمد أبو اليسر عابدين(٢) وهو من بيت الفقيه الحنفي السيد ابن عابدين المشهور ، والشيخ محمد سعيد برهاني(٣) وقابلت الشيخ محمد بهجة البيطار ، وعرفنا بعضنا بعضاً .

---

(١) مؤرخ محقق ، تعلق بعلم التاريخ المملوكي والعثماني ، وعُني بآثار دمشق ، أنشأ مكتبة الدراسات الإسلامية ، فأخذ هو وطائفة من العلماء يلقون فيه محاضراتهم ، وأصدر مجلة « المصباح » العلمية التاريخية فلم تنتشر ، وله مؤلفات قيِّمة وتحقيقات رائعة في التاريخ ، توفي بدمشق سنة ١٤٠٩هـ .

(٢) هو المفتي العام السابق للجمهورية العربية السورية ، ولد بدمشق في أسرة علم وفتيا ، وأخذ عن والده مفتي الشام وغيره ، وسلك في الطريقتين النقشبندية والخلوتية ، درَّس بكلية الحقوق في الوقت الّذي كان فيه طالباً بالمعهد الطبي العربي ، وتخرج فيه ، وأتقن الفرنسية والتركية وألمَّ بالإنكليزية وتعلم الفارسية ، شارك بالثورة السورية بماله ونفسه ، وساهم بتأسيس الكلية الشرعية في جامعة دمشق مع الدكتور مصطفى السباعي ، انتخب مفتياً عاماً للجمهورية ، وكانت له مواقف مشهودة أمام أولي الأمر وله مؤلفات عديدة ، ترك فتاوى نادرة ولاتزال محفوظة بدائرة الإفتاء بدمشق ، توفي رحمه الله بدمشق سنة ١٤٠١هـ .

(٣) أحد كبار الصوفية بدمشق ، عمل في التدريس مدة طويلة ، له تعليقات على كتب كان يطالعها أو يرجع إليها ، ورسائل صغيرة أكثرها بخطه في موضوعات مختلفة ، توفي بدمشق سنة ١٣٨٦هـ .

الأربعاء ٢٢/ ٩/ ١٣٧٠هـ ـ ٢٧/ ٦/ ١٩٥١م .

في دار الشيخ بهجة البيطار

توجهنا إلى دار الشيخ محمد بهجت البيطار ، وجلسنا عنده نتحدث ونتذاكر .

حديث عن شيخ الإسلام ابن تيمية

وانتقل الحديث إلى شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية رحمه الله والشيخ البيطار من كبار المطلعين على مؤلفاته وآرائه . فذكر ملخص الافتراءات عليه ودحضها بدلائل تاريخية وعلمية ، منها ما ذكر ابن بطوطة في رحلته أنه سمع ابن تيمية يخطب على منبر الجامع الأموي في دمشق ، وينزل من درجة إلى درجة ويقول هكذا ينزل الله تبارك وتعالى ، وقال إن ابن بطوطة لم يصادف ابن تيمية في دمشق فقد كان دخول ابن بطوطة في دمشق في شهر رمضان سنة ٧٢٦هـ وكان شيخ الإسلام قد دخل السجن في شعبان في نفس السنة ، ولم يكن ابن تيمية في يوم من الأيام خطيب الجامع الأموي ، وإنما كان خطيب الأموي في عصره الشيخ جلال الدين القزويني ، فما هو إلَّا وهم من ابن بطوطة أو غلط ، ويؤيد ذلك أن الرحلة إملاء لا وضع ، وتعجب الشيخ من قول الشيخ زاهد الكوثري إن الأمير خربنده تشيَّع لشدة ابن تيمية ، مع أن الحكاية أن خربنده طلق امرأته ثلاثاً ، وندم بعد ذلك أشد الندم ! فسأل العلماء هل : له من مخرج ؟ فقالوا : كلا ! لقد بانت امرأتك ولا تعود إلَّا بحلالة ونكاح ، وصادف الأمير خربنده ابن المطهر الحلي الفقيه الشيعي المشهور ، فقال : هي واحدة والطلاق رجعي ، وأنا أثبت ذلك من السنة ، فقال : هل تستطيع أن تناظر أهل السنة ، قال نعم ، فجمعهم وناظرهم ابن المطهر ، وأفحمهم ، وتشيع خربنده فما ذنب ابن تيمية في هذا ؟ واتفقت كلمتنا على أن كتب شيخ الإسلام لا تزال مادة غزيرة إلى هذا العصر ، ولا تخلو من جدة ومسايرة للتطور العقلي مع تقدم زمانها ، وصالحة لإقناع كثير من العقول العصرية ، وذلك لتمسك ابن تيمية رحمه الله بأصول الدين ، ولأنه تمسك

بأطراف الدين ، قال الشيخ بهجت البيطار : حدثني بعض علماء الأزهر قالوا : درسنا كتب التوحيد في الأزهر فنشأت في نفوسنا شكوك وشبهات وكدنا نخرج من الإسلام ، إلَّا أننا طالعنا كتب شيخ الإسلام فغرست الإيمان في قلوبنا من جديد وقلت له : يبدو للناظر لأول وهلة أن المعتزلة أرق وألطف في فهم الدين ، وأنهم من العقليين ، ولكن يثبت للمدقق والراسخ أنهم كانوا في دور الطفولة العقلية في الإسلام ، فإن أفكارهم فجة غير ناضجة وإن المحدثين أكثر توفيقاً ورسوخاً في العلم وآراؤهم أقرب إلى العقل بعد التحقيق من آراء المعتزلة ، قلت : وقد قلت للدكتور أحمد أمين بك بصراحة إنكم أعطيتم المعتزلة في كتابيكم فجر الإسلام وضحى الإسلام أكثر من حقهم ، قال الشيخ : وقد سألته في زيارته لدمشق ما هي أقرب الفرق الإسلامية إلى الصواب في نظركم ؟ فتروى قليلاً ثم قال : المعتزلة ، قلت : لقد ظل الانتصار للاعتزال والمعتزلة والانحياز إليهم رمزاً للتنُّور الفكري والعقلي زمناً طويلاً في بلاد الإسلام حتى وجدت في أوربا مدارس جديدة للفلسفة قللت من قيمة العقل المجرد وحدت من سلطانه ، ففقد الاعتزال كثيراً من نفوذه وسحره .

آثار حكم الفرنسيين في دمشق

قمنا بزيارة المجمع العلمي كما تقرر بالأمس ، وركبنا الترام ثم نزلنا نمشي في أسواق دمشق ، ومررنا بشارع يسمى « الحريقة » حكى لنا الشيخ بهجة البيطار قصته أنه كان من أفخر أحياء دمشق وكان مركزاً لأسرة القوتلي وعظماء دمشق وكان هدفاً لإصابات الفرنسيين ورصاصاتهم ، حتى وقعت حرائق كثيرة وخرب الشارع بما فيه من بيوت ومنازل ، وكان الناس في حصار ، وكان الفرنسيون لا يميزون بين رجل وامرأة وصغير وكبير ، وقال لقد كانوا وحوشاً أخروا البلاد مدة طويلة وكانوا في مستعمراتهم لا يمثلون أبداً أنه دعاة الثورة الفرنسية والحرية والمساواة .

في دار المجمع العلمي

ووصلنا إلى المجمع العلمي ووجدنا هناك الأستاذ الكبير الشيخ عبد القادر

المغربي[١] نائب رئيس المجمع والأستاذ خليل مردم بك[٢] ، وقد عرفتهما من أيام الطلب بمقالاتهما ورسائلهما ، فقد كانت جمعية الإصلاح ـ وهي نادي اتحاد الطلبة في دار العلوم ـ مشتركة في مجلة المجمع ، وقد قابلناهما وجلسنا نتحدث عن المسلمين في الهند ، وأهديت إلى مكتبة المجمع نسخة من الجزء الأول من نزهة الخواطر للسيد الوالد رحمه الله ، ودخلنا في مكتبة المجمع ووجدنا هناك تمثالاً لأبي العلاء المعري ، وقد تسلطت الأصنام على سادتنا العرب مرة أخرى ، وعادت باسم التذكار والعلم والتاريخ ..

المكتبة الظاهرية

والمجمع العلمي في بناء المدرسة العادلية الكبرىٰ وهي بناء ضخم مشيد وكان اختياره للمجمع العلمي اختياراً مناسباً[٣] ويقابل هذا البناء المكتبة

---

(١) كان من أعلام اللغة ، وعمالقة العلم والإصلاح ، ورواد الاجتهاد ، والنشاط ، والعمل الدؤوب . وصفوا حياته بأنها « أمة من العلماء ، وجيل من المجتهدين » قال عنه الدكتور طه حسين إنه « أقوى من القوة في الحق ، وأصلب من الصلب في الدفاع عن العرب والإسلام » .
ولد في مدينة اللاذقية في سورية ، ورحل إلى بيروت ، فتلقى العلم فيها ، ثم رحل إلى الآستانة (تركية) والتقى عدداً من رجال الفكر والعلم ، في مقدمتهم السيِّد جمال الدين الأفغاني ، ووثَّق صلته به ، حين تأسس المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية حالياً) في العام ١٩١٩م ، كان واحداً من مؤسسيه الثمانية (وهم الأستاذ محمد كرد علي ، الأستاذ أمين سويد ، الأستاذ سعيد الكرمي ، الأستاذ عز الدين التنوخي ، والأستاذ متري قندلفت ، والأستاذ عيسى إسكندر المعلوف ، والأستاذ أنيس سلوم) . انتخب نائباً لرئيس المجمع عام ١٩٤١م ، وظلَّ يشغل هذا المنصب إلى أن انتقل إلى جوار ربه في سنة ١٩٥٦م . ترك عدداً كبيراً من المؤلفات والدراسات ، وكلها تدور في فلك اللغة والاجتماع والأخلاق والدين .

(٢) هو الأديب المحقق الناقد الأستاذ خليل مردم بك رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق ، وصاحب بحوث وتحقيقات أدبية ، نقدية شعرية قيمة تعرف عليه العلاَّمة الندوي خلال هذه الزيارة . فتوثقت العلاقات بينها حين زار العلاَّمة الندوي دمشق عام ١٩٥٦م ، كأستاذٍ زائر في جامعة دمشق ، توفي بدمشق سنة ١٣٧٩هـ .

(٣) والمدرسة العادلية المنسوبة إلى الملك العادل ابن السلطان صلاح الدين وهو مدفون =

الظاهرية نسبة إلى السلطان الظاهر بيبرس المدفون فيها ، وهي مكتبة دمشق الكبرى ومن أغنى مكتبات الشرق الأوسط في مخطوطات المؤلفين الكبار كالحافظ ابن حجر العسقلاني وشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني والحافظ ابن عساكر الدمشقي والذهبي وغيرهم .

من نفائس المكتبة

ومن أقدم ما تحتوي عليه هذه المكتبة كتاب مسائل الإمام أحمد للإمام أبي داود السجستاني صاحب السنن وترجع كتابتها إلى سنة ٣٦٥ . ومن نفائس هذه المكتبة كتاب الكواكب الدراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري لابن عروة الحنبلي .

والكتاب على خلاف ما يشعر اسمه يكاد يكون دائرة معارف إسلامية أصله ١٢٠مجلداً والباقي في المكتبة ٤٤ مجلداً ولكنها مفرقة ، ومن هذا الكتاب استخرجت رسائل كثيرة لابن تيمية رحمه الله طبعت مفردة ككتاب الوسيلة وتفسير المعوذتين وتفسير سورة الإخلاص وتفسير سورة النور وغيرها ، وفي المكتبة دار واسعة للمطالعة في الدور الثاني ، وقابلنا مديرها وهو رجل فاضل مطلع ومعتن بالآثار العلمية .

على قبر السلطان صلاح الدين

خرجنا من المكتبة الظاهرية وتوجهنا إلى جهة الجامع الأموي ، وقبل أن ندخل فيه زرنا ضريح شرف الإسلام والمسلمين ناصر الملة والدين الغازي صلاح الدين الأيوبي الذي بيض الله به وجه الإسلام والمسلمين ، ورفع رأسهم عالياً ورد غارة الصليبيين وكسر شوكتهم . وقفنا أمام باب المقبرة وقفة واستحضرنا مآثره الكبرى وجلالة عمله الخالد ، وذكرنا وقعة حطين التي

= فيها في القاعة التي فيها المكتبة وفي هذه العادلية وضع ابن خلكان تاريخه المشهور ، وعلى باب العادلية كان يقف ابن مالك النحوي ويدعو الناس لحضور درسه : هل من متعلم ؟ هل من مستفيد ؟ وفي العادلية نزل ابن خلدون .

قضت على الصليبيين وكانت فتحاً للإسلام تضاءلت أمامه الفتوح ، وأثنت عليه الملائكة والروح ، وتمثلت ببيتي الزركلي على لسان فلسطين الشهيدة وأهلها :

هاتي صلاح الدين ثانية فينا
وجددي حطين أو شبه حطينا

وأنا من قديم الزمان أحمل للسلطان الشهيد نور الدين الزنكي والغازي صلاح الدين الأيوبي من الإجلال والاحترام ما لا أحمل لملك من ملوك الإسلام وأتقرب إلى الله بحبهما والدعاء لهما .

دخلنا إلى قبر المجاهد العظيم الذي انتصر لمحمد ﷺ وأدخل السرور على روحه وغضب لدينه وحفظ للإسلام شرفه وبيته المقدس ، وللأمة الإسلامية كرامتها وحريتها . وترحمت عليه ودعوت الله له ، وأخبرني الرفاق أن جنرال « غورو » الفرنسي لما جاء وفتح سورية جاء إلى ضريح السلطان وركله برجله وقال : إلى متى يا صلاح الدين تبقى نائماً ؟ هاقد حضرنا هنا وفتحنا سورية . ولا يستبعد ذلك من طيش الفرنسيين وكبر الأوروبيين ، ولكن كما قال الشاعر :

« كذاك الحي يغلب ألف ميت » .

قبة النسر

ومن هناك قصدنا الجامع الأموي وصلينا فيه الظهر ، ولما مررنا تحت قبة النسر ذكر الشيخ بهجة البيطار أنه كان من عادة البلاد أنه لم يكن يدرس تحتها إلَّا أكبر عالم من علماء دمشق ، وكان السيد بدر الدين الحسيني محدث دمشق المعروف يدرس قريباً منها ولا يدرس تحتها ، ثم اجترأ الناس وصار يدرس تحتها كل أحد .

في دار الحديث

وخرجنا من الجامع الأموي وزرنا في طريقنا دار الحديث التي كان يدرس

فيها الإمام النواوي ، والتي يقول فيها الشيخ تقي الدين السبكي :

وفي دار الحديث لطيف معنى إلى بسط لها أصبو وآوي
لعلي أن أمس بحر وجهي مكاناً مسه قدم النواوي

مع الأستاذ الأميري

وفي الطريق ذكر لنا الأخ عبد الرحمن الباني[١] أن الأستاذ عمر بهاء الأميري[٢] وزير سورية المفوض في الباكستان نازل في فندق سميراميس بالمرجة ، فذهبنا نزوره وسررت بهذه المفاجأة ، لأني لم أكن أتوقع وجوده في سورية فضلاً عن دمشق . دخلنا في غرفته وقلت له : هل عرفتني ؟ فقال : كيف لا وقد تقابلنا في مكة مراراً ؟ وأخذنا في الحديث ، وأبدى الأخ عبد الرحمن رغبته في محاضرة ألقيها في الجامعة السورية .

الأربعاء ٢٣/ ٩/ ١٣٧٠هـ ـ ٢٨/ ٦/ ١٩٥١م .

زيارات كريمة

جاء الشيخ محمد بهجت البيطار وأخذنا بأطراف الأحاديث . والشيخ البيطار فكه المحاضرة عذب الحديث عالم خفيف الروح لا يمل حديثه ، ولم أر بعد أستاذنا الشيخ تقي الدين الهلالي أفصح لغة وأفصح عربية منه .

---

(١) كان مدرساً في كلية المعلمين بدمشق ، كان يرافق العلاَّمة الندوي ويُساعده في الوصول إلى الناس وزيارتهم .

(٢) أحد كبار الشعراء الإسلاميين في عصرنا الحاضر ، ولد بحلب وقال الشعر وعمره تسع سنوات ، شارك في جيش الإنقاذ على أراضي فلسطين ، وعيِّن وزيراً مفوَّضاً في باكستان والسعودية ، رحل إلى السعودية فتوطنها ، ودرَّس بجامعة محمد الخامس بفاس (المغرب) سافر أستاذاً زائراً إلى كثير من جامعات البلاد العربية والإسلامية ، وانتخب عضواً في المجمع الملكي ومجمع بغداد ، كان صديقاً حميماً للعلاَّمة الندوي وكان يعطف عليه كثيراً ، توفي سنة ١٤١٢هـ .

أربعة كتب مختارة في نظر الأستاذ محمد المبارك

وبعد قليل جاء الأستاذ محمد المبارك صاحب الكلمة المقبولة في جلسة البرلمان السوري يوم الثلاثاء ، وقد حضر أمس ولم يجدنا ، وهنأته على كلمته القوية الجريئة ، فقال : لقد كانت مستمدة من كتابكم « ماذا خسر العالم » وهذا يدل على تواضعه ، وإلَّا فقد كانت الكلمة مستقلة مستمدة من الإيمان القوي والثقافة الإسلامية ، وقال مخاطباً للشيخ : بصحبتي أربعة كتب ظهرت حديثاً كانت زيادة حسنة في المكتبة الإسلامية العصرية وهي كتاب « العدالة الاجتماعية في الإسلام » لسيد قطب و « الإسلام على مفترق الطرق » لمحمد أسد و« ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » وأما الكتاب الرابع فليس في درجتها وهو « الرسالة الخالدة » لعزام باشا ، أما « الإسلام على مفترق الطرق » فموجز ومركز جداً وأما العدالة الاجتماعية فمبسط في ناحية خاصة وأما كتاب « ماذا خسر العالم » فهو أبسط الكتب . ولقد كنا في أول عهدنا نقرأ كتب الأستاذ فريد وجدي وغيره في الدفاع عن الإسلام ، وكانت هذه الكتب مبنية على استدلال واستشهاد بأقوال الأوربيين ولكن كتاب « ماذا خسر العالم » جاء يفند الحضارة الأوربية بنفسها ويزيف مقاييس الأوربيين .

مع الشيخ أحمد كفتارو

اتصل مولانا الشيخ أحمد كفتارو بالتلفون وأخبرني أنه قادم إلى الفندق بعد قليل ، ويريد أن يأخذنا إلى غوطة دمشق للتفرج عليها واعتذر بأشغاله عن عدم الزيارة والإيناس. وحضر بعد قليل وجلس ساعة وتكلم عن مناهجه وآرائه وخدمة الدين في هذه البلاد ، فكان حديثاً مفيداً وتبادلنا الآراء في الموضوع .

آراء الشيخ في الإصلاح

ويرى الشيخ أحمد أفندي ـ وقد عرفت ذلك منه في الحجاز ولا يزال على رأيه ـ أن أقرب طريق وأنجح وسيلة لإصلاح الأوضاع الفاسدة وتطبيق الدين في المجتمع والحياة هو التأثير في رجال الحكومة الذين بيدهم أزمة الأمور

والسلطة التنفيذية ، وذلك عن طريق الاتصال بهم والمقابلات الشخصية وإيجاد الثقة فيهم ، وأن ما يكتب من النجاح في عام عن طريق الدعوة العامة يكتب في أسبوع أو أقل من ذلك عن طريق هؤلاء ، وله خطة ومنهاج في الإصلاح يعتقد أنه إذا نفذ اتجهت البلاد بأسرها اتجاهاً دينياً وهو إصلاح المعارف وتوجيهها الإسلامي ، وإصلاح الإذاعة وإصلاح السينما ورقابة الأفلام وتربية أئمة المساجد ، وهو قوي الأمل عظيم الثقة بتأثير هذه الوسائل العصرية في توجيه الشعب ، والشيخ أحمد عالم مثقف مطلع ناضج العقلية واسع آفاق الفكر نشيط في عمله ، وقد تمكن فعلاً في حكومة سابقة باتصاله برئيس الجمهورية من إلغاء البغاء الرسمي ـ وحكي لي أنه اجتمع برئيس أركان الحرب الحالي وهو الحاكم العسكري للبلاد وتحدث معه ساعة وقال له : تستطيع أن تكون زعيماً للبلاد العربية كلها بل للعالم الإسلامي كله إذا هيأت لنفسك الزعامة الإسلامية واحتضنت خدمة الإسلام ، وكانت نتيجة هذا الحديث أنه طلب من فضيلة الشيخ أن يقدم إليه مقترحاته في توجيه البلاد وبرنامجه للإصلاح .

وقال لنائبه أن يسمح له بالحضور والاجتماع في كل وقت ، وأن يأخذ تقريره ويقدمه ، ولكن الحادث الأخير الذي كان فيه العلماء معسكراً واحداً إزاء الحكومة أحدث شيئاً من الجفوة وعرقل سيره .

في غوطة دمشق

وبعد ذلك خرجنا مع الشيخ أحمد أفندي في سيارته إلى الغوطة ، وأعجبني أن الشيخ رغم كونه شيخ طريقة وعالم البلد المعروف يقود سيارته . ونزلنا في ببيلا قرية في الغوطة في بيت الشيخ عبد الحكيم خطيب جامع القرية ، وعلمنا أن الغوطة واسعة جداً ، تمتد نحو خمسة عشر كيلو طولاً وعرضاً والأنهار تخترقها ورأينا في البيت الذي نزلنا فيه نهراً يجري في البيت ، ماءه بارد جداً توضأنا منه .

ثم خرجنا إلى قرية يلدا ونزلنا في بستان كبير لبعض أصدقاء الشيخ وتفرجنا على أشجار الزيتون والمشمش والجوز والعنب والرمان والتين

والتفاح ، ولم أكن رأيت أشجار الزيتون والمشمش من قبل ، ونحن في هذه الأيام في أوان المشمش .

تطورات وأحداث في سورية

وهنا تحسن الإشارة إلى بعض التطورات والأحداث السياسية في سورية حتى نعرف وضع البلاد . إن سورية في مدة قصيرة لا تزيد على عامين شاهدت ثلاث ثورات عسكرية . الثورة الأولى ثورة حسني الزعيم ضد حكومة شكري بك القوتلي ، والثانية ثورة سامي الحناوي ضد حكومة حسني الزعيم ، والثالثة ثورة الجيش الأخيرة ضد حكومة سامي الحناوي ، ولا تزال سورية تحت الحكم العسكري فرغم أن هاشم بك الأتاسي هو رئيس الجمهورية وخالد العظم هو رئيس الوزراء ولكن المسيطر الأعلى هو العقيد أديب الشيشكلي رئيس أركان الحرب ، وقد سألت الثقات عن رجال الحكومات السابقة وأسباب الثورة ، فقالوا كان شكري بك القوتلي رجلًا متديناً ولكنه كان ضعيفاً ، ولم تكن ديانته متعدية ذات نفوذ في الدولة ، أما سبب الثورة فهو أنه أراد عزل حسني الزعيم من قيادة الجيش ، ولكن قبل أن يصدر الأمر بالعزل بليلة قام حسني الزعيم بالانقلاب ، وكان رجلًا قوياً صاحب صرامة ، فأمل الناس فيه آمالًا كبيرة ورجا بعض الناس أنه الرجل المنتظر الذي ينقذ فلسطين ويحفظ لسورية كرامتها ومكانتها ولكنه تغير واستبد ومال إلى البذخ وانغمس في الترف واتهم بممالأة بعض الدول الأجنبية ، وقام الجيش بثورة ثانية وكان سامي الحناوي آلة صماء في يد الجيش ولم يكن صاحب الفكرة في الثورة ومصدرها وكان رجلًا طيباً يحترم الدين ورجاله ، يقول الشيخ أحمد كفتارو إنه كان يوم العيد في بيته بحي الأكراد فإذا بسامي حناوي وهو الحاكم العسكري على الباب ودخل وجلس نصف ساعة ، وقد قتله أحد أقارب الدكتور محسن البرازي رئيس الوزارة في حكومة حسني الزعيم في منزله أو منفاه في بيروت وحدث الانقلاب الثالث ولا يزال الحكم الحقيقي في يد الجيش وهو الذي يعزل وينصب فقد كان الدكتور ناظم القدسي رئيس الوزارة ولكن سياسته لم توافق رئيس أركان الحرب فحدث التعديل في الوزارة ، وجاء خالد العظم ،

وإن بقاء الجيش في الحكم وتحكمه في سياسة البلاد وإدارتها يجعل الأمور غير مستقرة ، ويخوف كثيراً على مستقبلها ، وهو سبب أيضاً من أسباب اندفاع البلاد إلى التحلل الخلقي .

شعور الناس في سورية نحو قضية فلسطين

وجدت في الناس موجة قوية من الاستياء والتألم من قضية فلسطين وضياعها ، ورأيت سخطاً عاماً على الجامعة العربية وعدم الثقة بها وبالحكومة في شأن فلسطين وقلما يخلو مجلس من ذكر مأساة فلسطين وتقصير الحكومات العربية في شأنها ، ولما أصاب العرب بسبب ذلك من الذل والانكسار ، وما لحقهم من الخزي والعار .

الجمعة ٢٤/ ٩/ ١٣٧٠هـ ـ ٢٩/ ٦/ ١٩٥١م .

الجمعة في الجامع الأموي

صلينا الجمعة في الجامع الأموي . وكانت الخطبة قيمة تتناول موضوع المحافظة على الأخلاق ومعنى الغيرة وتنظر إلى حادث دوحة الآداب من طرف خفي وألقى الأستاذ محمد مبارك كلمة في معناها بعد صلاة الجمعة وكانت مثالاً للَّباقة والحزم .

أفطرنا اليوم وتعشينا في ضيافة السيد عبد الرحمن الباني في مطعم فاخر ، ورأينا عدداً كبيراً من الصائمين يفطر في المطعم ولم نر مثله في بلد، وكان معنا في الفطور الأستاذ أحمد بك مظهر العظمة[1]، صديق الأستاذ الباني، وبعد

---

(١) باحث شاعر، ولد بدمشق لأسرة تركمانية الأصل، عمل بالمحاماة، ثم دعا لتأسيس جمعية التمدّن الإسلامي بدمشق وكان رئيسها ، سافر إلى العراق للتدريس ، اختير وزيراً للزراعة (في سورية) ثم أضيفت إليه وزارة التموين مع الزراعة ، كان حسن الصوت وخطيباً مصقعاً ، له أكثر من عشرين مؤلفاً مطبوعاً ، ومن أشهرها « تفسير أجزاء من القرآن الكريم » و« خواطر في الأدب ودراسة نصوصه ونقدها » و « الإسلام ونهضة الأندلس » و « من إعجاز القرآن الكريم » توفي بدمشق سنة ١٤٠٣هـ .

الفطور خرجنا لزيارة صديقنا الأستاذ محمد كمال الخطيب صاحبنا في الحج .

مقابلة الأستاذ محمد كمال الخطيب

ومررنا في طريقنا إلى بيته بقبر السلطان نور الدين الشهيد عليه رحمة الله وزرنا الأستاذ الخطيب وتحدث معنا ساعة .

ذهبنا إلى مركز الإخوان وقد اجتمع الإخوان للتراويح ، وألقيت كلمة في الحض على قيام الليل وتأثيره في أعمال النهار وفضله في قوة الدعاة ونشاطهم.

بدا لنا أن ننتهز أيام رمضان الأخيرة ونقضيها في المسجد الأقصى المبارك ، فمن يدري هل تسنح لنا فرصة زيارة القدس ، والتمتع به أوْ لا ؟ فتهيأنا للسفر وأعددنا له عدته .

الأحد ٢٦/ ٩/ ١٣٧٠هـ - ١/ ٧/ ١٩٥١م .

بين دمشق وعمان

توجهنا صباحاً في الساعة التاسعة إلى عمان وجاء الشيخ عبد الوهاب الصلاحي والأستاذ عبد الرحمن الباني والأستاذ أبو عزة والأخ السيد محمود الحافظ يودعوننا وتوجهت السيارة ومررنا بدرعا (وهي أذرعات المعروفة في التاريخ) ورمثة والزرقاء حتى وصلنا عمان ظهراً وصلينا الظهر والعصر في جامع البلد ، وهو مكتظ باللاجئين ووجدنا أحد العلماء يلقي درساً .

من عمان إلى القدس

وركبنا سيارة صغيرة وتوكلنا على الله والسيارة تسير بنا على جدد الجبال والطرق تلتوي وتدور كالحيات، ومررنا بالقرب من البحر الميت أو بحيرة لوط ويقولون : إنها بمقربة من قرية سدوم التي كان يسكنها قوم لوط وقد تكونت هذه البحيرة من هذه القرية المعذبة المقلوبة ، وصدق الله العلي العظيم ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ [الحجر : ٧٦] ، ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالَّيْلِ أَفَلَا

تَعۡقِلُونَ ﴾[1] [الصافات : ١٣٧ ـ ١٣٨] والأرض بين عمان والقدس منخفضة في بعض المواضع حتى لتساوي سطح البحر ومررنا بنهر الأردن الذي قد يسمى بنهر الشريعة وهو الفاصل بين شرق الأردن وفلسطين وكلما دنونا من القدس شعرنا بارتفاع وتغير خفيف في الطقس حتى دخلنا مع غروب الشمس في الأرض المقدسة التي بارك الله فيها وحولها .

في المسجد الأقصى المبارك

ونزلنا عند باب الزهرة وقصدنا زاوية الهنود ووضعنا حوائجنا في حجرة وصلينا المغرب ويممنا المسجد الأقصى المبارك في دلالة أحد خدم الزاوية والليل ظلام والأنوار ضعيفة لا نتبين الآثار جيداً ، ومررنا بالصخرة حتى دخلنا في المسجد الجنوبي إلى جهته القبلية الذي يسمى الآن المسجد الأقصى ، وإن كان كل ما هو داخل السور هو المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله ، وعلى كل فقد دخلنا المسجد وصلينا العشاء والتراويح ، وفي الرجوع سمعنا أن سعادة الشيخ محمد صادق المجددي وزير أفغانستان المفوض في مصر ، مقيم في بعض حجرات المسجد معتكف فدخلنا عليه وسلمنا ورجعنا إلى محلنا ونحن متعبون .

الإثنين ٢٧/ ٩/ ١٣٧٠هـ ـ ٢/ ٧/ ١٩٥١م

زرنا الشيخ الأنصاري شيخ الزاوية الهندية ثم توجهنا إلى المسجد وظللنا طول النهار في المسجد وطاب لنا العكوف فيه واستشعرنا سكينة وهدوءاً .

في ضيافة سعادة الشيخ محمد صادق المجددي

ولما انصرفنا عنه لصلاة المغرب إذا بالأخ صبغة الله حفيد سعادة الوزير الأفغاني ينتظرنا ويخبرنا أن سعادة الوزير في انتظارنا للعشاء ، حضرنا العشاء

---

(١) قال الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء : أعتقد أن البحر الميت المعروف الآن ببحر لوط أو ببحيرة لوط لم يكن موجوداً قبل هذا الحادث وإنما حدث من الزلزال الذي جعل عالي البلاد سافلها وصارت أخفض من سطح البحر أربعمئة متر ، وقد جاءتنا الأخبار في السنتين الماضيتين ١٩٣٠م ـ ١٩٣١م بأنهم اكتشفوا آثار مدن قوم لوط على حافة البحر الميت .

معه وطلب منا سعادته أن نقيم معه لأن الزاوية بعيدة عن المسجد والوصول إليه في الليل صعب ، فاعتبرنا هذا من تيسير الله سبحانه وتعالى ، وأقمنا معه في راحة وسعة ، وهنا تعرفنا بجماعة من أهل القدس يزورون الوزير منهم السيد فؤاد الإمام مدير الأوقاف ، وآخر مدير شرطة الحرم ، والسيد المجددي يعتكف في القدس كل سنة فهو معروف ومحبب إلى الجميع ومحله دائماً عامر بالزوار والأصدقاء .

الثلاثاء ٢٨/ ٩/ ١٣٧٠هـ ـ ٣/ ٧/ ١٩٥١م .

على قبر مولانا محمد علي الهندي(١)

بقينا سحابة النهار في المسجد وهو لا يُمَلُّ ولا يُزهد فيه ، وتجولت في

(١) أحد كبار زعماء المسلمين بالهند في القرن الحاضر ، وعظام قادة حركة تحرير الهند من الإنكليز ، كان يتمنَّى أن يرى الدول الإسلامية كلها مستقلة وحرة في أمورها وشؤونها ، وأن تخلع من أعناقها قلادة الاستعمار وتكون على منجاة من سيطرة الأجانب ، ويكون الإسلام ومبادئه وأسسه القيمة سائدة على تلك الدول ، فوجد في هذا السبيل كلَّ العقبات والمشاكل ، كان له في الهند مواقف نبيلة ومشهودة في نصرة العثمانيين والدفاع عن الخلافة العثمانية ، كما كانت مواقف مصطفى كامل في مصر ، ومواقف الأمير شكيب أرسلان في سورية ، وله مساعٍ جبارة وجهود حميدة في تحرير الهند من الإنكليز الّتي لا تزال يذكرها تاريخ الهند المجيد بلسان ندي بالإكبار ، وكان ذلك هو البطل العظيم الّذي أعلن في مؤتمر المائدة المستديرة بلندن سنة ١٩٣٠م أثناء خطبة أمام الإنكليز المستعمرين بكل صراحة وصرامة بقوله : « لا أستطيع أن أغادر بلادكم إلّا وبيدي ورقة التحرير لاستقلال الهند إني لا أؤوب إلى بلاد تسيطر عليها الأجانب وجعلوا أهلها عبيداً ، وأوثر أن أموت في أرض نائية عن إدارتها ، فاجعلوا لي هناك أرضاً كي يدفن فيها جسدي » .
وكان كذلك . . فقد سلم روحه الطاهرة إلى بارئها في ٤ من يناير سنة ١٩٣١م في لندن بعدما عاش أكثر من نصف قرن مناضلاً ومحارباً للتخلص من الاستعمار والأوضاع الباطلة ، ولصالح الإسلام والمسلمين ، نقل جثمانه إلى القدس حيث دفن في المسجد الأقصى . انظر ترجمته بكاملها في كتاب صاحب التعليقات « الإعلام بمن في الهند عن الأعلام في القرن العشرين » .

نواحيه وزرت ضريح زعيم الهند الإسلامي الكبير والمجاهد الشهير مولانا محمد علي الهندي رحمه الله وترحمت عليه وتذكرت أيامه وهو قائد الهند المحبوب وملك البلاد غير متوج وعجبت كيف ولد في الهند ودفن بالقدس وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد غمرنا مولانا محمد صادق المجددي بلطفه وحفاوته .

في معتكف السيد المجددي

ومعتكفه بعد المغرب ناد زاه زاهر ومجلس عامر لكل صنف من أصناف أهل البلد ، فمنهم خدم المسجد الشريف وحرسه والموظفون الكبار والعلماء ، وسفرته واسعة تجتمع عليها أنواع الطعام وأنواع الضيوف ، وكأننا في كابل في ضيافة أفغانية ، وهنا تعرفت بالسيد توفيق الحسيني شيخ الحرم وهو رجل وقور مهذب .

حقائق عن قضية فلسطين

وجرى ذكر مأساة فلسطين وعرفت منه كثيراً من الحقائق المؤلمة ، قال : إن اليهود كانوا لا يطمحون أبداً إلى ما وصلوا إليه بفضل الدول العربية وجامعتها وكانوا يعدون شبراً واحداً من أرض فلسطين غنيمة كبرى ، فإذا بالدول العربية تفسح لهم المجال وتحكِّمهم في بلاد واسعة وتفتح أرضاً لهم تخولهم إياها وتخلي بينهم وبينها وأنحى باللائمة على الجامعة العربية التي انتفع بها اليهود أكثر مما انتفع بها المسلمون .

انحطاط عظماء العرب

وذكر أنه حضر حفلة عقدها وزير سورية المفوض في مصر وقد حضرها كبار المسؤولين ووزراء الدول العربية قال : وقد أديرت عليهم كؤوس الخمر وأنا واقف أنظر والدمع في عيني ، فلم يزالوا ينهلون ويعلون حتى غلبوا على أمرهم وجرت منهم الخمر كل مجرى فحملوا وأركبوا على سياراتهم وأرسلوا كالأموات إلى فنادقهم ، فأي خير يرجى من هؤلاء العرب والمسلمين ؟ ثم ذكر

جيوش الدول العربية وفضائحها الخلقية من خمور وفجور وإتيانها بالموبقات التي تغضب الله في حالة المرابطة وفي ساحة القتال ، ففهمت بعض أسباب انكسار الجيوش العربية .

يوم الأربعاء ٢٩/ ٧/ ١٣٧٠هـ ـ ٤/ ٧/ ١٩٥١م .

لم يظهر هلال العيد وقد مد الله في الشهر المبارك بيوم .

حديث عن فلسطين أيضاً

عرفني سعادة السيد المجددي بالأستاذ أسعد إمام الحسيني سكرتير الهيئة الدينية العلمية وهي كهيئة كبار العلماء في مصر تشرف على شؤون المملكة الدينية وهو رجل عالم مثقف ذكر ما شهده بعينه أيام نكبة فلسطين وكيف كانت القنابل تهطل على بيت المقدس ، قال : وقد أخطأت الصخرة وخفت عليها وعلى المسجد .

العالم الإسلامي كبحر العروض

فذهبت إلى أحمد حلمي باشا(١) وكان الحاكم العسكري في القدس وحكيت له الحال فقال : ما الحيلة ؟ قلت : تذيع هذه الأخبار إلى العالم الإسلامي ؛ فإن هذه المقدسات إنما هي للعالم الإسلامي ليست لنا فقط . ووافق الباشا على ذلك وكلفني هذه المهمة فبقيت ساعات متوالية نذيع من

---

(١) كان من كبار رجال السياسة الوطنية والاقتصاد تنقَّل في وظائف مالية في سورية والعراق ، عيِّن وزيراً للمالية في بدء المملكة الأردنية الهاشمية وتركها إلى القدس ، فأسس فيها البنك العربي ، اعتقله الإنكليز في جزيرة « سيشل » سنة ١٩٣٨م ، وعاد إلى القدس فكان حاكمها العسكري أيام الغزو الصهيوني لها ، وجمع فلولاً ممن بها ، جنوداً ومدنيين . ودافع بهم عنها دفاع الأبطال ، ولما تألفت جامعة الدول العربية ورأت استبقاء اسم « فلسطين » فيها ، اختير رئيساً لحكومة عموم فلسطين سنة ١٩٤٨م ، وحمل كثيراً من أعباء نكبتها ، واستمرَّ في مصر إلى أن توفي سنة ١٩٦٣م .

اللاسلكية هذه الأحوال وما يهدد بيت المقدس وانتظرنا أن يكون لذلك صدى في العالم الإسلامي ورد فعل ، ولكن ذلك لم يحرك ساكناً ولم يثر اهتماماً ، قلت : يا سيدي أين العالم الإسلامي ؟ هو كبحر العروض بحر بلا ماء .

الانحطاط الخلقي أيضاً

وحكى لي الأستاذ أسعد بعض ما يدل على الانحطاط الخلقي في المسلمين قال : غاب إمام المسجد الأقصى مرة فكلفت الخطبة يوم جمعة (أو يوم عيد لا أتذكر) قال : فخطبت وذكرت أسباب نكبة فلسطين وقارنت بين الماضي والحاضر فلم أخرج من المسجد إلَّا وقد أنهي الخبر إلي المندوب السامي وتحملت مسؤوليته إلى غير ذلك ، وأخبرني الأستاذ أسعد أن الهيئة العلمية الإسلامية سوف تعقد اجتماعاً لها يحضره أعضاؤها في المملكة في اليوم الخامس من شوال ودعانا إلى الحضور ووعد بأنه سيعرفنا إلى الشيخ الشنقيطي رئيس المجلس .

شعوري في المسجد الأقصى

بقيت اليوم في المسجد أتمشى في فنائه الواسع ورحابه المترامية وأنظر إلى المناظر المحيطة به ، لست صاحب كشف ولا إدراك ولكن كنت أشعر كأن المسجد متوحش يحن إلى أهله وكأنه ينذر بأيام كوالح ، وثارت الأحزان في نفسي وهاج القلب .

المسلمون في فلسطين

ورأيت المسلمين ـ أهل فلسطين ـ كغرباء وأيتام لا يشعرون بكرامة ولا يثقون بمستقبل ، قلوبهم منكسرة ورؤوسهم منكسة ، وكانوا يجتمعون من القرى المجاورة وضواحي القدس في عدد كبير ، وكان في صلاة الظهر والعصر عدد كبير من المصلين في المسجد الأقصى ويجلسون بعد الصلاة يتلون القرآن أو يحضرون الدروس والمواعظ التي تلقى عليهم ، ولم أجلس إلى أحد إلَّا ووجدته منكسر الخاطر جريح النفس ، يحكي حكايات تدمع العين

وتحزن القلب ، وينتقد ملوك العرب وقادة البلاد ، وكأن فلسطين الإسلامية كلها تنشد بلسان الحال :

ولي كبد مقروحة من يبيعني بها كبداً ليست بذات قروح ؟
أباها عليّ الناس لا يشترونها ومن يشتري ذا علة بصحيح ؟

ودرت في الحلقات والدروس وتلمست هل أرى روحاً قوية ، ونفساً متألمة وغوصاً في الأعماق واهتداء إلى أسباب النكبة الصحيحة ، فلم أجد ذلك إلَّا أني رأيت رجلاً في لباس عادي يقول : ألم أكن أحذركم يا إخواني من هذه الذنوب ومعصية الله وأحذركم من عاقبتها فكنتم تقولون الشيخ صالح ابن الطريقة ؟ وهاقد رأيتم بأعينكم . ويتكلم في الذنوب ومعصية الله وكونها ثورة ضد الربوبية وكفراناً للنعمة كلام العارفين . ورأيت الناس كلما قام يخطب التفوا حوله فلا يقومون من مجلسه وكان يظهر أنه ليس من العلماء ، وإذا سأله أحد سؤالاً علمياً أشار إلى عالم بجنبه فإذا أفاض هذا العالم في الكلام ، رأيت الناس ينفضون .

أهل القلوب يسيطرون على الناس

وهكذا رأيت دائماً أن أهل القلوب يسيطرون على الناس ، ورأيت العلماء لا يؤثرون هذا التأثير .

اليوم ثلاثون من رمضان بحساب أهل سورية وفلسطين . رأينا الهلال وتعشينا مع السيد المجددي ، وجاء كثير من وجهاء المدينة وكبار الموظفين يسلمون عليه ويهنئونه ، وانتهزت الفرصة فألقيت كلمة بمناسبة العيد .

الخميس غرة شوال سنة ٧٠هـ ـ ٥/ ٧/ ١٩٥١م .

صلاة العيد في المسجد الأقصى

انطلقت المدافع إيذاناً بالعيد وبدأ الناس يفدون إلى المسجد الأقصى مع الشروق ، ووقفت فرقة من الجيش في ملابسها العسكرية على باب المسجد الأقصى .

صلينا صلاة العيد في المسجد الأقصى وخطب الإمام خطبة لا بأس بها ودعا للملك عبد الله ، فكانت محاكاة لعيد في مملكة إسلامية .

عيد شاحب

شعرت في هذا اليوم كأنه عيد شاحب وكأن الناس ممثلون في ملابس العيد ، كأنهم يحاولون أن يفرحوا ويظهروا السرور ويتبادلوا التهاني ، والحقائق تأبى ذلك ، والآلام تصارع الأفراح فتغلبها ، وقد تجدد حزني في هذا اليوم فلم أشعر بسرور ولا نشاط ، وعدت إلى حجرة السيد المجددي والناس يأتونه من كل طبقة يهنئون ويسلمون عليه تسليم العيد .

في ضيافة كريمة

أخذنا السيد المجددي إلى الأستاذ أبي سعيد من أقارب سماحة المفتي الحاج أمين الحسيني حيث تغدينا .

السيد المجددي يحكي قصة الثورة الأفغانية

وقص علينا السيد المجددي قصة الثورة الأفغانية على الملك أمان الله خان ودواعيها وأسبابها ورحلة الملك إلى أوربا ، وتهوره على أثر رجوعه منها إلى سفور النساء وإرسال بعثة منهن إلى تركية وسفور السيدة حرمه وهياج الشعب الأفغاني لذلك ، وإنذار السيد الملك وهو في طريقة إلى كابل من وقوع ما لا تحمد عاقبته ، ونصحه له بأن ترجع الملكة إلى البلاد كما خرجت منها ، وعدم إصغائه لنصحه ودخول الملكة سافرة وامتناع الملك من محادثة المجددي بعد ما كان يزوره في بيته ويتبرك بما كان يطبخ لأصحاب الزاوية ، ثم اعتقاله له وحصول الثورة وشنق بعض زملاء المجددي ثم إطلاقه لسراحه وطلبه منه أن يخمد الثورة ويفهم حبيب الله واعتذاره من ذلك ، فقد خرج الأمر من يده إلى استيلاء حبيب الله المعروف ببجة سقة ، إلى حضور الملك نادر خان من باريس وقمعه للثورة إلى آخر الحكاية . فكانت معلومات مستقاة من مصدرها الصحيح ولا ينبئك مثل خبير .

رجعنا إلى المسجد الأقصى وذهبت أنا الداعي والأخ عبيد الله إلى شيخ زاوية من زوايا القدس وكان معنا رسالة من سماحة المفتي الحاج أمين الحسيني فسلمناها إياه فوضعها على الرأس وأثنى على سماحة المفتي ، وجلسنا نتحدث .

ندامة الملك حسين

وفيما حدثنا به الشيخ أنه ذهب مع سماحة المفتي يعود الملك حسين في عمان في مرضه الذي توفي فيه . قال : دخلت مع سماحة المفتي والملك عبد الله بن حسين وكان الملك مضطجعاً على فراش على الأرض والطبيب قائم إلى رجليه فلما رآنا أشار أن أجلسوني قال : فأجلسوه فلما تركوه وقع على الفراش مستلقياً ثم قال : يا عبد الله قال : لبيك . قال : هذا ما جنته يدي اعتبر ، واتعظ . قال : فاغرورقت عيوننا ، أما الملك عبد الله فقد بكى وعلا نشيجه ، ثم ودعناه . وأردنا أن ننصرف وألح الملك عبد الله بأن نقيم ونتعشى عنده فاعتذرنا وألح ، فامتنع والوقت ليل والدنيا برد ، وكلمته في ذلك فقال : نأكل في بيتنا وذلك خير لنا من ضيافة الملك عبد الله ، ووقع لنا ذلك مرتين فقد ألح الملك عبد الله لتناول الغداء عنده وامتنع المفتي .

بين القدس والخليل

رجعنا من عند الشيخ وتوجهنا في معية السيد المجددي إلى الخليل عليه الصلاة والسلام ، وعرفنا في الطريق أن البلد لا يبعد من القدس ، ولكن المستعمرة اليهودية باعدت الطريق بينه وبين القدس والخليل ومررنا باللاجئين ورأيناهم في أسوأ حال وأرقه . ومررنا ببيت لحم مولد سيدنا عيسى وصلينا عند الخليل ووقفنا عند منزل الشيخ يوسف طهبوب مفتي حيفا سابقاً وعضو الهيئة الإسلامية ، وشربنا الشاي .

في مسجد الخليل عليه السلام

ثم توجهنا إلى حرم الخليل وزرنا سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو

القبر الثاني الموثوق به بعد القبر النبوي في المدينة المنورة .

في منزل الشيخ محمد علي الجعبري

ومن هنا خرجنا إلى منزل الشيخ محمد علي الجعبري رئيس البلدية ونزلنا عنده ، والمهنئون يأتون إليه أرسالاً ، ويجلسون قليلاً ، ويتبادلون التهاني مع صاحب الدار ، ويسلمون على المجددي ، وينصرفون ويأتي آخرون ، وهكذا إلى ساعة متأخرة من الليل ، وقد اجتمعت مناسبات كثيرة لزيارة الناس ، منها العيد ومنها نزول السيد المجددي الذي هو معروف في الخليل ، وله زيارة سنوية ، ومنها قرب انتخاب البلدية ، فكان بيت الشيخ (وهو يسمى بذلك) غاصاً بالزائرين والمهنئين ، تأتي جماعة وتروح أخرى ، ويدار عليهم الشاي والقهوة والحلويات الأوربية ، وتعشينا ونمنا .

الجمعة ٣/ ١٠/ ١٣٧٠هـ - ٦/ ٧/ ١٩٥١م

تأملاتي في المسجد

صلينا الفجر في مسجد سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومكثنا هناك إلى الإشراق ، وطاب لي في جوار سيدنا إبراهيم أن أقرأ الآيات التي ذكر الله فيها خليله إبراهيم وحكى قصته وحواره لأبيه وقومه ، وكسره للأصنام ، ودعوته إلى التوحيد ، وهجرته إلى الله ، وأدعيته المستجابة ، وبناءه للكعبة ، وما ذكر الله من أخلاقه وسيرته ، وأن أتأمل فيها وأستعرضها من جديد ، ووجدت فيها لذة جديدة وأشرت بذلك في حديثي للناس بعد الجمعة ، واقترحت عليهم أن يتأملوا في هذه الآيات وأن يدرسوها دراسة جديدة فإنهم سيجدون فيها معاني جديدة .

جمع الشيخ الجعبري للتعرف بنا مجموعة طيبة من علماء البلد تغدَّوا معنا في بيته وتحدثوا بعد الغداء ، ولم يزل ينتاب داره رجال من أهل العلم والدين وأهل البلد ، واستمر ذلك إلى نصف الليل تقريباً .

مشينا في مدينة الخليل وتفرجنا عليها وهي مدينة جميلة ومصيف من

مصائف فلسطين ، فقد قالوا لي : إنها ترتفع عن سطح البحر أربعة آلاف قدم ، وتمتاز مدينة الخليل بخلوها من المسيحيين وقد ثار أهلها سنة . . فطهروا البلد من اليهود وقتل من قتل وجلا من جلا ، وفي أهل الخليل شوكة وشهامة يمتازون بها ويفتخرون ، حفظها الله للإسلام .

الأحد ٤/ ١٠/ ١٣٧٠هـ ـ ٨/ ٧/ ١٩٥١م

رجعنا إلى القدس ، وأكرمنا الله ببعض الوقت نقضيه في هذا البلد الطيب المبارك .

ذهبنا اليوم بعد الإشراق إلى المسجد الأقصى لأكتب ما بقي عليّ من اليوميات ، ومررت في طريقي إلى المسجد بشيخ معمر ، ومكثت عنده بعض الوقت وتحدثت معه وهو لطيف الحديث شديد البغض للإنجليز ، يقول : ما من شر في العالم إلَّا ومرده إلى الإنجليز ، وإذا سمعت بحرب بين الحيتان في البحر فاعلم أن الإنجليز هم الذين أثاروا هذه الحرب ، وإذا سمعت بشقاق بين الزوجين فاعلم أن الإنجليز هم السبب . . ولا شك أن أهل فلسطين لهم أن يقولوا ذلك ، فإن الإنجليز هم السبب المباشر في خراب هذه البلاد المقدسة وجلاء العرب وتشردهم في الآفاق ، وهم الذين سلطوا على فلسطين هؤلاء الشذاذ من اليهود وجرُّوا الويلات والمتاعب إلى أهل فلسطين المسلمين ، ولا شك أن الإنجليز أكبر عامل من عوامل الفساد والخراب والدمار في العالم كله ، والشيخ يثني ثناءً عاطراً على المفتي السيد أمين الحسيني ، ويشهد بنزاهته وعفة يده وبطنه ، ورأيت عامة من قابلناهم في المسجد الأقصى ومن أهل القدس يذكرون الحاج أمين الحسيني بخير ، ويحنُّون إليه ، وذهبت إلى المسجد الأقصى واشتغلت بالكتابة إلى الظهر .

زيارة آثار المسجد الأقصى

زرنا الشيخ توفيق الحسيني بعد العصر وطاف بنا على الجدران التي تسمى المبكى ، وأخبرنا أن اليهود قد فقدوا عشرة أحكام من التوراة ، ويعتقدون أنها فقدت في مكان في المسجد الأقصى وطمرت فيه ، ويحرم عليهم لذلك

الدخول في المسجد الأقصى فهم يقفون عند جدار البكاء وهو من السور القديم الباقي ويبكون ، ونزلنا مع الشيخ توفيق في السرداب المعظم حيث البناء الضخم والعمد العالية ويقال أنها إصطبلات سليمان عليه السلام . وتفرجنا على حوالي أسوار المسجد الأقصى العظيمة وأكثرها مقفر من السكان موحش ، وقد كانت قبل التقسيم الجائر المشؤوم عامرة بالعرب مكتظة بالسكان .

ودخلنا مركز الإخوان المسلمين في الركن الجنوبي من المسجد ، وقد كان إدارة للمؤتمر الإسلامي العام وجلسنا مع الإخوان نتحدث .

يوم الإثنين ١٠/ ٥/ ١٣٧٠هـ - ٩/ ٨/ ١٩٥١م

في اجتماع الهيئة العلمية الإسلامية

حضرنا في الساعة التاسعة صباحاً في مركز الأوقاف اجتماعاً للهيئة العلمية الإسلامية ، وهو بناء المجلس الإسلامي الأعلى الذي كان يشرف على الحياة الإسلامية كلها في فلسطين ، ويدير الأوقاف والشؤون الدينية تحت رياسة الحاج أمين الحسيني ، وهو الآن إدارة الأوقاف وفيه تعقد اجتماعات الهيئة ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، قدمني الأستاذ أسعد الحسيني إلى رئيس الهيئة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي وهو في رتبة الوزير في المملكة العربية الهاشمية ومرافق جلالة الملك عبد الله ، وكان وزير المعارف ورئيس القضاة سابقاً .

كلمتي في الاجتماع

تلقاني الشيخ الشنقيطي ببشر وترحيب وأثنى على الهند وعلمائها وجهودهم وروحهم وقدمني إلى أعضاء الهيئة وطلب مني أن أتحدث إليهم بما يخالج قلبي وبما أراه مفيداً ، فتكلمت في موضوع وجوب الاعتناء باللاجئين واتصال العلماء بهم ونشر الدعوة الدينية فيهم وإشعال العاطفة الدينية والعزة الإسلامية فيهم ، حتى يقاوموا هذه الأوضاع القاسية ويكافحوا دعوة الشيوعية

والمسيحية التي نشطت فيهم باسم غوث اللاجئين وعن طريق المبشرين والدعاة الشيوعيين ، ويتحملوا هذه النكبة ويجتازوا هذه المرحلة في قوة المؤمن وثبات المجاهد ، وقلت لهم : إن الأوضاع شاذة غير عادية ، فلا تقاوم إلَّا بإيمان قوي ودعوة متحمسة ، ونشاط وحرص يسمى صاحبه بالمجنون ، وذكرت لهم مراحل الدعوة الإسلامية في الهند ، وكان خلاصة ما ذكرته في رسالة « الدعوة الإسلامية وتطوراتها » وأجاب الشيخ الشنقيطي جواباً لائقاً وشكرني ووعد بالاهتمام بهذه الناحية .

معلومات عن الهيئة

ويليق هنا أن أعرف الهيئة العلمية الإسلامية كما عرفتها من الأستاذ أسعد الحسيني ، تشكلت هذه الهيئة في شهر آذار سنة ١٩٥١م ومقاصدها وواجباتها كما بين في قانونها الأساسي .

١ ـ رفع مستوى العلماء في المملكة .

٢ ـ بث الدعوة إلى الفضيلة ومكارم الأخلاق .

٣ ـ تنظيم شؤون الوعظ والإرشاد .

٤ ـ تحديد مدلول كلمة « العالم » وعلى من تطلق . وميزانيتها لسنة ١٩٥١/ ١٩٥٢م (٥٨٨٣) ديناراً أردنياً وهي تعادل (٧٠٥٩٦) روبية ، وأعضاؤها أحد عشر رجلاً من العلماء ، وهم كبار علماء المملكة العربية الهاشمية وسمعت أن للملك عناية خاصة بهذه الهيئة ، وقد حضر هذه الجلسة التي كان لي شرف الحضور فيها ثمانية أعضاء .

انتهت زيارة القدس ، وتأهبنا للعودة إلى عمان ، لنقضي فيه بضعة أيام . ثم نرجع إلى دمشق بحول الله تعالى .

يوم الثلاثاء ٦/ ١٠/ ١٣٧٠هـ - ١٠/ ٧/ ١٩٥١م

في عمان

خرجنا بعد العصر إلى مركز الإخوان نزور الأستاذ عبد اللطيف أبو قورة رئيس الإخوان وقد تعرفنا به في القاهرة فلم نجده ، فخرجنا نتمشى إلى الجامع الكبير وإذا بالسيد المجددي يتقدم للصلاة .

مقابلة السيد المجددي

ولما انتهى من صلاته قابلناه ، وسر كل منا بهذه المقابلة التي لم تكن في الحساب .

في منزل الحاج أبو قورة

وكان الأستاذ عبد اللطيف أبو قورة ينتظره على باب المسجد فأخذنا جميعاً إلى بيته على الجبل المطل على عمان حيث تفكهنا وشربنا الشاي ، ونظرنا إلى عمان وهي تتلألأ بالأنوار فكأنها رمانة قد انتشر حبها الأحمر ، وكان المنظر من أجمل ما رأينا من المناظر في الليل ، رجعنا إلى محلنا وقصد السيد المجددي قصر رغدان لمقابلة الملك عبد الله .

طلب من الملك عبد الله

وإذا بعد قليل يتصل الشيخ محمد الأمين الشنقيطي بدكان الحاج قاسم ويخبره تليفونياً بأن جلالة الملك في انتظار ضيفكم ، فليتوجهوا لساعتهم من غير تأخير دقيقة ، وكنا قد جلسنا على العشاء فقال الحاج ستتعشون مع جلالة الملك ، قلنا إن عشاءكم أحب إلينا من العشاء الملوكي ، وتوجهنا حالاً إلى قصر رغدان ، وكان رجال الحرس في الطريق قد أخبروا بتوجيه الدعوة الملكية إلينا ، فقابلونا في الطريق وأخبروا السائق « إن سيدنا في المخيم » ، ووصلنا إلى الخيمة التي فيها الملك مع حاشيته ، فتلقانا الشيخ الشنقيطي في الطريق ، وتقدمنا فاستقبلنا الملك عبد الله ببشر وبساطة ، وعلمنا أن السيد المجددي

ذكرنا له فقال : لماذا لم تأخذوهم معكم ؟ وأرسل إلينا فوراً .

حديث مع الملك

حييته بتحية الإسلام وصافحته وجلست أمامه . وعرفني السيد المجددي وعرف أسرتي في الهند ، فأنشدت للشريف الرضي مشيراً إلى الاجتماع في النسب والافتراق في الملك والنشب :

ما بيننا يوم الفخار تفاوت   أبداً كلانا في المعالي معرق
إلَّا « الإمارة » ميزتك ، فإنني   أنا عاطل منها وأنت مطوق

ورأيت أن الملك يحفظ هذه الأبيات ويكمل ما أنشده ، قال الملك للسيد المجددي مشيراً إلى أن سحنتي[١] سحنة الأشراف اليمنيين .

حديثي على المائدة

وتشعب الحديث ثم قام الملك للعشاء وأجلسني بجنبه ، قلت له على المائدة يا جلالة الملك ! إن دولة تنفذ الأحكام الإسلامية ، وتنفذ الدين في السياسة والإدارة تسترعي اهتمام العالم كله ، وتكتسب من الاحترام والإجلال ما لا تناله أكبر دولة في العالم ، مهما كانت حدود هذه الدولة ضيقة ، ومواردها محدودة ، وأصغى الملك إلى حديثي وأجاب بلباقة وفهم ، ثم قمنا إلى المجلس فواصلت حديثي وقلت :

بين الجباية والهداية

للحكم أساسان الجباية والهداية ، والحكومات الإسلامية ينبغي أن تقوم على أساس الهداية ، وكان الرسول ﷺ بعث هادياً لا جابياً . وما كان خلاف جدكم سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه مع سيدنا معاوية رضي الله عنه إلَّا في هذه النقطة ، فإن سيدنا علي كان يريد أن تبقى الخلافة على وضعها الصحيح ولا تصير ملوكية .

---

(١) سحنة : هيئة ، شكل .

جواب الملك

استمع الملك ما قلته ثم ذكر العقبات في سبيله ، ونواياه الحسنة ، واهتمامه بتوطيد الحكومة وتقوية الجيش ، وذكر الخطوات التقدمية في المملكة ، وذكر انتقال هذه المملكة من بلد صغير لا يزيد عدد نفوسه على سبعة آلاف إلى مملكة تضم عدداً كبيراً لا نسبة بينهما ، ثم سألني عن منهاجي فقلت سنسافر غداً ، فقال : يا مولانا لا تضنوا علينا بأيام تقيمون هنا ولا أقل من ثلاثة أيام . ثم كلم الشيخ الشنقيطي بما لم أسمعه ، وقدمت إليه نسخة من كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ » وكان بودي قبل أن يظهر الكتاب أن يصل إليه فقدر الله أن أقدمه إليه بيدي فقبل شاكراً ، واستأذنا وانصرفنا ، وكان في المجلس غير السيد المجددي والشيخ الشنقيطي سعادة فوزي باشا الملقي وسعادة إبراهيم باشا .

الأربعاء ٣/ ٨/ ١٣٧٠هـ ـ ٩/ ٥/ ١٩٥١م .

حقائق عن فلسطين

جاء صديق فلسطيني وهو تاجر مثقف مؤمن غيور على دينه وأمته ، مطَّلع على الحقائق من الأفراد ، وهو من الذين آنست منهم الغيرة الملتهبة والإيمان القوي والوعي الصحيح ، يعرف الملك والأمير طلال معرفة شخصية ومن أصدقاء الأخير ، وشاهد عين لما جرى في فلسطين من مهازل ومآس ، ولما مثلته الجامعة العربية وملوك العرب والحكومات العربية على مسرح فلسطين من مضحكات مبكيات وعرفت منه حقائق كثيرة . استنبطت من حديثه أن قضية فلسطين كانت مسرحية قد أخرجها الإنجليز وأصدقاؤهم من قبل ولم يكن فيها جد ولا حرب ، إنما كانت خطة مدبرة وأمراً مبيَّتاً ، وكان الممثلون فيها ملوك العرب وقادتهم ، وعلى كل منهم كفل من دم أبناء فلسطين ، وأن أبرأ الرجلين من تبعة فلسطين ونكبتها هو الشعب الفلسطيني الحر الذي لم يكن يعرف شيئاً ولا يملك صلحاً ولا حرباً ، وعرفت أن جلوب الإنجليزي لم يكن وكيل

مصلحة الإنجليز فحسب ، بل كان وكيل اليهود أيضاً ، وكان في بعض الأحيان يحتل بلداً باسم الجيش الأردني ثم يتركه لليهود ، وفي بعض الأحيان يؤخِّر الجيوش العربية أو يقف دونها حتى يأتي اليهود ويأخذوا المكان . وقال : إنه نسخة من رتشارد الملك الإنجليزي يحمل الروح الصليبية ، وإني أتمنى أن أخاطبه مرة بقولي : يا رتشارد وأهنئه على أداء رسالته الصليبية ونجاحه في مهمته .

زيارة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي

ذهبنا إلى سماحة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي وجلسنا في منزله الجميل الذي هو أشبه بقصور الأمراء وتفكهنا وشربنا الشاي ، ثم ذهبنا ومعه الحاج ناشد إلى محطة عمان لزيارة الشيخ محمد يوسف عبد الرحمن البرقاوي والشيخ محمد سالك الشنقيطي ولم نجد الأول في بيته ، فذهبنا إلى الثاني ومررنا في طريقنا باللاجئين فرأينا أكواخهم وخيامهم جنب القصور الفاخرة التي تزهو بها عمان .

بؤس اللاجئين نذير خطر

وهذا هو الذي يخوِّف كثيراً ، فإن الله لا يرضى هذا الوضع ، رجال يموتون جوعاً ورجال يموتون تخمة ، ورجال لا يؤويهم بيت ويسكنون في خيام لا تكنهم من المطر والبرد والحر ، وإزاء ذلك قوم يسكنون في قصور تفضل عن حاجاتهم كثوب فضفاض على جسم قصير ، وقابلنا الشيخ سالك الشنقيطي وجلسنا معه طويلاً ثم رجعنا إلى محلنا ، فعرفنا أن الملك أرسل إلينا مراراً واتصل الشيخ محمد الأمين الشنقيطي بالدكان يدعونا لحضور العشاء مع أعضاء بعثة مجلس الشيوخ المصري ، الذين كانوا ضيوف الملك هذه الليلة ولكنه لم يجدنا ، وأخبره زميل الحاج قاسم أن الضيوف قد خرجوا للتفرج في البلد .

الخميس ٨/ ١٠/ ١٣٧٠هـ - ١٢/ ٧/ ١٩٥١م .

زيارة الكلية العلمية الإسلامية

جاءنا الشيخ محمد يوسف عبد الرحمن البرقاوي والحاج عبد اللطيف أبو قورة رئيس الإخوان ومكثنا إلى ما بعد العصر ، ثم خرجنا مع الحاج عبد اللطيف نزور الكلية الإسلامية ، وقد أسست هذه الكلية بإعانات أهل الخير من الشعب ، والفضل الأكبر في تأسيسها لصديقنا الحاج عبد اللطيف ، فهو الذي تقدم ببضعة آلاف إعانة للكلية ثم تتابعت الإعانات .

زرنا أقسام هذه الكلية ومكتبتها ومسجدها وقاعتها ، وجلسنا في إدارة مدير الابتدائية الأستاذ محمود العابدي ، وجرى ذكر نور الدين الشهيد رحمه الله ، والسلطان صلاح الدين الأيوبي والحروب الصليبية ، فقال الأستاذ العابدي إن السلطان زحف من مصر إلى الجيوش الصليبية .

انقطاع صلة مصر عن فلسطين براً من أكبر غلطات الجامعة

ومن غلطات الجامعة العربية والحكومات العربية أنها سمحت بقطع صلة مصر عن فلسطين براً ، واحتل اليهود الطريق ، فإذا أرادت مصر أن تنصر أهل فلسطين أو أن توجه جيوشها ما كان لها ذلك عن طريق البر .

إعداد المحاضرة

كنت أفكر في إعداد المحاضرة بجامعة سورية التي وعدت بها ، وربما كان لها موضوع مثل « كيف يستعيد العرب مركزهم العالمي ؟ » ولكني لما سافرت إلى فلسطين وأقمت في القدس ، ملكت فلسطين فكري ورأيت أن خطبها جليل وأمرها عظيم ، فاخترت أن أتحدث عن عوامل ضياع فلسطين وأسباب نكبتها ورأيت أن أدرس سيرة صلاح الدين الأيوبي ، وما كان يتصف به من صفات وأخلاق ، وأعرف أسباب انتصاره على الصليبيين ، وأعرف المفارقات بينه وبين المتزعمين بقضية فلسطين اليوم فسألت عن كتب ألفت في سيرة السلطان هل يوجد منها شيء في مكتبة الكلية فأخبرني الأستاذ العابدي أن

عنده كتاب المحاسن اليوسفية لابن شداد والفتح القسي لابن عماد الكاتب وتفضل فأعارني هذين الكتابين ، وقد وجدت في كتاب ابن شداد وثائق عظيمة انتفعت بها كثيراً في محاضرتي التي عنونتها بـ « شهادة العلم والتاريخ في قضية فلسطين »[1] .

الجمعة ٩/ ١٠/ ١٣٧٠هـ ـ ١٣/ ٧/ ١٩٥١م .

في ضيافة الملك

ذهبنا لصلاة الجمعة إلى الجامع الكبير ورأينا فرقة من الجيش على الباب ، فعرفنا أن الملك سيصلي الجمعةَ في هذا الجامع ، وما لبثنا أن جاء الملك وصلى في مقصورته ، وبعد صلاة الجمعة عرفنا أن الملك دعانا للغداء معه في قصره وكان صديقنا ومضيفنا الحاج قاسم الأمعري يصلي السنة واثنان من الحرس واقفين يميناً وشمالاً ، فلما سلم ساراه بشيء وهو أن يتوجه بنا إلى القصر ! فإن الملك في انتظارنا ولم ير الناس إلَّا أن رجال الحرس قاموا يرقبونه وكلموه بعد الصلاة ، وشاع في البلد أن الحاج قاسم اعتقل في المسجد واضطرب أصدقاؤه ، وإذا الأمر بالضد فإنه دعي إلى الغداء مع ضيوفه ، والحاج قاسم لم يكن قد قابل الملك من قبل مع كونه في العاصمة ، وكان عنده بعض التردد فقوينا عزمه وتوجهنا إلى القصر فلما حضرنا قال الملك عبد الله للحاج قاسم : لماذا أخرت ضيوفنا ؟ فلم يجبه الحاج بشيء وسلم عليه وقبل يد الملك ، ثم جلسنا للغداء واعتذرت للملك عن عدم الحضور ليلة الخميس فلم نعلم بالدعوة إلَّا بعد الرجوع من الفسحة ، فقال : كنت أحب أن تجتمعوا بالشيوخ المصريين .

حديث عن كتاب « ماذا خسر العالم »

وكان الملك قد طالع شيئاً من كتاب « ماذا خسر العالم » فسأل عن

---

(١) انظر هذه المحاضرة بكاملها في كتاب « محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة » للعلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي .

الدكتور أحمد أمين فذكرت ما أعلم عنه فانتقده وقال هو غمز غمزة في المقدمة وأساءت هذه المقدمة إلى الكتاب وكان التجرد عنها أولى بالكتاب ، وقال إن الكتاب ليس في حاجة إلى مقدمة ، قلت : لا ينشط ولا يتحمس لكتابة المقدمة لهذا الكتاب إلَّا من يعتقد أن الإسلام له الحق وحده أن يسود ويحكم في العالم وأن الإنسانية لا تسعد إلَّا في ظل حكم الإسلام وقيادته ، ومع الأسف كثير من أدبائنا يعتقدون أن الإسلام قد قضى أجله ومثل دوره في تاريخ العالم والآن ليس له مستقبل ، وهذا النوع من التفكير لا يتفق مع مقاصد هذا الكتاب وروحه .

عن المسجد الأقصى

وتسلسل الحديث وتكلم الملك كلاماً يدل على دراسته وتأملاته في القرآن ثم استرعيت اهتمامه إلى المسجد الأقصى وزيادة العناية به ، وإلى اللاجئين فوعد بذلك ، وذكر بعض أعذاره وما منعه من زيادة الاهتمام بالمسجد الأقصى ، وقال ما رأيتموه من نقص فهو لضيق الوقت وكثرة الأعداء وحسد الأخلاء ، وسترون في الزيارة الثانية إن شاء الله ما يسركم ، وقدمت إليه نسخة من « بين العالم وجزيرة العرب » وشاعر الإسلام « الدكتور محمد إقبال » وودعته .

يوم السبت ١٠/ ١٠/ ١٣٧٠هـ - ١٤/ ٧/ ١٩٥١م

ركبنا السيارة صباحاً من عمان ووصلنا إلى دمشق في العصر . ونزلنا في بيت الشيخ عبد الوهاب الصلاحي في الحلبوني ، كما تقرر من قبل ، وهو رجل صالح كريم استئنسنا به وأحببناه .

الأحد ١١/ ١٠/ ١٣٧٠هـ - ١٥/ ٧/ ١٩٥١م

ذهبنا إلى الشيخ أحمد كفتارو وأخذنا منه الرسائل وجلها من المدينة المنورة فيها رسالة ابن أختي محمد بن رشيد الحسني وزملائه .

جاء الشيخ محمد النمر الخطيب الفلسطيني خطيب حيفا سابقاً صاحب تأليف « هدي القرآن » وجلس يتحدث ، وذهبنا إلى الشيخ محمد بهجة البيطار

وكان مجلسه كعادته نزهة الخواطر وبهجة المسامع ، يجمع بين طرائف أدبية وفوائد تاريخية ومعلومات في التفسير والحديث .

مقابلة الشيخ مصطفى السباعي

سمعنا أن الأستاذ سعيد رمضان في فندق أمية فذهبنا نزوره ووجدناه محفوفاً بالشباب وأبناء الجامعة ، تقابلنا كإخوان يتلاقون بعد فراق وجاء الشيخ مصطفى السباعي ، فرأيته لأول مرة وقابل بحرارة ومحبة ، وذكر اطلاعه على بعض المحاضرات للداعي في رحلته إلى باكستان أهداها إليه بعض إخواننا في الباكستان ثم اطلاعه أخيراً على كتاب « ماذا خسر العالم » وتشوُّقه إلى صاحبه ، وذكر كل منا اتصاله الروحي والفكري بصاحبه والتقاء الأفكار .

يوم الإثنين ١٢/ ١٠/ ١٣٧٠هـ ـ ١٦/ ٧/ ١٩٥١م .

اغتيال رياض الصلح بك وأثره في سورية

نقلت الصحف اليوم نبأ اغتيال رياض الصلح بك رئيس الوزارة اللبنانية مراراً ، وقد وقع اغتياله في مطار عمان وهو عازم على الرجوع إلى بلده ، وقد كان هذا النبأ والحديث عنه حديث النوادي والمجالس ، ومن الناس من يثني عليه ثناءً عاطراً ويعده من قادة العرب الأفذاذ ، ومنهم من يعتبره المسؤول الأول عن الهدنة بين العرب واليهود ، والسوريون يأخذون عليه إضافة ثلاث أقضية سورية منها طرابلس الشام إلى لبنان المسيحية ، لأنه اشترط لدخول لبنان في جامعة الدول العربية تخلي سورية عن هذه القضية وتنازلها عنها للبنان وأقنع جميل مردم بك رئيس وزراء سورية يومئذ بلباقته المعروفة ودهائه السياسي ، وعلى كل فقد كان الفقيد رحمه الله من طراز زعماء العرب ورؤساء الحكومات العربية الذين نشؤوا في مدرسة السياسة الغربية ، وليس هذا الاغتيال الذي ينكره كل عاقل إلَّا رمزاً للاستياء السائد ، والتذمر العميق في الشعب من الأوضاع في هذه البلاد وعدم رضائه عن زعمائه وقادته .

حديث الأستاذ محمد المبارك

تغدينا اليوم عند الأستاذ أبو عزة أمين الغفري ، وشرفنا في العصر الشيخ بـركات أحمد مفتي حـوران ، وقد حدثه عني الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، وشرف الأستاذ محمد المبارك نائب دمشق ، وجلس مجلساً طيباً واستعرض التطور السياسي والديني في هذه البلاد ، وكان حديثه منيراً مفيداً استقيت منه معلومات كثيرة ، وأخذت فكرة مجملة عن وضعية البلاد السياسية والدينية .

الثلاثاء ١٣/ ١٠/ ١٣٧٠هـ - ١٧/ ٧/ ١٩٥١م .

زيارة الشيخ حسن حبنكة

أفطرنا عند الأخ الكريم السيد محمود الحافظ وزرنا في معيته في الميدان الشيخ حسن حبنكة[١] من كبار علماء دمشق والأساتذة المربين ، والميدان معروف في دمشق بكونه مركزاً دينياً علمياً وحمى وحصناً للآداب الإسلامية والتقاليد الشرقية ، وأكثر علماء دمشق من الميدان أو انتقلوا منه في مدة قريبة ولا يزال فيه مثل الشيخ بهجة البيطار والشيخ حسن حبنكة والشيخ زين العابدين والشيخ مكي الكتاني وغيرهم .

---

(١) كان من كبار علماء دمشق ، كان يتمتع بمحبة الجماهير له ، وتقديرها لعلمه وفضله ، وتعلقها بوطنيته وجهاده ، واحترامها لخلقه ونبله ، لم يكن عالماً من علماء الدين فحسب ، ولا مدرساً لعلوم الدين واللغة والأدب ، دون غيرها ، بل كان كذلك مجاهداً ، شجاعاً ، شريفاً ، مقداماً ، كان ثائراً ، شارك في الثورة السورية ضد المحتل الأجنبي ، وسجل صفحات ناصعة في دنيا البطولة والإقدام ، والوطنية الصادقة .
أسهم في تأسيس رابطة العلماء بدمشق ، وشارك في إنشاء جمعيات خيرية فيها ، انتخب عضواً للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، توفي - رحمه الله - بدمشق سنة ١٣٩٨هـ .

حديث عن المدارس الدينية وتطوراتها

ذكرنا للشيخ حسن تجاربنا في الدعوة وضمها إلى دراسة المدرسة وخروج الطلبة مع أساتذتهم إلى الأرياف لنشر الدعوة والمبادىء الدينية في الشعب ، وما أفاد ذلك من انبعاث الروح الدينية في الطلبة وتمرنهم على الدعوة والاتصال بالشعب والتأليف بين المعلمين والتلاميذ وتفاهمهم بعضهم ببعض ، وقد فقد ذلك من مدارسنا من زمان ، وأصبح التعليم حتى في المدارس الدينية حركة صناعية وعملاً ميكانيكياً لا روح فيه ولا ضمير ، ولا عاطفة فيه ولا شعوراً ولا اتصالاً روحياً بين الأساتذة والتلاميذ ، ولكن هذه الرحلات والاجتماع على الدعوة في غير جو المدرسة يعيد هذه العلاقة الروحية ويفيد الطلبة في ناحية والجمهور في ناحية أخرى .

وقد أصغى الشيخ إلى هذا الحديث وكان يطالع الشبه بين تطور المدارس في الهند وتطورها في الشام ، ثم قال : لقد كنا ـ قبل أن تتطور المدارس وتتجدد أو بلفظ أصح تصبح عصرية ـ أشبه بأسرة وأفراد بيت واحد يعيش بعضهم مع بعض ويخدم بعضهم بعضاً ، وكنا لا نزور بيوتنا إلَّا بعد أيام ، وكان معظم أوقاتنا ينقضي بين الطلبة ، وكنا نخرج إلى الخارج فنطبخ الطعام بأنفسنا ونقضي وقتاً في حرية وصفاء ، ولكن بعد ذلك دخلت على مدارسنا التنظيمات العصرية فأصبحنا أساتذة وتلاميذ ، ونشأت الحواجز وأحدثت أنظمة وقواعد ، ففقدنا ذلك الروح .

تأثير الدعوة الدينية في الشعب

ثم ذكر الشيخ تأثير الدعوة في الشعب وتأثير الشخصية القوية المخلصة في الجمهور فذكر الشيخ علي الدقر[1] عليه رحمه الله ونفوذه في الشعب ، وإقبال

---

(١) أحد كبار علماء دمشق وفقهائها ، شغل عدداً من المناصب الدينية ، كرس حياته لتعليم العلوم الشرعية ، وتخرج عليه عدد ممتاز من العلماء والفضلاء ، توفي ـ رحمه الله ـ بدمشق سنة ١٣٩٧هـ .

الناس على الدين بشكل أفزع الفرنسيين ، وظنوا أن هنالك مؤامرة سياسية وأن هذه النهضة الدينية لها ما بعدها ، فكانوا يستفسرون الناس : ماذا بعد تربية اللحى والاهتمام بالسنن والتمسك بالآداب ؟ لا بد أن وراءها تجمعاً واستعداداً للثورة ، وهكذا ، وذكر الشيخ بعض تجاربه الخاصة في نشر الدعوة وخطاب الشعب ، وإثارة شعوره الديني وما نال في ذلك من نجاح وسلامة طبع الشعب السوري وسرعة تأثره بالدعوة الدينية .

عقد لنا الأستاذ محمد النمر الخطيب سهرة في بيته حضرها عدد من الفلسطينيين المثقفين وبعض علماء البلد .

الأربعاء ١٤/ ١٠/ ١٣٧٠هـ ـ ١٨/ ٧/ ١٩٥١م .

بقيت اليوم مشغولاً بإعداد محاضرة « شهادة العلم والتاريخ في قضية فلسطين » التي أريد أن ألقيها يوم الإثنين القابل في الجامعة السورية ، وقد شغلتني هذه المحاضرة منذ رجعت إلى دمشق ، وستشغلني إلى الساعة التي ألقيها ، شأني في كل المحاضرات فإنها تكون دائماً قطعة نفسي وعصارة فكري ، أرضت الناس أو لم ترضهم .

حديث مع الأستاذ محمد علي الحوماني

جاء اليوم بعد العصر الشاعر السوري المعروف الأستاذ محمد علي الحوماني يسأل عن هذا الفقير ، وقد شرف قبل هذا ليجتمع بي ، وقد حدثه محبنا الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار بما جعله يرغب في مقابلتي وإني دائماً أشعر بالخجل وبضعف نفسي وفقر علمي إذا جاء أحد أهل العلم والأدب يزورني بما سمع عني أو قرأ لي ، جلس الأستاذ الحوماني يتحدث وينشد شعره ، ويذكر تجاربه ويدلي بمعلوماته عن الحكومات العربية والشعوب العربية ، وهو مطلع على جوانب الضعف فيها ناقد لها ، متألم للتحلل الخلقي والفقر الروحي وطغيان المادية والأثرة ، ويعترف للإخوان بالفضل في إبراز الفكرة الإسلامية الصريحة وإيقاظ الشعور الديني وبالجهاد والبطولة في ميدان فلسطين ، وكلامه يؤيد ما سمعت من قبل وتحققته من عدم محاربة الجيوش

العربية وتخليها عن المدن الفلسطينية العربية وانسحابها عنها ، ونقل الأستاذ الحوماني قول قائد مصري كان في فلسطين : إن الجيش المصري كان دائماً يتلقى أوامر من القيادة العليا في مصر بالانسحاب لا إلى النقطة الخلفية بل إلى ورائها ، قال : وكنا دائماً معهم حتى لا يتهوروا ولا يلقوا أنفسهم حيث لا صدر .

مقابلات جديدة

خرجنا بعد المغرب مع الأستاذ الحوماني والأستاذ القلقيلي إلى منزل الشيخ بهجة البيطار ، وكان قد دعا بعض النواب ونقيب الصحفيين وجماعة من أهل العلم للتعارف والاجتماع ، وقابلنا هناك الشيخ محمد علي ظبيان وهو العالم الشامي الذي ذكره الأستاذ الكبير الشيخ شبلي النعماني في رحلته ، وقد اجتمع به في إستانبول تحدثنا مع الأساتذة وتفكهنا وشربنا القهوة ورجعنا .

الخميس ١٥/ ١٠/ ١٣٧٠هـ ـ ١٩/ ٧/ ١٩٥١م .

عناصر محاضرتي عن فلسطين

بقيت اليوم مشغولاً بإعداد المحاضرة وقد استعرت من مكتبة الشيخ بهجة البيطار مجلدات من تاريخ الكامل لابن الأثير والبداية والنهاية لابن كثير ، هذا إلى ما عندي من نقول ومقتبسات من كتاب ابن شداد ، وقد بنيت محاضرتي هذه على أهم عوامل ضياع فلسطين ، العامل الأول منها : فقدان الدوافع النفسية إلى الاستماتة والتفاني في سبيل المبدأ والعقيدة ، وهنا أريد أن أحكي كيف أوجد رسول الله ﷺ الإيمان والحنين إلى الشهادة والجنة في نفوس المسلمين صغارهم وكبارهم ، كيف ضعف هذا الإيمان الذي كان أكبر قوة وأعظم ثروة عند العرب ، وكيف أثرت فيهم الحضارات والمادة ، وكيف ضيعوا هذا المفتاح للحياة وأفلسوا في رأس مالهم ، والعامل الثاني : طغيان العقل على العاطفة وفقدان روح المغامرة ، والإسراف في التفكير والحذر من العواقب وهنا أريد أن أتحدث عن قوة العاطفة وروح المغامرة التي تستمد قوتها

من الإيمان وفضلها في تاريخ العرب ، وأذكر المغامرات العظيمة التي عادت على العرب بالفتوح الرائعة والانتصار الباهر ، وعلى الإنسانية بالسعادة ، وعلى الحضارة بالازدهار ، وكونت هذه المملكة الإسلامية العظيمة ، وأقامت هذه المدنية الزاهية المباركة حتى نعم في ظلها المسلمون والعالم ، وأذكر كيف فقد العرب الجرأة والاقتحام وسرعة التنفيذ والمخاطرة بالنفس في سبيل العقيدة والشرف ، وكيف أسرفوا في التفكير واعتمدوا على غيرهم وفقدوا الثقة بأنفسهم والاعتماد على الله حتى أضاعوا بلادهم ومقدساتهم وهانوا على الأمم كلها حتى المشردة الذليلة منها ، والعامل الثالث : هو عدم وجود شخصية في الشعوب العربية والحكومات العربية كلها تملك فلسطين وقضيتها عليها مشاعرها وتفكيرها وتصبح همها الشاغل فلا تفكر إلَّا فيها ولا تعيش إلَّا لأجلها ولا تجاهد إلّا في سبيلها ، وهنا أريد أن أعرف أمثالاً ونماذج من التاريخ الإسلامي ومن سيرة سيدنا أبي بكر والسلطان صلاح الدين الأيوبي وأبيّن كيف استولت عليهما قضايا الإسلام والدفاع عن الدين حتى كان كل منهما لفرط اهتمامه وَوَجْدِهِ كالوالدة الثكلى فقدت وحيدها .

الأستاذ تيسير ظبيان

شرفنا قبل العشاء الأستاذ تيسير ظبيان[١] مدير معهد العلوم الشرعية في عمان ، وكنت في صغري قرأت مجموعة أدبية لمقالات بعض الكتاب العصريين اسمها « الفردوس » وتأثرت بها ، وحاولت أن أقلد أسلوبها وأنسج على منوالها ، ولما سمعت بالأستاذ تيسير ظبيان بادر ذهني إلى هذا الكتاب ،

(١) مجاهد باحث ، صحفي ، مؤرخ من أهالي سورية ، كان ضابطاً في الجيش العربي مرافقاً للقائد يوسف العظمة ، وبعد معركة ميسلون غادر إلى الأردن مدرساً في إربد والقدس وبئر السبع ، والتحق برجال الثورة السورية ، فحكم عليه الفرنسيون بالإعدام ، أنشأ معهد العلوم الشرعية في عمان الّذي تحوَّل إلى كلية الشريعة ، ثم تفرَّغ لإصدار مجلة « الشريعة » التي لا تزال تصدر . له كتب قيمة ، ومن أشهرها « موقع أهل الكهف » و « مذكرات طالب » و « الفردوس في الأدب العربي » و « مقام المرأة في الإسلام » . توفي في عمان سنة ١٣٩٩هـ .

وتذكرت أنه كان للأستاذ تيسير ظبيان ، وسألته عنه فقال نعم إنه من مؤلفاته المبكرة ووعد بإرسال نسخة منها من عمان ، ولم يكن اهتمامي بهذا الكتاب إلَّا كأثر من آثار الصبا ، وآثار الصبا حبيبة إلى النفس .

يوم الجمعة ١٦/ ١٠/ ١٣٧٠هـ ـ ٢٠/ ٧/ ١٩٥١م .

نبأ اغتيال الملك عبد الله

صلينا الجمعة في مسجد الدقاق خلف الشيخ بهجة البيطار ، وذهبنا بعد العصر إلى جامع الشيخ محيي الدين ، وحضرنا درس الشيخ أحمد كفتارو وكان الاجتماع كبيراً ، وهنا فوجئنا بنبأ اغتيال الملك عبد الله بن الحسين ملك المملكة الهاشمية الأردنية وقد سمعه بعض أصحاب الشيخ أحمد من الإذاعة ، وقد كنا في الجمعة الماضية في ضيافته وعلى مائدته فسبحان الحي الذي يميت ولا يموت وكل شيء هالك إلَّا وجهه ، وإن مقتله عبرة كبيرة وعظة بالغة ، وقد بلغ بمملكته التي كانت تضم بضعة آلاف نفس إلى مملكة ذات شأن وكانت له آمال كبيرة وأحلام كثيرة وبينما هو في آماله وتصميماته إذ اختطفته يد المنية ، وقد قضى حياة أثارت نقداً كبيراً ، وعجز كثير من الناس عن فهم أهدافه الحقيقية وتبرير مواقفه في القضية العربية ، ومن المصائب أن الحزن عليه حائر في الصدور والدمع حائر في المآقي ، وعلى كل فقد كانت شهادته خيراً له ، أما البلاد فلا تعرف هل كان الحادث خيراً لها أم شراً لها ، ونخشى أن تزداد الأحوال بعده اضطراباً حتى يتذكره الناس ويترحموا عليه ، ونخشى على القدس من التدويل ومعناه الحكم الصهيوني ، ونخشى أن يصيد الإنجليز في الماء العكر فإن الإنجليز أمة لم تعرف معنى الوفاء والمبادىء ، وعلى كل فرحم الله الراحل وسامحه ، ورحم الله أهل فلسطين وحفظ لهم ما بقي لهم .

يوم السبت ١٧/ ١٠/ ١٣٧٠هـ ـ ٢١/ ٧/ ١٩٥١م

أصدقاء كرام

أفطرنا عند الشيخ أحمد كفتارو وظللت مشتغلاً بالمحاضرة ، وتغدينا عند

الأخ العزيز الأستاذ عبد الرحمن الباني وهناك فاجأنا الأستاذ عمر بهاء الأميري وزير سورية المفوض في الباكستان ، جاء مع الأستاذ أمين المصري[1] عضو لجنة التعليم والتربية في وزارة المعارف السورية ، قال الأستاذ الأميري إنه كان مدعواً عند أحد الأصدقاء فلما سمع بحضوري في بيت الأستاذ الباني اعتذر إلى الصديق وحضر هنا حرصاً على الاجتماع بي ، وسررت بإخلاصه وعدم تقيده بالشكليات ، وسر به المضيف جداً فإنه من إخوانه الأعزة .

مع الأستاذ أديب خان

ومن بيت الأستاذ الباني قصدنا دار الأستاذ أديب خان وجلسنا عنده ساعة أطلعني فيها على كتابه الذي أثبت فيه أن استعمار الإنجليز للبلاد وحروبهم كانت لأجل المحافظة على الهند التي كانت درة تاجهم الإمبراطوري ، وأعجبت بأسلوب هذا الكتاب الأدبي وعبارته البليغة ومتانة الاستدلال ، والأستاذ أديب خان نشأ في أفغانستان وفي سورية ويجمع بين ثقافتيهما وأدب اللغتين الفارسية والعربية .

الأحد ١٨/ ١٠/ ١٣٧٠هـ - ٢٢/ ٧/ ١٩٥١م

زيارة الجمعية الغراء والنادي العربي

شرفنا الشيخ محمد علي ظبيان والشيخ مصطفى السباعي بزيارتهما وزرنا

---

(١) أحد كبار العلماء الدعاة الأتقياء الشجعان ، نشأ مع فتية من جيله على حب الإسلام، ومطالعة كتبه . وقد أنشأ مع هؤلاء الفتية أول حركة إسلامية حديثة في بلاد الشام ، في عام ١٩٤١م ذهب إلى القاهرة للدراسة في كلية أصول الدين في جامعة الأزهر ، حصل بعدها على الشهادة الجامعية ، وكان طيب الصلة بجماعة الإخوان خلال إقامته بالقاهرة ، وفي عام ١٩٥١م عيِّن ملحقاً ثقافياً للسفارة السورية في باكستان ، وبقي هناك خمس سنوات ، وقد اضطلع خلال هذه الفترة بجهود طيبة في نشر اللغة العربية بين أبناء باكستان ، مارس التدريس في عدة جامعات من البلاد العربية ، توفي في سويسرا سنة ١٣٩٧هـ ، ودفن جثمانه بمكة المكرمة . ومن كتبه المشهورة « سبيل الدعوة الإسلامية » و « محاضرات في فقه السيرة » و « محاضرات في العقيدة » و « طريقة جديدة في تعليم العربية » .

الجمعية الغراء واجتمعنا برئيسها الشيخ أحمد الدقر ، وزرنا النادي العربي وجلسنا حيناً إلى أعضائه نتحدث عن صلات الهند الدينية والثقافية بالعرب ومساهمة أبنائها وعلمائها في العلوم العربية ومكتبتها ، وقلت لهم : إن هذا الاتصال الروحي الوثيق وصداقة ملايين من المسلمين للعرب لا يستهان بقيمتها بل يترجح على الانحياز لحفنة من المسيحيين الذين يعيشون في البلاد العربية ، إذاً فالجامعة الإسلامية التي تقوم على صداقة ملايين من البشر يتصلون روحياً ودينياً وثقافياً أولى بالاعتناء من القومية العربية التي تقوم على وحدة اللغة والوطن فقط ، وقد لوحت إلى هذه النقطة لأني سمعت أن النادي العربي متأثر بمبادىء حزب البعث العربي ورجاله .

في جمعية التمدن الإسلامي

دعانا اليوم صديقنا الأستاذ محمد كمال الخطيب إلى جمعية التمدن الإسلامي لنتعارف مع أعضائها ورجالها العاملين ، وحضر هناك الشيخ بهجة البيطار ومحمد النمر الخطيب وأحمد مظهر العظمة وبعض القضاة المحترمين ، وقدمني الأستاذ محمد كمال الخطيب وطلب مني كلمة ألقيها بهذه المناسبة ، فتحدثت عن مسؤولية العرب في داخل بلادهم وفي خارجها ، فأما في الداخل فتجديد الإيمان بالرسالة الإسلامية والفكرة الإسلامية إيماناً يشبه إيمان المهتدين الجدد في متانته وقوته وحماسته . وتكلم الحاضرون في وسائل هذا التجديد وأساليبه وذكروا تجاربهم وكذلك نشر الدعوة الدينية في داخل البلاد واقترحت على أعضاء الجمعية الاهتمام بهذه الناحية والاتصال بالشعب الذي هو في حاجة إلى التوجيه الديني وعدم الاقتصار على الإنتاج العلمي وخطاب الطبقة المثقفة أما المسؤولية الخارجية فدعوة الأمم إلى الإسلام.

الإثنين ١٩/ ١٠/ ١٣٧٠هـ - ٢٣/ ٧/ ١٩٥١م

محاضرتي في الجامعة السورية

كان اليوم موعد إلقاء المحاضرة في الجامعة السورية ، ذهبنا بعد صلاة

العصر إليها وجلسنا قليلاً في غرفة الأستاذ قسطنطين زريق رئيس الجامعة ، ومن غريب المصادفات أن الأستاذ قسطنطين زريق بحث أيضاً عن أسباب فشل العرب وانهزامهم في معركة فلسطين السياسية في رسالته « معنى النكبة » وقد أطلعني عليها الأخ عبد الرحمن الباني في الوقت الأخير ، وطبيعي أن يكون هنالك اختلاف في أسلوب التفكير ومنهجه ، فهو يوصي العرب في هذه الرسالة بالتطور الكامل والتجرد عن الأفكار القديمة وفصل الدين عن الحياة ، ولكننا نلتقي على أن العرب في حاجة إلى الإيمان ونختلف في معنى الإيمان ، جلسنا قليلاً في غرفته نتحدث معه عن مركز اللغة العربية وآدابها في الهند واعتناء المسلمين في تلك الديار بهذه اللغة وخدمتها وتحدث الشيخ محمد بهجة البيطار عن فضل علماء الهند في تعلم اللغة العربية وإتقانها وعطفهم على الجامعة الإسلامية وتمسكهم بالإسلام ، وكان الأستاذ قسطنطين يخاف أن يكون المستمعون قليلين جداً لسبب الإجازة الصيفية وشدة الحر في هذه الأيام فمهد لذلك واعتذر إذا كان من يحضر قليلاً ، وخرجنا إلى مدرج الجامعة فوجدنا اجتماعاً كبيراً وما لبث المدرج أن غص بالحاضرين على سعته ، وكان من بينهم الدكتور معروف الدواليبي رئيس المجلس النيابي والأستاذ عمر بهاء الأميري والأستاذ قسطنطين زريق رئيس الجامعة والأستاذ يوسف العش سكرتير الجامعة ، ومن النواب الأستاذ عبد الوهاب حومد[١] ، والأستاذ محمد المبارك ، والدكتور مصطفى السباعي ، ومن أساتذة الجامعة ورجال المعارف الدكتور أمجد الطرابلسي أستاذ كلية الآداب ، والأستاذ سعيد الأفغاني أستاذ كلية الآداب والشيخ بهجة البيطار من أساتذة الجامعة والأستاذ نمر المصري مدير مدرسة دير ياسين لتعليم أبناء اللاجئين والأستاذ أحمد مظهر العظمة عضو لجنة التربية والتعليم في وزارة المعارف ومن أركان جمعية التمدن الإسلامي ومجلتها ، والأستاذ أمين المصري عضو لجنة التربية والتعليم ، ومحمد كمال الخطيب من أعضاء جمعية التمدن الإسلامي ، ومن العلماء الشيخ أحمد كفتارو والشيخ مكي الكتاني والشيخ أحمد الدقر رئيس الجمعية الغراء ،

(١) وزير المعارف في حكومة السيد حسن الحكيم .

والشيخ عبد الرؤوف أبو طوق من أعضاء الجمعية الغراء وخطبائها والشيخ محمد علي ظبيان من علماء دمشق وغيرهم ، تقدم الشيخ محمد بهجة البيطار فقدم المحاضر إلى المستمعين ، ثم ألقيت المحاضرة وعلق عليها الشيخ مصطفى السباعي بكلمة بليغة وأيد ما جاء فيها من آراء وملاحظات ، ورجا أن يقيض الله لفلسطين من يتبنى قضيتها ويتجرد لها ويسهر عليها كالرجل الذي يمرض وحيده ، وانفض المجلس ، وكانت الحفلة ناجحة والحمد لله .

الثلاثاء ٢٠/ ١٠/ ١٣٧٠هـ ـ ٢٤/ ٧/ ١٩٥١م

في ضيافة الشيخ محمد علي ظبيان
حديث عن شيوخ دمشق

كان حديث المجلس في الفطور عن محدث الشام الجليل السيد بدر الدين الحسني ، والشيخ عبد الحكيم الأفغاني ، وعن أساليب الدعوة إلى الله وحكمتها ، ومما ذكره الشيخ عبد الوهاب الصلاحي بهذه المناسبة أن الشيخ بدر الدين الحسني رحمه الله أرسل إلى مومسات دمشق في يوم من أيام رمضان يقول : هذا شهر مبارك يستجاب فيه الدعاء وتنزل الرحمة فيسألكن بدر الدين أن تغتسلن وتصلين ركعتين لله تعالى وتدعون للمسلمين ولبدر الدين عسى أن يتوب الله عليه ، وقد كان هذا الأسلوب مؤثراً جداً فقد تابت بهذه الطريقة أكثر من عشر من المومسات وحسن حالهن ، ومما ذكره الشيخ بهجة البيطار أن والد السيد بدر الدين الحسني سمع مرة أن خمارة فتحت بجنب مسجد فجاء إلى السيد عبد القادر الجزائري ورجاه أن يمنعها فاعتذر بأنه لا حول له ولا طول ، فقام أمامه وقال : أصلي ركعتين على هذا الميت الله أكبر ، وصار يصلي عليه فقال ما هذا ؟ قال : صلاة الجنازة لأنك ميت لا تستطيع أن تمنع خمارة في جنب مسجد ، فاعتذر واشترى هذا الدكان ووقفه .

وقد زرنا في طريقنا إلى بيت الشيخ محمد علي ظبيان قبر سيدنا زيد بن ثابت وسيدنا زيد بن أرقم ولا نعرف مقدار صحة هذه النسبة .

شرفنا الشيخ مصطفى السباعي ووضع برنامج السفر إلى حلب في طريقنا

إلى تركية وزيارة حمص وحماة .

محاضرتي في الجمعية الغراء

اجتمع العلماء ورؤساء الجمعيات الدينية في الجمعية الغراء في جامع تنكز ، وحضر عدد كبير من أهل العلم ورجال المدارس ، وحاضرت في موضوع الدعوة ووجوب نشرها في الجماهير وحاجة المدارس إلى ذلك ، وذكرت تجارب معلم في هذه السبيل ، وبينت الأخطار التي تهدد المدارس الدينية ومستقبلها لو اقتصرت على التدريس فقط وانطوت على نفسها ولم تتصل بالشعب ولم توقظ فيه الشعور الديني ، وذكرت لهم منهاج الدعوة الذي اتخذناه في مدرستنا دار العلوم وفي بلدنا لكهنؤ وما أثمر هذا المنهاج وما عاد على المدرسة وعلى البلد من ذلك من فوائد .

الأربعاء ٢١/ ١٠/ ١٣٧٠هـ ـ ٢٥/ ٧/ ١٩٥١م •

أخبار شرق الأردن

نقلت الصحف ما كنا نخشاه في شرق الأردن وفي القدس ، فقد اضطربت الأحوال وانتهز « جلوب » الفرصة فبطش بالفلسطينيين الأبرياء وشفى نفسه من أهل القدس ، وحشر كثيراً منهم إلى السجن بتهمة المؤامرة ، وأصبح القدس تحت رحمة الجيش الأردني ، واستنسر البغاث في أرض المسلمين بفضل الإنجليز وصنائعهم ، والحكومات العربية وجامعتها متفرِّجة منعزلة لا تحرك ساكناً ولا تمنع معتدياً ، ولم يرفع أحد صوته في حماية أهل القدس العزل إلَّا المفتي أمين الحسيني .

حديث الأستاذ محمد عزة دروزة عن قضية فلسطين

ذهبنا لزيارة الأستاذ محمد عزة دروزة[1] صاحب كتاب « عصر النبي عليه

---

(١) مؤرخ ، باحث من أهالي فلسطين ، تقلَّب في الوظائف حتى كان مديراً عاماً للأوقاف بفلسطين ، وعمل في السياسة منذ إعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨م ، واشترك =

السلام وبيئته قبل البعثة » وكنت قد قرأت هذا الكتاب سنة ١٩٤٧م في مكة وأفدت منه في كتابي « ماذا خسر العالم » وجرى الحديث عن فلسطين ، والأستاذ فلسطيني يعمل لقضية فلسطين من زمان وله في ذلك مؤلفات ، فاطلعنا على بعض الحقائق وهي تؤيد ما عرفناه من قبل من مصادر كثيرة من ضعف الحكومات العربية وتخاذلها وعدم كفاءة القادة العرب ، وقال الأستاذ إن الحكومات العربية لم تكن جادة في هذه القضية ولم تكن مصممة على متابعة الحرب ، وقد قيل لها في مرحلة من مراحل القضية أن تحشد قوتها وتقضي على إسرائيل كلياً ، وقد كان ذلك ممكناً ، ولكنها قالت : إننا دخلنا الحرب على أمل أن بريطانيا وأمريكا ستدخلان في الموضوع وتسويان القضية ، لذلك لم تظهر الدول العربية الجد والصرامة ولم تستمت في سبيل الدفاع عن فلسطين ، فعاشت إسرائيل وأصبحت الأمر الواقع ، ولم تتدخل بريطانيا ولا أمريكا ، بل ساعدتا إسرائيل . وغني عن البيان أن ليس من طبيعة الحرب الاتكال على الغير ، ولا تستطيع أمة أو دولة أن تحارب العدو اعتماداً على تدخل ثالث ، فالحرب دائماً غير مقيدة وغير مشروعة ، ولا يمكن أن تكسب إلَّا بالشجاعة والصرامة وبعزم القضاء على العدو ، ويمكن أن يقال للدول العربية :

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الإبل

الخميس ٢٢/ ١٠/ ١٣٧٠هـ ـ ٢٦/ ٧/ ١٩٥١م

في مضايا

أخذنا اليوم الأخ عبد الرحمن الباني إلى مضايا المصيف الذي يصطاف فيه

= بجمعيات وأحزاب ، وكان عضواً في لجان عديدة ، استقرَّ بدمشق حتى وفاته عاكفاً على العمل العلمي . مُنح بعض الجوائز التقديرية . توفي سنة ١٤٠٤هـ . له أكثر من ثلاثين كتاباً مطبوعاً في التاريخ والتربية والسياسة والدراسات الإسلامية ، ومن أشهرها « مختصر تاريخ العرب والإسلام » و « عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة » و« سيرة الرسول من القرآن » و« القرآن واليهود » و « الإسلام والاشتراكية ».

مع أسرته ، وهو مصيف جميل هادىء وقد مررنا في طريقنا إلى مضايا بعدة مصائف ومناظر طبيعة جميلة ومررنا بنبع نهر بردى ، ولا شك أن سورية بصفة عامة ودمشق بصفة خاصة غنية جداً في المناظر ، وقد حباها الله شيئاً كثيراً من جمال الطبيعة وفتنة المنظر وعذوبة المياه ورقة الهواء ، وقضينا النهار في مضايا .

ذكرى مؤتمر بلودان

ورأينا بلودان المصيف السوري الشهير من بعيد قلت للسيد الباني : كأن هذا الاسم مر بأذني من قبل قال : نعم هناك انعقد مؤتمر فلسطين الشهير بمؤتمر بلودان وقد حضره وزراء الدول العربية وقادتها وشربوا واستهتروا وكان كل ذلك باسم التفكير في مسألة فلسطين وانفضوا ولم يقضوا شيئاً ، وأعلن بعضهم أننا قد وصلنا إلى نتائج سوف تهز العالم ولكنها لم تظهر ولم تحدث اهتزازاً ما .

حديثي
عن انطباعات الرحلة ونتائجها وعن علل الشعوب الإسلامية

كان لي اليوم حديث . لخصت للمستمعين انطباعات هذه الرحلة والنتائج التي توصلت إليها . لخصتها في نقطتين ؛ الأولى : أن الطبقة التي تمتلك زمام البلاد جيل لم يسغ الإسلام إساغة كاملة ولم يهضمه هضماً صحيحاً بحكم نشأته وثقافته ، ولا يؤمن بالإسلام كدين وحياة ، إيمانه بمبادىء الحضارة الغربية وقيمتها ، ولا يخلص له إخلاصه لفوائده وأغراضه ، وأن عقلية كثير من أفراده عقلية متعفِّنة لا تصدِّق أن الإسلام يسود ويحكم وأن سعادة البشرية منوطة به .

ثانياً : الشعوب العربية الإسلامية في جميع هذه البلاد ضعيفة في الوعي أو فاقدة للوعي ، لا تفهم المبادىء والمسائل الأولية في الحياة ، ولا تميز بين الصديق والعدو والناصح والغاش ولا تبغض العدو ولا تحب الصديق . إنها كالسائمة تساق بالعصي وكقطعان الغنم تندفع من غير تفكير ، وما دامت هذه

الشعوب يعوزها الوعي فهي عرضة للدعايات وأفرادها أتباع كل ناعق بخلاف الشعوب الأوربية فهي على علاتها الكثيرة وعيوبها الجمة ذات وعي في الشعور ، تعرف العدو من الصديق فلا يستطيع غير مخلص أن يستغلها زمناً طويلاً أو يخدر أعصابها ويرجع إلى كرسي الحكم بعد ما جني على مصالح الأمة ولم تحقق آمالها . هذه هي الشعوب التي استغنت عن بطل الحرب الأولى المستر لويد جورج ، وبطل الحرب الثانية المستر تشرشل ، فلم يستطع أحد منهما أن يتولى رئاسة الوزارة ولم يكن انتصار الأخير في الحرب شافعاً له وموجباً لرجوعه إلى القيادة ، وكذلك بطل « فردن مسيوسبين » أقصي من الحكم وحكم عليه بخيانة الأمة لأجل التسليم للألمان ، أما نحن فالمتملك لزمام الحكم يبيع بلاده ويخون أمته في أقدس ما عندها وأثمن ما عندها ويحتكر الحكم تارة أو يعود إليه مراراً والأمة لا تحاسبه ولا تعاقبه لأن الضمير الاجتماعي غير واع وغير مستيقظ فليفعل الملوك ما يشاؤون ويتصرف الوزراء وممثلو الأمة كما يشاؤون فحكمهم مضمون وشرفهم مأمون .

يوم الجمعة ٢٣/ ١٠/ ١٣٧٠هـ - ٢٧/ ٧/ ١٩٥١م .

خطبة الجمعة في جامع الجامعة السورية

طلب مني طلبة الجامعة السورية إلقاء خطبة الجمعة في جامع الجامعة واعتذرت كثيراً لأن خطبة الجمعة ثقيلة عليّ جداً ، وذلك من بعض خصائصي ، مع أني إمام الحي في بلدي وعريق في منصب الإمامة فأبي وجدي كانا يصليان بالناس وأخي الأكبر كذلك والحمد لله ، ولكني لا أزال أشعر بجلال الموقف ودقته ، ولكنهم لم يقبلوا مني عذراً ، فقبلت دعوتهم متهيباً ، افتتحت الخطبة بحديث رسول الله ﷺ : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع ، عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وأين أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه » وشرحت هذا الحديث وقلت يا شباب الجامعة ، ما أسعد الطالب الذي أخبر بالامتحان قبل الامتحان ، وما أشقى الطالب الذي أخبر بأسئلة الامتحان قبل أوانه ثم ضيع الفرصة ولم يستعد

ولم يحضر الجواب ، وهذه هي الأسئلة التي سوف نواجهها وتواجهونها قد أخبرنا بها الرسول الكريم الذي هو بالمؤمنين رؤوف رحيم ، لأنه يعرف أن الدنيا دار الاستعداد والجهاد والآخرة دار الجزاء والحصاد ، ثم أفضت في شرح جزء « عن شبابه فيم أبلاه » وذكرت فيهم بعض الصحابة وأولي العزم من بعدهم معنى الشباب وموضوعه وانتفاعهم بفرصة الشباب فحكيت لهم حديث سيدنا مصعب بن عمير وسيدنا عمر بن عبد العزيز من بعده كيف انتقلا من حياة التنعم والتأنق في المطعم والملبس إلى حياة التقشف والزهد وشظف العيش وخشونة الملبس والمطعم واستشعرا لذة الإيمان ، وذاقا حلاوة التضحية والإيثار واستهانا باللذات الحسية التي يشاركنا فيها الدواب والأنعام .

مع الشيخ مصطفى السباعي في مصيف « الأشرفية »

أخذنا الشيخ السباعي اليوم إلى مصيف « الأشرفية » الذي يصطاف فيه ورافقنا الأستاذ محمد المبارك ، وقد أقام الأستاذ السباعي عريشاً على النهر وهو محل ظريف طاب لنا الجلوس فيه والحديث مع الأستاذين السباعي والمبارك .

تحول الحماسة الدينية من الشيوخ إلى الشباب

رجعنا من الأشرفية وذهبنا مع الأخ الباني إلى بيته لنجتمع مع أبناء الجامعة ، ونتحدث إليهم بصفات الداعي وتربية النفوس ، ورأينا هناك منظراً يثير الاعتبار ويدل دلالة واضحة على تحول عظيم ، كان النقاش محتدماً في مسألة نصب التماثيل للعظماء بمناسبة نصب تمثال ليوسف العظمة وزير دفاع سورية الذي قتل في ميسلون : وموضع العبرة أن شيخاً متعمماً من العلماء كان يدافع عن فكرة نصب التماثيل ، وكان أكبر دليله والمبرر لنصب التماثيل أننا إذا رفضنا هذا التمثال المهدى إلينا من إخواننا السوريين في البرازيل هزأت بنا الأمم المتمدنة ، وقالت إن الأمة السورية أمة متأخرة غير متمدنة وهذا عار كبير ، وكان الشباب طلبة الجامعة الذين يخشى عليهم بحكم ثقافتهم الجامعية أن ينتصروا لفكرة التماثيل ويدافعوا عنها ، قد ملكتهم الثورة ، وكانوا

متحمسين جداً في الرد على هذه الفكرة ، وكان بعضهم من شدة الغضب لا يملك نفسه فيضغط عليه زملاؤه احتراماً للشيخ ولحرية الرأي ، وكان الشباب من غير شك أصح فهماً للإسلام ، وأكثر حماسة له ، وأبعد من مركب النقص في هذا العالم ، واستنتجت من هذا أن رجال الدين قد تركوا مقامهم وأصيبوا بدهشة الحضارة والأفكار الغربية ، ولعل الزعامة الإسلامية اتجهت إلى الشباب الذين نشؤوا في أحضان هذه الحضارة المادية والثقافة العصرية ، ولعل أبناء آزر والناشئين في بيوت الأصنام يمثلون سيرة إبراهيم عليه السلام .

السبت ٢٤/ ١٠/ ١٣٧٠هـ ـ ٢٨/ ٧/ ١٩٥١م

زيارة الأستاذ محمد كرد علي

ثم توجهنا لزيارة العالم الكبير مؤرخ سورية وأديبها الأستاذ محمد كرد علي ، اجتمعنا به في منزله فاحتفى بنا وقابلنا ببشر وحفاوة لم يقابلنا بها إلَّا أفراد قلائل من الأدباء والكتاب ، قلت له : قد قرأت لكم أول ما قرأت فصلاً من كتاب « حاضر الأندلس وغابرها » وأثَّر فيّ كثيراً وعلقت بذاكرتي بعض تراكيبه الجميلة وعباراته الرشيقة ، قال : سمعت أن هذا الكتاب ترجم في الهند ، قلت قد ترجمه أحد زملائنا وهو الأستاذ عبد السلام الندوي[1] ، قال : زرت الأندلس ، وصادف وصولي هناك يوم خروج العرب منها ، والبلاد تحتفل كل سنة بهذا اليوم ، وتكدرت جداً بهذه المصادفة وبقيت طول اليوم منكسف البال ، ثم أثنى على روح علماء الهند العلمية وحركة العلم والتأليف في هذه البلاد وقال : هل تعلمون أن للهند فضلاً ونصيباً في أعمال السيد ابن عابدين العلمية ، وذلك لأن والده كان تاجراً وكانت له صلات قوية بالهند فكان يجلب كتباً فقهية من الهند لولده وكان السيد يطالعها ، إذاً فللهند يد في تكوين ثقافته ودراسته الفقهية .

---

(١) أحد كبار العلماء والباحثين والمؤرخين في الهند في هذا القرن ، تخرَّجَ من ندوة العلماء على أساتذتها الأجلاء ، وله كتب رائعة في التاريخ . توفي ـ رحمه الله ـ سنة ١٣٩٩هـ .

أهدى إلينا الأستاذ محمد كرد علي كتابه « كنوز الأجداد » الذي هو من أحب مؤلفاته إليه ، وزرنا المجمع العلمي واجتمعنا بالأستاذ خليل مردم بك للمرة الثانية وأهدى إلينا ديوان علي بن الجهم الذي خدمه وعلق عليه وقام بتصحيحه .

زيارة قبر الشيخ وتلميذه

توجهنا إلى الجامعة السورية وقابلنا رئيسها الأستاذ قسطنطين زريق ، وكان المقصود زيارة قبر شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية وقبره عند كلية الطب ، وكانت هذه مقابر الصوفية المعروفة في كتب التراجم ، فكم يقول المرادي في سلك الدرر والمحبي في خلاصة الأثر « ودفن في مقابر الصوفية » وكانت هاهنا قبور ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق وابن الصلاح صاحب المقدمة وابن كثير صاحب التاريخ والتفسير ، ودرست هذه القبور في ليلة واحدة أغار عليها رجال الجامعة وكاد قبر ابن تيمية يدرس معها ، ولكن تدخل الرئيس شكري القوتلي وهو صديق الملك ابن السعود فأمر بإبقاء قبر شيخ الإسلام ، وفي الرجوع زرنا قبر الحافظ ابن القيم رحمة الله عليه في الميدان التحتاني جزاهما الله عن الإسلام والمسلمين خير ما يجزي المجددين لهذا الدين ، النافين عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين .

الأحد ٢٥/ ١٠/ ١٣٧٠هـ ـ ٢٨/ ٧/ ١٩٥١م

حديث للشيخ كامل القصاب عن ملوك العرب

اليوم يوم السفر إلى حمص فحماة فحلب ومنها إلى تركية ، وجلس الشيخ كامل القصاب وذكر اتصالاته بملوك العرب ودراساته لهم ولحكوماتهم وكيف خابت آماله فيهم ، وهو يعتقد بعد تجارب قاسية ومحاولات كثيرة لإقناعهم بضرورة نصر الدين والنهوض للإسلام والمسلمين ، أنه لا خير منهم ولا همَّ لهم إلَّا بطونهم وشهواتهم وكان الشيخ حزيناً منكسر الخاطر مما شاهد من أحوال المسلمين وعاصر الحوادث الجسام ونكبات الإسلام ولكنه قوي الإيمان

متحمس للدين ، وكان متأسفاً على أنه لم يعرف وجودنا في دمشق ولم نتقابل إلّا في الوقت الأخير وأفضى إلينا بحقائق كثيرة وبث إلينا همومه وأحزانه .

من دمشق إلى حمص

شرفنا الشيخ مصطفى السباعي وجماعة من الأصدقاء وركبنا سيارة لحمص وقد سبق الأستاذ السباعي بإعلام الإخوان في حمص بتوجهنا ، وقد قطعنا المسافة بين دمشق وحمص وأنا أستعرض تاريخ فتوح الشام وأتمثل جنود المجاهدين من الصحابة وغيرهم يقطعون هذه المسافة مشاة ، وركباناً ـ ولكن على ظهور الخيل ـ هذه المسافة التي قطعوها رجالاً وفرساناً نقطعها على سيارة سريعة مريحة فاخرة صنعت في أمريكا فكم بين أمس واليوم ، وكم بين رجال الماضي والحاضر .

وصلنا إلى حمص الساعة الرابعة واستقبلنا الأستاذ نصوح السباعي شقيق صديقنا الكريم الشيخ مصطفى السباعي والأستاذ عبد المجيد الطرابلسي ، وبعد صلاة العصر أخذونا إلى منتزه نهر العاصي حيث صلينا المغرب وتعشينا على شاطىء النهر ، وشعرت هنا بتغير الطقس وزيادة البرودة .

محاضرتي

ورجعنا إلى المركز وقد تقرر إلقاء محاضرة بعد العشاء وبعد كلمة ترحيب وتعريف حماسية من الأستاذ عبد المجيد قمت وذكرت صلتي بحمص وأنها حبيبة إلى النفس منذ الصغر ، وقد كانت العادة في أسرتنا أن السيدات كن يجتمعن كل يوم خصوصاً في أيام حادثة أو اجتماع وكن يتلون كتاب فتوح الشام ، وكان أحد أقاربنا وهو السيد عبد الرزاق[1] قد نظم فتوح الشام للواقدي في شعر أردو في خمسة وعشرين ألف بيت ، وصار هذا الكتاب ملحمة إسلامية منظومة وهو في غاية التأثير والانسجام وإذا أنشدت هذه المنظومة

---

(١) هو السيد عبد الرزاق الحسني ، كان عم والد سماحة الشيخ الندوي ومن أقارب السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد وكان يتلقب في الشعر على عادة شعراء العجم بـ « كلامي » .

تحركت القلوب وفاضت العيون وبهذا الكتاب عرفت سيدنا خالداً سيف الله رضي الله عنه وعرفت كبار المجاهدين والغزاة من الصحابة رضي الله عنهم وأخبار بطولتهم ومغامرتهم وحنينهم إلى الشهادة واستهانتهم بهذه الحياة الفانية وخالط حبهم شغاف القلب وأصبح طبيعة وعقيدة في وقت واحد .

تاريخ فتوح الشام وتأثيره في حياة المسلمين في الهند

قلت : وهذا التاريخ الذي صنع في بلادكم يا أهل الشام ، ويا أهل حمص بوجه خاص ، هو الذي أبى على المسلمين في الهند أن يندمجوا في الكثرة المحيطة بهم وأن يخلدوا إلى الحياة التي لا يرضاها الإسلام ، وهو التاريخ الذي لم يزل ولا يزال مصدر القوة والحياة والثورة على الباطل ، وله فضل كبير في إشعال العاطفة الدينية وإبقائها واستمرارها في هذا الشعب المسلم ، فلا شيء أدعى إلى العجب والحزن من أن نرى أهل حمص مشغولين عن هذا التاريخ المجيد ذاهلين عن رسالته وإلهامه مستهينين برجاله وأبطاله .

العالم الإسلامي في حاجة إلى سيف من سيوف الله

قلت : إن العالم الإسلامي غني اليوم ولكنه لا يملك سيفاً من سيوف الله ، وهذا مصدر شقائه وبلائه ، وفي أرضكم دفن هذا السيف يا أهل حمص فهل لكم أن تغيثوا العالم الإسلامي وتعيروه هذا السيف المفقود ؟ ثم ذكرت لهم أن العالم الإسلامي قد أصبح صورة مجردة عن الحقيقة ، وهذا التجرد من الروح والحقيقة هو الذي جنى عليه وجر إليه البلاء وجرأ عليه الأعداء ، ولا غوث للعالم الإسلامي ولا تغيير لما أصابه من الوهن والخزي حتى يتحلى بالحقيقة ويعمره بالروح الإسلامية الصحيحة ، وأفضت في شرح هذه النقطة وضربت الأمثال من الحياة اليومية .

الإثنين ٢٦/ ١٠/ ١٣٧٠هـ - ٣٠/ ٧/ ١٩٥١م

على قبر سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه

ذهبنا اليوم في الصباح لزيارة سيدنا خالد بن الوليد ، دخلنا الجامع

المنسوب إليه ووقفنا أمام قبره نستحضر تاريخه وجهاده وبطولته وما خصه الله به من الشجاعة الخارقة والقوة المرهوبة المرعبة والإخلاص والإيثار وقد أثارت هذه الوقفة معاني وأحاسيس في النفس وجددت ذكريات تاريخية وأثارت الإجلال والحب والتقدير لهذا المجاهد الجليل الذي سماه الرسول ﷺ سيف الله .

زيارة صديق مخلص

زرنا المعهد العلمي وهو مدرسة دينية في ناحية من نواحي جامع سيدنا خالد ثم قصدنا صديقنا المخلص الشيخ عبد العزيز عيون السود أمين الفتوى في حمص ، وقد توثقت بيننا الصداقة في حج العام الماضي ودعانا إلى زيارة حمص .

زيارة مفتي حمص

ذهبنا مع الشيخ عبد العزيز لزيارة سماحة المفتي محمد توفيق أبا الحسن الأتاسي وهو مفتي حمص الأكبر وابن عم رئيس الجمهورية هاشم بك الأتاسي وبيت أتاسي معروف في سورية بالعلم والدين ، وسماحة المفتي متقدم في السن منور الشيبة فيه سيما الصالحين والعلماء العاملين دمث الخلق يشبه كثيراً كبار علماء بلادنا .

صلينا الظهر في جامع نور الدين الشهيد وهو جامع البلد وزرنا مكتبة الإخوان المسلمين ، وصلينا العصر في المسجد المنسوب إلى سيدنا دحية الكلبي .

كان بعض الفلسطينيين قابلونا في الطريق وذكروا إعجابهم بالكلمة التي ألقيت البارحة وأنها جددت فيهم الإيمان وطلبوا مني أن أحضر الليلة اجتماعاً يعقدونه في بعض منازلهم ويدعون إليه إخوانهم وبعض رجال البلد فقبلت دعوتهم وحضرت هذا الاجتماع بعد صلاة العشاء فوجدته اجتماعاً حافلاً بأعيان البلد وكبار الموظفين وتحدثت إليهم حديثاً دينياً أصغوا إليه في حسن إنصات وإقبال .

الثلاثاء ٢٧/ ١٠/ ١٣٧٠هـ - ٣١/ ٧/ ١٩٥١م .

على قبر سيدنا عمر بن عبد العزيز

شرفنا علماء البلد وسماحة المفتي والشيخ عبد العزيز عيون السود وغيرهما ، وذهبت معهم أزور قبر سيدنا عمر بن عبد العزيز في دير سمعان وهي ضاحية من ضواحي حمص والقبر على ربوة حولها مزارع من الكرم . جلست عند قبر خامس الخلفاء الراشدين ومجدد عظيم من مجددي الإسلام واستعرضت تاريخه الحافل بخوارق الزهد والورع وقوة العزيمة وتطبيق منهاج الخلافة الراشدة ، وترحمت عليه واستمطرت شآبيب الرحمة والرضوان على هذا الفتى الشهم وتمنيت للإسلام في هذا العصر وللإنسانية المعذبة والمنكوبة حاكماً مثله :

هيهات أن يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل

ثم توجهنا إلى حماة حيث وصلنا عند صلاة العصر .

البيت الكيلاني

وسألت عن البيت الكيلاني فقد عرفنا في بلدنا لكهنؤ أحد رجال هذا البيت وهو السيد علي الكيلاني كان يزور الهند وكان له أتباع في لكهنؤ وغيرها فعرفونا بشاب شريف اسمه السيد نزار الكيلاني وعلمت أنه ابن أخي السيد ، وذكروا لنا الشيخ محمد مرتضى الكيلاني نقيب السادة الأشراف واقترح علينا الأستاذ عبد العزيز الساعاتي زيارة السيد فقلت حباً وكرامة ، وزرت السيد رغم السخونة التي كنت أشعر بها ، وجلست عنده قليلاً ، ثم حضرت الاجتماع في مركز الإخوان وكان اجتماعاً حافلاً بكثير من العلماء والأساتذة .

كلمتي في الاجتماع

خطبت في هذا الاجتماع ، وذكرت كيف فرض تاريخ الجهاد الإسلامي الذي لسورية منه النصيب الأكبر على المسلمين في الهند أن يجاهدوا في سبيل الإسلام ، وأن يدافعوا عن دينهم وكيف أثار فيهم الروح الدينية وألهبت فيهم

الغيرة الإسلامية فكان هذا النضال وهذا الصراع الذي ينوِّهون به كثيراً ، وقد ذكره خطيب الإخوان من وحي هذا التاريخ .

مسؤولية أهل سورية

وهنالك تقع التبعة الكبرى على أهل سورية أنفسهم، ويجب عليهم أن يتلقوا هذا الدرس من تاريخهم، فإذا كان أهل سورية يسهل عليهم الاندفاع إلى المبادىء القومية والتشبع بالنعرة العربية فأهل الهند أولى بالاندماج في الكثرة التي تحيط بهم وترحب بعودتهم وتضمن لهم الكرامة والتمتع بالحقوق المدنية والاعتزاز بالقومية الهندية والوطنية ، فإن الشيء الوحيد الذي كان يأبى عليهم أن يفعلوا ذلك هو العقيدة الإسلامية التي دعاهم إليها أسلافكم أيها العرب وهذا التاريخ الذي صنع في سورية وغيرها فإذا هان على إخواننا السوريين أن يتخلَّوا عن هذا التاريخ وأن يتجرَّدوا عن هذه العقيدة فذلك على غيرهم ممن لا يمتُّون إليه بصلة نسبية أهون ، ويجب إذاً أن يؤدوا إلينا ديات هؤلاء القتلى والجرحى وهذه الضحايا والدماء الزكية التي أريقت في سبيل الإسلام .

وقد أردت أن أحرك فيهم الغيرة وأضرب على الوتر الحساس ، وقد رأيت الأثر بادياً في وجوههم ، وقد كانت الكلمة شديدة ولاذعة وقد تعمدت ذلك لأني سئمت الهتاف بالباكستان والإشادة بذكرها من غير تفكير في مسؤولية العرب ومركزهم وواجبهم .

الأربعاء ٢٨/ ١٠/ ١٣٧٠هـ ـ ١/ ٨/ ١٩٥١م

نواعير حماة

دعانا البارحة الشيخ محمد أفندي الكيلاني إلى الفطور فحضرنا ومررنا في طريقنا بالنواعير التي تمتاز بها حماة ، وهي عجلات ضخمة ترفع الماء من البرك إلى سطوح مختلفة في الارتفاع وقد ركبت فيها كؤوس تمتلىء بالماء وتدور العجلات دورتها والكؤوس تفرغ ماءها ، وهكذا يصل الماء إلى كل سطح من سطوح البلد وينشأ من دورة العجلات صوت مستمر يدوي في الفضاء

وهو في الليل أشد يزعج نوم الغرباء ، ولكن أهل البلد تعودوه ، ونظام النواعير نظام قديم للسقي يرجع تاريخه إلى عهد الرومان .

مررنا ببيوت أثرية عتيقة للبيت الكيلاني الذي انتقل بعض رجاله من بغداد إلى حماة ولعل ذلك في عهد أبي الفداء حتى وصلنا إلى مقر ضيفنا نقيب الأشراف الحالي وأفطرنا .

آثار حماة التاريخية

خرجنا لزيارة حماة ومشاهدة آثارها التاريخية فزرنا جامع أبي الفداء ويسمى جامع الحيات لأن عمده فيها تخاطيط تشبه الحيات ، وهو الآن مسكن اللاجئين الفلسطينيين تسكن فيه أسرهم وعوائلهم كما تسكن العائلات في البيوت وتولد الأولاد فيها ، وقد رأينا في دمشق كذلك مساجد أصبحت مساكن اللاجئين وذلك بأمر الحكومة .

أبو الفداء الحموي

ولم نعرف إلى الآن مبرراً لهذا العمل مع وجود قصور ومساكن تفضل عن حاجات أصحابها ، وزرنا قبر أبي الفداء صاحب التاريخ المشهور باسمه وهو من أفذاذ ملوك المسلمين الذين جمعوا بين إدارة الملك والاشتغال العلمي ، وهو فضلاً عن كونه ملكاً من الملوك عالم سليل ومؤلف واسع الاطلاع ، وفي عصره ازدهرت حماة وبلغت أوجها وكانت إمارة مستقلة ودولة منفصلة .

في ثانوية ابن رشد

وزرنا كذلك جامع الملك المظفر وهو جامع فخم وكان كنيسة حولت مسجداً ، وزرنا ثانوية ابن رشد وهو بناء عصري واجتمعنا ببعض أساتذتها ، وكانت أيام الإجازة الصيفية وقد حضر بعضهم اجتماع البارحة وأبدى تأثره بالكلمة التي ألقيت فيه .

قصر آل العظم

زرنا قصر آل العظم الذي نحن نازلون في أحد أجنحته فوجدناه قصراً فخماً يمثل الحياة الأرستقراطية التي يحياها الأمراء والحكام في العصر التركي ، وكيف كانت أموال الفقراء والفلاحين تصرف على كماليات الأغنياء ، وقد وجدنا في هذا القصر كل ما يحتاج إليه صاحب القصر وما لا يحتاج إليه ولكنه يخاف أن يحتاج إليه ولا يجده ، والآن فيه مدرسة وناد ومكتبة .

الخميس ٢٩/ ١٠/ ١٣٧٠هـ - ٢/ ٨/ ١٩٥١م .

زيارة القلعة

تفرجنا اليوم مع الأخ عبد الغني على القلعة الخيرية وآثارها ، وسمعت أن شركة أجنبية عملت فيها عملية الحفر واستخرجت منها آثاراً ذات قيمة ، وقد اتفقت معها الحكومة السورية على أن الآثار سيكون النصف منها للحكومة والنصف للشركة ، ولكن الحكومة غبنت في هذه المعاملة بعد السهر والمراقبة الكافية ونقلت آثار غنية إلى بلاد أجنبية ، ونزلنا من القلعة إلى البلد ومررنا بحيّ يسكنه المسيحيون وزرنا ثانوية أبي الفداء ، وقضينا بعض الوقت في مكتبة الأستاذ عبد الله الحلاق وصلينا المغرب في جامع قريب منه وهو جامع ظريف عامر وتمشينا على شارع من أزهى شوارع البلد قدام فندق أبي الفداء ، ومشينا مع النهر مسافة وزرنا مركز البلدية وقصر الحكومة ، ومناظر حماة من غير شك مناظر بديعة في الليل .

الإثنين ٣٠/ ١٠/ ١٣٧٠هـ - ٣/ ٨/ ١٩٥١م

أفطرنا وركبنا سيارة صغيرة وتوجهنا إلى حلب الشهباء ، وكنت قد عزمت على زيارة معرة النعمان ، ولكن الوقت لم يسمح بالإقامة فيها فاكتفيت بالزيارة العجلى ، وهي من أقل حقوق شيخ المعرة وقد عشت في شعره وأدبه زمناً غير قصير ، فقد درست سقط الزند دراسة متقنة وكدت أحفظ هذا الديوان بظهر الغيب .

في معرة النعمان

دخلنا في معرة النعمان وأنا أتمثل بأبيات أبي العلاء نفسه ، وأقول هذه معرة النعمان التي يقول فيها ابنها البار :

فيا برق ليس الكرخ داري وإنما رماني إليه الدهر منذ ليالي
فهل فيك من ماء المعرة قطرة تغيث بها ظمآن ليس بسالي

على قبر أبي العلاء

وقفت السيارة عند ضريح أبي العلاء ، نزلنا ودخلنا البناء الذي يقوم على قبره وأنا أتفقد البيت الذي قرأت أنه أوصى بنفسه أن يكتب على قبره :

هـذا جناه أبـي علـي وما جنيت على أحد

ولكني لم أجده منقوشاً على قبره ، ولكني رأيته مكتوباً بخط القلم على ورقة علقها بعض الظرفاء على الجدار ، وعند قبر أبي العلاء مكتبة أسستها الحكومة تذكاراً لحكيم المعرة وفيلسوف العرب ، ولكني لاحظت ـ ولم أدقق ـ أنها لا تستوعب جميع مؤلفات الشاعر وآثاره العلمية وما كتب عنه وألف فيه مع أن هذا ما ينتظر من مكتبة تقام على قبره .

في عاصمة سيف الدولة

وصلنا حلب عاصمة سيف الدولة في القديم ومنتدى المتنبي وأبي فراس الحمداني والشعراء في الدولة الحمدانية ، وقد قامت فيها دولة الآداب والشعر ، ونفقت فيها سوق العربية ، وهي التي يقول فيها أبو بكر الخوارزمي : « ما فتق قلبي وشحذ فهمي ، وصقل ذهني وأرهف حد لساني وبلغ بي هذا المبلغ إلَّا تلك الطرائف الشامية واللطائف الحلبية التي علقت بحفظي وامتزجت بأجزاء نفسي وغصن الشباب رطيب » .

وهي الآن مقارنة لدمشق ومضارعتها في العمران وعدد السكان وفخامة البنيان وأكبر بلد صناعي في سورية (التي تشمل لبنان وفلسطين وشرق الأردن) كلها .

الأستاذ مصطفى الزرقا

وكان اليوم موعد محاضرتي ، وكان الموضوع « كيف يستعيد العرب مركزهم العالمي » وكان المركز قد أعلن محاضرتين أولهما لي والثانية للأستاذ مصطفى أحمد الزرقا[1] أستاذ الحقوق في كلية الحقوق بدمشق ، كان الأستاذ قد مثل سورية مع زميله الأستاذ الكبير الدكتور معروف الدواليبي في مؤتمر أسبوع الفقه الإسلامي الذي انعقد في تموز سنة ١٩٥١م في باريس ، وقد أحسنا تمثيل الشريعة الإسلامية وسورية المسلمة وكان حديثه اليوم حول هذا الأسبوع ، وكنت حريصاً على مقابلته في دمشق ، ولم تقسم لي هذه المقابلة وهذا التعارف إلَّا في حلب وطن الشيخ الزرقا ، وكان من حسن المصادفة أننا اجتمعنا على المحاضرة فقدم الأستاذ عمر الكركوكي وألقى كلمة يرحب فيها بخطيبي الليلة ويعرفهما إلى الحاضرين وكانت الحفلة مشهودة .

كلمتي في حفلة حلب

وبعد كلمة السيد الكركوكي ألقيت محاضرتي وقد ارتجلتها ، وكان الأَوْلَى أن تكون مكتوبة معدة من قبل فالموضوع علمي وجدي ولكني لم أجد ـ بسبب انحراف صحتي واستمرار السفر ـ فرصة لكتابتها .

أسباب انتصار العرب على العالم المعاصر في الماضي

وعلى كل فقد تكلمت في الموضوع وذكرت أسباب انتصار العرب على العالم المعاصر في القرن الأول ، ومن أهمها تجردهم عن الأنانية القومية والأثرة الاجتماعية ، وعن كل نزعة جنسية أو وطنية ، وإخلاصهم للعقيدة العامة للبشر التي تساوي بين الأسود والأحمر ، وتجمع بين أهل المدر والوبر وسيد قرشي وعبد حبشي ، وحرصهم على سعادة البشرية من غير نظر إلى الأجناس والشعوب والبلاد والأوطان ، وإيمانهم بأنهم ما خرجوا لمصالحهم

---

(١) توفي رحمه الله بالرياض عام ١٩٩٩م .

الشخصية أو القومية بل خرجوا لصالح العالم ، وأنهم لم ينبعوا وإنما بعثوا لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، وأن الدافع ليس الرحمة بنفوسهم والرثاء لما هم فيه من ضنك عيش وضيق موارد بل الرحمة بالناس والرثاء لما هم فيه من ضيق الحياة المادية وأسر الهوى والشهوات وجور الأديان والحكومات . « لنخرج الناس من ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام » وذلك التجرد والإخلاص هما اللذان أخضعا لهم العالم المحارب حتى ذاب وتبخر أمامهم كل عناد وجمود .

كيف يعود العرب إلى مركزهم العالمي ؟

وإذا أراد العرب أن يعودوا إلى مركزهم العالمي فلا بد أن يرجعوا إلى هذه النفسية الإسلامية ، ويرجعوا إلى ذلك التجرد والإخلاص والرحمة بالإنسانية المعذبة والبشرية المنكودة التي يتوزعها شياطين القوميات والوطنيات ومردة الأغراض والشهوات ، أما القومية العربية التي يلهج بها كثير من زعماء العرب ورجالهم فهي كسائر القوميات التي هي قوالب حديدية لا سعة فيها ولا مرونة ، ولا سماحة فيها ولا رحمة ، ولا يمكن أن تكون راية عالمية يلتف حولها جميع الناس أو مبدأ يؤمن به الأفراد والشعوب على اختلاف أجناسها ووطنيتها ، فهي دائما خط انفصال لا اتصال وسبب فرقة لا ألفة ، ولا يطمع العرب في الزعامة الروحية والمركز العالمي مع النعرة القومية إنما هو الدين الذي بوأهم مكان القيادة العالمية ، وهو يستطيع وحده أن يردهم إلى مركزهم السابق .

الاعتراف بفضل التشريع الإسلامي في أسبوع الفقه الإسلامي

وتلاني الأستاذ الزرقا فأشاد بكلمتي ونوه بها ، وما كان ذلك إلَّا تشجيعاً منه وكرماً عربياً وإلَّا فأنا كنت أشعر وقد انتهت أني قد قصرت كثيراً في الوفاء لهذا الموضوع الجليل ، ثم وصف الأستاذ أسبوع الفقه الإسلامي الذي كان له أطيب الأثر في استرعاء الاهتمام بثروة الفقه الإسلامي الضخمة ، وقد تجلى هذا في الأسبوع وبحوثه ومناقشاته فضل التشريع الإسلامي ، وأنه مصدر غني

للتشريع وفيه فض للمشاكل التي يعانيها العالم ويعجز عن حلها التشريع المدني ، وقد اعترف بذلك المؤتمر في القرار الذي اتخذه ، ونص القرار كما ترجمه الأستاذ الزرقا من الفرنسية إلى العربية : « بالنظر إلى المنفعة العلمية الحاصلة من الموضوعات التي عولجت في أسبوع الفقه الإسلامي ، والمناقشات التي دارت حولها ظهر منها بوضوح أن مبادىء الفقه الإسلامي وقواعده هي ذات قيمة لا تقبل الجدل ، وأن المذاهب الاقتصادية المختلفة في ضمن هذا النظام التشريعي العظيم قد أوجدت ثروة في المباداء الحقوقية والفن الفقهي الممتاز تثبت أن الفقه الإسلامي يمكن أن يستجيب لجميع ما تطلبه حاجات الحياة الحديثة من تشريع ملائم لها » .

والأستاذ مصطفى الزرقا من كبار المثقفين الإسلاميين قد تخرج في كلية الشريعة بحلب ودرس اللغة الفرنسية وهو الآن معلم في الجامعة السورية ، ويمتاز بإتقان العلوم الدينية والفقهية على طريق العلماء الدينيين وطلبة العلم المتقنين ، وجمع الثقافة العصرية والاطلاع على ما تجدد في هذا العصر من مسائل ومباحث وتلك ميزة الدكتور معروف الدواليبي ، ولا شك أن هذا الطراز من المثقفين لا يزال نادراً وهو من أعظم حاجات هذا العصر .

يوم الأحد ٢/ ١١/ ١٣٧٠هـ ـ ٥/ ٨/ ١٩٥١م

في مكتبة حلب

زرنا اليوم دار الكتب الوطنية وهي مكتبة لا تزال في دور التكوين ولا شك أنها نواة مكتبة عظيمة ، وهي تابعة للمجمع العلمي في دمشق ، وقد جال بنا مديرها في جميع أقسامها وهي مرتبة على الطريقة الحديثة .

في معهد العلوم الشرعية

زرنا المحكمة الشرعية وجلسنا مع القاضي الممتاز الأستاذ عبد الوهاب التونجي ساعة ، ثم توجهنا إلى معهد العلوم الشرعية ، وجلسنا في مكتب مديره الشيخ عطاء الله الصابوني ، وتكلمت في موضوع ضم الدعوة الشعبية

إلى التعليم المدرسي ، وقضينا بعض الوقت في مكتب الأستاذ عبد القادر السبسبي .

الإثنين ٣/ ١١/ ١٣٧٠هـ ـ ٦/ ٨/ ١٩٥١م

زيارة قرية حارم

أفطرنا عند الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة[١] ، ثم قصدنا مع صديقنا الأستاذ السبسبي قرية حارم ومررنا بحدود تركية وكانت في طريقنا إلى اليمين بحيث إذا سقطت السيارة ـ لا قدر الله ـ سقطت في مملكة تركية ، وسورية إلى الشمال ، وقضينا شيئاً من الوقت في هذه القرية التي هي من مصايف حلب .

زيارة قلعة حلب

زرنا اليوم قلعة حلب في معية الأستاذ عمر الكركوكي ، وهي قلعة قديمة رومية قد جددها السلطان المظفر وغيره من سلاطين الدول الإسلامية ، وزرنا فيه السرداب الذي كان يحبس فيه الأشقياء ، والأماكن الأثرية الأخرى ، ثم زرنا جامع الفردوس .

اندرست آثار سيف الدولة

حرصت على زيارة شيء من آثار سيف الدولة ، ولكن لم أجد منها شيئاً

---

(١) علامة فقيه ، محدث ، وُلد بحلب عام ١٩١٧م ، وتعلَّم على كبار العلماء بها وبدمشق ، وأخذ عن علماء الهند وباكستان وتركية ومصر وغيرها ، ونال الشهادة العالمية من الأزهر ، كان أستاذ الحديث في جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ، وكان تذكاراً للسلف في سعة النظر ، والرسوخ في علوم الحديث والفقه والتحقيق في علم الرجال والأسانيد مع أخلاق العلماء من أدب وتواضع ورحابة صدر وسمو نفس ، كان له شغف عظيم بآثار علاّمة الهند وفخر المتأخرين أبي الحسنات العلامة عبد الحي الكهنوي ، وقد نشر وحقق بعضها ، توفي ـ رحمه الله ـ بالرياض عام ١٩٩٧م .

فقد درست مع الزمان ، ولم يكن ابن خلدون قاسياً في قوله ولا مبالغاً : إن آثار العرب وأبنيتهم يسرع إليها الخراب .

الثلاثاء ٤/ ١١/ ١٣٧٠هـ ـ ٧/ ٨/ ١٩٥١م

العدول عن فكرة السفر إلى تركية

عدلنا عن فكرة السفر إلى تركية وقد جئنا إلى حلب لأجل هذا السفر ، ولكن نظراً إلى قصر المدة التي نستطيع أن نقضيها في تركية وقرب الحج ألغينا السفر إلى هذه البلاد الحبيبة وأرجأناه إلى وقت أوسع ، فإن تركية لا تكفي لزيارتها والاتصال برجالاتها ومراكزها العلمية والدينية مدة أسبوعين ، إنما تحتاج هذه الزيارة والتعارف إلى أكثر من شهر ، وعزمنا على الرجوع إلى دمشق طريقنا إلى المدينة على منوِّرها ألف صلاة وسلام ، فسبحان الذي ازددنا معرفة بهٰ بفسخ العزائم ، وكم كانت حسرتنا لما رأينا قطار تركية يسافر من حلب إلى إستانبول وقلنا له : معك موعد آخر إن شاء الله .

من حلب إلى دمشق

خرجنا من حلب في الساعة التاسعة والنصف صباحاً وتغدينا في حمص وقضينا دقائق في النبك .

الأربعاء ٥/ ١١/ ١٣٧٠هـ ـ ٨/ ٨/ ١٩٥١م

صح عزمنا على السفر إلى المدينة المنورة فأتممنا الإجراءات اللازمة ، وتعين السفر يوم الأحد بإحدى الطائرات السعودية .

السبت ٨/ ١١/ ١٣٧٠هـ ـ ١١/ ٨/ ١٩٥١م

مع الأستاذ أمين المصري

شرفنا اليوم في الصباح الأستاذ أمين المصري عضو لجنة التعليم والتربية

في وزارة المعارف ، وقد اختير من المفوضية السورية في الباكستان لدرس مشروع نشر اللغة العربية في الباكستان والقيام بمهمته .

رأي في منهاج نشر اللغة العربية في الأقطار غير العربية

وقد استشارني في الموضوع فذكرت له تجارب معلم قد عالج هذا الموضوع وذكرت له أن المهمة تتلخص وتتركز عندي في نقطتين أولاهما إيجاد منهج دراسي يسهل تعلم اللغة العربية ويسلم من المشاكل والعقد التي تشتمل عليها مناهج الدراسة القديمة العقيمة في تلك البلاد ، والثانية تخريج معلمين أكفاء أصحاب مقدرة فنية وإخلاص وحرص وأمانة ، وعلى نجاحه في هاتين يتوقف تحقق هذا المشروع العظيم الذي تبنته سورية والأقطار العربية ، وقد وافق على ذلك الأستاذ وأبدى استعداده لتحقيق هاتين الغايتين ، وأهديت له سلسلة قصص النبيين للأطفال والقراءة الراشدة كأنموذج لمنهاج دراسي للغة العربية في الهند والباكستان .

زيارة مدرسة دير ياسين

زرنا مدرسة دير ياسين وهي مدرسة لأبناء اللاجئين الفلسطينيين ، ودير ياسين هي المدينة الفلسطينية التي وقعت فيها المجزرة الكبرى فقد ذبح فيها العرب ذبح النعاج ، والمدرسة يديرها الأستاذ نمر المصري ، وقد زرنا الفصول وجُلْنَا في أقسام المدرسة وفروعها .

نظرة شاملة على سورية

وقبل أن نودع سورية ـ لا وداعاً كوداع هرقل ، بل وداع مسلم له إلى بلاده رحلات وجولات وزيارات ورجعات ـ يحسن بنا أن نلقي نظرة شاملة على هذه البلاد ، ونذكر بعض المعلومات عنها .

المساحة وإحصاء النفوس

مساحة سورية بعد ما انفصل ـ بالأصح بعدما فصل ـ عنها لبنان وفلسطين

وشرق الأردن ، أي مساحة الجمهورية السورية لوحدها (٣٣٧ و١٨١) كم ونفوسها (٣,٤٣٠,٠٠٠) نسمة كما أذيع في مطلع سنة ١٩٤٨م ويقدر في سنة ١٩٥١م أكثر من ٣,١٠٠,٠٠٠ نسمة المسلمون يشكلون (٢,٥٤٥,٠٠٠) نسمة أي ٨٥٪ من السكان ، والسنيون هم الأغلبية ويشكلون ٨٢,٥٪ من المسلمين والشيعة لا يزيدون عن ١٨,٥٪ والدروز يزيدون عن ٨٧ ألفاً أي ٣,٥٪ وهناك فرقة متطرفة هي اليزيدية يبلغ عدد أتباعها إلى ٢٧٠٠ فرد والمسيحيون ويؤلفون ١٥,٥٪ من سكان سورية أي (٤٦٠) ألفاً .

تقسيم سورية إدارياً

تقسم سورية إدارياً إلى محافظات ، وتنقسم المحافظات إلى أقضية والأقضية إلى نواح ويتبع النواحي القرى ، وفي سورية تسع محافظات وهي : دمشق ، وحلب ، وحوران ، وحمص ، وحماة ، والفرات ، والجزيرة ، واللاذقية ، وجبل الدروز ، و ٣٦ قضاء و ٩٢ ناحية ويتبعها ٢٧٠٣ قرية .

نسبة المتعلمين والحالة الاقتصادية

تمتاز سورية من بين الأقطار العربية ـ عدا لبنان[١] ـ بارتفاع نسبة المتعلمين منهم خمس وأربعون في المئة ٤٥٪ وبوجود الطبقة الوسطى في عدد أكبر من عددها في مصر والحجاز ، والفلاح السوري في الغالب يملك من الأرض ما يعيش به ، ولا يبلغ ما بلغ الفلاح المصري أو الفلاح الهندي من الفقر المدقع ، لذلك تستطيع سورية إذا ازداد التوزيع الاقتصادي تحسناً وكان ولاة الأمور مخلصين عقلاء استطاعوا أن يحافظوا على نظام معتدل وسط بين الرأسمالية الغاشمة والشيوعية المتطرفة .

نظام التعليم

أما نظام التعليم المتبع الآن في سورية ـ فأريد ـ بحكم مهنتي السابقة

---

(١) نسبة المتعلمين في لبنان تقدر بحوالي ٨٠٪ .

(التعليم) ولأهمية الموضوع أن أفيض في شرحه .

ينقسم التعليم في سورية إلى ثلاث مراحل أساسية :

(أ) الابتدائي .

(ب) الثانوي وما إليه .

(ج) الجامعي .

والتعليم قبل الابتدائي (أعني رياض الأطفال) ليس رسمياً ولا أساسياً ، وإنما هناك رياض أطفال يرسل من شاء إليها ولده .

١ ـ التعليم الابتدائي مجاني وإجباري مدته خمس سنوات تنتهي بالحصول على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية ، والغاية منه إعطاء المعلومات التامة الضرورية في العلوم الأساسية ، وهو تمهيد لما بعده في الوقت نفسه .

يقبل في السنة الأولى من الدراسة الابتدائية من كان عمره ٧ سنوات وهو منتشر بشكل واسع ، لا يوجد في هذه المرحلة تنوع فضلاً عن التخصص ، إلّا ما ينص عليه المنهج من وجوب مراعاة البيئة في تطبيق المنهج والدروس في التعليم الابتدائي ما عدا القراءة والكتابة التي تتم في السنة الأولى وهي :

١ ـ الدين والتهذيب .

٢ ـ الحساب والهندسة .

٣ ـ التاريخ والجغرافيا .

٤ ـ الأشياء : معلومات مبسطة عن العلوم الطبيعية والظواهر المحيطة بنا .

٥ ـ اللغة العربية (إملاء ، قواعد اللغة العربية ، قراءة ، محفوظات ، مفردات ، محادثة ، إنشاء) .

٦ ـ التربية الوطنية (الأخلاق والمعلومات المدنية) في الصف الأخير الخامس .

المرحلة الثانية : التعليم الثانوي وما إليه .

في هذه المرحلة يوجد أنواع من التعليم تبدأ كلها بعد الحصول على الشهادة الابتدائية ، ونستطيع أن نقسمه إلى مرحلتين جزئيتين :

(أ) المرحلة المتوسطة مدتها أربع سنوات .

(ب) المرحلة العالية مدتها سنتان .

فالجميع ست سنوات .

المرحلة المتوسطة يوجد منها أنواع هي :

١ ـ الدراسة المتوسطة العامة .

٢ ـ الدراسة المتوسطة التجارية .

٣ ـ الدراسة المتوسطة الصناعية .

٤ ـ الدراسة المتوسطة الزراعية .

وتنتهي كل دراسة بامتحان عام يحصل من اجتازه بنجاح على شهادة الدراسة المتوسطة العامة التجارية ، وهكذا ، واسمها « شهادة الكفاءة العامة التجارية ـ الصناعية ـ الزراعية » حسب النوع الذي تخرج به .

المواد التي تدرس هي ـ عدا الديانة ـ :

١ ـ اللغة العربية ٢ ـ اللغة الإنجليزية أو الفرنسية (حسب اختيار الطالب) ويلاحظ أن سورية ألغت اللغة الأجنبية من المرحلة الابتدائية لتعزيز لغتها العربية وملاحظات تربوية أخرى .

٣ ـ الحساب والجبر } الرياضة
٤ ـ الهندسة

٥ ـ الفيزياء } العلوم الطبيعية
٦ ـ الكيمياء
٧ ـ التاريخ الطبيعي وتشريح الإنسان

٨ ـ التاريخ
} الاجتماعيات
٩ ـ الجغرافيا
١٠ ـ التربية الوطنية (في صف الكفاءة)

الغاية من الدراسة المتوسطة هي :

١ ـ إما إعداد الطالب لمهنة من المهن (الكفاءة الصناعية ، الزراعية ، التجارية) .

٢ ـ أو للحصول على الثقافة العامة تمهيداً لمتابعة دراسات ثقافية أعلى وأوسع كما في الثقافة العامة .

المرحلة العالية (وهي الجزء الثاني من الدراسة الثانوية) وهي أعلى من سابقتها ، مدتها سنتان تنتهي بالحصول على شهادة الدراسة الثانوية في العلوم أو الآداب ، أو في الزراعة ، يدخل في هذه المرحلة من حصل على شهادة الكفاءة وهنا إعداد للجامعة عن طريق التعليم الثانوي العام (لكلية العلوم أو كلية الآداب أو الهندسة أو الحقوق وهكذا) .

والمواد التي تدرس هي كالسابقة وأوسع وأرفع مستوى بطبيعة الحال .

التعليم الجامعي

الجامعة السورية فيها عدة كليات مدة الدراسة في كلٍّ هي ثلاث سنوات تنتهي بالحصول على إجازة في العلوم التي درسها الطالب في الكلية (ليسانس في الحقوق مثلاً أو في الآداب أو في العلوم) . . إلخ . وفي بعض الكليات كالحقوق صف اختصاصي في علم واحد من العلوم التي درسها في الكلية مع تقديم أطروحة (رسالة بحث) .

كليات الجامعة السورية هي :

١ ـ كلية الحقوق ٢ ـ كلية الطب بفروعها ٣ ـ كلية العلوم ٤ ـ كلية

الهندسة ٥ ـ كلية الآداب[١] .

وفي كل كلية فرع خاص يُهيَّأ الطلاب ليكونوا أساتذة في التعليم الثانوي يدرسون في هذا الفرع (إلى جانب دراستهم في الجامعة) ما يتعلق بالتربية والتدريس واسم هذا النوع دار المعلمين العليا ، فيستطيع الطالب مع دراسته الجامعية أن يتابع الدروس في هذا المعهد .

ملخص

رياض الأطفال (قبل السابعة) .

الدراسة الابتدائية (مدتها خمس سنوات) تنتهي بشهادة إتمام التحصيل الابتدائي (سرتفيكا) .

الدراسة المتوسطة (من الثانوي) مدتها أربع سنوات تنتهي بشهادة الكفاءة (البروفه) .

الدراسة العالية (من الثانوي) مدتها سنتان ، تنتهي بشهادة الدراسة الثانوية (البكالوريا) .

الدراسة الجامعية تنتهي بالحصول على إجازة (ليسانس) .

كلية الحقوق
كلية الآداب
كلية الطب وفروعها } مدتها ثلاث سنوات
كلية الهندسة
كلية العلوم

ثم يأتي صف اختصاص في بعض الصفوف[٢] .

---

(١) ولم تقم كلية الشريعة وأضيفت إلى الكليات السابقة ، إلا بعد سنوات (١٩٥٥م ـ ١٩٥٦م) وذلك بجهد الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله .

(٢) نشكر لهذه المعلومات الأخ العزيز الأستاذ السيد عبد الرحمن الباني أستاذ معهد التربية في دمشق (العلامة الندوي) .

الديانات والأحزاب في سورية

إن سورية بجانب ما حباها الله من جمال الطبيعة واعتدال المناخ وخصب الأرض وذكاء الشعب ، والأهمية الاستراتيجية لها مشكلتان عظيمتان الأولى كثرة الديانات ، وتطرف العقائد ، ولعل من أقوى أسباب انتشار هذه الديانات والفرق الدينية المتطرفة في بلاد الشام طبيعة البلاد الجبلية ووجود معاقل للجماعات المضطهدة والديانات المطاردة من سواد المسلمين ، فدائماً تلتجىء الفرق الثائرة وأصحاب الآراء المتطرفة إلى الحصون والجبال وعرة المسالك ، لذلك ازدهرت هذه الديانات في الشام أكثر مما ازدهرت في مصر ، ثم كان مما أغرى هذه الفرق ورجالها بالنزوح إلى الشام واتخاذها مقراً لهم هو جمال الإقليم وما هو عليه من الفتنة والاستهواء وسلامة صدر الشعب وسذاجته ، فإن كون الشام ممراً للفاتحين القادمين من الشمال جعله ميداناً للحضارات والديانات والنزعات وجعل الشعب يخضع لكل وافد جديد ويتأثر بكل طريف وتليد ، لذلك وجدت الباطنية والدرزية والبهائية وغيرها من الفرق والديانات مضطرباً واسعاً في هذه البلاد الجميلة .

والمشكلة الثانية وهي أعظم من الأولى وأكثر منها تعقداً وأقوى منها سلطاناً على النفوس ومجاري الأمور في سورية كثرة الأحزاب والمذاهب السياسية التي تتوزع سورية وتتنازع القيادة والزعامة ، ويخشى على سورية واستقلالها ووحدتها من هذه الأحزاب المتنافسة والمذاهب المتصارعة أكثر مما يخشى عليها من الديانات والفرق الدينية التي فقدت شيئاً كثيراً من سلطانها الروحي ونفوذها السياسي .

وإلى القارىء تعريفاً موجزاً بهذه الأحزاب :

الأحزاب المذهبية السياسية

١ ـ **حزب البعث العربي** : شعاره « أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة » يعتبر الوطن العربي البقعة من الأرض التي تسكنها الأمة العربية والتي تمتد ما بين جبال طوروس وجبال بشتكويه وخليج البصرة والبحر العربي وجبال

الحبشة والصحراء الكبرى والمحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط ، والأمة العربية ذات رسالة خالدة تظهر بأشكال متجددة متكاملة في مراحل التاريخ وترمي إلى تجديد القيم الإنسانية وحفز التقدم البشري وتنمية الانسجام والتعاون بين الأمم وهي وحدة روحية ثقافية وجميع الفوارق القائمة بين أبنائها[1] عَرضية زائفة تزول جميعها بيقظة الوجدان العربي .

وحزب البعث العربي الاشتراكي يؤمن بأن الاشتراكية منبعثة من صميم القومية العربية .

وبالاختصار هو حزب قومي بعيد من الدين يدعو إلى الاشتراكية ، عميده ميشيل عفلق ويشتمل على عدد لا بأس به من الأساتذة والمثقفين .

٢ ـ **الحزب العربي الاشتراكي** : حزب عربي اشتراكي النزعة ويتزعمه أكرم الحوراني ، وهو أحدث من حزب البعث .

٣ ـ **الحزب القومي السوري يدعو إلى سورية الطبيعية ويقول** : سورية للسورين والسوريون أمة تامة فهو يناهض فكرة القومية العربية . كما ينادي بفصل الدين عن الدولة ، وبمبادىء اجتماعية إيجابية تغاير مبادىء الدين ، أكثر أنصاره من المسيحيين والأقليات غير العربية وخاصة في لبنان . يعتمد على تنظيم يشبه التنظيمات الفاشية ، وعلى طبقات تشبه « الزعران » .

٤ ـ **الحزب التعاوني الاشتراكي** : اشتراكي النزعة . قريب من الإسلام بمبادئه ونزعات بعض قادته بعيد من الإسلام في واقع أفراده الخلقي والعملي ، يسير على نهج دكتاتوري ، الزعيم فيه هو كل شيء ، وزعيمه الآن فيصل العسلي .

أحزاب سياسية

٥ ـ **الحزب الوطني** : مكون من بعض عناصر حزب الكتلة الوطنية التي قادت الحركة الوطنية في السابق ثم تفرق عنها الشعب لعدم صلاحها ولإيثارها

---

(١) كاختلاف الديانات مثلاً .

مصالح أفرادها .

٦ ـ **حزب الشعب** : مكون من العناصر التي عارضت حكم جماعة الكتلة ويمتاز بعض أفراده بشيء من النزاهة والثقافة ، إلَّا أنه لا يجمع بين أفراده فهم موحد للحياة أو رأي موحد في مشكلة البلاد ، وهذا الحزب يملك الآن الأكثرية في المجلس وزعيماه رشدي الكخيا والدكتور ناظم القدسي .

سوريا وما لها وما عليها

وهنا أتحدث عن بعض ما تمتاز به سورية والشعب السوري وما تتسم به الحياة في سورية من فضائل ، وكذلك عن بعض مآخذ عليها ويعتبر من جوانب الضعف :

مما استرعي انتباهي في سورية أول ما دخلتها هي بقايا الحياة الدينية والتقاليد الإسلامية التي تستلفت السائح في سورية أكثر مما تستلفته في غيرها من الأقطار العربية ، فالمساجد في سورية أكثر عمراناً من المساجد في الأقطار الأخرى . وفي الناس اهتمام زائد بالصلوات والجماعات ، والعلماء ورجال الدين أكثر محافظة على بعض شعائر الدين من العلماء ورجال الدين في غيرها والتجار والفلاحون وطبقات الشعب أوضح ديانة منها في غيرها وإن كان المصريون أقوى روحاً وعاطفة وأكثر حيوية وأعظم اندفاعاً إلى الدعوات الدينية والحركات الإسلامية من السوريين ، وكذلك التستر في النساء ـ وإن كان إلى ضعف وتقلص مع الأيام ـ لا يزال في أكثر الطبقات في سورية ، وقد ألغي أو كاد يلغى بتاتاً في مصر .

والأمر الآخر الذي يمتاز به الشعب السوري هو النظافة والأناقة فقد كادت تكون دمشق بوجه خاص وسورية بوجه عام من أنظف بلاد المسلمين وأكثرها ظرافة وأناقة إذا استثنينا تركية .

والأمر الثالث الذي يمتاز به السوري الوداعة ودماثة الخلق ورقة الشعور ولين الجانب ، ولا شك أن للمناخ وطبيعة الإقليم فضلاً كبيراً في تكوين هذه الأخلاق .

أما بقايا الحياة الدينية فلعل السبب الأكبر في وجودها هو انتشار الدعاة إلى الله وأهل الذكر في سورية انتشاراً ملحوظاً فإن وجود هؤلاء قد حد نشاط المادية وطغيانها ، ووقف حاجزاً إلى مدة طويلة في سبيل انطلاق الشهوات وجماح النزوات وبريق الماديات ، ولا شك أن البلاد التي انهار فيها هذا الحاجز من قديم اندفعت إلى المادية والحضارة الغربية اندفاعاً متهوراً لم يكن فيه اقتصاد ولا تفكير ، والحياة الروحية في سورية ـ وإن كانت تلفظ نفسها الأخير ـ يرجع الفضل الأكبر فيها إلى مولانا خالد الرومي من رجال القرن الثالث عشر الذي سافر إلى دهلي وتربى على يد الشيخ الكبير مولانا عبد الله الدهلوي ، وقد رجع مولانا خالد الرومي بعدما استخلفه شيخه في الإرشاد والتعليم ، فملأ بلاد الشام والروم وبلاد الكرد والعراق بتلاميذه ومن أفادوا منه وتخرجوا عليه ، ولا تزال آثاره لائحة لامعة في سورية .

ومما لاحظته في سورية من الظواهر الوفاء للأمويين والبيت الأموي فلا تزال سورية متشبثة بأسمائهم وذكرياتهم ، وكثيراً ما رأيت على الدكاكين والفنادق لوحات بأسماء أموية ، فيستلفت نظرك وأنت تمشي في دمشق « المطعم الأموي » « أوتيل بني أمية » « تجليد بني أمية » « مدرسة مروان » وقد وقع لي مرة حادث طريف كدت ألقى فيه متاعب جمة ولكن الله سلم . خرجت يوماً مبكراً في الصباح أتمشى وأتنزه ولما تقدمت بناء الجامعة السورية وكلية الحقوق استوقفتني لوحة كان مكتوباً عليها « ثكنة معاوية بن أبي سفيان » ووقفت أستعذب هذه الكلمات التي جددت ذكريات التاريخ الماضي ، وأستعرض العهد الذي كان فيه سيدنا معاوية بن أبي سفيان هو أمير المسلمين في العالم وأكبر ملك على وجه الأرض ، وكانت سورية كلها فضلاً عن دمشق ثكنته وقد ذهلت في تأملاتي هذه عن المحيط فرابت وقفتي هذه وتحديقي البصر في ثكنة من الثكنات الحارس الواقع على الباب في بدلته العسكرية فتقدم إلي وقال : من أنت ؟ قلت : رجل من المسلمين ؟ قال : ولماذا تحدق البصر في هذا المركز العسكري ؟ قلت : لا شيء إنما استوقفتني هذه اللوحة وشغلني هذا الاسم العظيم ولكنه لم يفهم هذا الذوق التاريخي ولم يصدقني فيما أقول ، ولعله ظنني جاسوساً من جواسيس اليهود وكانت ملابسي الهندية

مزركشة فقال : أين (هويتك) يعني جواز السفر قلت في البيت قال : لماذا لا تحمله معك أنا أقودك إلى نقطة البوليس قلت يا هذا أنا مسلم وقرأت له بعض الآيات ، أثبت ببعض الدلائل إسلامي ولكنه لم يقتنع ، وكاد يقودني إلى مركز الشرطة ولكن الله ألهمني أن أقول له أنا حاج وأنا في طريقي إلى مكة ، وهذه هي اللغة التي يفهمها هؤلاء الأميون ، ففي جميع بلاد المسلمين وخصوصاً في مصر والشام تقدير عظيم وإجلال لهم وهنا استسلم العسكري وخلّى سبيلي .

أما ما آخذ على سورية وإخواني السوريين فارتفاع مستوى المعيشة ارتفاعاً عالياً ودخول الكماليات في صميم الحياة والبعد عن البساطة والتقشف وتحمل الصعوبات فإن الشعب الذي يسكن على حدود دولة معادية كإسرائيل يجب أن يعتبر نفسه مرابطاً حارساً ، ويأخذ بنفسه بحياة المعسكرات ويتعود التقشف والجلد والاقتصاد في المعيشة ، وكان من أكبر أسباب انهيار فرنسا أمام ألمانيا الميوعة والرخاوة التي ابتلي بها الشعب الفرنسي في العهد الأخير ، وإن سورية لتشارك اليوم مصر في مسؤوليتها والأخطار التي تهدد كيانها بل تكاد تنفرد بالقسط الأكبر منها ، فلا بد أن تذكر وصية سيدنا عمرو بن العاص لمصر « إنكم في رباط دائم لكثرة الأعداء حولكم وتشوف قلوبهم إليكم » .

والأمر الثاني وهو الذي تسهم فيه الأقطار العربية كلها هو كثرة المجاملات والمبالغة في المدائح والألقاب والإسراف في الكلمات والتحيات ، ولا شك أنها ظاهرة من ظواهر المدنية التي تجاوز نموها الطبيعي واكتمالها وترق حواشيها وتكثر دقائقها ، ولكن لا بد من الاقتصاد في الحياة الاجتماعية كما أنه لا بد من الاعتدال في الحياة الاقتصادية ، ولا بد لكل مجتمع يريد أن يمثل الحياة الإسلامية ولكل دولة تريد أن تنظم الحياة تنظيماً جديداً أن تعير هذه الجوانب الدقيقة ما تستحق من العناية والاهتمام .

الأحد ٩/ ١١/ ١٣٧٠هـ ـ ١٢/ ٨/ ١٩٥١م

من دمشق إلى المدينة المنورة

توجهنا إلى مطار المزة بعد صلاة الصبح ، وقد ودعنا مضيفنا الكريم

الشيخ عبد الوهاب الصلاحي والشيخ أبو عزة الغفري على مكتب الطيران وركب معنا الأخ العزيز السيد عبد الرحمن الباني والأخ العزيز نبيه غبرة ، ولحق بنا على المطار صديقنا الجليل الشيخ مصطفى السباعي مع رفيق له ، وبعد انتظار وتوقف على المحطة ركبنا طائرة سعودية أقلتنا إلى المدينة المنورة ، وبعد إقامة لا بأس بها سافرنا إلى مكة المعظمة .

وهكذا انتهت هذه الرحلة التي ابتدأت من مكة وشملت مصر والسودان وسورية وفلسطين وشرق الأردن ، وقد أراد الله أن تكون مكة نهاية المطاف في هذا الطواف الطويل كما كانت نقطة البدء ، والحمد لله أولاً وأخيراً .

كلمة لجزيرة العرب ووصف العالم العربي

افتتحت الرحلة من جدة إلى مصر بكلمة سجلتها في مذكراتي وهي كما يلي :

« وداعاً أيتها الجزيرة العربية غير مهجورة ولا مملولة ، فليست هذه الرحلة إلّا في سبيلك وللاتصال بأسرتك العزيزة المنتشرة على ساحل البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط أبلغها تحياتك ، وأرى ما فعلت الأيام بها بعد انفصالها منك ، وما فعلت برسالتك التي حملتها عنك للعالم والأمانة التي تقلدتها ثم أعود إليك إن شاء الله أحكي لك قصة هذه الأقطار الإسلامية العربية وما شاهدت في هذه البلاد من خير وشر ، وما رأيت لأبنائك من وفاء لك وجفاء بكل أمانة وصراحة ، فالرائد لا يكذب أهله ، ومن الكذب المهلك والخيانة المردية المجاملة في الأخبار والمبالغة في التفاؤل » .

وهذا أوان إنجاز الوعد :

يسرني أن أقول لك أيتها الجزيرة العزيزة إن أسرتك العربية لا تزال تنتمي إلى الإسلام ولا تزال تعتز بعروبتها ولا تزال تنسب نفسها إليك وترد دينها ولغتها إلى منبعهما في ربوعك ، وتبدأ تاريخ حياتها الجديدة بيوم أشرق فيه النور من غار حراء فكان الصباح الصادق للعالم ، وقد احتضنت هذه البلاد تراثك الأدبي والثقافي ، وتبنت لغتك وضمتها إلى صدرها وزادت في ثروتها

زيادة لا تخطر منك ولا من شعراء جاهليتك على بال ، ولا يسعك عليها إلَّا الشكر والاعتراف بالجميل ، وقد كانت هذه البلاد وفية للغتك وفية لقوميتك وفية لثقافتك وفية لتاريخك .

وإن أسرتك العربية لم تقطع صلتها في يوم من الأيام عن دينك الذي عاهدتها عليه وأوصيتها به يوم ودعتها وأرسلتها لتفتح العالم وتنقذه من الجاهلية ، وكم حاول الحساد أن تقطع هذه الأسرة الكريمة صلتها عن الإسلام وترجع إلى جاهليتها الأولى أو تعتنق الجاهليات الحديثة ، وكم زينوا لها الانسلاخ عن عقيدتها الإسلامية والانفصال عن الجامعة الإسلامية ، وأن تدين بالقومية الضعيفة والوطنية الضيقة ، فلم يكن منها في كل عصر ومصر إلَّا أن ثارت روحها وهاجت غيرتها الدينية ، فازدادت إيماناً بهذا الدين وأحبطت مساعي المفسدين ، ولا نعرف من بين الشعوب والأمم أسرة أكثر وفاء وأعظم أمانة وأشد تعلقاً بالماضي وغيرة على اللغة من هذه الأسرة العربية التي تسكن الشرق الأوسط الذي هو مجرى تيارات المدنية والغزوات السياسية ، فقد تطور كل شيء وقد تطورت هي كذلك في ثقافتها وأدبها وحياتها تطوراً كبيراً ، ولكنها لا تزال متشبثة بدينها ، متعصبة للغتها ، فليهنك أيتها الجزيرة من أبنائك هذا الوفاء وهذه الاستقامة .

إن في العالم العربي كثيراً مما يسرك ويسر جيلك الأول لو بعث ، إلى الأذان تدوي به الآفاق ولا يزال التوحيد والرسالة المحمدية يعلن الله أكبر والصلاة تقام والقرآن يتلى بلحن عربي شجي لو سمعته أيتها الجزيرة لطربت له واعتقدت أنه لم يقرأ إلَّا في هذه البلاد ، ولو سمعت العلماء يفسرون ويتكلمون في موضوع ديني لتوهمت أنه لم يفهم إلَّا في هذا العصر ، والعلم يخدم وينشر وفي كل يوم يتدفق سيل من المطبوعات الدينية لا يقل في الفيضان عن الزيت الذي يتدفق من شرقك إلى غرب العالم .

هذا كله مما أشهد به وأهنئك عليه فقرِّي عيناً وطيبي نفساً يا أم العالم العربي ، فمن أحق منك بالسرور على ذلك ومن أجدر منك بالتهنئة ؟ .

ولكني وعدتك وأنا أودعك على ميناء جدة أني لا أخفي عنك شيئاً ، وأني

أحمل إليك في رجوعي كل حلو ومر وأروي لك من رحلتي كل ما يسوء ويسر وقديماً قلت : أنجز حرٌّ ما وعد .

لست أدري أيتها الجزيرة العزيزة كيف أعبر عن شعوري المزدوج المركب وكيف أصف لك ما وجدته وما فقدته في هذه الرحلة الطويلة ، وكيف أصور المعاني المتناقضة ، وكيف أجمع لك بين الآلام والآمال .

إني أستعير أولاً كلمة لشاعر مؤمن من بلادي قد زار العالم العربي قبلي ورجع منه حزيناً يلخص رحلته في بيتين من الشعر ، وذلك هو الشاعر الدكتور محمد إقبال الذي يقول : « لم أسمع في مصر ولا في فلسطين ذلك الأذان الذي ارتجفت له الجبال بالأمس ، أين السجدة التي كانت تهتز لها روح الأرض ؟ لقد طال عهد المحراب بها واشتاق إليها المسجد كما تشتاق الأرض الجديبة الخاشعة إلى المطر » .

لا يخفى عليك أيتها الجزيرة أن مصدر هذا الأذان الذي كانت الجبال ترتجف له ارتجافاً وهذه السجدة التي كانت الأرض تهتز لها اهتزازاً ويلفت القلب الفائض بالإيمان الممتلىء بالحب والحنان ، الجريء على الموت ، الحريص على الشهادة ، الزاهد في الدنيا ، المستهين بالمادة ، وقد ضعف هذا القلب من مدة طويلة وجنت عليه المادية الغربية والتعليم المادي فأفقدته كثيراً من حياته وجرأته وخفقانه ، وتأثرت بهذا التحول الحياة في كل ناحية من نواحيها، ومظهر من مظاهرها . وعم المسجد والمدرسة والمنزل والسوق وشعر به كل من لم يفقد شعوره حتى قام بالأمس أمير الشعراء شوقي في دمشق يقول :

فـلا الأذان أذان فـي منـارتـه إذا تعـالـى ، ولا الآذان آذان

لقد عاتبت هذه البلاد الغزيزة على هذا التحول كثيراً وحدثتها حديث رجل لرجل ولكنها قالت : إن الجزيرة العربية هي المسؤولة عن هذا التحول فقد كانت مصدر الحياة والقوة والإيمان والروح في العالم كله . وقد كانت توزع الدم الجديد إلى شرايين العالم الإسلامي فضلاً عن العالم العربي وعروقه فشغلت في العهد الأخير بتصدير البترول عن تصدير دم الحياة الإيمانية. واكتفت باستيراد البضائع الأجنبية عن تصدير بضاعة الإيمان وغذاء الروح إلى العالم .

وجادلت عنك أيتها الجزيرة العربية كثيراً ولقد أوتيت جدلاً ولكنها أفحمتني بالدلائل والأمر الواقع . فأقنعيها بما شئت وأدلي بحجتك فإنما هي أسرتك ومن أقرب الناس إليك .

وسواء كان منك التقصير أوْ لا ، وكنت المسؤولة عن هذا التحول المؤسف أم كان غيرك ، فإني أبشرك أني شاهدت في العالم العربي طلائع نهضة إسلامية قوية شاملة وتباشير صبح صادق . فقد بدأ الرأي العام يستيقظ وبدأ القلق الشديد يساور النفوس ، والتذمر من الأوضاع الفاسدة ، يكاد يكتسح البلاد وقد بدت حركة رد فعل عنيف ضد الحضارة الغربية وقيمتها ، وظهرت آثار ثورة فكرية سياسية ضد سيادة الغرب والوصايا العالمية التي سلطها الغرب على العالم العربي فرضاً ، واستمر يتحكم في أمواله وكنوزه وخيراته كأنه سفيه أو مجنون أو طفل لم يبلغ سن الرشد . فهاهي ذي الأقطار العربية بدأت تفهم الحقائق وبدأت تواجه الغرب المتغطرس ، كرجل كريم يؤمن بشرفه وإنسانيته ويشعر بشخصيته وكرامته ، وكرجل حي يعرف الغضب كما يعرف الرضا ويملك حق الثورة إذا وجدت لها موجبات .

لقد بدأ العالم العربي يكفر بالغرب أحياناً بعدما آمن به طويلاً ، وخضع له طويلاً ، وربط نفسه بعجلته . فأصبح يرى نفسه مستقلاًّ وعضواً كريماً في أسرة العالم ، يعلم المفسد من المصلح ويميز بين الصديق والعدو ، ويحتفظ بحقه في الصلح والحرب والحلف والصداقة .

لقد بدأت الأقطار العربية ترنو إلى التقدم الصحيح والاستقلال الصادق فقد بدأت تفهم أهمية الصناعات الوطنية والإنتاج والاكتفاء الذاتي والاستغناء عن البلاد الأجنبية في مرافق الحياة . وقد بدأ بعض هذه الأقطار يخطو نحو هذه الغاية ، وإن كانت هذه الخطوات بطيئة وقصيرة وخطوات رجل مثقل يئن من أثقال القديم . ولكنها قد بدأت تزحف كما يزحف الطفل بعد مضي مدة طويلة ، وبعدما كانت تلهو بما كان الغرب يرمي إليها من ودعات وبما يصدر إليها من بضائع وآلات .

لقد بدأت الأقطار العربية تتعلم صناعة الموت بعد ما جهلتها طويلاً

وهجرتها طويلاً ، وأصبحت تعتقد أنه لا يعيش في العالم إلَّا من يستطيع أن يموت .

وأعظم ما يبعث الأمل في النفوس ويبشر بالمستقبل الإسلامي ، هو ظهور آثار الإيمان الجديد في العالم العربي . فإنك تعلمين أيتها الجزيرة العربية حق العلم أن أسرتك الكريمة ليست في حاجة وكذلك العالم الإسلامي كله ـ إلى دين جديد ـ فإن الدين الذي جاء به محمد ﷺ هو الدين الخالد والرسالة الأخيرة ، وأنه لا يزال اليوم على جدته وقوته مهما تقدم الزمان ، وأنه يسع العالم كله والعصور كلها ، ولكن أسرتك التي تدين بهذا الدين في حاجة ملحة إلى إيمان جديد بهذا الدين الخالد ، دين كل عصر وجيل ، فقد ضعف هذا الإيمان وقد تجددت فتن ونشطت دعوات متطرفة وقوية وكثرت النكبات ، ولا يمكن أن يواجه العالم العربي هذه الفتن وهذه الدعوات ، وهذه النكبات ، بإيمان ضعيف ، بل لا يستطيع أن يتحمل صدمة أو يتغلب على شهوة ، أو ينتصر على أنانية ، أو يتحمل شدة ، أو يقف في وجه دعوة ، إنما هو إيمان منهار لا يستطيع أن يعيش ويتماسك في عصر قد جد فيه الجد .

ولكني رأيت في الأقطار التي مررت بها في هذه الرحلة بواكير إيمان جديد وطلائعه ، لقد رأيت إيماناً فتياً وثاباً . فقد رأيت فتية وصفهم ربهم قديماً بقوله : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الكهف : ١٣ ـ ١٥] . هؤلاء الفتية الأقوياء في إيمانهم ـ وإن كانوا كباراً في سنهم ـ هم الذين لا يمنون أن أسلموا بل يحمدون الله أن هداهم للإيمان وشرَّفهم بالإسلام . إنهم يعتزون بهذ الدين أكثر مما يعتزون بشيء ، إنهم لا ينظرون إليه كتراث قديم وكأثر من الآثار العتيقة أو كشجرة قد انتهى نموها وانقطعت أثمارها . إنما ينظرون إليه كمنبع فياض يستمدون منه القوة والحياة ، وكشمس ساطعة يقتبسون منها النور والحرارة ، إن الإسلام لا يعيش على هامش حياتهم ، إنما يحل منهم محل القلب والعقل والروح ، إنهم لا ينظرون إليه كدين من الأديان الكثيرة أو كمنهج للحياة من مناهجها

العديدة ، إنما ينظرون إليه كالدين الحق الوحيد الذي لا يبقى بعده إلّا الضلال ولا يرغب عنه إلّا من سفه نفسه ، هؤلاء هم الذين قام بهم الإسلام في عصره الأول وسيقوم بهم في هذا العصر .

إن نهضة العالم الإسلامي ونهضة العالم الغربي أمر واقع لا يقبل شكاً ولا جدلًا ، ولكن الذي أخشى هو أن تسبقك هذه الأقطار كلها ، وأن يتأخر دورك كثيراً ، وحقك أن تسبقيها وتتزعمي هذه النهضة المباركة ، فأنت مادة الإسلام والبلد الأمين .

أما بعد ! فإني لست يائساً من العالم العربي ، ولا منك أيتها الجزيرة العربية ، وأقول في لفظ شاعر الإسلام : « إن إقبال ليس يائساً من زرعه الكريم الذي عاث فيه الوحوش والسباع ، فإن تربته الكريمة تأتي بحاصل كبير إذا تندت قليلاً » . ولك أيتها الجزيرة أن تسقي هذه التربة الكريمة بزمزم وبما شئت من دمع ودم كما سقيتها في فجر الإسلام ، ﴿ فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحج : ٦٣] .

ثلاثة أيام في لبنان

كانت لي رحلة إلى الشرق العربي عام ١٩٥١م شملت مصر والسودان وفلسطين ، عدا الحجاز الذي ابتدأت الرحلة منه وكان نهاية المطاف ، وكان المقرر أن أسافر من مصر إلى سورية عن طريق البحر فأنزل في بيروت وأعرّج على لبنان ، ولكن عدلت عن فكرة السفر بحراً إلى السفر جواً ، لأن الأيام كانت أيام رمضان ، وكنت حريصاً على سرعة الوصول وهدوء المكان ، ففاتني لبنان ولم يكتب الله لي السفر إليه في تلك الرحلة .

ولما قدر الله لي العودة إلى سورية عام ١٩٥٦م أستاذاً زائراً للجامعة السورية رأيت أن أزور لبنان وحرصتّ على أن أنتهي من هذه الزيارة قبل حلول رمضان ، وكنت في حاجة إلى زميل كريم يرافقني في هذه الرحلة القصيرة ، فاختار الله لذلك صديقي القديم الأستاذ سعد الدين الوليلي الذي تكرم بالزمالة ، فكان خير رفيق وخير دليل .

توجهنا في اليوم السادس والعشرين من شعبان (٥ من أبريل ١٩٥٦م) من فندق اليرموك في دمشق الذي كنت نازلاً فيه وودعنا الأخ الحبيب الأستاذ سعيد رمضان والإخوان الندويون[١] المتعلمون في كلية الشريعة السورية ، وتوجهنا إلى الغرب ، والسيارة تسير بنا على شوارع مرصوفة تحيط بها أشجار ويرافقها بردى الذي يقول فيه سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه يمدح بني جفنة :

يسقون من ورد البريص عليهم   بردى يصفق بالرحيق السلسل

وكأن البلد حدائق متصلة ، ولم أرَ مدخل بلد أجمل من مدخل دمشق ، ومررنا في طريقنا بالربوة ودمر والهامة ومصائف دمشق ومنتزهاتها الجميلة حتى وصلنا إلى حدود سورية الغربية ودخلنا في لبنان ومررنا بالمخافر ومراكز الأمن العام والجمارك ، ورأينا كيف عبثت يد الاستعمار الأثيمة بهذا القطر الجميل ومزقته وقسمته تقسيماً مصطنعاً فهنا تنتهي سورية وهاهنا يبتدي لبنان وكلها أرض الله التي كانت تسمى بالشام مزقك الله أيها الغرب شرّ ممزق كما مزقت هذه الشرق الإسلامي وسلط عليك من يقطعك إرباً إرباً .

ودخلنا في لبنان ولا نرى اختلافاً في المناخ ولا في طبيعة الأرض ولا في سحنة الشعب ، فالأرض هي الأرض والشعب هو الشعب ، واللغة هي اللغة ، والأديان هي الأديان ، والحضارة هي الحضارة ، ولكن قالوا وسلَّمنا ، خرجت من قطر ودخلت في قطر ، وودعت حكومة واستقبلت حكومة ، وجواز السفر يشهد بذلك ـ ولا ترد شهادته ـ فقد ملئت صفحاته التوقيعات والختم والطوابع الملونة .

مررنا بعدة قرى عامرة جميلة بنيت مبانيها على أحدث طراز وفيها مطاعم

---

(١) يريد بهم العلامة الندوي الدكتور محمد اجتباء الندوي رئيس قسم اللغة العربية الأسبق في جامعة كشمير (الهند) والدكتور رضوان علي الندوي أستاذ الأدب العربي السابق في جامعة الملك سعود (الرياض) والدكتور راشد الندوي رئيس قسم اللغة العربية حالياً في جامعة عليكره الإسلامية (الهند) .

فاخرة نذكر منها ظهر البيدر وورويسات صوفر ، وبحمدون وعالية ، وعلمنا أن المصطافين ينزلون فيها ويقيمون وتوفر لهم التسهيلات وكل ما يرغبون فيه من خمر ولهو ، وقد يمتاز بعضها بشيء من النزاهة والنظافة أو المحافظة كما يقول أهل هذا العصر .

وكنا نرى جبل لبنان يطل علينا وقممه مكسوة بالجليد الذي يدوم طول السنة ، وكان المنظر جميلاً حتى دخلنا بيروت وقت العصر وبين دمشق وبيروت ١٠٥ كيلومتراً ، وتوغلنا في البلد ، وشعرت بأن قلبي لم يتفتح لهذا البلد .

نزلنا في أوتيل أمريكان وصلينا العصر وتغدينا في مطعم قريب ، واتصل صديقي الأستاذ سعد ببعض أصدقائه في البلد هاتفياً ، واتصل بقائد حركة عباد الرحمن الإسلامية ومؤسسها محمد عمر الداعوق الذي يخاطبه أصدقاؤه وتلاميذه دائماً بأبي عمر ، وبعد قليل شرف الأستاذ أبو عمر ومعه شاب لبناني مسلم ، وتعرف بعضنا على بعض ورحب بي الأستاذ أبو عمر في حرارة وإخلاص وذكر أنه لم يزل على صلة علمية فكرية بي عن طريق المؤلفات والمقالات ولم يكن ينقصنا إلَّا اللقاء ، وذكر الأستاذ ابن أخي العزيز محمد الحسني ومجلة البعث الإسلامي ، وسأل عنه ، فقلت إن له صديقاً في بيروت يراسله دائماً وهو السيد هاني فاخوري فقال هاهو هاني فاخوري وأشار إلى الشاب .

وهنا وقفة قصيرة مع الأستاذ أبي عمر ، إنه هو الرجل المهيأ للدعوة الإسلامية في لبنان ، وإذا قلنا الرجل المهيأ فقد قلنا كل شيء ، إن لبنان هو البلد الذي يسميه بعض العارفين ـ ومعذرة إلى الإخوان اللبنانين ـ بماخورة الشرق العربي ، هو البلد الذي اختاره الغرب لبث السموم في البلاد العربية ، فما أحوجه إلى الدعوة الإسلامية ، ما أحوجه إلى الدعوة إلى الاستقامة والخلق الكريم ، واختار الله لنشر هذه الدعوة وتوجيه الشباب ومحاربة الفساد ، رجلاً ليس من العلماء ورجال الدين ، إنما مهندس ميكانيكي بارع يشتغل في شركة كبيرة يسمى بعمر الداعوق ، والداعوق أسرة لبنانية مسلمة

منجبة ، اختار الله لذلك مهندساً ولم يختر عالماً وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ولا يسأل عما يفعل وهم يُسألون .

رافقنا الأستاذ « أبو عمر » إلى بيته وجمعنا بين العشاء والعشاء واطلعنا على نشاط العباد الرياضي وصبور مخيماتهم ، ورأينا من براعتهم في السباحة والقفز في البحر والجري والوثوب وأنواع الرياضة وأعمال الكشافة ما لا يقل إتقاناً ومغامرة وتنظيماً عن أعمال أكبر كشافة ، زد إلى ذلك محافظتهم على الصلوات بالجماعات ، والحراسة والخفارة والدروس الدينية والمحاضرات في المخيمات ، وعرفنا أنه قد يبلغ عدد المساهمين في هذا النشاط وحياة المخيمات إلى خمسمئة شاب ، وللجماعة سيارات خاصة تنقل أعضائها إلى الضواحي التي يخيمون فيها .

رجعنا إلى الفندق ونحن معجبون بما رأينا وعلمنا ، وبتنا ليلة هادئة بعد ما قضينا النهار وقسماً كبيراً من الليل في التنقلات والزيارات .

٢٧ من شعبان ١٣٧٥هـ - ١٠ من أبريل ١٩٥٦م .

أصبحنا وأصبح الملك لله ، وحاولنا أن نصلي الفجر في المسجد المجاور ، فوجدناه مقفلاً . وعرفنا أن الحي غير إسلامي ، والتجار المسلمون ينصرفون في الليل إلى منازلهم فصلينا في الفندق ، واسترحنا قليلاً ، وتناولنا الفطور في مطعم الفندق ، وزرنا السيد توفيق حوري وهو عضو عامل نشيط في جماعة عباد الرحمن ومن مساعدي الأستاذ « أبو عمر » الكبار شاب ناهض درس في الجامعة الأميركية ببيروت وأكمل دراسته في جامعة لندن ، زرناه في محله التجاري ، وخرجنا معه على سيارته لزيارة البلد ، ومررنا بالكلية العاملية وهي كلية أسسها العامليون وهم شيعة لبنان ، وكان لهم اتصال بالهند ، وكان فيهم علماء زاروا الهند وأقاموا فيها ولهم تراجم في نزهة الخواطر ، وسرنا في شارع السباق بين أشجار الصنوبر ، وشاهدنا منطقة الحرج الجميلة إلى أن وصلنا إلى مطار بيروت ، وهو أفخم مطار زرته في الشرق وأحسنه تنظيماً ، والطرق إليه من أجمل الطرق العالمية ، وإلى اليسار رأينا أكواخ اللاجئين

الفلسطينيين الذين لا يزالون يذكرون في كل بقعة عربية بمأساة الإسلام والعرب .

زرنا في الرجوع سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ محمد علايا ، دخلنا في بهو جميل فاخر كأنه ديوان رئيس حكومة أو أمير قديم ، وسلمنا عليه وتحدثنا قليلاً ، وبكل هذه المناسبات نذكر علماءنا في الهند وما هم فيه من بساطة وقلة مظاهر ، ونعتقد أن ذلك خير لهم ، وسمعنا أن موكب رئيس الوزارة ورئيس المجلس النيابي ورئيس الجمهورية يتحرك يومي العيد للتسليم على سماحة المفتي .

وزرنا الكلية الشرعية ، وحضرنا بعض الدروس ، والأساتذة هم علماء الأزهر ، وهم يكادون يكونون من طراز واحد ، علم غزير ، فاستحضار للمادة ، وإلقاء بارع .

وزرنا رئيس محكمة الاستئناف الشرعية الشيخ شفيق يموت ، وهو على غرار علماء الأزهر الشريف ، وتحدثنا مع سماحته برهة ، واستأذنا .

وفي الرجوع زرنا خلية الملك سعود وهي من أفخر البنايات التي زرناها وهي مؤسسة تشتمل على مسجد ومنتدى ، وهي قاعة محاضرات إسلامية كبرى في بيوت ، ومدرسة ، ومشغل يشتغل فيه الفتيات بتعلم تدبير المنزل ، والأشغال اليدوية ومستوصف ، دخلنا المسجد وهو في الطبقة الثانية وصلينا الظهر وهو مسجد فخم مزدان ووددت لو كان أكثر بساطة وتواضعاً وأقرب إلى المسجد الخاشع ، ولكنه هو المال الذي يضل طريقه إلى البؤساء واللاجئين فيصرف في الزخارف والزينات ، ورأيت فتيات يخرجن من المشغل ـ لا أعرف هل هنّ مسلمات أو مسيحيات والمظنون أنهن مسلمات ـ عاريات كاسيات أو متبرجات سافرات ، إلى متى هذه المهازل يا ناس ؟ وما نهاية هذا التقليد الغربي الوقح أيها العرب ؟!

وتحمل هذه المؤسسة العظيمة اسم عاهل المملكة العربية السعودية ؛ لأنه تبرع بقدر ٢٦١ ألف ليرة لبنانية ، وكان ذلك في عام ١٩٥٠م وكان أميراً وزار الخلية ، والقاعة الكبرى تتسع لأربعمئة شخص مجهزة بالسجاد وبالمقاعد

المصنوعة من معدن الألمنيوم ويعلو جدرانها طبقة من خشب السنديان اللامع وهي أشبه بالبلاط الرخام فتعطي المنتدى روعة فنية ، وفي صدر القاعة رسم كبير للملك يحيط به العلمان السعودي واللبناني ، وتحتها خزانة خشبية تعد من أروع ما صنع لدقتها وبساطتها ، وهي تحوي آلة الراديو ، والبيك آب ، ثم آلة الإذاعة وآلة التسجيل .

وهنا ـ مع الاعتذار إلى أصحاب الذوق الفني ـ لا أمتنع من أن أقول أن هذه المؤسسة التي هي آية في الروعة والفخامة والزينة لا تتفق مع أمة فقيرة لا تزال عاجزة عن إكمال المهمات والحاجيات الكثيرة ويكثر فيها الفقر والبؤس ، والجوع والعري ، ومدارس لا تجد الكفاية من المال والوسائل ، وإلى الله المشتكى .

نسيت أن أذكر أننا زرنا الإمام الأوزاعي الإمام الكبير والمحدث العظيم الذي طالما سمعنا الترمذي يقول في جامعه « وإلى ذلك ذهب الأوزاعي » « قال الأوزاعي . . إلخ » والمحل يسمى بـ « الإمام الأوزاعي » وقد دفن في قرية على باب مدينة بيروت القديمة ، وقفت على قبره أستحضر جلالته في العلم وإخلاصه ومذهبه وإن كان قد اندرس ، ولكن اسمه خالد في الفقه والحديث وفضله لا ينكر .

خرجنا من « الإمام الأوزاعي » نمر بقصور العظماء وتفرجنا على البحر وعلى شاطئه مطاعم فاخرة يتوفر كل ما لا يبيحه الشرع ولا يرضاه الله . ولا يتخلى عنه المترفون ، ومررنا في طريقنا بصخرة الروشة التي هي في الحققية صخرة الانتحار ، وهي الصخرة التي تكثر عندها حوادث الانتحار ، وعند المنتحرين لها قدسية ، وقد وقفت عندها أطل على البحر وأتصور الجو الرهيب اليائس الذي يقف فيه الكافرون بنعمة الحياة اليائسون من رحمة الله ، وإذا بالشرطي يتقدم إلي ويمنعني من الإطلال ، لعله خاف علي فكرة الانتحار فتعوّذ بالله من ذلك . وسمعت أن أكثر المنتحرين من غير المسلمين ، ومن المقرر أن المسلمين ـ على ضعف إيمانهم ـ أقل الأمم انتحاراً . وذلك بفضل الإيمان الذي غرسه محمد ﷺ في نفوسهم .

دخلنا في مطعم البحرين المطل على البحر وجلسنا في طرفه البحري ، وتناولنا الغداء في ضيافة السيد توفيق ثم دخلنا مكتبة صاحبها من عباد الرحمن وهي بجوار المطعم ، ووجدت من مؤلفاتي « ماذا خسر العالم » و « مذكرات سائح » و « شاعر الإسلام » وأخذت نسخة من الكتب الثلاث ، ومررنا بمباني الجامعة الأميركية العظيمة التي تكاد تكون مدينة ، ورجعنا إلى الفندق واسترحنا فيه ، وكان ممن رافقنا في جولتنا اليوم الأستاذ عبد الودود معلم كلية الزراعة الذي هو من أنشط أعضاء عبد الرحمن ومن خاصة الأستاذ أبو عمر وفي المساء ذهبت لزيارة الأستاذ الكبير محمد أسد (LEOPOLD WELSS) سابقاً صاحب كتاب « الإسلام على مفترق الطرق » الشهير ، وهو مقيم في « عاليه » التي مررنا بها في طريقنا إلى بيروت مع قرينته الأوربية ، عاكفاً على تأليف الجزء الثاني من كتابه الطريق إلى مكة ROAD TO MECCA وجلسنا معه ساعة ، وقد قابلته في مكة المكرمة عام ١٩٥١م وكان يذكر هذه المقابلة ، وهو يتكلم الآن العربية بسهولة .

انصرفنا من عنده وزرنا الدكتور مصطفى الخالدي[١] المسلم الغيور وكنت أسمع به . وسررت بهذه المقابلة والدكتور يلتهب غيرة للإسلام ويشكو من تقصير المسلمين في نشر الأدب الإسلامي بالإنجليزية فقدم إلينا بعض مطبوعاته الإنجليزية وذكر أنه نشر محاضرتي : « كارثة فلسطين » طبع منها نحو خمسة آلاف نسخة طباعة جميلة ووزعها .

كان الحاج حسن الكواء وهو من كبار تجار بيروت وأثرياء البلد دعانا إلى العشاء في بيته وصادفنا الأستاذ الفضيل الورتلاني[٢] مجاهد الجزائر الشهير ،

---

(١) طبيب أديب ، كاتب ، وُلد في لبنان ، ودرس الطب في الجامعة الأمريكية ، عُرف بدفاعه عن القضايا القومية والإسلامية ، توفي عام ١٩٧٧م .

(٢) العلاَّمة الداعية المجاهد (الفضيل الورتلاني) من أعلام الفكر والأدب والسياسة والإصلاح في الجزائر خصوصاً ، وفي الوطن العربي عموماً ، كان ذا أثر فكري وإصلاحي بالغ في العالم الإسلامي بصفة عامة ، ومنه (الوطن العربي) خاصة ، خاض النضال السياسي على الجبهة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي ، كما خاض=

وكان أول لقاء بيننا بعد ما تعارفنا علمياً وفكرياً وطلب مني إلقاء كلمة فارتجلت ما حضرني حول مسؤولية العرب ومركز المسلمين في الهند ، وألقى الفضيل كلمة بليغة قوية تشهد بأنه من كبار خطباء العرب ، وقد نوه بي في هذه الكلمة وقال ما أملاه حبه وحسن ظنه وتعشينا وقد لاحظت أن مستوى المعيشة في هذه البلاد ارتفع ارتفاعاً ، وأن الهند لا تزال في مؤخر الركب وعلى حظ كبير من البساطة والزهد .

رجعنا ورجع معنا الأستاذ الفضيل وجلس يتحدث ويؤنس بحديثه العذب وحبِّه العامر ، ونمنا متأخرين .

٣٠ من شعبان ١٣٧٥هـ ـ ١١ أبريل ١٩٥٦م .

تقرر أمس أن نقوم بزيارة قصيرة لطرابلس بلد لبنان الإسلامي الوحيد فتهيأنا وتوكلنا على الله ، وسارت بنا السيارة على ساحل البحر ، ونحن نمر بقرى عامرة ، ومناظر فاتنة ، والبحر يرافقنا طول الطريق ، لا ننقطع عنه ولا ينقطع عنا ومررنا بقرية جبيل وبترون . . وللمسلمين فيها نشاط ، ومررنا بمنطقة معامل الإسمنت ، ومررنا بقلمون قرية العلامة السيد رشيد رضا رحمه الله ، حتى وصلنا إلى طرابلس ، ونزلنا في مركز عباد الرحمن فأطاف بنا الشباب الإسلامي الناهض والتفوا حولنا ، وقد شعرت فيهم بالحماسة الدينية ، والحب البريء والعاطفة القوية التي كنت أشعر بها عند شباب الإخوان في مصر ، ولا شك أن العباد نسخة لبنانية من الإخوان ، وقد انشرح صدري وتفتح قلبي في طرابلس ، ووجدت فيه ما كنت أفقده في بيروت من الانشراح ، وأحببت هؤلاء الشباب ، وكل واحد منهم حريص على الحديث وعلى الاقتراب .

= النضال الفكري والإسلامي عربياً خصوصاً ، وإسلامياً عموماً ، جاعلاً من قضية العرب والمسلمين شاغله .
وُلِدَ في بلدته (بني ورتلاني) بولاية (سطيف) في الجزائر عام ١٩٠٠م لأسرة عريقة في العلم والثقافة الإسلامية ، حيث حفظ القرآن الكريم ودرس مبادىء اللغة العربية والعلوم الشرعية . توفي بعد الاستقلال في الجزائر عام ١٩٨١م رحمه الله .

انتهزنا الفرصة وخرجنا للزيارات ، زرنا الكلية الشرعية أو المدرسة الثانوية ـ لا أذكر ـ وهي تحمل الطابع الإسلامي الديني وتمتاز في النظافة والأناقة والتنظيم ، واجتمعنا بأحد معلميها وهو شيخ ذهب من بالي اسمه ، رحب بنا ترحيب العلماء ولما سمع اسمي عرفني بالكتب التي قرأها وأبدى إعجابه بهذه الكتب وظهر أنه صاحب دراسة للأدب الإسلامي الحديث وصاحب فكرة وعقيدة وفيه تواضع العلماء ، وأعجبني شخصيته وتواضعه ، وأعجبتني هذه المدرسة أكثر من كل مدرسة زرتها في سورية ولبنان .

وتشرفنا بزيارة القاضي الشرعي ، ووجدنا عنده من النشاط الفكري والوعي ما لم نجده في زملائه في لبنان ، وقصدنا منطقة أبو سمرة الجميلة الخضراء ومنها تجمع الماء وفاض وسبَّب خسائر عظيمة ، وشاهدنا نهر أبو علي وشاهدنا خرائب الفيضان ، أحياء متهدمة ، ومباني محطمة وجسراً منسوفاً ، لا يصدق أن هذا النهر المتواضع الوادع يثور هذه الثورة .

رأينا مركز المولوية ـ نسبة إلى مولانا جلال الدين الرومي ـ ومدرسة ابن خلدون الرسمية ومدرسة الغزالي الرسمية ـ وصلينا الظهر في جامع المدينة وتفرجنا على ميناء طرابلس ، وسمعت أن مقاهي الميناء تعم فيها المسكرات . . . هي بلية قد عمت في لبنان ـ ولم يزل الإخوان يرافقوننا في هذه الجولة البلدية في حب وإخلاص ، أذكر منهم الإخوان مدحت بلحوص أمين صندوق الجماعة ، وفتحي شريف رئيس قسم الأسر وسعيد شعبان تلميذ الأزهر ، ومحمود عباس قائد الأشبال ، ومحجم مسلم وقد أراني دفتره وفيه مقالتي « المسلمون في الهند » وقال إنه قرأها في إحدى حفلات الجماعة ، ومعذرتي إذا كنت نسيت منهم أحداً فأني أكتب هذا الحديث بعد ما مضى أكثر من شهر على الرحلة .

تغدينا في ضيافة الجماعة في مطعم قهوة التل العليا في جو جميل وهواء منعش ومنظر بهيج في صحبة إخوان تجاوبت قلوبهم وشعت أفكارهم ، ورجعنا إلى المركز واجتمع الإخوان وأكثرهم تلاميذ في المدارس وشباب غض ، وارتجل الأستاذ سعد الدين الوليلي خطبة تجلت فيها خطابته وبراعته

ـ وهو خطيب شأن أكثر الإخوان . . وألقيت كلمة وجيزة ، وكان الوقت ضيقاً ، ولا بد من الرجوع إلى بيروت ، فاليوم موعد المحاضرة في خلية الملك سعود ، وفي نفوس الشباب حاجة ما قضوها من اللقاء فأمرهم بالجلوس معه ، وفي نفس الزائر حاجة ما قضاها من تحية إخوانه والحديث إليهم وقضاء بعض الوقت في هذا البلد الإسلامي الحبيب وقد عزم الإخوان عليّ بالعودة إلى طرابلس بعد رمضان .

وكلمة عن طرابلس ، هو مركز المحافظة ولبنان كسورية تشتمل على محافظات ، وعاصمة الشمال ، وفيها سبعون أو ثمانون ألفاً من النفوس ونسبة المسلمين في طرابلس ٧٥٪ ، وقد انفصلَ عن سورية وضُمّ إلى لبنان ، ولا يزال يحنُّ إلى سورية التي يشاركها في الإسلامية والديانة ، ولا يزال يسمّى طرابلس الشام ، ولاحظت أن جماعة العباد في طرابلس نشيطة ولها مركز قوي في المدينة ودعوة منتشرة متغلغلة في الشباب ولاحظت للشباب اطلاعاً على ما ينشر من المؤلفات الإسلامية الحديثة ولشيوخها ومثقفيها اطلاع على نشاط ندوة العلماء وتقدير لأبنائها ومؤلفاتهم وعندهم إعجاب بالجماعة الإسلامية في باكستان وتقدير لما تنشره وتقوم به .

صلينا العصر وتوجهنا إلى بيروت ، وفي « قلمون » استقبلنا الأخ شفيع مع مجموعة من الشباب ، وتشرفنا بمقابلة ابن عم العلامة السيد رشيد رضا رحمه الله ، وهو يعرف أن السيد رحمه الله سافر إلى الهند لرئاسة حفلة ندوة العلماء وقد ألحَّ الإخوان علينا بالمكث في قلمون ولكن اعتذرنا بسبب المحاضرة وودعناهم .

وصلنا إلى بيروت ، وصلينا صلاة المغرب في مسجد الخلية متأخرين ، وحان وقت المحاضرة ، فنزلنا وحضر الأستاذ الفضيل الورتلاني ومجموعة طيبة من المثقفين ، وقدمني الأستاذ سعد الدين الوليلي ، وقمت وألقيت محاضرة قلت فيها : إن الأمم لا تعيش بالحضارات إنما تعيش بالرسالات ، والروح والخصائص ، وشرحت رسالة هذه الأمة وذكرت الروح والخصائص التي تنتصر بها هذه الأمة على الأمم ، منها الإيمان بالغيب ، وذكرت قوته

وتأثيره وما يأتي به من عجائب وخوارق ، وذكرت أمثلته الرائعة من تاريخ الإسلام الأول وذكرت أسلوب الحياة الذي كان يعيش عليه الصحابة رضي الله تعالى عنهم وذكرت تسخيره للقلوب والنفوس وضربت أمثلة له وذكرت تغلبهم على المادة وزهدهم في الحياة وعزوفهم عن الشهوات وإغراءات المادة وبريقها وذكرت أن هذا الأسلوب جدير بالتسخير ولا يزال له سحر في النفوس ، إلى آخر ما فتح الله به عليّ بهذه المناسبة ، وقام الأستاذ « أبو عمر » فلخص المحاضرة وشكر المحاضر وانفض المجلس .

ومن الخلية توجهنا إلى بيت الشيخ حسن الكواء مرة ثانية واجتمعنا بالسيد راشد الحوري وجماعة من العلماء وأعيان البلد وهنا فوجئنا ـ وهي مفاجأة سارة ـ بحلول رمضان فقد تحققت الرؤية في المحكمة الشرعية وانطلقت المدافع ، ورجعنا إلى محلنا وقضينا آخر ليلة في بيروت .

غرة رمضان

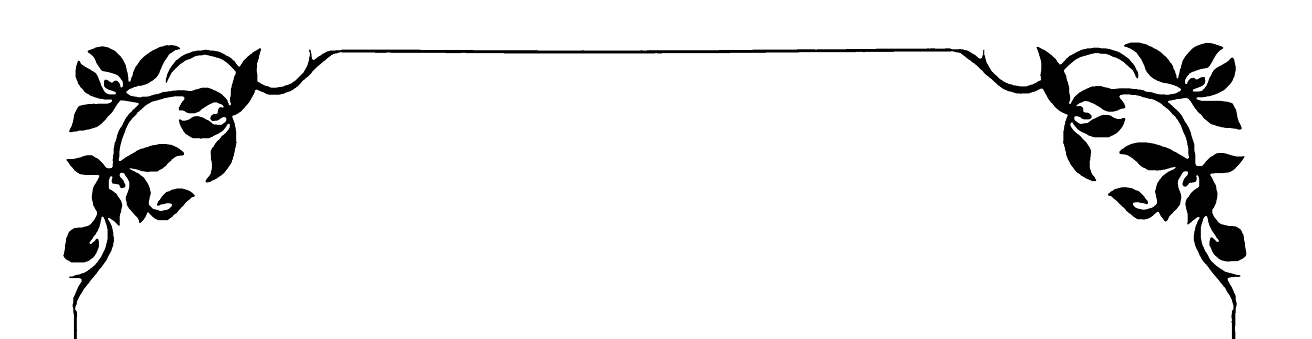
أصبحنا والحمد لله صائمين ، وتوجهنا إلى دمشق قافلين .

وكلمة وداع عن بيروت وملاحظة عن حركة العباد ، لقد ذكرت أن قلبي لم يتفتح لبيروت ، ولم أستطع أن أصف المدينة وأعبر عن شعوري وأسعفني الأستاذ سعد الدين فقال إنها مدينة داكنة ، ويغلب عليها الطابع المسيحي ، فالكنائس منتشرة والصلبان ظاهرة ، والتحلل فاش ، وحركة العباد هي الحركة الإسلامية الوحيدة في هذا البلد المتحلل الخاضع لسلطان النصرانية الثقافي وسلطان الغرب الخلقي .

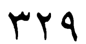
ولاحظت أن حركة العباد يتغلب عليها الجانب الرياضي والتنظيم العصري ، ولا شك أن عاملان مهمان في نشوء الحركات وتقدمها في هذا العصر وفي البيئة اللبنانية بصفة خاصة ، وللحركة نشاط ملحوظ في نشر التوجيهات الإسلامية ونتمنى أن يزداد الاعتناء بالجانب الروحي فهو أساس الحركات الدينية ولو ألهم الله قائدها وموجهها الكبير النشيط المؤثر ، العناية الكبيرة بإحياء السنن والمحافظة على الآداب الإسلامية بدقة وقوة ـ وفي استطاعة القائد أن يفعل ذلك وقد سنحت الفرصة وتغلغلت الدعوة ـ لأنتج

إنتاجاً هائلاً وكانت قوة كبيرة في البلد وتياراً إسلامياً كبيراً . وفي إخلاص الأستاذ « أبو عمر » وحرصه على الإصلاح وسلامة تفكيره وفي توفيق الله تعالى الذي لا يزال حليفاً لهذه الجماعة ما يبعث الأمل الكبير . وعلى الله قصد السبيل .

• • •



الفهارس العامة



فهرس الآيات الكريمة

* * *

فهرس الأحاديث والآثار النبوية الشريفة

* * *

فهرس الأعلام

* * *

فهرس الأماكن والبقاع والبلدان

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

● ● ●